

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



# النقد المعرفي بين التنظير والتطبيق، مقاربة من منظور نقد النقد لكتابات محمد سالم سعد الله

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (L.M.D) في اللغة والأدب العربي

شعبة: الدراسات النقدية تخصص: النقد العربي الحديث والمعاصر

إشراف الدكتور:

محمد عروس

إعداد الطالبة:

رانية قدرى

## لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ	جويني عسال
مشرفا ومقررا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ	محمد عروس
عضوا ممتحنا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ محاضر - أ-	كمال رايس
عضوا ممتحنا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ محاضر - أ-	إبراهيم زرقى
عضوا ممتحنا	جامعة الحاج لخضر - باتنة -	أستاذ	فيصل حصيد
عضوا ممتحنا	جامعة محمد الشريف مساعدي	أستاذ	عبد الوهاب شعلان

السنة الجامعية 2023/2022م

# الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



## النقد المعرفي بين التنظير والتطبيق، مقاربة من منظور نقد النقد لكتابات محمد سالم سعد الله

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (L.M.D) في اللغة والأدب العربي

شعبة: الدراسات النقدية تخصص: النقد العربي الحديث والمعاصر

إشراف الدكتور:

محمد عروس

إعداد الطالبة:

رانية قدرى

### لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ	جويني عسال
مشرفا ومقررا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ	محمد عروس
عضوا ممتحنا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ محاضر - أ-	كمال رايس
عضوا ممتحنا	جامعة العربي التبسي تبسة	أستاذ محاضر - أ-	إبراهيم زريقي
عضوا ممتحنا	جامعة	أستاذ	فيصل حصيد
عضوا ممتحنا	جامعة	أستاذ	عبد الوهاب شعلان

السنة الجامعية 2023/2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

إلى الإنسان الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح... السند والقوة...والذي الحبيب أطال الله في عمره.

إلى من رضاها غايتي وطموحي.... فأعطتني الكثير ولم تنتظر الشكر...إلى باعثة العزم والتصميم والإرادة..... صاحبة البصمة الصادقة في حياتي.... والدتي الحبيبة أطال الله في عمرها.

مقدمة

عرفت المناهج النقدية عبر مسيرتها التاريخية مجموعة من الإبدالات المنهجية نتيجة التحولات الحضارية والثقافية التي رافقت التطورات الحياتية المختلفة، فمن المناهج السياقية والتي شكّل السياق محورا أساسا في فهم طبيعة النص انطلاقا من التعرف على حياة المؤلف والظروف التاريخية والنفسية والاجتماعية التي أسهمت في تكوين النص ولا يمكن فهمه إلا من خلالها، إلى المناهج النسقية وما منحته من فريدة للنص أو العمل الأدبي واستيعاب دلالاته من تركيبته الخاصة بعيدا عن كل ما يحيط به لتطغى مقولة الموت وتهيمن على المشهد النقدي؛ فكان الحديث عن موت البلاغة مع الأسلوبية، وموت المؤلف مع "بارت"، وموت الناقد مع "مكدونالد"، وموت النقد مع "الغذامي"، وأصبحت عدوى الميتات في الخطاب النقدي موضة نقدية تستأنف الجديد لتجعله قديما، فتعلن موته وتفتح الباب لاستقبال المستجد وتجعله المنقذ وهكذا. في مقابل ذلك كان التأسيس لميلاد السيميائي والنقد التفكيكي والنقد الثقافي، والنقد الموضوعاتي، والنقد المعرفي وغيرها من التوجهات النقدية التي ترفض الانغلاق تتأسس على الانفتاح.

لقد كان لهذه التحولات جملة من المعطيات الدلالية على صعيدين اثنين: صعيد الشكل وصعيد المضمون، أما على صعيد الشكل فقد سعت المناهج النقدية دوما إلى تقديم وعي منهجي جديد يسمح بالكشف عن الخطابات وأبعادها، ووضع رؤية جديدة تعكس تنامي الفكر الإبداعي في النص. وعلى صعيد المضمون فقد أصبحت المعاني والدلالات تتفاعل لتقديم جماليات وتصورات ممتعة ومقنعة للنص في الوقت نفسه.

وفي ضوء تلك التحولات والتفاعلات والتداخل في بنية النص وشكله الإبداعي، انفتحت المسيرة النقدية على مجمل الطرح الإنساني انتقاعا وتفاعلا واكتسابا للخبرات من جهة، ودلالة على حيوية النقد وديناميته من جهة أخرى، وفي هذا الإطار وجد النقد حاجة منهجية ملحة للانفتاح على العلوم والمعارف، وحركية منهجية تنتفع من نتائج الفكر الإنساني الإبداعية التي لا تعرف التوقف ولا تركز للثبات. ومن بين التوجهات

النقدية المعارة التي تستوجب التوقف والمدارسة يبرز "النقد المعرفي" الذي سنجعله مدارا للبحث والدراسة.

جاء "النقد المعرفي" بوصفه مساحة نقدية للتناغم، وللانسجام، وللتفاعل بين المعطيات الإنسانية الشمولية، وارتباطها بالمنتج المعرفي المناسب للتسارع الحضاري وإبداعاته، وبكونه رؤية شمولية تحاول الاستثمار بدل الإلغاء، وتفعل الرؤى النقدية المتنوعة في مقارنة النص، فكل ما هو نصي أو خارج نصي يمكن استثماره للكشف عن المعرفة، بغية الوصول لهدف سام ألا وهو المعرفي من خلال الفني.

وإن المنتبع لحركة النقد وسيرورته وتحولاته، يجد أن "النقد المعرفي" من آخر ما استجد في ساحة الخطاب النقدي ولم يلق العناية الكافية والاهتمام المناسب له، مما جعلنا نفرده بالدراسة في هذا البحث الموسوم بـ "النقد المعرفي بين التنظير والتطبيق، مقارنة من منظور نقد النقد لكتابات محمد سالم سعد الله" والمقدم لنيل شهادة الدكتوراه في النقد العربي الحديث والمعاصر، في محاولة للكشف عن تجلي هذا النقد ومدى فعاليته في مقارنة النصوص الإبداعية من جهة، وما ينجر عنه من أحكام نقدية من جهة أخرى.

اتجه البحث صوب "النقد المعرفي" لبيان أسسه ومرجعياته وأبعاده في الخطاب النقدي، وخصصنا الدراسة التطبيقية للناقد "محمد سالم سعد الله" نظرا لسلسلته المتكاملة التي حملت عنوان "سلسلة النقد المعرفي" للتعرف على الآليات الإجرائية الممارسة على النصوص الإبداعية التي تبين مدى تحكم الناقد واستيعابه لهذا النقد.

### فرضية البحث

يتأسس البحث على فرضية مفادها أن النقد المعاصر قد مر بتحولات منهجية ومعرفية كثيرة، أدت به إلى الانتقال من مرحلة معرفية إلى أخرى، وكل مرحلة حملت معها بذور التغيير والتجديد للنص الإبداعي، وصولا للمرحلة المابعدية، التي أفرزت مشكلة الموت والإلغاء، فكان لابد من أن تقابل بحل نقدي ومنهجي يستوعب كل

الطروحات السابقة، ويستثمرها في فكرة شمولية، تستأنف الطرح الإنساني، وتعتمد مبدأ الحوار والتداخل بدل الإقصاء والإلغاء، فظهر النقد المعرفي الذي حمل لواء التغيير والتجديد وبعث الروح النقدية في ثوب يتماشى ويساير القديم والجديد على حد سواء.

### أسباب اختيار الموضوع:

يمكن أن نصنف أسباب اختبار موضوع البحث إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أ/ الأسباب الذاتية: تتمثل في:

- إنجاز بحث أكاديمي للحصول على شهادة دكتوراه في مجال التخصص "النقد العربي الحديث والمعاصر".

- الرغبة في اكتشاف مدونة نقدية ومعرفية قد وسمت بسلسلة النقد المعرفي.

- الميل نحو البحث في النقد المعرفي باعتباره من أواخر مستجدات الساحة النقدية.

ب/ الأسباب الموضوعية، وتتمثل في:

- أسباب متعلقة بالنقد المعرفي:

- حداثة موضوع النقد المعرفي، ذلك أنه لم تتجز أطروحة دكتوراه من قبل حول النقد المعرفي.

- افتقار المكتبة النقدية لدراسات تنظيرية وتطبيقية وكذا تقييمية لمجال النقد المعرفي.

- أسباب متعلقة بالناقد:

- البحث عن مدى تحقيق محمد سالم سعد الله لمشروع النقد المعرفي.

- الوقوف على الأدوات النقدية والبنائية التي اعتمد عليها الناقد.



- التعمق والاستفادة من الأدوات المفهومية والنقدية التي عالج بها محمد سالم سعد الله النقد المعرفي.

## 2- أهداف البحث:

يمكن حصر أهداف البحث في العناصر الآتية:

- الكشف عن تجربة النقد المعرفي وما فيها من إشكالات على مستوى التنظير والتطبيق.

- البحث في آليات اشتغال النقد المعرفي.

- معرفة مدى تمثل الناقد "محمد سالم سعد الله" لمشروع النقد المعرفي.

- الكشف عن خبايا الرؤية النقدية في "سلسلة النقد المعرفي".

## 3- إشكالية البحث:

الإشكالية التي سيعمل البحث على مناقشتها يمكن صياغتها في التساؤل الآتي:

### أ- الإشكالية الرئيسية:

كيف استطاع النقد المعرفي استيعاب الجهد النقدي في رؤية شمولية، تحتضن العديد من الميادين النقدية والطرقات المعرفية؟ وكيف عالج الناقد "محمد سالم سعد الله" في كتاباته الموسومة بسلسلة النقد المعرفي؟ وما أثر التوجهات الفكرية والمعرفية في توجيه رؤيته للموضوع؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة الأسئلة الآتية:

1. ما هي المقولات المنهجية التي أسست للنقد المعرفي؟

2. ما أهمية حضوره في الساحة النقدية. أو ما الآفاق الإبداعية والنقدية له؟

3. ما النقد المعرفي وما علاقته بالحقول النقدية المجاورة؟

4. ما القراءة التي قدمها محمد سالم سعد الله لمشروع النقد المعرفي؟

5. ما هي الإشكالات التي يثيرها هذا النقد؟

6. كيف تم استقباله في الخطاب النقدي العربي؟

### المنهج المتبع في البحث

سنستخدم لمناقشة هذه الإشكالية بأسئلتها المتفرعة منهج "نقد النقد" بشكل أساس مع الاستعانة بكل من الوصف والتحليل والتركيب والجدل والتأويل كآليات إجرائية في الجزئيات التي تتطلب ذلك، إضافة إلى المنهج التاريخي في تتبع بعض الظواهر وملاحقة تطورها.

### خطة البحث

سنعمل على دراسة حيثيات هذا البحث ضمن أربعة فصول، تستهل بمقدمة وتنتهي بخاتمة.

يحمل الفصل الأول عنوان: "الرؤية الاستمولوجية والمقاربية المنهجية"، وفيه سيتم البحث في مجال نقد النقد باعتباره الرؤية المنهجية والاستراتيجية الإجرائية مع تسليط الضوء على وضع حدود الفصل والوصل، التلاقي والاختلاف بين نقد النقد والنقد المعرفي والذي من شأنه أن يجيب عن سؤال مهم وجوهري ما إذا كان النقد المعرفي يمكن أن يشكل موضوعاً لنقد النقد.

سيعمل الفصل الأول على البحث في الحدود المصطلحية والمفهومية النقدية للنقد المعرفي، فلفظ *cognitive* ومجاورته بلفظ النقد، يحتاج من حيث البنية المفهومية إلى ربط للعمليات الذهنية التي يوظفها العقل، بالوصف، والحكم في التحليل الأدبي الذي يتميز به النقد، ومن حيث البنية المصطلحية فترجمة كلمة *cognition* و *knowledge* و *cognitive* والوقوف عند حدود الاختلاف بينهم سيبن طبيعة عمل اشتغال هذا

المصطلح، ومن جهة أخرى سيبحث الفصل الأول في المرجعيات الفلسفية للنقد المعرفي، فالفلسفة هي الأرضية الاستمولوجية التي تضمن بقاء العلوم واستمراريتها.

أما الفصل الثاني ويحمل عنوان: "النقد المعرفي بين الإنتاج والاستقبال"، سيكون فيه التطرق إلى علاقات النقد المعرفي بالحقول المعرفية المجاورة، على اعتبار الانفتاح والاستثمار الذي يحققه هذا الأخير، ثم البحث في مقولات وأسئلة النقد المعرفي، ذلك أن مقولات التداخل، والحوارية، والشمولية، والجسدنة، والجمالي المعرفي، مؤسسة لفكرة العلائقية التي يتميز بها النقد المعرفي.

كما يبحث هذا الفصل في استقبال النقد المعرفي في الخطاب النقدي العربي، أولاً لمعرفة الرؤية النقدية لكل ناقد أثناء تعامله مع النقد المعرفي، وثانياً للوقوف عند أهم النتائج النقدية التي تأسست حول هذا النقد.

يتخذ الفصل الثالث من "أسس التنظير للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله". عنواناً له، وفيه سيكون الكشف عن كل من الأسس الفلسفية والمعرفية والمنهجية التي أسس بها الناقد لموضوع النقد المعرفي، واعتمدها كخلفية استمولوجية تبين توجهه النقدي ورؤيته الخاصة، ليستقر الفصل بالتدرج من الأسس نحو المفهوم النقدي للنقد المعرفي، والذي من شأنه أن يبين الاختلاف الجوهرية بين النقد المعرفي ذي الرؤية العربية والنقد المعرفي الغربي.

أما الفصل الرابع والمعنون بـ "الرؤية التطبيقية للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله"، فسيبحث في الأدوات والآليات الإجرائية للنقد المعرفي التي مورست في عدة مجالات من طرف الناقد، وكانت على النحو الآتي؛ مجال اللغة والمناهج النقدية والنصوص الإبداعية، كما اشتغل الفصل على الممارسات الفكرية، وقد أضفى هذا وعياً نقدياً وإدراكاً منهجياً كشف عن الأداة النقدية وطموحاتها في مدى استجابتها للمعرفة الموجهة لها.

إن هذه الفصول يؤرقها هاجس واحد هو البحث في مجال النقد المعرفي الذي يعد من صميم فلسفة النقد، وكذا التطبيق النصي على سلسلة متكاملة تحمل في ثنايا سطورها ميدانا بكرة لم يحظ بالبحث والدراسة بالقدر الكافي، ميدان تداخلت فيه سوف المستقبلية للبحث في التنظير له، وسؤال واقع نقدي يريد أن يسهم في بناء فكر متجدد عن طريق الممارسة التطبيقية.

لقد أصبح المتلقي وهو يتابع النقد المعرفي متأرجحا بين سؤالين اثنين ماذا يعني وماذا يفعل، فقد كان محصورا في ماذا يعني النص، وأمام النقد المعرفي انتقل التفكير به إلى ماذا يفعل النص، إنه ارتقاء بوظائف العقل سمح بهذا الميدان بقراءة نماذج التفكير الإنساني وربطها بالحياة المعاصرة.

### مدونة البحث:

نظرا لقلّة ما تم إنتاجه حول النقد المعرفي، فسيكون الاعتماد على سلسلة النقد المعرفي التي جمعت خمسة كتب، إذ الاهتمام سيكون منصبا على تشكل وسيرورة النقد المعرفي في السلسلة النقدية، بما يكشف عن عمق هذه التجربة النقدية ويضمن تحقيق الأهداف المرجوة من البحث.

### الدراسات السابقة:

لم ينطلق هذا البحث من فراغ معرفي، وإنما استند إلى الآراء التي سلطت الضوء حول الدراسات الثقافية أولا، ليتخذها منطلقا يأخذ من القول بتداخل المعرفة النقدية، وانفتاحها برفض مبدأ الموت والإلغاء إلى تداخل المعرفة النقدية وانفتاحها بفضّل الاستثمار والشمولية التي حققتها النقد المعرفي.

لم أظفر بدراسة تخص النقد المعرفي من حيث التنظير والتطبيق، غير أن بعض القضايا الجزئية من النقد المعرفي نجد التعرض لها في النقد العربي المعاصر وهو ما

تم الاستفادة منه، في الإمساك بمفهوم عام، يوضح رؤيتنا للموضوع. ومن أهم تلك الدراسات:

- محمد مفتاح: مشكاة المفاهيم، النقد المعرفي والمثاقفة.

- محمود خليف الحياتي، النقد المعرفي للنص الأدبي.

إضافة إلى وبعض المقالات نذكر منها: وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر (الأصول، المرجعيات المفهوم). محمد عبد المهدي سلمان الحلو: ثقافة الغرب في ميزان النقد المعرفي. محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف. إبراهيم بن منصور التركي: من النقد الثقافي الى النقد المعرفي.

لكن النقص الذي حاول البحث ملأه، هو إعطاء نظرة متكاملة عن النقد المعرفي، تدمج بين التأسيس النظري والتطبيق على النصوص بما يسمح بالكشف عن مدى تمثل أو تجاوز الذات العربية للنظرة الغربية في الاشتغال النقدي المعاصر بخصوص النقد المعرفي.

### الصعوبات المعترضة:

مما لا شك فيه أن كل بحث إلا ويواجه صعوبات، وأحسب أن الصعوبة الأهم التي اعترضت سبيل هذا البحث هي ندرة ما تم إنتاجه بخصوص هذا المجال النقدي، وهي بقدر ما مثلت صعوبة فقد جعلت لنا حافزا فكريا ومعرفيا يدفع للإنتاج وإعطاء المزيد وتزويد هذا النقد برؤية عميقة ومعرفة منظمة.

ويبقى الفضل لله وحده الذي أمدنا بالعون والسادد لإتمام البحث، فله الحمد والشكر على نعمه التي لا يحصيها غيره ولا يعدها سواه.

ولأهل الفضل فضلهم فالشكر الجزيل للأستاذ المشرف "محمد عروس"، بما منح هذا العمل من رعاية خاصة، فكان بذلك نعم المرشد والمعين، فله مني الثناء والشكر والتقدير. والشكر موصول إلى كل من كان لي معه حوار أو نقاش حول جزئيات البحث

وإشكاليته خلال مراحل تشكله وإنجازه، وإلى لجنة القراءة والمناقشة التي ستعيد القراءة والتوجيه.

وكل توفيق من الله وحده.

الفصل الأول:

# الرؤية الإستمولوجية

## والمقاربة المنهجية

أولاً: نقد النقد الرؤية المنهجية

ثانياً: الاستراتيجيات الإجرائية لنقد النقد

ثالثاً: النقد المعرفي حدوده المصطلحية ومفهوميته النقدية

رابعاً: المرجعيات الفلسفية للنقد المعرفي

## أولاً/ نقد النقد الرؤية المنهجية

إن البحث في نقد النقد من الضرورات الملحة في تأسيس فكر عربي له مميزاته المعرفية وقيمه وأصوله العلمية، وإن هذا الميدان مازالت فيه الدراسات قليلة، ذلك أن «ممارسة نقد النقد ظلت مفتقرة إلى الوعي بمفهومه، والتنظير بحدود مادته المعرفية»<sup>1</sup>، وهذا راجع إلى طبيعة الاكتفاء الذاتي وكذا المعرفي بمناهج النقد الأدبي، فيُظن أنه لا حاجة إلى هذا النقد مادام المنهج يوصل لنتائج مرضية.

وذلك ما يستوجب تشغيل آلية الفكر والبحث عن كل ما هو جديد في هذا المجال المعرفي (نقد النقد)، حتى نتبين ميزة التجديد النقدي عنده، ومع ما يستجد في الساحة النقدية، وقد كان النقد المعرفي، محط التساؤل أمامه، ومدارا للبحث والكشف فيه، وهو الذي من شأنه أن يفتح مدارات أوسع أمام المشتغلين بهذا الحقل.

إن هذا البحث سيفتح مجال اشتغال على مجال نعتقد - في حدود اطلاعنا- أنه جديد في حقل الدراسات النقدية المعاصرة، وذلك بالاشتغال على مدونة تتعلق بالنقد المعرفي بخلاف الدراسات السابقة التي اتخذت من النقد الأدبي أو النقد الثقافي مدونات للدراسة، وذلك ما سيوسع من دائرة اشتغال نقد النقد ويرسم ميكانيزمات اشتغال نقد النقد وفق معطيات المعرفة.

<sup>1</sup> - رشيد هارون: الأسس النظرية لنقد النقد، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد 02، عدد 01، حزيران 2012، العراق، ص121.



### 1) مفهوم نقد النقد

إن البحث في ميدان نقد النقد من المجالات التي تقل فيه الدراسة، بل ويمكن القول إن ما أمكن الحديث عنه لا يتجاوز أصابع اليد، فالمفهومية النقدية لهذا الميدان لم تُضبط بعد ببراد يغم معرفي يجعل له حيزاً معرفياً أثناء الاشتغال، كما أن المقاربات النقدية من منظور نقد النقد إنما تمارس كتابة على كتابة أي معرفة على معرفة، وإذا نظرنا إلى الجهود النقدية سنجد أن التباين والاختلاف وعدم الاستقرار على مفهوم قار قد أرق الواقع النقدي، وجعل مقولة "تودوروف" تحضر في كل بحث في هذا المجال «إنه علامة على تفاهة الأزمنة: فمن ذا الذي بإمكانه أن يجد فيه فائدة ترتجي؟»<sup>1</sup>، غير أن هذا لم يمنع النقاد من البحث عن مفاهيم تتناسب مع دراساتهم، فنجد الناقد "عبد المالك مرتاض" يقول بأنه «شكل معرفي مكمل للنقد ومهدئ من طوره وضابط لمساراته»<sup>2</sup>، أي أن النقد الأدبي لم يكن نقداً متكاملًا في ذاته وفي مساراته وفي إجراءاته، كان نقداً يفتقر لعنصر المعرفة، وكأن "عبد المالك مرتاض" أراد أن يوجه نفس الاتهام الذي وجهه "عبد الله الغدامي" عندما اختار النقد الثقافي ليكون بديلاً عن النقد الأدبي، وحتى في تعريفه نجد أن الناقد لم يضبط تعريفه ليحدد إذا كان منهجاً أو أداة أو نظرية، وإنما اكتفى بلفظة شكل، لتكون تعميماً على كل الذي تم ذكره.

أما "محمد برادة" فيقول فيه يمكن أن نعد «نقد النقد من أكثر المباحث صلة بنظرية النقد وجماليتها لما يتيح تفحص المقولات وتطبيقاتها، والاحتكام إلى درجات التناسب والتعارضات بينها، وإلى رصد الرؤية والموقف فضلاً عن جدوى المنهج

<sup>1</sup> - تزيفيتان تودوروف: نقد النقد، ترجمة سامي سويدان، مراجعة ليليان سويدان، منشورات مركز الإنماء القومي، ط 1، 1917، بغداد، ص 16.

<sup>2</sup> - عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، -متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة، ط 1، 2002، الجزائر، ص 49.

كإجراءات وفرضيات وآليات عمل»<sup>1</sup>، بمعنى أن مجال نقد النقد لا يختلف عن النقد الأدبي إلا في حدود الإجراءات النصية.

أما "نجوى الرياحي القسنطيني" فنقد النقد عندها «خطاب يبحث في مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية وآلياته الإجرائية وأدواته التحليلية»<sup>2</sup>، وهنا إشارة على أن النقد هو موضوعه في الدراسة من حيث اللغة والأدوات والمبادئ.

ويذهب "عبد العظيم السلطاني" إلى اعتبار نقد النقد «مصطلحا دالا شاملا فيه اتساع، وهو أشبه بالمظلة التي تغطي عدة مجالات، فهو يشير إلى أي فعالية نقدية تمارس على فعالية نقدية سابقة لها في الحضور وفي أي حقل من حقول المعرفة الإنسانية»<sup>3</sup>، فنقد النقد بهذا التعريف يأخذ مكانة النقود سواء كان نقدا أدبيا أم نقدا ثقافيا أم فنيا، أم معرفيا، أم غير ذلك، نظرا لاتساع حقله الإجرائي الذي اعتبره الناقد بمثابة المظلة التي تغطي كل الحقول المعرفية، وعلى هذا فنحن نعتبر أن هذا المفهوم، إنما ينم على نعمة قبول لهذا المجال النقدي من حيث الممارسة النصية التي أتاحت إمكانية الاشتغال على كل ما سبق من نظريات.

ومن بين المفاهيم التي تقاربت مع مفهوم "محمد برادة" نجد مفهوم "سامي سليمان أحمد" الذي يقول: «نقد النقد بوصفه نشاطا معرفيا يخضع النصوص النقدية لمجموعة من الأطروحات والفرضيات التي تتعامل مع الإنتاج النقدي بوصفه موضوعا للمساءلة

---

<sup>1</sup> - باقر محمد جاسم: نقد النقد أم ميتا نقد؟؟ محاولة في تأصيل المفهوم، مجلة عالم الفكر، مجلد 37، ع3، مارس، 2009، الكويت، ص111.

<sup>2</sup> - نجوى الرياحي القسنطيني: في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد، 38 يوليو، 2009، ص55.

<sup>3</sup> - عبد العظيم السلطاني: مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، دار تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2018، دمشق، ص13.

والاختيار من زوايا مختلفة أو متصلة مما يؤدي إلى تنوع المداخل والمناهج التي يعول عليه دارسوا تلك المجالات»<sup>1</sup>، فتكون وظيفة نقد النقد تتدرج في مسار مقارنة النقد الأدبي، في علاقته بالعديد من فروع المعرفة.

هناك من النقاد من ذهبوا بنقد النقد إلى أبعد من هذه المفاهيم، وانتقلوا به إلى مسار آخر وهو المسار الإستمولوجي، فنجد "جابر عصفور" يقول بأنه «نشاط أبستمولوجي ينعكس معه النقد على نفسه ليختبر ويوضح الفرضيات التي تستند إليها المناهج والنظريات القائمة والمتوارثة»<sup>2</sup>، ويبدو تعريف "جابر عصفور" تعريفا لا يشوبه اختلاف عن المفاهيم السابقة، بل إنه وضّح رؤية النقد مع النقد الأدبي في لفظة انعكاس على نفسه، أي أن النقد يقوم بمراجعة المصطلحات والفرضيات التي تتجم عن النقد الأدبي.

ويرى "عبد الحكيم الشندودي" في كتابه أنه «تفكير معرفي، وجد أصلا لتتبع النقد الأدبي ومدار حركته وطرق اشتغاله، وهذا ما يسمح بتوسيع أفق عمله عبر رصد الحركات النقدية ومرجعياتها ونظرتها للعمل الأدبي»<sup>3</sup>، فنقد النقد من وجهة نظر "الشندودي" حُدّدت هويته بأنه تفكير معرفي، وهذا ما يمكن أن نؤسس به لإمكانية اشتغال نقد النقد على مجال النقد المعرفي.

كذلك من أهم التعاريف المعاصرة لنقد النقد نجد "محمد الدغمومي" الذي يؤكد تأكيدا جازما على المنحى الإستمولوجي وقد أدرجنا مفهومه في الأخير حتى نلمس

---

<sup>1</sup> - سامي سليمان أحمد: حفريات نقدية دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، ط1، 2006، مصر، ص7

<sup>2</sup> - جابر عصفور: قراءة في التراث النقدي، مؤسسة عيال، ط1، 1991، قبرص-اليونان، ص16

<sup>3</sup> - عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، أفريقيا الشرق، دت، 2016، المغرب ص26.

الملح الرئيسي والذي يشكل بؤرة الدراسة فيقول فيه: «نقد النقد يرتقي إلى درجة الكيان المعرفي بين كيانات العلوم الإنسانية ويغدو نقد النقد خطاب تحقيقٍ يستهدف تفكيك النص النقدي من أجل إعادته إلى عناصره المشكلة له وتبيين العملية التي أنشئ من خلالها في محاولة جادة لتحديد الذهنية التي أنتجته»<sup>1</sup>، أي إن الهدف الأساس لنقد النقد هو محاولة الكشف عن أعماق النص النقدي للبحث عن الميكانيزمات المعرفية التي أسهمت في بنائه، وكذا التعرف على طبيعة الفكر الذي أنشأه في رغبة منه؛ تحديد الخلفية التي استخدمها الناقد الأدبي في قراءته للمدونة، أي البحث هنا في طريقة التشكيل أولاً، ثم الهيكل.

والخلاصة أن نقد النقد هو اشتغال على النص النقدي برؤية ذات منحى إبستمولوجي.

### (2) موضوع نقد النقد

يتبين لنا مما سبق أن الموضوع الأساسي لنقد النقد هو النقد؛ أي أن كل المدونات النقدية هي موضوعه في الدراسة، وهذا ما سيجعل منه سلطة معرفية تمارس وجودها وفعاليتها عليه، غير أن دوائر الاستفهام ستظل تلاحق هذا المنجز النقدي، لأن تضارب الآراء في النقد الذي يكون موضوعه الأدب، ستجتمع في نقد النقد الذي يكون موضوعه النقد، فكيف لنقد أن يكون موضوعاً لنقد؟ أو بعبارة أخرى هل ما يتوصل إليه الناقد الأدبي من نتائج تحليلية وفق منهج محدد تكون عرضة لنقد النقد وفق آلياته هو؟ فيكون نقد النقد هنا هو نقد لمنهج معين اختاره الناقد في تحليله لظاهرة أدبية وليس نقداً لنقد؟ وإذا سلمنا بأنه قول نقدي على قول نقدي آخر جاء ليبنى كيانات العلوم الإنسانية، فنحن

---

<sup>1</sup> -محمد عايدة عطية، القيمة المعرفية في الخطاب النقدي مقارنة إبستمولوجية في نقد النقد الحديث، عالم الكتب الحديث، د.ط، 2011، الأردن، ص12.

بهذا الشكل نفتح دوامة لا انتهاء لها من الأقوال، كما تساءل العديد من الدارسين لنقد النقد<sup>1</sup>.

وأمام هذا التضارب المنهجي والمعرفي، فإن مسلمة الأخذ بمبدأ الاشتغال على المدونات النقدية أمر لا جدال فيه، "فنبيل سليمان" يرى أن إقصاء الخطاب الأدبي في حضرة نقد النقد مشكلة معرفية في حد ذاتها، إذ يجب على مقارنة نقد النقد أن تلم بالجانبين (الخطاب الأدبي والخطاب النقدي)، يقول: «نقد النقد في مثل هذا الكتاب يقوم على نقد الخطاب النقدي، في حضرة الخطاب الأدبي المنقود»<sup>2</sup>، فالأدب والنقد هما الركيزتان لنقد النقد في موضوعه، ومهمة هذا الأخير هي الكشف عما تختزنه الظاهرة الأدبية من رؤى وقضايا معرفية، إذ لا يمكن الاعتداد بالنقد فقط دون الأدب.

يحتل نقد النقد مكانة ثالثة في الترتيب النصي، بعد النقد الأدبي الذي يكون موضوعه النص الأدبي، فيكون النقد الأدبي هنا موضوعاً لنقد النقد، وهكذا دواليك من المراجعات والمحاكمات لأقوال نقدية، والتي تتم عن وعي بمقتضيات وحيثيات الممارسات النقدية التي تقتضي انسجام الرؤية والتطبيق.

إن الإمكانيات التي يتيحها نقد النقد بمفهومه الإجرائي العام اقتضرت عند حدود الأدب والنقد، فيكون بذلك «نقد النقد كميناً لمنهجيات النقد الأدبي ومقولاته»<sup>3</sup>، فتصبح هويته في هذا المقام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهوية النقد الأدبي. وقد أكد هذا المعطى "حميد الحمداني" قائلاً «بأن مناهج نقد الأدب تعد بالنسبة لنظرية نقد النقد، التي هي أدواتنا

---

<sup>1</sup> - ينظر على سبيل المثال: حميد الحمداني: سحر الموضوع (عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر)، مطبعة أنفو برانت-شارع القادسية، ط2، 2014، فاس، ص 07.

<sup>2</sup> - نبيل سليمان: المتن المتثلت، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، مصر، ص9.

<sup>3</sup> - حاتم الصكر: نقد النقد من إشكالات المصطلح إلى تداخلات المفهوم، مجلة الأديب الثقافية، عدد خاص، العدد الأول/السنة الأولى-صيف 2020، بغداد، ص34.

في التحليل بمثابة مورد معرفي يغيها ويمدها بالبنات الأساسية لبناء نفسها»<sup>1</sup>، فيكون هذا سببا رئيسا لجعل النقد الأدبي موضوعا لنقد النقد.

وما يؤكد حقيقة موضوع نقد النقد، هو أن هذا المجال لم تكن له غاية وهدف محدد سوى نقد ومراجعة الأقوال النقدية، إذ نجد أن جل الدراسات التي تناولت هذا المجال سواء ما تعلق بمصطلحيته أو مفهوميته، أو موضوعه، نجدها تدور في فلك واحد، ولم تقدم جديدا يذكر، فانحصر بذلك نقد النقد في مهمة القراءة الثالثة التي تنص على المراجعة فقط، يقول "باقر جاسم محمد": «نلاحظ أن كثيرا من هذه الكتابات في مجال الميتانقد التطبيقي قد بقيت حتى الآن تدور في فلك مراجعة مقولات النقد الأدبي الموروثة، والرد على بعض مزاعمه النظرية والتطبيقية، ولم تنهض بما يجعل منها نظرية مستقلة في الميتانقد»<sup>2</sup>. وبناء على ذلك تأتي محاولتنا في توسيع دائرة اشتغال نقد النقد لتتجاوز النقد الأدبي والنقد الثقافي إلى مجال النقد المعرفي.

### (3) النقد المعرفي موضوع لنقد النقد

في سياق حديثنا عن نقد النقد في علاقته بالنقد الأدبي تعترضنا إشكالية **النقد المعرفي** باعتباره منجزا نقديا جديدا يجسد مبدأ التداخل مع المعارف والحقول النقدية الأخرى، ويستثمر ما هو ممكن في عملية التحليل النصوي، وكونه منهجا حيويا يتسم بالمعرفة الدينامية والشمولية. فهل يمكن للنقد المعرفي أن يكون موضوعا لنقد النقد؟

طبعا إن هذا التساؤل يعتبر أول بحث من النواحي الفكرية وكذا المنهجية لنقد النقد، ومن جهة أخرى هو تجاوز لما توقف عنه "عبد الحكيم الشندودي" في حركة

<sup>1</sup>-حميد الحمداني: سحر الموضوع، ص15.

<sup>2</sup>-باقر جاسم محمد: الميتانقد جينالوجيا المصطلح من الوجود إلى الوعي، مجلة الأديب الثقافية، ص46.

تساؤلاته النقدية المتعلقة بنقد النقد، إذ جعل دائرة البحث تدور ما بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، في جدلية ارتباطهما من حيث الموضوع بنقد النقد.

وفي المنظومة النقدية بشكل عام، وفي سيرورة التاريخ النقدي، وكما أشرنا سابقا، إلى أن المعارف لا تبنى من فراغ، بل هي ردة فعل وتجاوز، وخلق ميدان من الصراعات والتناقضات والضديات التي أفرزت هذه النظريات، ففي فترة المابعديات تحديدا تجسد مبدأ الإقصاء، وتولدت فكرة عدمية المعارف، فكان النقد الأدبي الذي كان موضوعا لنقد النقد يصارع البقاء أمام النقد الثقافي الذي أصبح هو الآخر موضوعا له مع "الشندودي"، والذي أشار هو الآخر إلى أن النقد الثقافي سيكون هو الآخر محلا للتجاوز، يقول: «النقد الثقافي بدوره قد يكون عرضة للتجاوز في المستقبل على اعتبار أنه تقليعة معرفية أنتجتها العولمة التي كسرت الحدود وتبنت الشمولية في إيقاظ بمحو الثقافات المحلية وإحلال الثقافة العالمية كبديل»<sup>1</sup>، فالتجاوز الذي تحدث عنه "الشندودي"، تجسد مع النقد المعرفي، لكن بطريقة التداخل والاستمرار بدل الموت والإقصاء، وهو ما من شأنه أن يمهد لأن يكون هذا النقد موضوعا لنقد النقد الذي سيخلق معه رؤية جديدة قد تكون هي الأخرى موضع تساؤل وتجاوز.

إن المعرفة الإنسانية ستظل في حلقة من التساؤلات اللامتناهية، لتحقق وجوديتها من جهة، وتبحث عن أنماط جديدة. تنثير بها قضايا نقدية تتوالد مع كل فترة، ومع كل سبب (الإخفاق المنهجي)، لذلك أشرنا أن يكون نقد النقد هو البراديغم المعرفي الذي يتولى مساءلة النقد المعرفي من خلال إعادة النظر في أدواته ومسلّماته وإجراءاته المنهجية من أجل «استكشاف الإكراهات التي تحول دون النهوض بمهامه المعرفية والثقافية»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 64.

<sup>2</sup>- باقر جاسم محمد: جينالوجيا المصطلح من الوجود إلى الوعي، مجلة الأديب الثقافية، ص 48.

خاصة أن الأمر سيختلف تماما عن النقد الثقافي الذي أُعتبر نشاطا وليس منهجا، على عكس النقد المعرفي الذي امتلك كل المؤهلات والخطوط العريضة المتعلقة بالمنهج.

إذا كان موضوع النقد الأدبي والنقد الثقافي متماثلان في عناصر مشتركة، والتي سمحت لنقد النقد ألا يميز بينهما، فإن المعطى الجديد والذي سنضيفه لنقد النقد كميزة ستجعل منه نقدا يكشف عن المختلف في الممكن الموجود (النقد المعرفي)، وبيحث عن سماته النظرية التي اختلفت عن سمات النقاد السابقين والتي وجب ذكرها حتى نتبين الاختلاف أثناء اشتغال نقد النقد، وقد صرح بها "الشندودي" قائلا: «النقد الأدبي والنقد الثقافي يقومان على عناصر مشتركة نظريا:

-مثل قسم نظري وآخر تطبيقي

-منهج أو خطة الدراسة

-مفاهيم ومصطلحات

-إجراءات واستدلالات»<sup>1</sup>، وهذه العناصر التي ذكرها الناقد نجدها متوفرة في النقد الأدبي أكثر منه من النقد الثقافي، فإذا كان النقد الأدبي منهجا، فإن النقد الثقافي نشاط، والمنهج يأخذ الحيز الأكبر ويتخذ موقع البؤرة من الدراسة لنقد النقد<sup>2</sup>، لهذا سنعود إلى الجانب النظري للنقد المعرفي حتى نتبين أسسه التي ستكون موضوعا لنقد النقد.

فيما يتعلق بالقسم النظري والتطبيقي، فالنقد المعرفي امتلك أيضا هذه الميزة، لأنه ما من نقد تأسس دون سوابق ومرجعيات نظرية تمهد طريقه، أما المنهج الذي تبناه، فقد تمثل في استيعابه للجهد النقدي واحتوائه للميادين والحقول المعرفية، دون تولي مبدأ إقصاء المعارف، والذي سيخالف به النقد الثقافي، في مبدأ هويته، حول إن كان منهجا

<sup>1</sup> - عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص72.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص73.



أم نشاطاً، أم نظرية، وكذا مبدأ الاحتواء الاشتغالي، وحسبنا القول أيضاً أن مفاهيم ومصطلحات النقد المعرفي تختلف عن النقاد السابقين، فمادام المنهج يختلف، فإن المصطلحات والمفاهيم ستختلف أيضاً، فهي وليدة المنهج، فمصطلح النقد المعرفي، ولفظة **المعرفي** تحديداً تضم في طياتها وجوانبها جميع المفاهيم المتعلقة بالمعرفة الإنسانية.

أما **الإجراءات والاستدلالات** وهي التي ستزيد من دوائر الاستفهامات المحيطة بالنقد المعرفي عندما يكون موضوعاً لنقد النقد، فقد تمثلت في ولادة تفكير جديد لنقد جديد «عن طريق إمكانية التحول من الظاهرة/العوامل-بوصف النص مجموعة من التراكيب العيانية-إلى الخبرة الفواعل، وإلى تحويل المنتج إلى بنية، وتحويل النص إلى فعل المعرفة»<sup>1</sup>، وهو ما من شأنه أن يجعل منه موضوعاً يسائله نقد النقد، ليتحقق من هذه الإجراءات ويفحصها ويدقق في ممارساتها على الظواهر الأدبية.

النشاط الذي يمارسه نقد النقد كضرورة معرفية على أي ميدان نقدي، يحتم على ناقد النقد أن يُغيّر من ثوبه المعرفي وفق مستلزمات النقد المنقود، وأن يُطوّر من حصيلته المعرفية وأدائه، وأن يشكل رؤية خاصة من خلال جوانب محددة تجعل منه موضوعاً له، لذلك وجب فك اللبس والغموض، واستنتاج ما أمكن من المعطيات المعرفية التي تحيط بالنقاد (النقد المعرفي، ونقد النقد).

نعيد طرح التساؤل الآتي مع "الشندودي" -وهو تساؤل مُستنبط من تساؤل سابق، متوافق في صيغته، مختلف في مضمونه ورؤيته- مفاده «هل منهج ناقد النقد هو منهج

<sup>1</sup>-محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2013، إربد-الأردن، ص1.

ناقد الإبداع؟<sup>1</sup>، لأجري عليه تحويرا، وأقول هل منهج ناقد النقد هو منهج ناقد المعرفة؟

إن الناقد الأدبي يعتمد على مناهج متعددة (سياقية ونصية وغيرها)، يقارب بها الظواهر الإبداعية، وإن ناقد النقد يقوم بفحص وتمحيص ومعالجة وتقويم وتصويب الأقوال المنقودة والتحقق منها، وفق معالم وخطوات نقد النقد التي تقتضي بالضرورة عدم التسليم بقديسية وطرح الخطاب المحقق، بقدر ما يسعى إلى الوصول إلى التفكير الآخر، أي المغاير المختلف، يقول "الدغمومي": «إن هذا الخطاب هو فعل لا يؤرخ للنقد ولا ينظر له، وإنما هو فعل تحقيق هدفه الوصول إلى فهم يغاير كل فهم سابق للموضوعات والنصوص النقدية، مستعينا في ذلك بآليات التحقيق المعروفة، وبهذا يتميز عن غيره بخاصية تجعله أكثر تمثيلا لنقد النقد، ألا وهي البعد الإستمولوجي»<sup>2</sup>، بمعنى أن كل اختلاف يعد إضافة، وكل إضافة هي معرفة، وبالتالي نصل إلى أن منهج ناقد النقد يختلف عن منهج ناقد الإبداع، فالأول غايته المعرفة، والثاني غايته الإبداع.

وبما أن هذا البحث قد وصل بنا إلى غاية البعد الإستمولوجي وهو الذي سيؤكد حقيقة وحتمية التساؤل الذي طرحناه في جدلية كون النقد المعرفي موضوعا لنقد النقد فإن ما أمكن القول فيه هو أن «الموقع الطبيعي لناقد النقد هو أن يتخلى عن تبنيه أحد مناهج نقد الإبداع، وأن يترك هذا الاختيار لنقاد الإبداع أنفسهم لأن المجال الحقيقي لبحثه الخاص ليس هو المعرفة، بل هو معرفة المعرفة»<sup>3</sup>، فيكون هذا جوابا لتساؤلنا السابق، نعم يمكن لناقد النقد أن يعتمد على منهج ناقد المعرفة، لأن مجال

<sup>1</sup> - عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 76.

<sup>2</sup> - محمد الدغمومي: نقد النقد وتطهير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات، د.ط، د.ت، ص 76.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 306.

الدراسة هو معرفة المعرفة في كلا النقيدين، وبالتالي يمكن للنقد المعرفي أن يكون موضوعاً لنقد النقد، فالنقد المعرفي معرفة، ونقد النقد يبحث في المعرفة، فيكون معرفة على معرفة، فتنتج لنا معرفة المعرفة.

عندما نجعل من نقد النقد ممارسة معرفية على النقد المعرفي، فإن البحث عن أوجه الاتفاق المعرفي والمنهجي يجب أن تكون حاضرة، وأقصد بأوجه الاتفاق، تلك الإجراءات المتبعة للوصول إلى حقيقة النص، فكما أن النقد المعرفي يبحث فيما وراء الظواهر الأدبية، وصولاً إلى المعرفة، فإن نقد النقد أيضاً غايته البعد الإستيمولوجي، لذا ستكون هناك عوامل مشتركة وجب البحث عنها.

نطلق من مصطلح **نقد النقد**، هاتين الكلمتين حيث التركيب بالإضافة ينشئ مصطلحاً ويحدد مفهوماً، إذ تتولى الأولى مساءلة الثانية، فتخضعها لمرتبة من الاختبار، الاختبار الذي يشتغل في ضوء فرضيات وأسس وآليات محكمة، تحقق له هذا المبدأ، والتي أطلق عليها "الدغمومي" «آليات اختبار النقد»<sup>1</sup> فيكون نقد النقد ممارسة معرفية تشتغل وفق «فعل الاختبار»<sup>2</sup>، وهو الذي يتماثل مع النقد المعرفي الذي يسعى أيضاً لتحقيق هذا الفعل، فهناك تقاطع في فعل الاختبار بين النقد المعرفي ونقد النقد، فالأول يحققه عن طريق تحويل التراكيب العيانية إلى تراكيب خبرة\*. والثاني يجسدها بإجراءاته ذات الميزة المعرفية التي تسعى إلى فعل التحقيق المغاير.

<sup>1</sup> - محمد الدغمومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، ص 56.

<sup>2</sup> - عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 78.

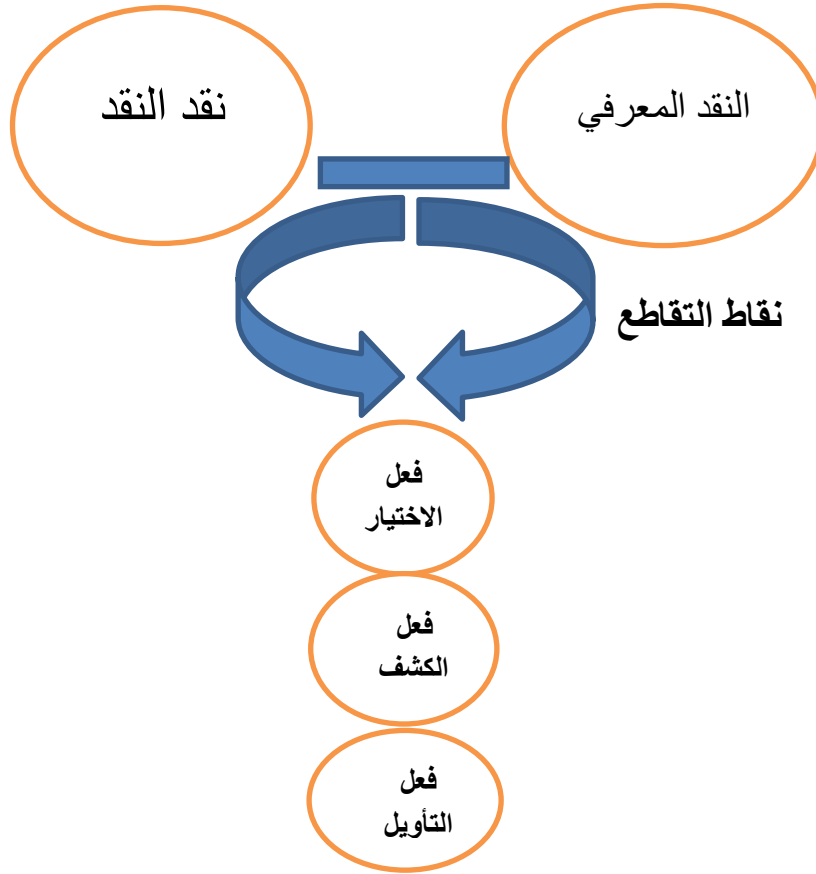
\* النقد المعرفي يقوم بتحويل التركيب اللغوي ذي الدلالة المعجمية إلى مدلولات تمتزج معها الخبرة الإنسانية المعرفية التي يحملها مجموعة من الفواعل الذين يمتلكون سلطة التأويل وفاعلية التأثير، فكل تركيب عياني هو مجموعة الدوال، وكل تركيب للخبرة هو مجموعة مدلولات.

ومن فعل الاختبار، يأتي «فعل الكشف»<sup>1</sup>، إنه الكشف عن الممكنات المعرفية التي يمكن أن تحقق وجودية وعطاء ذاك النص، وهو الذي أيضا يتقاطع مع النقد المعرفي الذي يبغى «كشف القيم التي نهض عليها النص»<sup>2</sup>، لنصل في الأخير إلى فعل المعرفة التي تمارس عن طريق التأويل، شريطة أن يكون ذاك المُغايير المختلف الذي يصنع التمايز، ويحقق هوية ذاك النقد عن طريق «فعل التأويل»<sup>3</sup> الذي يجسد حضور الاشتغال النقدي ليصل به إلى معرفة المعرفة، وهو أيضا ما قدمه النقد المعرفي في بحثه عن المستور الذي بحث عنه عن طريق ذلك الفعل، بغية وصوله «إلى معرفة واسعة التي تمتد أفقا وعمقا، لتنتج فتقدم، وتبتكر فتبدع»<sup>4</sup>، فنجد أن النص المعرفي مُوازٍ للنص النقدي من حيث الإجراءات التي يقوم عليها كلا النقيدين.

وذلك ما يمكن توضيحه بالمخطط الآتي:

- 
- 1- عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد: حدود المعرفة النقدية، ص 78.
  - 2- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.
  - 3- محمد الدغمومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، ص 57.
  - 4- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 4.

\*مخطط توضيحي للسمات المنهجية المشتركة بين نقد النقد والنقد المعرفي



الشكل 1 حدود الوصل بين نقد النقد والنقد المعرفي

تعتبر هذه الأفعال الثلاثة بمثابة محرك ودافع لنقد النقد لجعل النقد المعرفي موضوعاً له، فاختيار نقدٍ لنقدٍ آخر يجب أن تكون له مبرراته العلمية والمنهجية التي تضمن وضوح الممارسة العملية، وتضفي نتيجة معرفية، تتضافر إلى العوامل السابقة، فكما أننا وضحنا أن نقد النقد هو بحث عن المغاير المختلف للوصول إلى المعرفي، فكذلك النقد المعرفي غايته معرفة المعرفة، عن طريق البحث فيما وراء النص، فيكون هذا الخيط المفصلي الذي يوضح سبيل الوصول إلى النص النقدي ومن ثم إلى النص المعرفي.

هناك زوايا معرفية أكثر منها منهجية يبحث فيها نقد النقد أثناء تحديد موضوعه، فوجدنا أن هذه الجوانب، هي ميزان الدراسة في موضوع النقد المعرفي، فخصوصية

الأول، (نقد النقد) تغذيها وتكملها خصوصية الثاني (النقد المعرفي)، وناقد النقد سيكون محملا بكفاءة علمية، تجعله ينتقل من تحليل القضايا، إلى البحث عن المختلف، ومن ثم على الإنتاج المعرفي الذي تمتزج معه الخبرة الإنسانية، ومن هذه الجوانب كما يذكر "الشندودي": «اشتغال المعرفة فيه بالنظر إليها كمفاهيم وأنظمة فكرية. -طبيعة الإجراءات المعتمدة لتوظيف المعرفة. -القيم والمعايير المتحكمة. -الأهداف والنتائج الموجهة»<sup>1</sup>. وفي هذا الإطار، يمكن الحديث عن النقد المعرفي الذي يوازي بطبيعته الجوانب المحددة والتي يبحث فيها نقد النقد، كميزة وسمة خاصة به، فالنقد المعرفي يستنزف عمل العقل للوصول إلى المعرفة، ويرسم استراتيجيات لها بعدم تغييب الجانب الروحي، ويبحث في الميكانيزمات التي ساهمت في توليد الفكر وبناء المعرفة، ويضبط التوجهات التي تستأنس بطبيعة عمل المعرفة، فيكون هذا مبررا آخر لجعل النقد المعرفي موضوعا لنقد النقد.

وبالتالي نقول إنه مثلما كان النقد الأدبي والنقد الثقافي موضوعا لنقد النقد، كذلك يصح أن نقول بأن "النقد المعرفي موضوع لنقد النقد"، فالنقد المعرفي يشتغل أيضا بشكل فاعل في مسار منه على ميدان نقد النقد من حيث الإجراء النظري، والتدريب النقدي، والفاعلية التطبيقية وهو ما لم يستطع فعله النقد الأدبي والنقد الثقافي.

### ثانيا/ الآليات الإجرائية لنقد النقد:

يحتاج كل نقد باعتباره ممارسة فكرية إلى مجموعة من الإجراءات المنهجية التي تحفظ به قوام العملية التحليلية النقدية، وتضفي عليه طابع الموضوعية العلمية، فتفسير الظواهر يستدعي إمكانيات تنظيرية تصل به إلى جملة من آليات التحليل والكشف لتمنحه بعد ذلك أحقية المنهج، الذي يعطي مرونة للناقد في القراءة والتأويل والتفسير.

<sup>1</sup>- عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص78.

ونقد النقد يتكامل بشقيه التنظيري والتطبيقي، فالأول يُعنى بالنظرية والأسس الفكرية، والثاني يتجه إلى الممارسة النقدية وفحص النصوص<sup>1</sup>، وهو بذلك يسعى إلى أن يبتعد من دائرة الذوقية والانطباعية ويقترّب بالمقابل من العلمية بغرض تحقيق الموضوعية، وهو أيضا يمد الناقد «بأدوات منهجية وتصورات نظرية نقدية مرنة ومتحركة وغير معيارية، وفي الوقت نفسه مستندة إلى أسس علمية»<sup>2</sup>، تكون له بمثابة العدة التي يستند إليها أثناء الاشتغال النقدي.

وإذا ما فصلنا في الشق التنظيري والذي ارتكز على مفهوم النظرية والأسس الفكرية، والتي نقصد بها المرجعيات المعرفية التي بني عليها الخطاب، فإننا سنجد أن آليات نقد النقد سُنستنبط من مكامن النظرية والأسس الفكرية، على اعتبار أن النظرية «تتكامل بتوفر شروط ثلاثة: صياغة افتراضات، وصناعة مفاهيم، وإنشاء مصطلحات»<sup>3</sup>، والمصطلحات بدورها بوابة للولوج لعالم المعرفة والعلوم، فيكون هناك نقد مصطلحي يؤطر للمفاهيم، ويمهد للأسس التي تتطلب نقد المرجعيات، وصولا إلى نقد تطبيقي يستعمل فيه ناقد النقد «جميع معارفه عن المنهج المتبع من أجل ملاحقة الناقد في جميع مراحل تقديم تصوره الخاص له: المرحلة النظرية والمرحلة التطبيقية»<sup>4</sup>، ولا يتأتى ذلك إلا باستعمال لغة النقد الأدبي وهي اللغة الواصفة لغة نقد الإبداع، التي تتطلب ممارسة العملية التأويلية، بتوظيف نظام علائقي نصوصي (المتعاليات النصية)،

---

<sup>1</sup>-حاتم الصكر: نقد النقد من إشكالات المصطلح إلى تداخلات المفهوم، مجلة الأديب الثقافية، ص 29.

<sup>2</sup>-عبد العظيم رهيف السلطاني: كتاب سحر الموضوع وأسئلة المنهج في نقد النقد الأدبي الآن، مجلة الأديب الثقافية، ص 18.

<sup>3</sup>-محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 6.

<sup>4</sup>-حميد الحمداني: سحر الموضوع، ص 8.

يمارس فيه النقد نقدا حواريا، للكشف عن المرجعيات والأيدولوجيات والأطر المعرفية، فيكون من ضمن الآليات الحوارية النقدية.

يجب التنويه إلى أن الحوارية النقدية يشترك فيها كل من النقد المعرفي ونقد النقد، فكلاهما يشغلان على الخطابات البيئية، التي تفتح أفق الممارسة المعرفية، فتجدد من طبيعة الاشتغال النقدي، عن طريق التعدد الذي لا يتسم بالإقصاء بقدر ما يوصف بالشمولية، «فهذا البحث النقدي الثقافي فيه شمول، فهو مصمم للخوض في كل الحقول ليصل إلى نتيجة شاملة»<sup>1</sup> يبني بها تصورات فكرية، ويصل بها إلى أبعاد إستيمولوجية (نقد النقد).

لقد أشار الناقد "محمد المريني" في بحثه الموسوم بـ "نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية"، إلى ثلاث مقاربات يشتغل بها نقد النقد في ضوء دراسته التحليلية، وقد حصرها في الآتي حيث يقول: «يمكن القول عن المنطلقات المنهجية المعتمدة في نقد النقد أنها لا تخرج عن واحدة من الخيارات المنهجية التالية:

### المقاربة الوصفية

### المقاربة الأيدولوجية

المقاربة الإستيمولوجية»<sup>2</sup>، وهذه المقاربات ما هي إلا اختزال لجملة الآليات التي أدرجناها سابقا، فالمقاربة الوصفية، تختزن نقد اللغة الوصفة، والمقاربة الأيدولوجية تشير إلى فكر الناقد الذي يسعى لإمطاة اللثام عنه أثناء تحليله وتكشف عن المرجعيات التي بنى عليها الناقد الأول رؤيته وتصوره.

<sup>1</sup> - عبد العظيم السلطاني: مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، ص19.

<sup>2</sup> - محمد المريني: "نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، مجلة البيان الكويتية، العدد 452، بتاريخ 1 مارس 2008، ص11.



أما المقاربة الإستيمولوجية، فهي تحوي كلا من الآليات التالية: الكشف، والتأويل، والحوارية، لتفسح المجال لمعرفة إنسانية أخرى، تتجاوز الأولى، وترقى بها إلى مرحلة من العطاء والنضج الفني والمعرفي.

### 1- النقد المصطلحي:

يعتبر النقد المصطلحي من أهم الآليات المنهجية في نقد النقد، خاصة وأن البحث في المفهوم لا يتم إلا من خلال الانطلاق بمعرفة المصطلح ومحمولاته الثقافية أولاً، والذي يخضع بدوره لماكنة وآلية العقل التأويلي، الذي يفضي بدوره إلى التعدد المصطلحي في مقابل المفهوم الواحد، كما أن للأيديولوجيا دوراً فعالاً في تحريك وتفعيل عملية الترجمة، التي ينجم عنها العديد من الترجمات المصطلحية، تبعاً لكل ناقد، الذي يحملهما ووعياً بطرح جميع المبررات التي تحفظ بقاء واستمرارية ذلك المصطلح دون غيره.

وناقداً النقد يوظف النقد المصطلحي حتى يكشف عن طبيعة تلك المصطلحات وعن المسوغات التي أدت إلى ظهورها، وبيحث في نفس الوقت عن المصطلح الذي يوائم المفهوم، فيكون هنا النقد المصطلحي ذو مكانة هامة و«مفهوم مركزي في نقد النقد وفي علم المصطلح يلتقي فيه الانشغال بأمر المصطلحات والمفاهيم في إطارها النظري العام، والاحتكام إلى أطر نقدية كلية بالبحث في مصطلحات ومفاهيم مجال علمي محدد»<sup>1</sup>، حتى يتأتى معرفة مكانة المصطلح الأنسب من غيره، ويتم تحديده في المجال العلمي المخصص له.

وللعودة إلى قول "الشاهد البوشيخي" حول ما جاء في كتبه، نستذكر مقولته التي تدعّم ما طرحناه سابقاً، حيث يقول «المصطلح عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤية،

<sup>1</sup>-محمد أمهاوش: النقد المصطلحي، الرؤية المفهومية والمنهجية، مجلة علامات في النقد، العدد 64، 1 فبراير، 2008، ص7.

والرؤية نظارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي، بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية<sup>1</sup>، فدون الدقة في تحديد المصطلح، لن تصل إلى المفهوم، ولن تتشكل عندك الرؤية التي تفتح لك آفاقا للتأويل والاستيعاب.

وعلى هذا لا بد من مبررات علمية ودعائم أساسية يتقيد بها ويتكى عليها الناقد أثناء وضعه للمصطلح وتتمثل في:

-**العلمية:** وركيزتها الإحصاء، وتمر بثلاث مراحل، فالتمهيدية تمثلت في الدراسة المعجمية، تعقبها النصية، وآخرتها المفهومية على نمط خاص يكفل الوصول إلى نتائج يمكن علميا أن يُطمأن إليها.

-**المنهجية:** أساسها تقديم الدراسة الوصفية بشروطها على الدراسة التاريخية بشروطها.

-**التكاملية:** أساسها التنسيق بين الباحثين لدراسة المسألة المصطلحية لأجل الهدف العلمي<sup>2</sup>

يُخضع ناقد النقد المصطلحات الموضوعية للمساءلة والتحقيق ويبحث عن الدعائم التي ارتكز عليها الناقد، والتي اعتبرها بمثابة شروط يجب أن تتوافر أثناء الوضع، مُستخدما بذلك **النقد المصطلحي** الذي يتيح إمكانية الفصل بين الأصل والنسخ، ليحدد بعد ذلك المفهوم المطابق له. فهذه الآلية بمثابة المصباح المنير الذي يضيء عتبة ناقد النقد لمراجعة أفكار النقاد الذين وضعوا هذه المصطلحات.

<sup>1</sup>-الشاهد البوشيخي: نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية، مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، العدد الثاني، 2002، ص67.

<sup>2</sup>-ينظر: المرجع نفسه، ص73.

## 2- نقد المرجعيات:

الحديث عن المرجعيات، هو حديث عن محمولات فكرية وثقافية، ترسبت في وعي الكاتب، عن طريق المثبرات قد تكون نتيجة تأثر بالآخر، أو محاولة لتبني أفكار للإضافة أو التعديل عليها، لتجسد عنده نزعة معرفية تهيمن على سلطة تفكيره أثناء الكتابة، وكما نعلم أن كل نقد أو نظرية أو علم ومعرفة، هو امتداد لخلفيات ومرجعيات وأسس انبني عليها، إذ لا وجود لعلم من عدم، بل هناك أصول ومفاهيم شيدت ونسقت لهذا العلم.

وبما أن النص الإبداعي هو نتاج تجربة إنسانية، فإن الغوص في مضامين الكشف عن تلك التجربة يتطلب البحث في مرجعية ذاك الكاتب الذي جعلته يلتف حولها ويختارها دون غيرها، فلا تجربة دون مرجعية، «إذ لا بد من الاستناد على خلفية نظرية دقيقة لها غاياتها التي تظهر في صيغة النقد التي تقترحه أهدافه وتوجهاته التي تملئها علاقته بالأدب»<sup>1</sup>، فيصبح الطريق أمام الناقد مهيناً للبحث في تلك المرجعية التي هيمنت على تفكيره وجعلت إنتاجه يكون خاضعا لها.

ومن مسيرة الناقد إلى مسيرة ناقد النقد، وضمن آلية نقد المرجعيات، ستختلف الدراسة وتكون أكثر عمقا ومساءلة وتحقيقا، فهذه المهمة التي يضطلع بها ناقد النقد تتطلب معايير علمية ومحطات يقف عندها، محطة النص الإبداعي من جهة، ومحطة العمل النقدي الموجه لذلك النص، إنها زوايا معرفية تلزم «الناقد بملاحقتها ورصدها، وتعليقها، أو وصفها لفهمها والسيطرة عليها»<sup>2</sup>، فهذه المرجعيات المتبناة هي من تجعل الناقد يختار المنهج الملائم للدراسة، كما تحفز ناقد النقد على أن يكون ذا معرفة أشمل من الناقد الأدبي حتى يتمكن من تأسيس نظرة شمولية وموقف نقدي يكون أكثر انفتاحا

<sup>1</sup> - عبد العاطي الزباني: نقد النقد وأبعاد التنظير النقدي، مجلة علامات، ج56، م14، يونيو، 2005، ص134.

<sup>2</sup> - محمد الدغمومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، ص90.

من موقف الناقد الأول، «ودون الوقوع في أسر المرجعيات الأيديولوجية التي تختفي وراء المناهج النقدية المختلفة»<sup>1</sup>فتتشكل عنده رؤية واسعة وعميقة عن العملين (الأول النص الإبداعي، والثاني العمل النقدي) وما بينهما تتمثل المرجعيات التي بلغ تأثيرها في العملين والتي من خلالها تجعل ناقد النقد «يحدد طبيعة الأنساق المضمرة الذاتية والنفسية والثقافية التي جعلت الناقد الأدبي يتبنى منها نقديا دون سواء»<sup>2</sup>، وتمكنه من البحث في جميع الممكنات المعرفية التي أهلته لسماع صوت الكاتب وصوت الناقد معا، فهذه النظرة التكاملية الممنهجة هي من تخلق واقعا معرفيا جديدا ومغايرا.

### 3- النقد الحواري:

إن الخوض في البحث عن آلية النقد الحواري، هو بحث في متاهات معرفية متعددة، نظرا لاتساع دلالاته في كل حقل معرفي، وتشعب ميادين الاشتغال به، فهو لم يكن ضمن موضوع علم واحد، بل كان حاضرا في المعارف المابعدية بشكل كبير، وأبرز قدرة فائقة على الظهور، وأسس لمعرفة عالمية وشمولية أتاحت فرص الإنتاج والتأصيل من جديد. وكمثال كان التناص مع كرسيفا، وتداخل الأجناس، ونقد النقد مع تودوروف، والنقد المعرفي مع "بيترستوكويل" في الغرب و "محمد سالم سعد الله في الحاضنة العربية.

إن مصطلح الحوارية يعود إلى "ميخائيل باختين"، حيث عممه على جميع الميادين والحقول المعرفية، «فجعله مرة صفة للكلمة، ومرة صفة للرواية، ومرة صفة للعلاقة»<sup>3</sup>،

<sup>1</sup>- عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 80.

<sup>2</sup>- باقر جاسم محمد: نقد النقد أم الميئا نقد، محاولة في تأصيل المفهوم، مجلة عالم الفكر، ص 123.

<sup>3</sup>- محمد عروس: تداخل الأجناس الأدبية، مفاهيم وتصورات، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، ط1، 2019، قسنطينة-الجزائر، ص 96.

وهذه الصفات وجدت طريقا للتوسع أكثر عبر آليات وطرائق مختلفة لعل أبرزها التهجين والذي ساهم بشكل فعال في استدعاء النصوص وخلق التداخل.

فالتداخل هو بصمة من بصمات الحوارية، وشكل معرفي أكثر رحابة من الصفات الثلاث الأولى، ليغدو بذلك النقد الحوارية صورة جديدة تعانق كل خطاب وكل إبداع.

وبما أن نقد النقد اتخذ من النقد الحوارية آلية من آلياته، فإن الكشف عن طرفي الحوار اللذين أسسا للعمل المنهجي الذي تبناه ناقد النقد أمر لا بد منه، فهذا الحوار يضم صوتين «صوت الكاتب وصوت الناقد وليس لأي منهما امتياز على الآخر»<sup>1</sup>، وكل حوار هو خطاب يتضمن تصورات معرفية، يختزن أبعادا ثقافية، وفكرية، ينتظر فقط فرصة الكشف والبحث، وناقد النقد سيدخل لا محالة في حوار ثالث مع الأولين، وسيكون «بإمكان النقد الحوارية أن يلعب دورا جديدا في مجال تأصيل المعرفة النقدية، غير أنه لا يتشكل ضمن معرفة مهيكلة في قوالب وقواعد بقدر ما تؤسس لحوار مفتوح يشمل داخل وخارج النص المتحاور معه»<sup>2</sup>، إنه بحث يضم ثلاث فئات داخل العملية الإبداعية، كل طرف منها يسعى إلى البحث عن الحقيقة.

إن النقد الحوارية الذي يشتغل به نقد النقد يحوي ميزة مهمة وأساسية وهي عدم الإقصاء، بمعنى أن ناقد النقد وهو يتفحص العمل النقدي فإنه سيقحم نفسه في الاشتراك مع الثنائي (المبدع والناقد)، يسمع لأرائهما ويشاركهما بحواره، ويساهم في العملية الإنتاجية، وهو ما أشار إليه "تودوروف" في كتابه (نقد النقد رواية تعلم)، حيث يقول: «يتكلم النقد الحوارية ليس على المؤلفات، وإنما إلى المؤلفات-أو بالأحرى مع المؤلفات، وهو يمتنع عن استبعاد أي من هذين الصوتين الحاضرين»<sup>3</sup>، وعلى هذا

<sup>1</sup>- عبد الحكيم الشندودي، نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 83.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 84.

<sup>3</sup>- تريفيتان تودوروف: نقد النقد رواية تعلم، ترجمة سامي سويدان، ص 147.

فإن عملية الاشتغال النقدي ضمن منطق النقد الحواري سيبلور مؤسسة معرفية تضم أصواتا متعددة، تتفاعل فيما بينها، تسعى لتأسيس حركة علمية متجددة، وهذه الحركة ناجمة من النص الإبداعي والعمل النقدي، وقراءة نقد النقد، والتي بدورها ستختلف في النتائج، لأن كل من هذه الأطراف إنما يحمل رؤية مخالفة، وبالاختلاف تتجدد المعارف، فبقدر ما «يشترك نقد النقد والنقد الحواري- كما يفهمه تودوروف في خاصتي الانفتاح على النص الآخر، فإنهما يفترقان في اختصاص الأول بكلام النقد على النقد وغلبة الجدل عليه واختصاص الثاني بكلام النقد مع الأدب وعنه في تكافؤ وندية»<sup>1</sup>، ومع هذه الازدواجية المعرفية، التي تصنعها المعية الفكرية، سنتسع دائرة الممارسة النقدية نحو مساحات اشتغالية متنوعة يكون فيها الجدل والحوار والتبادل الفكري أساسها، «فتحفز على البحث في ثوابت التجربة النقدية ومتغيراتها وتتيح لأصوات النقد مجالات الأسئلة الفكرية والمجادلات والتحديات»<sup>2</sup>، فالنقد الحواري علامة من علامات التجديد والتشكيل المعرفي، وخلق منظومة للتواصل، يحدد من خلالها الناقد أهدافه عن طريق العلاقات والتقاطعات المعرفية، فيقتنص الحلول، ليقدم البدائل، ويثري عمله، ويكشف عن كل الممكنات والعوامل التي ساهمت في اختيار ذلك النص الإبداعي للنقد، وعن العمل النقدي الذي تبلور من خلال ذلك النص، «بواسطة آليات سلطوية تستند إلى حقيقة ما»<sup>3</sup>، وتلك الحقيقة هي من تصنع الموقف النقدي الذي يبين نتيجة العمل المدروس.

<sup>1</sup> - نجوى الرياحين القسطنطيني: في الوعي بمصطلح نقد النقد، مجلة عالم الفكر، ص58.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص58.

<sup>3</sup> - الزواوي بغورة: في النقد الفلسفي محاولة في تحديد المفهوم، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد41، أبريل-يونيو 2013، الكويت، ص51.

#### 4- نقد اللغة الواصفة:

تصنع اللغة وجودها من النص الإبداعي، وتبرز حيويتها من الفعل النقدي، وتتجدد مع نقد النقد، فهي من أطرت لعلاقة الأدب بالنقد، وبنيت جسور الترابط بين المعارف، ونظمت المعاني في حلقات القراءة، وأعطت لكل واحدة منزلتها.

والحديث عن اللغة كآلية من آليات نقد النقد يشكل مهيمنا جديدا من المهيمات التي تكسر القواعد المألوفة لعمل اشتغال اللغة، ويحولها إلى نشاط يمتزج فيه الفعل الفكري مع الفعل اللغوي مع الفعل السلطوي الذي يحمل أبعادا معرفية وعقلية ومرجعية وفلسفية، تمنح خطاب نقد النقد أحقية الممارسة بها.

إن الرؤية العلائقية التي جمعت الأدب بالنقد ونقد النقد صنعتها اللغة كفعل دينامي يكشف عن التمثل المطلق من حيث الإجراء المنهجي، ثم البعد المعرفي ثانيا، وهو ما حث ناقد النقد على التوغل والتعمق في هاته اللغة، بدءا بالنص الإبداعي، ثم العمل النقدي، ثم بنية العلاقة اللغوية التي «مثلت صورة فرضها الأدب وطبيعة النقد ومنعطفاته من حيث هو رصد لعملية الكتابة الإبداعية ورصد التجربة النقدية بصفاتها علاقة بين النص الأدبي وقارئه، توازيه علاقة أخرى بين النص النقدي وقارئه»<sup>1</sup>، فكل هذه المحطات كانت سبيلا للمساءلة النقدية ودفعت ناقد النقد للتفسير والقراءة والتأويل، للتحقق من مدى التحكم بزمام اللغة في مسلك صحيح، أمام الأسلوب والنحو والصرف والدلالة، ودواعي السياق الذي يشكل مستويات الفهم والتفكير.

يقتضي عمل ودور ناقد النقد في «دراسة لغة النقد الأدبي وآلياته بوصفه معطى أدبيا ذا طبيعة خاصة يقوم على المزوجة بين حرية الإبداع من جهة، والالتزام المنهجي

<sup>1</sup> -نجوى الرياحين القسطنطيني: في الوعي بمصطلح نقد النقد، مجلة عالم الفكر، ص 58.57.

والمعرفي من جهة أخرى»<sup>1</sup>، ودراسة لغة النقد الأدبي مرهون بدراسة لغة النص الإبداعي، حتى تصبح هذه اللغة محط دراسة لنقد النقد.

إن آلية نقد اللغة الواصفة من أصعب الآليات في نقد النقد، وإن محاكمتها ليس بالأمر الهين، فهي تتسم بخصوصية التمرد حيناً والثبات حيناً، وممارسة الدور السلطوي حيناً آخر، لذلك فناقداً النقد عندما يتجه إلى التحليل والمحاكمة، فإن عمله يجب أن يقتضي «البحث في إبتيمات معينة لوقائع تشكل المفاهيم في بنية النص، وعدم الافتتان بواقع ثبوتية الأنظمة اللغوية، بمعنى عدم التسليم المطلق بمعجمية الدلالة، وسكونية نحو اللغة، ولغة النحو»<sup>2</sup>، حتى يتأتى استنتاج مقاصد النص ومعرفة توجهات الناقد.

وبما أن نقد النقد ذو بعد إستيمولوجي، فإن نقده سيكون يحمل ذلك العرف المعرفي الذي يقتضي الغوص بأبعاد الظاهرة اللغوية إلى تصورات أشمل وأوسع من المعرفة وكذا الخبرة الإنسانية، لأن هذه الأخيرة أصبحت تفهم في سياقات معرفية مفتوحة تعبر حيناً عن الوسط الاجتماعي، وتتماثل حيناً آخر مع الفعل الثقافي، وتتكشف على مناحي ورؤى مستقبلية تملئها ضرورات العصر.

يسعى نقد النقد بوصفه بعداً إستيمولوجياً إلى جعل اللغة الشعرية المتواجدة في النص الإبداعي مدركات معرفية عن طريق إمطة النقاب الذي جسده الذات المبدعة في لعبة اللغة أو «جنسية الدال وذهنية المدلول»<sup>3</sup>، إنه تلمص اللغة من هيمنة تبعات المشكلات اللغوية المألوفة، وتنظيم لصيغ وأبنية معرفية تكشف عن المعنى الغائب.

<sup>1</sup>-باقر جاسم محمد: نقد النقد أم الميتا نقد، محاولة في تأصيل المفهوم، ص 123.

<sup>2</sup>-محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 80.

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، ص 71.



## 5- النقد الهرمنيوطيقي:

تعتبر المقاربة الهرمنيوطيقية وسيلة من وسائل فهم المعنى، وأداة من أدوات التشكيل المعرفي، فالتأويل كان له امتدادات سابقة تعود إلى الفكر اللاهوتي، ثم انتقل بعد ذلك إلى الجانب الفني ليأخذ مسارات متعددة في كل مجال يكون ميدانا للاشتغال فيه.

فالثالث المعرفي الذي تضمن كلا من (النص الإبداعي، النقد الأدبي، نقد النقد)، بنى جسرا من المفاهيم والمعطيات والأفكار البديلة بفعل عملية التأويل التي اهتمت «أساسا بقواعد تفسير النصوص في مختلف الحقول (التاريخية-الدينية-الأدبية) يمكن الاستفادة على الخصوص من الاتجاه الذي يهتم بقواعد تفسير النقد والأدب وهو ما يطلق عليه الهرمنيوطيقا الأدبية»<sup>1</sup>، هاته الهرمنيوطيقا هي التي أتاحت سمة الانفتاح الدلالي، وتحريك عمليات الفهم، والتفاعل مع غلبة السياق، والتمثل للاستعمال اللغوي تارة، والهجوم عليه بإعادة الفهم تارة أخرى، إنها إجراء طبيعي وتواصل، تستدعيه الخصوصية النصية، لتجعل من القارئ مؤولا كلما أراد الفهم إلا ووقع في سوءه، لأن «المفسر مدعو باستمرار إلى تمحيص فهمه وإعادة النظر فيه، أي إلى حوار مستديم مع النص، يلقي فيه أسئلته عليه متحريرا مشروعية فهمه في كل مرة على محك النص»<sup>2</sup>، فالمتاليات القرائية لعمليات التأويل بقدر ما تفتح آفاق عمليات الفهم، إلا أنها ترغم القارئ على البقاء في دوامتها اللامتناهية، ففي كل مرة تراه يريد الفهم، وبالفهم يكون التأويل.

<sup>1</sup>-محمد المريني: "نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، ص50.

<sup>2</sup>-مجموعة مؤلفين: التأويل والهرمنيوطيقا، دراسات في آليات القراءة والتفسير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2011، بيروت، ص50.

وبما أن نقد النقد قد اتخذ من الهرمنيوطيقا مقارنة منهجية للنصوص، فإن البحث في هذه العملية يتطلب الربط بين متعلقات عدة، لعل أبسطها هو الكشف عن التأويل كخصوصية فنية أولا، ثم كخصوصية إستمولوجية.

في ميدان المقاربة المنهجية لنقد النقد، وجدنا أن طبيعة اشتغاله النقدي مرهون بالتأويل، كأداة وكموضوع في حد ذاته، فنقد النقد بقدر ما يرى أن العمل النقدي مجموعة من التأويلات والتفسيرات والشرح اللامتناهية، يتأهب صوب ذلك العمل ليقع هو الآخر في قلب الهرمنيوطيقا، ويجعل نقده للعمل النقدي عملا هو الآخر مؤولا، وبالتالي نقول أنه «ضرب من التأويلية لاعتبارات ثلاث: أولها أنه غير معزول عن نظريات قراءة النص الإبداعي بأصنافها، وثانيها أن تشكله ترافق في عصرنا مع اشتغال النقاد الحدائين بالأثر الذي تحدثه قراءة النص الإبداعي أكثر من الأثر الذي يحدثه النص الإبداعي ذاته، وثالثها أن نقد النقد مثل الهرمنيوطيقية تماما يوسع من أفق القراءة ويسمح بتعدد الاجتهادات والتأويلات وفق اختيارات القارئ وقدرته على التفسير والتحليل والتعليل»<sup>1</sup>، فهذه المساءلات النقدية وفق منطق التأويل ستجعل من نقد النقد حقا يمتلك شرعية الحقيقة النصية ويقدم أصواتا متعددة للنقد يتم على إثرها تشكيل رؤى مختلفة وامتلاك طرائق متعددة للامساك بالمعنى وفق المقاربة الهرمنيوطيقية.

ولا ريب أن نجد ناقد النقد ينطلق من مسلمة رئيسية، ويشغل وفق مبدئها والتي مفادها «أن دراسة النصوص النقدية تأويل لها، ينطلق من استنباط العلامات اللغوية، والبحث عن دلالاتها، والسعي إلى اكتشاف العلاقات التي ترتبط بينها للوصول إلى دلالاتها»<sup>2</sup>، فبنية اللغة، ونمطية تحركها وسكونها هي من تحدث ذلك الاضطراب لدى الناقد وترغمه على البحث في كياناتها لاستنتاج كل ما تخبئه، ولا يتأتى هذا إلا وفق

<sup>1</sup> -نجوى الرياحين القسطنطيني: في الوعي بمصطلح نقد النقد، ص57.

<sup>2</sup> - سامي سليمان أحمد: حفريات نقدية، دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، ص10.

عملية التأويل، فتكون بذلك اللغة هي المنطلق الأول للمؤول. يستعمل النقد باستعمال اللغة الواصفة، فيكون تأويلا ذا خصوصية فنية.

وإذا ما انتقلنا إلى بعد آخر من التفكير، والذي يعتبر مجال نقد النقد نشاطا وبعدا ابستمولوجيا، فإننا سنأخذ عملية التأويل من جانب آخر، جانب يسعى لاستثمار الأفكار، وإعادة نقدها وتحليلها، باستعمال "المنطلق الذهني"، والذي يمنح التأويل مفهوما مغايرا، حيث يعتبر «أنه فاعلية ذهنية؛ أي نشاط فكري إنساني يتوقف عليه تشكيل المضمون، وتجسيد الفهم، ويسهم في الإنجاز المعرفي، كما يسهم في عملية التواصل، فهو يعطي المعنى للأشياء بطرق مختلفة»<sup>1</sup>، فهذا التصور يعتبر عامل اختلاف عن التصور السابق، ويدخل في عملية التكوين المعرفي؛ تكوين للذات وأقصد بها ناقد النقد، وتكوين لبنية الخطاب المقارب، في كونه تجاوز المرحلة اللغوية إلى المرحلة المعرفية.

وعلى هذا نقول إن النقد الهرمنيوطيقي الذي يستعمله نقد النقد، سواء بصفتيه الفنية أو المعرفية، يمكن أن نقارب به مدونة معرفية، وهو ما يسمح في أن يكون النقد المعرفي موضوعا لنقد النقد، فخصوصية الثاني يطرحها الأول في أبعاده الإجرائية والمنهجية، مما يعكس عمق الممارسة والاشتغال النقدي «فيرسخ القيم الأساسية لهذه المعرفة القائمة حاليا على التعددية بدل الإطلاق، والتغير بدل الجمود، والوصفية بدل المعيارية، والاختبارية بدل الإسقاط»<sup>2</sup>، فيكون بذلك نقد النقد في عملية اشتغاله على النقد المعرفي فرصة جديدة، تساهم في تحقيق المبدأ المعرفي، وتأصيل مبدأ نقدي يتفاوت مع المبادئ السابقة في عملية الموضوعاتية (النقد الأدبي موضوع لنقد النقد، والنقد الثقافي موضوع لنقد النقد)، فتصبح الدراسة الجديدة، النقد المعرفي موضوع لنقد النقد

<sup>1</sup>-أحمد كروم: الترجمة والتأويل التداولي، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد41 أبريل-يونيو2013، الكويت، ص200.

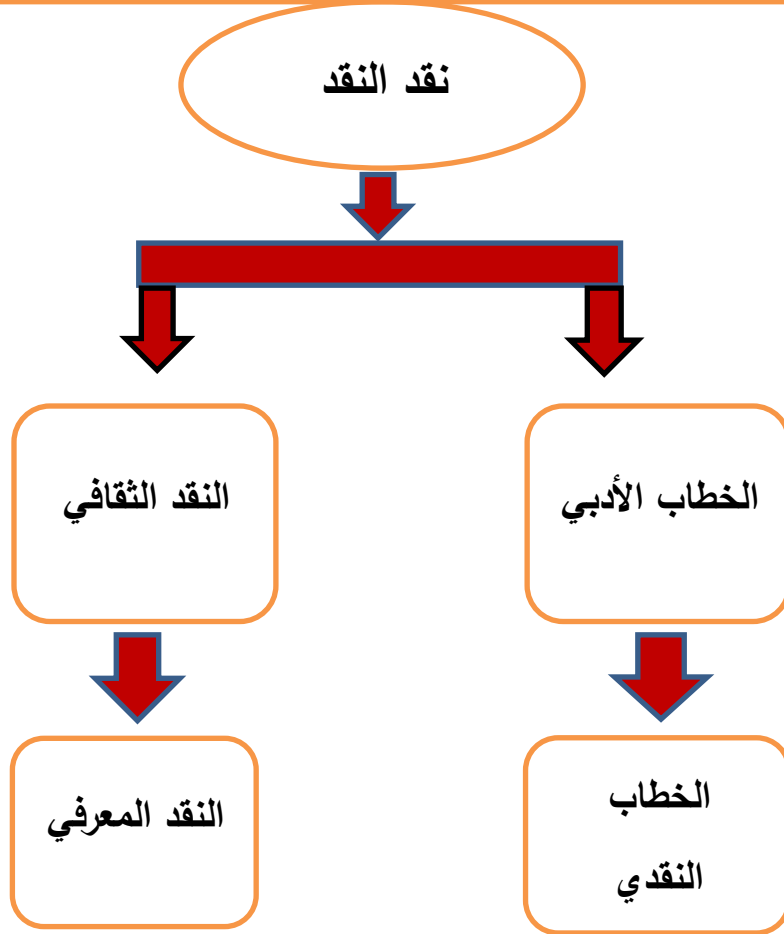
<sup>2</sup>-محمد المريني. "نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، ص52.

- السمات المنهجية والإجرائية بين نقد النقد والنقد المعرفي:

نقد النقد	النقد المعرفي
يشغل نقد النقد وفق آلية النقد الحوارية، التي تجعل الناقد في حوار مفتوح مع حقول ونظريات معرفية أخرى عن طريق صوت الكاتب، والناقد	يقوم النقد المعرفي على المبدأ الحوارية، الذي يتأسس على أحورة النقود المتنوعة، مما يوسع من أفق الاشتغال النقدي، وانفتاح المعارف.
تعتبر آلية نقد اللغة الوصفة، مهيمنا مركزيا في نقد الإبداع، فنقد النقد ينطلق أساسا من اللغة الإبداعية، ليصل إلى مكامن المعرفة	تمثل هدف النقد المعرفي في الوصول إلى المعرفي من خلال الجمالي، أي أنه انطلاقة التحليلية تبدأ من الجانب الفني
نقد النقد اجراء منهجي يسعى إلى معرفة المعرفة عن طريق المقاربة الإستراتيجية، فهو إعادة لإنتاج نص نقدي جديد.	النقد المعرفي ينهض أساسا على النظرية المعرفية الإستراتيجية
نقد النقد يقع في قلب الهرميوطيقا التي يسعى من خلالها إلى مساءلة وإعادة فهم كل خطاب أدبي ونقدي ومعرفي	يقوم النقد المعرفي أساسا على التأويل والتفسير والتحليل، ويتولى المساءلة النقدية معتمدا على أوتار المعطى الإدراكي، والجانب الإبداعي
نقد النقد ذو مبدأ شمولي عن طريق النقد الحوارية الذي أتاح له سمة الانفتاح على النصوص النقدية الأخرى.	النقد المعرفي قراءات لا حد لها من المعرفة الشمولية

\*نتيجة:

مثلما كان الخطاب الأدبي والخطاب النقدي موضوعا لنقد النقد، تم التجاوز إلى مرحلة عطاء فكري آخر تمثل في النقد الثقافي، لتفتح المجال لهذه الدراسة الأخيرة للنقد المعرفي ويغدو موضوعا له.



الشكل 2 مجالات اشتغال نقد النقد

ثالثا/ النقد المعرفي حدوده المصطلحية ومفهوميته النقدية

-النقد المعرفي؛ تساؤل بات مشروعا للنقد:

إن الرغبة والطموح المعرفي في النقد الأدبي وخطابه بات غاية ملحة وضرورية، وفي الوقت ذاته أصبح معضلة أفرز اشكاليات كثيرة ومتنوعة في الخطاب النقدي العربي، فالاختراقات والتجاوزات التي أصابت الوعي النقدي العربي والغربي، يعود في الأساس

إلى أن مصطلحي **النقد والمعرفة** ينتميان إلى خطابات فلسفية ومعرفية متنوعة تبتعد منذ جذورها وحضورها في الوعي الغربي عن الجوانب العاطفية والمشاعر والأحاسيس والجمال، فالمعرفة تخاطب العقل وتكتشف الموجودات وتحتويها، فضلا عن كون المعرفة تشتغل في منظومة تعتمد على التحديد والقارية في احتواء الشيء وفهمه، فهي إدراك وفهم لا تخاطب الخيال والعاطفة والتي تمثل منطقة وجغرافية النقد الأدبي، فالمعرفة هي الكينونة المنسية في الخطاب الأدبي، وحضور للقيمة المعرفية في النص الإبداعي، فالإبداع الجمالي يعتمد على الخيال وقدرته في تشكيل عوالم غير متناهية، والإبداع المعرفي يشتغل على قدرة الإدراك والتنظيم والتخزين والفهم وهندسة المعلومة واستراتيجية التنسيق والاتصال، التي تتشكل في عوالم محددة ومتناهية وذات حدود وأسوار ذات سيادة وحدود.

إن جغرافية عمل المعرفة تخالف جغرافية عمل الخيال والجمال، فكل له كونه وعالمه الخاص، وعلى ضوء معضلة الجينات والجذور المختلفة وجغرافية الحدود ومناطق الالتماس المتنازعة بين عوالم الخيال أو اللامتناهي وعوالم الواقع أو المتناهي، فالمعقول واللامعقول يحدده خطاب العقل وخطاب المشاعر والخيال، فضلا عن هذه المعضلة التي تمس ماهية العقل والخيال، «فالمعرفة بحد ذاتها شكلت لغزا يعود إلى كونها إحدى المفاهيم البالغة التعقيد مثلها مثل الغاز العقل الأخرى التي تشمل أساسا الوعي والذكاء والفهم والحدس والإدراك والمعنى والتعلم»<sup>1</sup>، فغدت جميعها من المفاهيم المستعصية على التعريف، فهي مفاهيم لا تقبل الترويض والتحديد والتقيد في مصطلح ومفهوم محدد، فهي تعمل على وفق اصطلاح المناطقة في (ماصدق) ليس لها عمود وهيكل، إنها أفكار تغير لونها وقالبها تؤمن بمبدأ التأقلم والمثاقفة مع بيئة كل خطاب فلسفي أو معرفي. ولكونها أفكارا ومفاهيم مجردة فإن محاولة كشف «النقاب عن هذه الألبان من

<sup>1</sup> -نبيل علي: العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الازمة واقتراحات بالحلول، عالم المعرفة، ج1، نوفمبر 2009، الكويت، ص88.

العمليات الذهنية اللامحسوسة تتطلب أن يمارس العقل فعله على ذاته، وهو أمر لا بد من أن يوقعه في فخ الحلقية ليجد نفسه قد انتهى به الأمر من حيث بدأ»<sup>1</sup>.

فالصيغة الكانطية (نسبة إلى الفيلسوف كانط) التي تبلورت في مقولته: ما الذي ينبغي أن أعرفه؟ يمكن أن نجري عليها تحويرا لتكون سؤالا مهما ينبغي أن يثير في وعي الناقد مسألة؛ ما الذي ينبغي للمتلقي أمام النص الإبداعي أو الخطاب النقدي أن يعرفه! فالمعرفة في النقد المعرفي تتأسس مع المعرفة العلمية والفلسفية والتقنية، فهي تجمع بين العرفة النقدية والقيمة الجمالية، فضلا على أن محاولة تحديد رسوم وحدود المصطلح والمفهوم يحيلنا إلى اشكالية الجمع بين النقيضين والتي رفضها أرسطو في محاولته تشكيل الهوية. «فالمتناقضان عنده لا يصدقان معا ولا يكذبان معا»<sup>2</sup> فالنقد والمعرفة إنتاج فلسفي وفكري بامتياز ولا يقبل المساومة على أن يتحول إلى نقد أدبي إلا على وفق شروط العقل العلمي أو العقل الخالص أو العقل الجمالي وحكمه، كما حددها كانط وغيره من فلاسفة وعلماء المعرفة، فالضرورة المنهجية والعلمية والمعرفية تحتم على الباحث في هذا الموضوع المتجدد في الخطاب النقدي الأدبي و في الخطاب المعرفي والإبستمولوجي أن يحاول تحديد المصطلح لغة واصطلاحا، ولكن لكون مصطلح النقد المعرفي مركبا فقد حاول بعض الباحثين أن يفككه ويعمل على التعمق في جذور كل كلمة على حدة، ومن ثمة على تشكيل تعريف لهذا المصطلح عن طريق القهر والانشطار أو التحول الأميبي (نسبة الى فصيلة الأميبات) واختلاط الخلية والجينات المفهومية ما بين مصطلح النقد ومصطلح المعرفة. وهو ما حاول أن يفعله الناقد "محمود خليف الحياني" ولكنه وقع في فخ ومصيدة الفلسفة مما أدخل تعريفه في حدود «البحث عن الماهية أو الكينونة المعرفية المنسية في النص الإبداعي»<sup>3</sup> وهو ما يمكن أن نخالفه

1 - نبيل علي: العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الازمة واقتراحات بالحلول، ص 88.

2 - رولا العمر: تأملات في علم المنطق موقع الكتروني، MAKALCLOUD.COM، نشر بتاريخ

23 أكتوبر 2018، وعدل بتاريخ 21 يناير 2019، تاريخ الدخول، 2021/11/19

3 - ينظر: محمود خليف خضير الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، عالم الكتب الحديث للنشر

والتوزيع، ط1، سنة 2019، الأردن، ص13 - 16.

في محاولتنا في البحث عن جذور مفهوم ومصطلح المعرفة واشتقاقاته وانشطاراته التي يمكن أن يتم الاستفادة منها في تشكيل التعريف وتحديد المصطلح.

### 1) النقد المعرفي؛ بحث في ذاكرة المصطلح

حظيت المعرفة باهتمام كبير ووجدت سبيلها في التربع على عرش الخطابات لتكون حاضنة لها من منطلق أن كل نظرية أو كل علم يتأسس على المعرفة، فكانت بمثابة المدماك الذي لا غنى عنه. وفي ظل هذا التأسيس كان مصطلح المعرفة محملا برؤى وقضايا يصعب الإلمام بها في فكرة محددة تصل لمعناها، رغم أنها مألوفة لدينا، إلا أننا نعجز أمامها، نعجز أمام مفارقتها التي لا تتفجر أمام تساؤل فقط، بل تكشف الغامض والمبهم والمجهول فيها، بمجرد ما نسألها تنفجر وتتوسع وتتكاثر إلى مفاهيم غير معدودة، كل واحد يضعنا أمام تساؤل جديد.

إن التدرج في البحث عن جينات المعرفة يتداخل فيه ويتشابك المفهوم مع السياق وروح العصر، واستراتيجية العلوم التي قاربت، فهذا المصطلح لم يكن بريئا من العوامل الأنطولوجية والإبستمولوجية والثقافية، فقد ولد حضوره في الوقت الراهن تساؤلات عديدة لما ترتبط به من إشكاليات معرفية ومصادره المتعددة، فأرثه التاريخي الطويل وسيرورة حياته الاصطلاحية والمفهومية المتداخلة حتم علينا أن نجري عليه بحثا أركيولوجيا من حيث مرجعياته اللغوية والفلسفية من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا المصطلح كلما يتم تحديده في حقل علمي ومعرفي إلا ومارس عليه قهرا وعملية بتر وقطع، فجيناته لا تقبل النقاء والاتحاد والاكتمال فهي تعمل على إعادة التكوين والولادة من جديد، لذلك تنوعت تعاريفه ومفاهيمه في الخطاب الغربي والعربي على حد سواء.

### أ - مصطلح المعرفة في الثقافة الغربية:

حظي مصطلح المعرفة بمقابلات متنوعة في المعاجم الغربية، لذلك وجب الوقوف عندها لتحديد أهم السمات التي يمكن أن نجدها فيه، ومن ثم يمكن صياغة مفهوم عام انطلاقا من تلك السمات.



جاء في معجم أكسفورد THE EXFORD ENGLISH؛ "Knowledge" يقابلها «اطلاع، علم، معرفة، إدراك، دراية»<sup>1</sup>، وفي موسوعة "اللانند" الفلسفية «معرفة» *connaissance*، *kenntnis* بالمعنيين أ وب *D.Erkenntnis* بالمعنى أ *E.Cognition* بالمعنيين ج ود بكل المعاني وحتى بمعنى أوسع من *Knolzledge* الفرنسية، *Cognizione ;conoscimentom*، ولاسيما بالمعنيين أ وب عمل أو ملكة *conoscenwa*»<sup>2</sup>. إن هذه المترادفات المتعددة لكلمة المعرفة سواء في الإنجليزية أو الفرنسية، هي من فتحت قاموس تعددية المعاني التي سوف يحظى بها هذا المصطلح، ومن جهة أخرى فإن الوقوف على ما قام به الناقد الغربي "بيتر ستوكويل" هو من سيحدد الطابع الاشتغالي لهذا المصطلح من وجهة نظر النقد على اعتبار المفهوم العام للنقد المعرفي، فقد وجد أن «كلمة *knowledge* معرفة أو معرفية لا تحمل المعنى الذي يشمل ما تحمله كلمة *cognitive*، فتعريف كلمة *cognition* يحتوي على معنى كلمة المعرفة *knowledge* أما تعريف كلمة معرفة *knowledge* فلا يحتوي على معنى *cognition*»<sup>3</sup>، وبهذا التفريق يمكن القول أن مصطلح *cognition* هو الأنسب من الثاني، إذا ما جاور لفظ النقد.

اشتقت كلمة المعرفة *Connaissance*، من مصطلح إبستمي ( *epistem* ) اليوناني، والتي تعني المعرفة أو العلم، ولقد حاولت الذاكرة الاصطلاحية لهذا المصطلح أن تربطها بلفظة لوغوس ( *Logos* ) التي تعني النظرية أو الدراسة أو نظرية المعرفة<sup>4</sup>، فالذاكرة اللغوية لهذه الكلمة كانت تنهض على أساس القرب من الشيء أو حضوره كما

1- THE EXFORD ENGLISH comprehensive English-arabic، dictionary، academia، p653.

2 - اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، المجلد الأول، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، 2001، بيروت باريس، ص 208.207.

3- بيترستوكويل: مقدمة في النقد الشعري المعرفي، ترجمة سلوى سليمان نقلي، النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود، 2010/4/25، الرياض، مقدمة المترجم.

4 - ينظر، أمل حسن أحمد: علم الاجتماع المعرفي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، 2016، ص24.

جاء في اشتقاقه أو معناه اليوناني، ولقد ارتبطت بمفاهيم تدل على الحضور والبحث عن كل شيء يدل على الحضور، إذ نجد الفيلسوف "هيدغر" كان يحترم ويمجد هذا المعنى الحضورى الذي يبتعد عن الغياب أو النسيان، فقد وجد أن مصطلحات الحقيقة والإدراك والفكر والمعرفة والذاكرة كلها طريقة ووسيلة لحضور الشيء وبقائه متعلقا بالذهن، «فالإدراك هو ترجمة للكلمة اليونانية (نوين) التي تعني ملاحظة شيء يتمتع بالحضور والابقاء عليه خلال هذه الملاحظة، ماثلا أمام الذات والقبول به كشيء حاضر»<sup>1</sup>، فكان هذا مطية لمعرفة أن المعنى الحضورى يمثل فكرا في التاريخ الغربى الذي ظلت فيه «كينونة الكائن تتجلى كحضور وهذا التجلى للكينونة كحضور للحاضر هو نفسه ما يمثل انطلاقة التاريخ الغربى»<sup>2</sup> ولقد شغلت المعرفة الوعي الإنسانى منذ لحظة الفضول والاكتشاف، فشعر أن معرفة الشيء هو احتواؤه، لذلك كانت المحاكاة أو رسم الأشياء ومعرفتها جيدا هي عملية احتواء وسيطرة. حتى مصطلح "العرافة" وهي التي تحاول الوصول إلى معرفة المجهول تدور في معنى حضور الشيء واحتواؤه، ولكن الاشكالية التي ارتبطت بكلمة أو مصطلح المعرفة تداخلت وتشابكت مع مصطلحات قريبة منها؛ مثل «الفهم والإدراك الذي يتأتى من التأمل باحثا عن الاكتشاف والتعلم والتطور، فالمعرفة بالمفهوم العام هي مجموعة الخبرات والمهارات المكتسبة عن طريق التجربة والتعلم»<sup>3</sup> ، والتي تدور في فلك ما يمكن تصوره وتصديقه، حتى إنه يمكن أن يقال للمعرفة بأنها «إدراك مطلق كان تصورا أو تصديقا، ولهذا قيل كل معرفة وعلم إما تصورا أو تصديقا»<sup>4</sup> والتي تكون عن طريق الإدراك الحسى أو الذهني، فمعرفة الشيء

<sup>1</sup> -مارتن هيدغر: التقنية الحقيقية الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافى العربى، ص 201.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 203.

<sup>3</sup> -رفاس سميرة: التكامل المعرفى بين مواد اللغة العربية، مجلة أبحاث، ع 1 ديسمبر، 2013، جامعة سيدي بلعباس، ص 64.

<sup>4</sup> -عبد المنعم الحنفى: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة فى العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية واللاتينية والعبرية واليونانية، مكتبة مدبولى للنشر، ط3، 2000، القاهرة، ص 814.

إدراكه بالحواس أو بغيرها من الأدوات أو المدخلات المعرفية، والمعرفة إدراك الشيء وتصوره، ولعل هذا التوسع في معاني التصوير والتصديق أعطى للمصطلح مرونة عملت على أن القديماء أدركوا الهيولية التي يتمتع بها، مما أدى إلى أن تكون لها عدة معان منها إدراك الشيء بأحد الحواس، ومنها العلم المطلق تصورا كان أم تصديقا، ومنها الإدراك البسيط أو كل ما يمكن أن نتصوره عن الماهية، ومنها كذلك الإدراك الجزئي والكلي<sup>1</sup>، فالشمولية والتوسع وانفتاح المعرفة على المصطلحات الأخرى كان بمثابة إشكالية كان مبدأ التماثل والتقابل هو المحرك الرئيسي لها.

إن المقارنة التي التصقت بكيونونة وماهية المعرفة كانت في لحظة تماثل واختلاف مع العلم؛ فثنائية "العلم والمعرفة" كانت لها ارتدادات تاريخية وعلمية تقوم على أساس الاختلاف والتماثل، فقد ذهب أكثر العلماء والباحثين إلى أن المعرفة تكون في إدراك الجزئي والعلم في إدراك الكلي، وتستعمل المعرفة في التصور والعلم في التصديق ومن شروط العلم أن يكون محيطا بكل شيء، وأن المعرفة أقل من العلم، وأن كل علم معرفة وليس كل معرفة علما<sup>2</sup>، ولقد حددت للمعرفة شجرة اتخذت صورا متنوعة عبر التاريخ وكانت كل معرفة تعبر عن المزاج الاجتماعي والفلسفي لكل عصر منها: المعرفة الحسية والمعرفة الفلسفية والمعرفة العلمية<sup>3</sup>، وهناك أيضا المعرفة الباطنية والمعرفة الحدسية والفطرية والعينية والمكتسبة والكشافية، والتأملية... الخ<sup>4</sup>، وهذا التنوع المعرفي قابله تنوع واختلاف في مصادر المعرفة عبر التاريخ؛ منها المصدر العقلي، والتجريبي، والمصدر الحدسي، وأن هذه المصادر كانت في علاقة جدلية وتأثيرية على طبيعة المعرفة منها المثالية والذاتية والنقدية والواقعية<sup>5</sup>، فالتداخل في طبيعة وكيونونة المعرفة أثر بشكل مباشر

<sup>1</sup> - ينظر، جميل صليبي: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، الجزء الثاني، 1982، بيروت-لبنان، ص 392.

<sup>2</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 392 - 393.

<sup>3</sup> - ينظر كمال التابعي، ليلي البهنساوي: مقدمة في علم اجتماع المعرفة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ش.م.م، الطبعة العربية الأولى 2007 ص 66 - 69.

<sup>4</sup> - ينظر عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفية، ص 814 - 816.

<sup>5</sup> - ينظر كمال التابعي، ليلي البهنساوي: مقدمة في علم اجتماع المعرفة، ص 212 - 218.

على الجهاز الاصطلاحي لمصطلح المعرفة وأحدث ارتباكا في المصطلح والمفهوم في اللغات الغربية، وهذا ما دفع "لالاند" في موسوعته أن يتعمق في الاشتقاقات اللغوية والاصطلاحية لهذا المصطلح، فقد تمثل هذا المصطلح في اللغات على: المعرفة connaissance الذي ينهض وفق معنيين "kenntns" ومعنى "D Erkennis" ولعل هذه المعاني يمكن أن نتلمس لها معنى أوسع في اللغة الفرنسية "knowledge" ، "cognizione" ، "conosci menton" ، فهذا الاختلاف في الترجمة أو الاصطلاح بين اللغات أدى الى أن يميز "لالاند" بين معنى فعل المعرفة الذاتي، وظاهرة المعرفة وعلاقة الفاعل بالمقابل نسبة إلى الذات أو إلى الموضوع، ففعل "عرف" يستعمل بمعنى ذاتي محض، على عكس علاقة الذات بالموضوع في المعنى الثاني، وهناك معنى "علم" والذي يدل على الثبات من الشيء أو إثبات وجود الشيء وبذلك تكون المسألة فهما وليست معرفة، فالمعرفة تصور واعتقاد، والعلم تصديق وعيني<sup>1</sup>. أدى هذا التداخل في مصطلح وطبيعة ومصدر المعرفة إلى أن تكون ترجمة المصطلح في العربية تتخذ منحى استعاريا من الذاكرة العربية القديمة ومن التأثير بالضغوط المعرفية الحديثة، فكان الانتشار والتداخل والاضطراب في الحاضنة العربية التي حاولت أن تحتوي هذا المصطلح .

### ب-مصطلح المعرفة في الثقافة العربية:

تعرض مصطلح المعرفة في الوعي العربي إلى نوع من التهجين ولقد حصل هذا التهجين نتيجة العلاقة الجدلية التي حدثت في منظومة الخطاب النقدي والفلسفي والثقافي العربي الحديث، فالمعرفة مصطلح متنازع حوله ما بين الذاكرة والنسيان أو الماضي والحاضر أو في عملية إعادة واستعارة النموذج المعرفي من الخطاب الماضي وتراثه والحفاظ بذاكرة المصطلح التي سجلتها المدونات العربية والإسلامية القديمة، ويقابله أيضا انقلاب في المفهوم عن طريق الاستعارة من النموذج الغربي وحاضنته الغربية. فالتهجين ينطلق من أن مفهوم المعرفة يمكن أن يمثل حالة طارئة ولا ترتبط بالوعي العربي، إنما تخضع لمساومات المعاصرة والأصالة كما يمكن أن نجدها في المصطلحات التي تم

<sup>1</sup> -ينظر اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، ص 208 - 209.

استيرادها من الغرب، وعلى ضوء هذا الاختلاف ما بين المعرفة ذاكرة أو المعرفة نسيان وحدائة، فإننا سنحاول أن نبحت عن محمولات مصطلح المعرفة وفي المرجعيات المعرفية في الخطاب العربي والإسلامي القديم في أشكاله المتنوعة اللغوية والفلسفية وعلم الكلام والتصوف والمذاهب الإسلامية الأخرى.

تعود المعاجم العربية بمصطلح المعرفة عند حدود المعنى الحسي الذي يرتبط بالارتفاع، والوضوح، والعلم، والإدراك، والبروز، والحسنة، واليقين، والأعلام، والاعتراف والتي أشار إليها معجم لسان العرب، فالمعرفة مأخوذة من الفعل الثلاثي ( عَرَفَ ) الذي يدل على معنى العلم الذي جاء من العرفان: العلم ... ومعنى الاعتراف ومعرفة الشيء من اشتقاقات الفعل الثلاثي عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَا وَمَعْرِفَةٌ وَعَرَفْتَهُ ..، ومعنى الأعلام والمعرفة من فعل التعريف، أو من قولهم تَعَارَفَ القومُ أي عرف بعضهم بعضا ... ومعنى التنبؤ أو المعرفة العلمية المختصة في قول العرب عَرَّافٌ للطبيب لمعرفته بعمله. والعَرَّافُ الكاهن. والمعَارِفُ: الوجوه. والمعْرُوفُ: الوجه لأنَّ الإنسان يعرف به. ويشكل معنى البروز أو الظهور معنا لغويا ارتبط بعَرِيفِ القوم: سيدهم. والعَرِيفُ: القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم. والعَرِيفُ: النقيب وهو دون الرئيس. والعارف: الصابر. ويجسد معنى الحسنة من خلال تقابله المتضاد بالمنكر. فالمَعْرُوفُ: ضد المُنْكَر. ويتخذ معنى العلامة الواضحة والبارزة والظاهرة للفرس أو الخيل فيقال أَعْرَفَ الفرس: طال عُرْفُه. أما معنى الأعراف في اللغة: فهو جمع عُرْف وهو كل عال مرتفع<sup>1</sup>.

ولاشك أن الجانب الحسي واللغوي كان له تأثير مباشر على ما تم تداوله واستثماره في الفلسفة أو الخطاب الديني والعقائدي الإسلامي، فقد اتصل في الوعي العربي وخطابه المعرفي في علاقة العلم بالمعرفة، إذ أن كل منهما يتصل بعلاقة جدلية تنهض على الحضور والغياب فحضور الأول يغيب الثاني وهكذا. فالترادف بين المعرفة والعلم في التداول اللغوي وتداخله واشتباكه دلاليا ولغويا مارس دوره في عملية الالتقاء في المعنى اللغوي الواحد إذ كليهما يعبر عن العلامة أو الدلالة على شيء، وإن كانت هناك فروقات

<sup>1</sup> - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، (مادة عرف) دار المعارف، القاهرة، تحقيق لسان العرب نخبة العاملين بدار المعارف عبد الله علي الكبير وآخرون، ص 2897-2899.

بسيطة حاولت أن تحتوي هذا الترادف الذي دُوب وامتص ورفع الفواصل والحدود القارية بين عمل كل مصطلح، فهناك من يذهب إلى أن المعرفة تدل على الارتفاع والبروز والمجازية أو التصور والذي يحتوي عمل العلم الذي يشتغل في حدود اليقين والتصديق<sup>1</sup>، وبهذا يكون التوافق بين المصطلحين أكثر من اختلافهما في حدود المفهوم، إلا ما طرأ من حيث الجانب العملي .

هذا الترادف اللغوي حصل عليه تعديل وإضافة واختلاف في الخطاب الفلسفي والعقائدي في الوعي العربي والإسلامي، اختلف وتباين حدود أو تعريف المعرفة والعلم على وفق مدراس الفكر الإسلامي، والتي يمكن أن نحصرها في مجموعات منها: المعتزلة، والفلاسفة، وأهل السنة، والمتصوفة؛ فالمعتزلة حاولوا أن يتمسكوا بمصطلح العلم الذي تداخل في مواضع كثيرة بالمعرفة فتبادل الأدوار وغموض ومثاهة المصطلحات هي لعبة المعتزلة في الوصول إلى السببية العقلية التي حاولوا أن يفرضوها على المذاهب الأخرى، «فالعلم هو المعنى الذي يقتضي سكون نفس العالم إلى ما تناوله»<sup>2</sup>، وبذلك تم إبعاد كل شيء لا تسكن إليه النفس ولا تطمئن إليه «فالعلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به»<sup>3</sup>، وهم بذلك كانوا يبحثون على الجانب المفتوح أو الاتساع الدلالي في تحديد ممارسة نشاط المعرفة العلمية التي تتجاوز الجوانب المحسوسة.

ولكن هذا التحديد تم رفضه من قبل بعض المذاهب التي ترى أن العلم يبتعد عن الاعتقاد، حيث أضاف الفلاسفة المسلمون مصطلحا آخر إلى العلم والمعرفة والذي تبلور حول "الإدراك" الذي يحمل معنى يتسابق مع معنى العلم والمعرفة. ولقد وجد الفلاسفة

---

<sup>1</sup> - ينظر راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الكتاب الأول المعرفة بين الشك واليقين، مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى، 1992، المملكة العربية السعودية-الرياض ص 33 - 34.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 34.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 34.

المسلمون أنه يحمل معنى عاما في كونه «حصول صورة الشيء في العقل»<sup>1</sup> فالإدراك هو الحقيقية المتمثلة والتي يمكن أن تتشاهد في العيان، وذهب إخوان الصفا إلى أن العلم هو «صورة المعلوم في نفس العالم أو ضرب من الوجود الأسمى»<sup>2</sup>، ويوسع "ابن سينا" من اشتغال المعرفة في كونها جانبا معنويا، وكونها عبارة عن «انتقاش النفس الإنسانية بنقش العالم العقلي بحسب القدرة والاستعداد وزوال الحائل»<sup>3</sup>، واعترض "الرازي" على تعريف "العلم والمعرفة" من حيث مبدأ المطابقة بين العالم الخارجي أو المجهول مع المعلوم حيث «لا تتحقق المطابقة في الأمور التي ليست متحققة في الخارج والأمور الذهنية والاعتبارية»<sup>4</sup> وبالتالي لا يمكن أن يتم هذا التطابق لأن العلم فضاءه واسع ولا يمكن تحديده عقليا أو معرفيا أو علميا.

كانت المعرفة والعلم عند أهل السنة تخضع لمنظومة الخطاب الاعتدالي أو الوسطي ولاسيما في الجانب الاعتقادي وعلاقته بالعلم، فقد اتفق أغلبهم على «أن العلم اعتقاد جازم مطابق للواقع»<sup>5</sup>، وكان "الجويني" يرى أنه الطريقة التي يتم بها تصوير ماهيته في كونه يرتبط بالاعتقاد بالشيء من حيث تمثله اعتقادا جازما أو غير جازم<sup>6</sup> وكله يخضع لمقياس المطابقة العينية والواقعية، وتعمق "الغزالي" في موضوع تحديد مفهوم العلم والمعرفة من حيث العلم يعود إلى البصيرة الباطنية، وحدد المعرفة بأنها العلم الذي لا يقبل الشك<sup>7</sup>، فالأول يقيني، والثاني قطعي جازم.

<sup>1</sup> - ابن منصور بن طاهر التميمي البغدادي: أصول الدين، مطبعة الدولة، المجلد الأول، الطبعة الأولى 1928، استانبول، ص15.

<sup>2</sup> - دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة (د.أبو ريدة)، لجنة التأليف، القاهرة سنة 1938، ص102.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 102.

<sup>4</sup> - راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص37.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص37.

<sup>6</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص38.

<sup>7</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 40.

ويذهب "محمد عابد الجابري" إلى أن "العرفانية" التي «نجدها عند المتصوفة هي نظام معرفي انتقل إلى الثقافة العربية ضمن الموروث اليوناني من ضمن جملة العناصر الأولى إلى جانب الكيمياء والتنجيم»<sup>1</sup>، وعلى ضوء هذا التداخل والاشتباك فقد تم تحطيم الرسوم والحدود المنطقية لاشتغال هذا المصطلح، فعمل في الخطاب العربي القديم على أن يتوسع إلى مناطق اشتغال لمصطلحات أخرى تعالقت اشتقاقاتها مع الاعتقاد والتصور والتصديق والفهم وكل شيء يشير إلى معرفة الشيء وبروزه والتي يمكن أن نطلق عليها بأنها مصطلحات مرادفة للعلم والمعرفة منها؛ الشعور والذي يدل على العلم والفتنة والدراية، والإدراك هو الوصول إلى ماهية الشيء، والتصور الذي يتجلى في التماثل الصوري المعنوي والمادي، والحفظ المرتبط بحصول الصورة في العقل، والتذكر الذي يتمثل في الصورة المحفوظة، والفهم والفق، والعقل والدراية والرواية، والحكمة التي تمنع الجهل، والشاهد، والاستدلال<sup>2</sup>، فهذا التوسع في حدود المصطلح عمل على اضطراب وضبابية في المفهوم والذي أثار بصورة سلبية عندما تم استعارة وترجمة النموذج الغربي الذي كان فيه عامل اللغة الغربية وتنوع اللغات والجذور التاريخية تأثير في الاختلاف في ترجمته.

حدث في اللغات الغربية أيضا نوع من التنازع والتبعثر والتشتت في الإمساك بحدود المفهوم وتحويله إلى تعريف جامع مانع وهو ما يمكن أن نلتمسه في الترجمة العربية لمصطلح المعرفة، فالغائية المعرفية والعلمية التي بحثت عنها العلوم المختلفة والمتنوعة المتبلورة في حقول الفلسفة، وعلم النفس، واللسانيات، والبيولوجيا، وعلم الحاسبة، جعل المعرفة ترتبط بهذا التنوع الاختصاصي الذي ساعدها في الانفتاح على اكتساب وظائف جديدة منها؛ المعالجة والتخزين والتنظيم، وكل ما يرتبط بالأنشطة الذهنية التي تعمل عبر التفكير والتجارب الحسية فكانت المقابل الاصطلاحي للكلمة مرة perception الإدراك، والمعرفة مرة cognition، وقد تعددت الترجمات الاصطلاحية

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات للوحدة العربية الطبعة الأولى، 2001، بيروت-لبنان، ص 430.

<sup>2</sup> - ينظر راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص 50 - 59 .



لفظة cognition بين كونه الإدراك، أو المعرفة، أو العرفانية، فنجد أن هذا التداخل في الترجمة قد نقل بدوره إلى ترجمة العلوم الإنسانية التي ترتبط بالمعرفة، فمثلا علم النفس الإدراكي، يقابل علم النفس المعرفي، والأمر نفسه مع اللسانيات الإدراكية، واللسانيات المعرفية، أو العرفانية، ولقد تأثر بهذا التداخل أيضا النقد الأدبي ف جاء متنوعا على أشكال وصور عديدة فمثلا الشعرية الإدراكية، والنقد الأدبي الإدراكي، والأسلوبية الإدراكية، والدراسات الأدبية الإدراكية، والنقد الأدبي المعرفي الذي يطلق عليه في بعض الأحيان، بأنه النقد الأدبي الإدراكي.<sup>1</sup> فما بين الإدراكي والمعرفي يحدث البعد المنهجي أثناء الممارسة التطبيقية.

إن ثمة مجموعة من الصعوبات أو التحديات الراهنة التي من الراجح أن تواجه الخطاب العربي في التأصيل لمصطلح cognition، لاختيار المقابل العربي المناسب للمجال التداولي، خاصة وأن النموذج العربي تتفاوت فيه وتتباين عمليات الترجمة، ليس لضعف منهجي، وإنما لضعف مؤسساتي عربي في العديد من المجالات العلمية، فهذا المصطلح الذي تتجاذبه العديد من الرؤى، بين تراث عربي، في أشكاله المتنوعة والمتعددة، وما بين نموذج غربي، اختلف هو الآخر في طبيعة هذا المصطلح، قد خلق العديد من التساؤلات التي تدور في فلك المعرفي والإبستمولوجي والأنطولوجي، والإرجاع الرمزي للغة من بنية cognition الذي أشار إليه الناقد الغربي "تيرنس دبليو ديكون" في كتابه التطور المشترك للغة والمخ، وهو ما يمكن البحث فيه أثناء صياغة صناعة المفهوم.

لعل مصطلح "العرفاني" وهو ما طرحه الخطاب النقدي في البيئة التونسية تحديداً في كون "اللسانيات العرفانية" هي ترجمة للمصطلح الذي يعود إلى ترجمة الصيغة الفرنسية "cognition" التي تحمل معنى "العرفان"، والتي بدورها اشتقت دلاليا من الفعل ( عرف )، الذي يوازي الاشتقاق الإنكليزي للفعل cogn من ← to cognize عرفن ← cogizer ← يعرفن cognition ذو ملكة عرفانية cognitive، أما الإدراك الذهني

<sup>1</sup> - ينظر وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول، المرجعيات، المفهوم، مقدمة نظرية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج 18، ع3، 2018 ص 85.

فقد بدأ يحمل نوعاً من الشمولية في المفهوم في الوقت المعاصر ليشمل الإدراك الحسي، فالتلاقح الذي عمل المعجم الإنجليزي والفرنسي بإصهاره وترابطه بالاشتقاق الواحد بوصفه مرادفاً لمصطلح المعرفة، والترجمات الأولى التي كان الإدراك فيها مقابلاً لـ (perception) عملاً على أن هذا المصطلح في المعجم العربي محدد بمعنى (اللمحوق والمتابعة) المتوافقة مع الماديات والحياة اليومية المعاشة<sup>1</sup>.

إن الارتكاز على هذا التطابق في الدلالة بين المصطلحين (الإدراك، المعرفة) أدى إلى أن يحدث نوع من الاضطراب، والتداخل في الخطاب النقدي العربي الحديث أثناء الترجمة أو النقل، فمرة يطلق عليه الإدراك، ومرة المعرفة<sup>2</sup>، وعلى إثر هذا التباين والتداخل في ترجمة هذا المصطلح في الخطاب العربي جاء الباحث العراقي "فاضل ثامر" لإطلاق صرخته في توحيد المصطلح في مقاله (ألم يحن الأوان لتوحيد المصطلحات النقدية والفكرية؟ نقد معرفي أم شعرية إدراكية)، فهذه المقالة اختزلت إشكالية الترجمة والتي دفعتنا أن نستظل بإحاطتها بموضوع المعرفة لتمثل مسارا يمكن أن يفودنا إلى إشكالية الترجمة. لذلك فإننا سنحاول أن نختزلها ونختصرها بما بها من إفادة، فقد انتقد الباحث ما يواجه الثقافة العربية الحديثة اليوم، بفعل مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية، عدداً لا يحصى من الإشكاليات المعرفية؛ منها كيفية التعامل مع النظريات الأدبية الجديدة وتطبيقها على مستوى الممارسة النقدية والتنظير النقدي، وما تمخض عن ذلك من هذا الدفع الذي لا ينقطع من المصطلحات والمفاهيم المترجمة أو الموضوعية. عاملاً إلى وضع اللوم إلى حالة الانتشار والاعتباطية والتشتت التي تعانيه الثقافة العربية في زمن العولمة التي أفرزت من المصطلحات الحديثة التي بدأت تشيع وتنتشر في ثقافتنا العربية خلال العقد الأخير، وتنظم حولها المؤتمرات، وتصدر بحقها المؤلفات مصطلح

<sup>1</sup> - ينظر وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول، المرجعيات، المفهوم، مقدمة نظرية، ص 85-86.

<sup>2</sup> - ينظر محمود خليف خضير الحياي: إشكالية النقد المعرفي في الخطاب النقدي العربي الحديث، مجلة بحوث اللغات، كلية التربية للبنات-جامعة تكريت، العدد4، المجلد3، صيف 2020، ص 7 -

النقد المعرفي، أو العرفاني أو العرفني. ولو عدنا إلى أصل المصطلح في اللغات الأجنبية ومنها الإنجليزية والفرنسية لوجدناه يحيلنا إلى مصطلح «Cognitive Poetics»، الذي يمكن ترجمته بالشعرية الإدراكية، كما يمكن ترجمة مصطلح «Cognitive Criticism» بالنقد الإدراكي، وذلك لوجود فروقات كبيرة بين المصطلحات المتقاربة في هذا المجال منها: المعرفة (Knowledge)، والإدراك (Cognition)، والفهم (Perception) وغيرها<sup>1</sup>.

كما أن فاضل ثامر أشار إلى أهم كتاب لبيترستوكويل والذي حمل عنوان «Cognitive Poetics-An Introduction» والتي ترجمته إلى اللغة العربية سلمى سليمان نقلي عام 2010 تحت عنوان «مقدمة في النقد الشعري المعرفي». حيث يرى فاضل ثامر «أن المترجمة لم تقتصر على ترجمة المصطلح بالمعرفي بدل الإدراكي بل أضافت له كلمة الشعرية، فأصبح المصطلح «النقد المعرفي الشعري»، ويبدو أنها تابعت الخطأ الشائع في ترجمة كتاب «الشعرية (Poetics) بـ «فن الشعر»، وهي ترجمة تسبب تشوشاً في تلقي القارئ»<sup>2</sup>، غير أن مصطلح الشعرية يبتعد بنا عن البحث في الإدراكيات أو ما هو معرفي في النص سواء بإنتاجه أم تمثله إلى البحث في قوانين الإبداع وجمالياته، إذ الشعرية كما يقول "تودوروف" بحث في القوانين المنتظمة لولادة كل عمل أدبي.

وقد كان أيضاً لمجلة فصول حظ في مقالة فاضل ثامر والتي يرى بأنها الإنجاز الأهم في التعريف بهذا الاتجاه النقدي الجديد، إذ ضمت العشرات من الدراسات الموضوعية والمترجمة؛ منها دراسات لرموز النقد الإدراكي. وقد لاحظنا في هذا العدد تعارضاً وتفاوتاً في ترجمة المصطلح، فبعض الدراسات مالت إلى ترجمته بالنقد المعرفي

---

<sup>1</sup> - ينظر فاضل ثامر: مقالة (ألم يجن الأوان لتوحيد المصطلحات النقدية والفكرية؟ نقد معرفي أم شعرية إدراكية)، فاضل ثامر، جريدة الشرق الأوسط، الاثنين - 8 ذو القعدة 1441 هـ - 29 يونيو 2020 م رقم العدد [ 115189].

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

وأخرى بالعرفاني أو العرفني، لكن بعضها الآخر فضل مصطلح «النقد الإدراكي»، كما أن أسرة تحرير المجلة قد اختارت في غلاف المجلة الأول مصطلح «الإدراكيات»، في مقابل مصطلح العلوم الإدراكية (Cognitive Sciences) الذي أدرجته على غلافها الأخير. وبهذا فما أتمناه أن يكون هذا الاختيار من قبل المجلة دعوة إلى جميع المترجمين والباحثين لاعتماد مصطلح «النقد الإدراكي» بديلاً عن المصطلحات المجاورة الأخرى التي يروج لها الآن في الدراسات الأكاديمية.

ويبقى السؤال الأهم: لماذا نصر على تفضيل مصطلح الإدراكي على المعرفي؟ تبين الدراسات الخاصة بالوعي والإدراك والمعرفة وجود مستويات مختلفة لا يمكن الخلط بينها بسهولة. فقد أصبح مفهوم الإدراك مؤسسة قائمة بذاتها ووجدت له معاجم ومؤلفات وموسوعات خاصة؛ منها إنسكلوبيديا الإدراك التي حررها Nadal في أميركا. أما مفهوم المعرفة (knowledge) فيحتل موقعاً أعلى في دراسات الوعي الإنساني، ويختلف نوعياً عن مفهوم الإدراك (cognition)، وأمامي الآن دراسة باللغة الإنجليزية تقع في 54 صفحة مخصصة للتمييز بين مصطلحي المعرفة والإدراك، ويمكن مراجعتها على صفحات الشبكة العنكبوتية ببسر؛ وهي Knowledge and Cognition : Najib Callaos، ويشير فيها الباحث إلى أن هدفه هو محاولة تقديم أنموذج منهجي و«سبرنطقي» للتمييز بين مفهومي المعرفة والإدراك<sup>1</sup>، وفي هذه الإضاءة التي قدمها الناقد حول اختلاف هذه الترجمة، يمكن أن ننقل إلى ضبط الحدود المفهومية التي يعبر عنها مصطلح النقد المعرفي خاصة بعدما تم التعرف على مبدأ التبني الذي حظي به مصطلح المعرفة بدل العرفان والعرفنة والإدراك، والذي كان من طرف الحياني، ووحيدة صاحب حسن، ومحمد سالم سعد الله.

<sup>1</sup> -ينظر فاضل ثامر: ألم يجن الأوان لتوحيد المصطلحات النقدية والفكرية؟ نقد معرفي أم شعرية إدراكية.

يمكن الإشارة أيضا إلى أن هذا الاضطراب في ترجمة المصطلح وتداخله في الخطاب العربي والغربي أثر بصورة واضحة في تعريف وترسيم حدود النقد المعرفي.

### (2) النقد المعرفي بحث في حدود المفهوم

إن الباحث الذي يقترب من التحديد والتعريف والبحث عن خصوصية اشتغال المصطلح من حيث التعريف الجامع المانع، يجد أن هذا المصطلح يتمتع بالزبئية والهبولية وانفتاح عوالمه على تضاريس وجغرافيات وجهاز مفهوم واصطلاح لا يؤمن بالأسوار والحدود، فالاشتغال الذي سنمارسه يكون في حدود ما يخدم تعريفنا الإجرائي الذي نبحت عنه، فالاختلاف بين التصور المفهومي المجرد والجانب الحسي أو اللفظ من المصطلح يخضع لاعتباطية العلاقة العقيمة بين الدال والمدلول، فالمعرفة إغراء علمي يجذب كل العلوم، فهو بصمة أو علامة تجارية تشكل الاستثمار المعرفي والعلمي لكل علم يحاول أن يضع نفسه في مسار العلوم والمعارف، فالمعرفة التي كانت هدفا وغاية كلية، وفي بعض الأحيان وسيلة وغاية في بعض العلوم، لا يمكن أن تخضع لمقص النقد، إذ الجمع بين النقد والمعرفة يحتاج إلى تبرير ولاسيما فيما يخص تخصص الأدب أو النقد الأدبي، فهو الاختراق الثاني الذي عمل على لوي مصطلح ومفهوم النقد الأدبي، وهو منتج عصر ما بعد الحداثة والتطور الطبيعي لاختراق النقد الثقافي، فالتواطؤ الذي كان العامل المشترك لتجاوز النقد الأدبي يمكن أن نتلمسه في الاشتغال على نسق يتجاوز القيم الجمالية، فموضوع الثقافة والمعرفة في النص الإبداعي لا يمكن أن يتجسد إلا في حدود ومهيمنات وثيمات تخالف المهيمنة الجمالية وقيمها التي تتطوي على تاريخ طويل وأرشيف من النقد الأدبي، فالحداثة وما بعدها غيرت من صورة النقد الأدبي الذي كان منشغلا في بحث دائم عن النظريات العلمية والمنهج الموضوعي، فباغته بعد ذلك النقد الثقافي والنقد المعرفي مشكلا بؤرة التحول التي أربكت المركزية الجمالية وموضوعها ومرتكزات المناهج والنظريات النقدية، فالإشكالية التي أضافها النقد المعرفي إلى العمل الإبداعي ومحيطه النقدي هي تشكيل موضوع جديد في النص الإبداعي وهو البحث عن المعرفة المنسية .

نجد أن التحول المعرفي الكبير في عصر الحداثة وما بعدها كان بمثابة إدخال موضوع المعرفة في علوم كانت فيما مضى تبحث عن العلمية ونماذج المنهج العلمي ، فالفشل الذي حدث لمنهج العلوم الانسانية عندما حاولت أن تشكل منظومة المنهج والطريقة الذي تبدأ بالذات وتنتهي بالموضوع، اصطدم بإشكالية الموضوع الذي لم يحقق الجانب المادي الذي يمكن أن يُمثّل في النص الأدبي، فكانت جدلية اللفظ والمعنى أو الجانب المادي والمعنوي، وكان سؤال النقد الذي يبحث عن الموضوعية في النقد الأدبي ينشطر بين موضوع اللفظ وموضوع المعنى مما سبب إشكاليات كثيرة. فالتغير هو سمة العلوم الانسانية ولا يمكن مثلا أن نبحت عن كذبة المعرفة أو الكذبة العلمية فيها كما ذهب "كارل بوبر"، فالعلوم الإنسانية لم تستطع أن تحقق أي جانب علمي فعملت على أن تعود إلى ما كان الفيلسوف التأويلي الألماني في القرن الثامن عشر يدعوا له "شلارماخر" في أن نفرق بين موضوع العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية؛ فالعلوم الطبيعية تبحث عن التفسير والعلوم الانسانية تبحث عن التأويل.<sup>1</sup>

إن التطور المعرفي الكبير الذي حدث في العلوم الإنسانية، كان نتيجة المابعد والعولمة، والتي جعلها في مرحلة إنتاجية كبيرة، وإن كان هدفها التجاوز والإلغاء. إلا أنها قدمت فروعا وحقولا معرفية جديدة مثل: علم الاجتماع المعرفي وعلم النفس المعرفي ونظرية المعرفة في حلتها المعاصرة كما أشار إلى ذلك "محمد عابد الجابري" والأيديولوجية، والإدارة بالمعرفة والاقتصاد المعرفي والنص المرقمن وكل ما يحتاج إلى معرفة. ولقد حاول كل علم من هذه العلوم أن يبحث عن تعريفات تخدم نظريته ورؤيته فنظرية المعرفة تدرس قوانين وقواعد ومنهج مجموعة من العلوم مثل العلوم الإنسانية<sup>2</sup>، أما علم النفس المعرفي فهو «العلم الذي يبحث في العمليات المعرفية المختلفة كالانتباه

<sup>1</sup> - ينظر بول ريكور: من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسن بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2003، الإسكندرية، ص 60.

<sup>2</sup> - محمد عابد الجابري: مدخل الى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، ط5، 2002، بيروت-لبنان، ص16.

والإدراك والتذكر والتخزين والتفكير وحل المشكلات وغيرها»<sup>1</sup>، وينطلق علم الأعصاب المعرفي من العناية بدراسة الدماغ وتفسير العمليات المعرفية العضوية والعصبية داخل المخ أو الدماغ<sup>2</sup>، وعلم الاجتماع المعرفي يحاول أن يقوم على عملية تحليل العملية الاجتماعية لبناء الحقائق في إطار العلاقة الجدلية بين المعرفة والمجتمع<sup>3</sup> ومثلما تأسست مفاهيم لهذه العلوم، والتي كان طابعها الأولي هو المعرفة، يمكن البحث عن تعريف للنقد المعرفي.

مادام البحث محصورا في مجال النقد تحديدا؛ فإن بداية دخول المعرفة فيه (النقد) بدأت في اللسانيات الإدراكية أو المعرفية التي فسحت المجال للدارسين بأن يتعمقوا في طبيعة اللغة في علاقتها بالذهن، فامتدت الدراسات من أسئلة "نعوم تشو مسكي" الذي أثار جدلا واسعا حولها، لتمتد إلى علماء بيولوجيا اللغة، في بحوثهم التي استأنسوها بمجموعة إشكالات تحمل نسقا علائقيا ما بين اللغة والدماغ، والتي تم نمذجة أسئلتهم كآآتي: «هل تتوضع اللغة البشرية والكلام داخل الدماغ؟ وإن كان هذا صحيحا، فأين يتم بالتحديد؟ وكيف يقوم الجهاز العصبي بوظيفتي التشفير أو الترميز وفك التشفير أو الترميز الخاص باللغة والكلام؟ هل العناصر الأساسية للغة الأصوات والتركييب والدلالة تتمايز من الناحية التشريحية العصبية»<sup>4</sup> لتصبح اللغة في المقام الأول حاملة للتمثيلات الإدراكية والمعرفية، ويصبح تعاملنا معها يخضع لمنطق علمي، لأنها ملكة من ملكات الدماغ. وبهذا توسع العمل المعرفي في اللسانيات الإدراكية وغدت اللغة معرفية «تعالج بوصفها قدرة ذهنية مركزية في محيط الإدراك وما يرتبط بها من علامات وترميز وتشفير وتعبير وتفكير، فتكون اللغة وفقا لهذا التصور أداة لنقل المعلومة

<sup>1</sup> -عدنان يوسف العتوم: علم النفس المعرفي، النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط 3، 2012، عمان ص 13.

<sup>2</sup> -ينظر، المرجع نفسه، ص 36.

<sup>3</sup> -ينظر، المرجع نفسه، ص 45.

<sup>4</sup> - كاترين بايلز: اللغة والدماغ، ترجمة عبد الرحمان طعمة، الإدراكيات مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 4/25، المجلد 100، صيف 2018، ص 3.

ونقلها ومعالجتها بقصد التعبير عن المعنى وتوصيله»<sup>1</sup>، ومن منطلق تحولات اللغة، ولاعتبارات معرفية أخرى، يمكن القول بأن امتياز صناعة مفهوم للنقد المعرفي، سيخضع لكثير من التساؤلات والاستفهامات والتي أشرنا إليها سابقاً، وإن البحث فيها يمكن أن يفتح مجالات عديدة توسع من أفق مدركات المفهومية النقدية، وتقلص من مرونة التعددية الاصطلاحية، التي سببها cognition، فالتحديات التي واجهت الثقافة العربية أثناء إيجاد مفهوم للنقد المعرفي وخاصة بعدما حصرت المعرفة بمجال النقد، يمكن أن نصوغها كالآتي:

أ-التأسيس الأنطولوجي: ويتمحور حول سؤال مهم، مفاده كالآتي: إلى أي شيء يمكن إرجاع النقد المعرفي؟ أو النقد الإدراكي؟ أو.....

إن هذا التساؤل مهم جداً وجوهري، للبحث عن وجودية النقد المعرفي، بشكل عام، واستقلاليته بأشكاله وأنواعه الخاصة، وإن الخوض فيه وفق التساؤل المطروح، يتطلب، التعمق في بنية cognition، عند الفيلسوف "ماريو بونجي"، صاحب المذهب المادي البرزوعي، خاصة في كتابه العقل والمادة، الذي يقول فيه؛ أن كل الموجودات مادية أي ذات طاقة، ودينامية إذ أن كل شيء قابل للتغيير، ومنظومية وبرزوعية مادامت خصوصية الأنظمة أنها تفتقر لمكوناتها<sup>2</sup>، وعلى هذا فإننا ننظر إلى cognition، بوصفه طاقة مادية بازغة عن النظام العصبي للدماغ البشري، وهي التي تشمل التمثلات الذهنية للتجربة الجسدية، ومن منطلق هذا الحصر، فإن أنطولوجية النقد المعرفي، يمكن إرجاعها إلى دراسة التجربة الحياتية، وفق منطلق الذهن والنظام العصبي، لأن الإدراك عن طريق الجسد يمثل؛ حقيقة خبرتنا المبنية على طبيعة الأجساد لدينا ومن قبل منظمتنا العصبية ولها نتائج على الإدراك، وبعبارة أخرى فإن المفاهيم التي نستطيع الوصول إليها، والطبيعة في الواقع الذي نفكر ونحدث عنه؛ هي وظيفة تجسيدنا، والأشياء التي يمكن أن ندركها

<sup>1</sup> -وحيدة صاحب حسن، النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص93.

<sup>2</sup> -ماريو بونجي: المادة والعقل، ترجمة إسماعيل، الناشر القومي للترجمة، 2019ص32.31.



ونتصورها مستمدة من التجربة المجسدة<sup>1</sup>، فأنتولوجية النقد المعرفي، في الدراسات الإنسانية تحديداً، تتمحور في دراسة التجارب الحياتية، أو خبرة أجسادنا وفق منظومة ذهنية، تفعل العقل وعمل الذهن والدماع، وإن هذا المبدأ في طبيعته أو مجراه، يذكرنا بكتاب الناقد "ديفيد إيجلمان" \* (الدماع أسطورة التكوين) الذي هو في الأصل الترجمة العربية لكتاب "the brain the story of you"، الدليل الورقي للمسلسل الوثائقي التلفزيوني "the brain with david Eaglman" الذي بثته قناة pbs الأمريكية وقناة bbc البريطانية، فهذا الكتاب يعتبر ثمرة بحث عميقة حيرت العلماء عبر التاريخ، وهو ما من شأنه أن يحفز على ظهور النقد المعرفي في مجال العلوم الإنسانية، ليكون الجسد كمجسات لإعطاء المعرفة للدماع. ولقد حاول "إيجلمان" أن ينتج معرفة عن الدماغ الذي يلعب دوراً أساسياً في تشكيل حياتنا بالدرجة نفسها التي يتأثر بها تكوينه بالبيئات الاجتماعية والمادية التي نعيش فيها، طارحاً مجموعة من الاستفهامات التي فتحت آفاق نظرية الجسدنة، من بينها كيف تتشكل هوياتنا، وذكرياتنا، وخبراتنا؟ وما علاقة المادة العصبية في إدراك الواقع من حولنا؟<sup>2</sup>، فكل هذه الدراسات التي أسهمت في هذا التشكيل النقدي الجديد، من شأنه أن يعطي أحقية صناعة مفهوم للنقد المعرفي.

### ب- البعد الإستيمولوجي: يتمثل في التساؤل الآتي مما تتكون بنية cognition؟

إن هذا التساؤل يضعنا مباشرة أمام كل التمثلات الذهنية للتجربة الجسدية التي شكلتها أنتولوجية النقد المعرفي، وإن هذه التمثلات الذهنية تشابكت معها عمليات معرفية أخرى كالانتباه والإدراك والتخزين والتذكر. الخ، وإن المشروع العلمي الذي سعى إلى البحث عن بنية الدماغ البشري للعمليات العصبية المسؤولة عن هذه التمثلات لم يزل

<sup>1</sup> - فيفيان إيفانز/ميلاتي جرين: طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العزيزي، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد (4/25)، العدد، 100، صيف 2018، ص 45.

\* - ديفيد إيجلمان عالم أعصاب أمريكي، يعمل مدرساً مساعداً في جامعة ستانفورد وهو الرئيس التنفيذي لشركة NeoSensory كما يدير مركز العلوم والقانون فيير الهادف للريح، والذي يسعى إلى مواءمة النظام القانوني مع علم الأعصاب الحديث، معروف بعمله على اللدونة العصبية، إدراك الزمن/ الحس المرافق، ar.m.wikipedia.org، تاريخ الدخول 21-1-2022 الساعة 10.19

<sup>2</sup> - موقع إلكتروني www.noor-book.com، بتاريخ 20-2-2022. الساعة 16.55

قيد التطوير، لذا وجب التنبيه إلى مسألة مهمة تتعلق بالانتقال المفاهيمي والإجرائي للنقد المعرفي من بنية الإدراك إلى بنية المعرفة؟ فهل النقد المعرفي تجاوز البعد الإدراكي الذي تأسس في الأصل عليه، والذي تبناه "ليكوف" و"ترنر" و"بيتر ستوكويل" في أطروحاتهم البلاغية؟ كل هذه الأسئلة ستجيب عليها المفاهيم النقدية ذات البعد التأسيسي للنقد المعرفي وفق رؤية عربية، إذ أن كل مفهوم سيبين المرجعية التي تم الاستناد إليها.

### ت-الإرجاع الرمزي للغة في بنية النقد المعرفي

بما أن النقد المعرفي تجسدت أنطولوجيته في "التجربة الجسدية"، وإبستمولوجيته في احتمالية إمكانية "التجاوز الإدراكي"، فإن البحث عن موقع الإرجاع الرمزي لبنية "المعرفي" ضمن شبكة ذهنية بات ضروريا، وإن هذا البحث يتعلق بسمة من أهم السمات الفارقة للجنس البشري، وهي قدرته على استعمال البنية العصبية لمخه من أجل الإرجاع الرمزي في منظومة سيميائية لغوية، وهو مرتبط بالبعدين السابقين، لذا فإن لفظة الإرجاع الرمزي تحيلنا مباشرة أن نأخذ بمنظور "تيرنس" في مصنفه المتميز "التطور المشترك (اللغة والمخ)" إلى الإرجاع الرمزي بوصفه إحدى عمليات cognitive المنتجة استجابة لضغوط بيئية، لأن مشكلة نشأة اللغة يمكن أن تمثل مدخلا من أهم الأفكار الواعدة حين نبحث عن المنطق الذي يربط بين وظائف الإدراك المعرفي وتنظيم المخ؛ وهو ما من شأنه أن يمثل لغزا معرفيا آخر حين ندمجه ببقية الأسئلة السالفة الذكر؛ هل اللغة ذات طبيعة خارجية أم أنها عكسية داخلية؟ وهو ما كشفته بحوث العلوم النفسية والبيولوجية التي برهنت على حقيقة تعقد وتكافل الإسهامات البيولوجية والبيئية في النمو<sup>1</sup>، وهو ما تؤكد أيضا التجربة الجسدية في بعدها المعرفي، وعلى هذا يمكن النظر إلى مفهوم cognitive أنه قد نال حظا وافرا من التضاييف المعرفي والتلاقح الفكري في العلوم البيولوجية والعصبية والذكاء الاصطناعي ما جعله يمثل تحديا في الفكر العربي على وجه الخصوص.

<sup>1</sup> -ينظر، يرنس دبليو-ديكون: الإنسان-اللغة-الرمز التطور المشترك للغة والمخ، ترجمة شوقي دلال، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص34-35.

ث- البعد التداولي العربي: يرتبط أساسا بمدى استيعاب الأبعاد الأنطولوجية والإبستمولوجية لهذا المفهوم، خاصة وأن المشكلة الأساسية تتعلق بقصور الإسهام العربي على مستوى إنتاج المعرفة، وليس هذا فحسب، بل إن مصطلح *congitive* تحديدا سنجد أنفسنا أمام صراع منجزات فكرية لا تتعلق ولا تتفق مع المجال التداولي العربي، مثل المذهب المادي عند "ماريو بنجيه" والذي تحدثنا عنه، وكذلك نظرية التطور في إرهاباتها، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من التأزم أثناء صناعة المفهوم وتطويره.

### 3) المفهومية النقدية للنقد المعرفي

تجسد موضوع النقد المعرفي عند و"حيدة صاحب حسن" بوصفه تجربة للوعي في ضوء علاقتها بطريقة عمل الذاكرة وعلاقتها بالتاريخ والثقافة ومجمل معارفنا في فهم الوجود والتعبير عنه، فاللغة هي الحلقة بين الذاكرة والتجربة، وإن الغاية المعرفية ليس بمعناها التواصل والتأويلي إنما بمعناها التصوري المتعلق بالمفاهيم<sup>1</sup>، إن هذا المفهوم الإجرائي للنقد المعرفي، يمكن أن نربطه ارتباطا مباشرا بالبعد الأنطولوجي والارجاع الرمزي للغة، خاصة وأن التجربة الجسدية وعمل اللغة حاضران في النقد المعرفي، وهو من شأنه أن يعزز عمق التصور الغربي أثناء صناعة المفهوم، فالنقد المعرفي من هذا المنظور يتمثل في مدى قدرة العقل البشري على قوة الاستيعاب للمفاهيم وربطها بالتجربة الحياتية في منعطفات تحولاتها.

كما ذهب "محمد مفتاح" في كتابه "النقد المعرفي والمثاقفة مشكاة المفاهيم"، إلى بيان أسسه المفاهيمية، قائلا، «على غرار الدلالة المعرفية، وعلم النفس المعرفي، والأنثربولوجيا المعرفية، سيكون سداه ولحمته مفاهيم مستوحاة من المنطق، والرياضيات، واللسانيات، والسيميائيات، والعلوم المعرفية، وفلسفة الذهن، وهي كما يدرك حكماء هذه الأمة علوم هذا العصر»<sup>2</sup>، وهنا إحالة على الانتقال المفهومي من

<sup>1</sup> - ينظر وحيدة صاحب حسن، النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الاصول، المرجعيات، المفهوم، مقدمة نظرية، ص 33.

<sup>2</sup> - محمد مفتاح: مشكاة المفاهيم، النقد العربي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، الدار البيضاء-المغرب، ص278.

"الإدراك" إلى "المعرفة"، إذ إن لفظة علوم العصر، تحيلنا مباشرة إلى التصور الشمولي الذي يستند إليه النقد المعرفي في بعد الإجرائي.

وذهب الباحث العراقي "محمود خليف خضير الحياني" إلى أن النقد المعرفي «هو العملية العقلية المستوحاة مفاهيمها من فروع علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة والمنطق والرياضيات واللسانيات والسيميائيات ونظرية التلقي وفلسفة الذهن وعلوم العصر والتي يتم عن طريقها التعرف على الموضوع المدرك لتفهم التشكيل المعرفي المتجلي في النص الابداعي من قبل الذات العارفة للوصول لحقيقة الشيء أو المحكي المحرر من كل عرضية أو ظرفية أو واقعية»<sup>1</sup>. وإن هذا المفهوم يعكس فكرة تجلي النقد المعرفي في النص الإبداعي، كنفذ تأسس على مفاهيم ونظريات وحقول معرفية كثيرة، يتبنى من خلالها النهج التحليلي المعرفي، لفهم التصور العقلي للنص الذي جسده الذات.

يرى "محمد علاقي" في النقد المعرفي، أنه «تمظهر لغوي للوعي الإنساني الذي يجسده الأديب من خلاله ليتحول النص إلى فعل أو نشاط معرفي يكشف عن مجموعة من القيم والأفكار والمعارف سواء كانت ثقافية، نفسية، اجتماعية، لتتساوى النصوص باختلاف درجاتها الجمالية أمام النقد المعرفي لأنها فقط منتجة للمعرفة، ولا يهم كيف تكون لغة الإنتاج أو طريقتها»<sup>2</sup>، لقد ركز الناقد على جانب مهم في النقد المعرفي، وهو الجانب الجمالي في النصوص، إذ أن النصوص الأدبية التي كانت تتميز عن غيرها بصفة الجمالية، ستتساوى أمام النقد المعرفي، الذي لا يهمه إلا المعرفة وكيفية إنتاجها، وفي هذا إقرار على أن مبدأ المعرفة حاضر بقوة على مبدأ الجمالية.

كما عرف "محمد سالم سعد الله" النقد المعرفي بأنه الإدراك التصوري لمحيط النص وخارجه، أو هو النقد العلمي الشامل، أو هو العلم الذي يؤمن بنتائج العلوم وفلسفتها وعلاقته بالعلوم الانسانية، والنقد المعرفي نظام معرفي يدرس منظومة المعرفة

<sup>1</sup> - محمود خليف خضر الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 32.

<sup>2</sup> - محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي، الانتلاف والاختلاف، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع، جويلية 2016 ص 312.

في النص وعن ماورائية النص، وعد المنهج المعرفي هو المنهج الذي يجمع الجانب العلمي والثقافي والجانب العقلي والتطبيقي<sup>1</sup>. وقال فيه أيضا في كتابه "النقد المعرفي المعاصر بأنه «مصطلح يقدم مجموعة من التوجهات العلمية ويتجه إلى بيان التناول الشمولي في فهم النص وترجمته إلى خبرة المتلقي وبيان معطياته ويسهم هذا التناول في رسم حوارية معرفية مع النص، متناسقة مع مدركات التلقي ونهجه ولديه إمكانية التحول من ( الظاهرة/العوامل)-بوصف النص مجموعة من التراكيب العيانية-إلى (الخبرة / الفواعل)»<sup>2</sup>، وعرفه أيضا بأنه نقد «يحاور النقد الثقافي، ويحوي النقد الأدبي، ويناقش النقد الأيديولوجي العقدي، ويستوعب النقد النفسي والتاريخي والاجتماعي، ويكتسب سمات معرفية متجددة ومتطورة بتطور النهج الفكري العالمي في إطار الدرس الحضاري بشقيه الأكاديمي المؤسساتي الجمعي، والابداعي الفردي ذي الخصوصية، إنه ممكنات ومعطيات وتقنيات وآليات وسلوكيات معرفية نراها مناسبة لعصر انهارت معه حدود الأجناس وبان فيه التداخل المعرفي بين العلوم»<sup>3</sup> إن مجمل تعريفات الناقد "محمد سالم سعد الله"، تكشف لنا عن العمق المعرفي والإجرائي للنقد المعرفي، من حيث نهجه التحليلي وكذا تأطيره الإدراكي للمعرفة، فعلم العصر، مادة استثماره، وفعل التلقي ميزة من مميزاته التحويلية لرسم حوارية معرفية تجمع المتلقي مع النص، وفعل التداخل ومبدأ الشمولية هما الركيزتان الأسمى في النقد المعرفي لبلوغ ما تم الوقوف عنده من قبل المناهج السابقة التي حالت دون تداخل المعارف، إنه رسم معرفي يجدد المعطى النقدي في سيرورة تكاملية، تضيء جانبا معرفيا، يعيد ترتيب البيت الداخلي مستثمرا ما هو جمالي لما هو معرفي

ومما تقدم فإننا يمكن أن نحدد تعاريفا إجرائية للنقد المعرفي مفادها كالاتي:

<sup>1</sup> - ينظر محمد سالم: التنمية النقدية دراسات نصية في المنهج المعرفي، دار نور للنشر، ط1 2020ألمانيا، ص 7-16.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص3.

هو كيفية البحث عن امتلاك النص والخطاب للمعرفة، وكيفية تلقيها المرتبطة بقدرة اللغة في التحول من رسالتها التواصلية وجماليتها إلى مفهوم ذهني يصوغ التجربة الجمالية إلى تصور مفهوم ومدخل معرفي يساعدنا في فهم الخلفيات الثقافية والتاريخية والفلسفية ومجمل المعارف التي تعبر عن جوهر الحقيقة عن طريق النقد البناء والعلمي، فالنقد معرفة في النقد المعرفي. وهو أيضا مجال رحب حول مسار الدراسة من الجانب الثقافي للجانب الجمالي المعرفي، متأسسا على فكرة تداخل الأجناس كمنجز نصي، وكفكرة الحوارية والتناص كمقولات نقدية، ليفتح مدارات واسعة لمكامن المعرفة التي يحتويها النص، وليعزز الجوانب الإبداعية، التي أراد النقد الثقافي لي عنقها داخل محتواها، وليستعير من جل النظريات والمناهج باتباع منهج إدراكي، يروم إلى تفعيل دور العقل في العلوم الإنسانية.

إن النقد المعرفي هو خروج من التيه الموتى الذي خضض دائرة النقد ليوسع من مدركاته، ويحيل مرونة التحليل فيه سواء في الرؤية أو المنهج، هو إعادة لرسم الحدود الفاصلة بين النص والمؤلف التي أقصتها المناهج السياقية، وتخفيف للعبء النقدي الذي أثقل على النص الأدبي بدعوى المناهج ما بعد الحداثية، وتجريد من مهمات الناقد للاحتماء الكامل الذي تتقاسمه العملية الإبداعية، وتحطيم للقيود التي منعت جوانح النص المعرفية بالتداخل.

إن النقد المعرفي مجال رحب يندرج ضمن النظريات النقدية المعاصرة التي تنطلق من الأحادية الحرفية لطبيعة المنهج الواحد لتصل إلى فكرة التعددية المنهجية، التي تضم كل النظريات المستوحاة من عالم المعرفة، هو قضية فكرية ممنهجة تسعى إلى تحقيق التكامل المعرفي عن طريق الوعي المنهجي، الذي يحفظ استمرارية وبقاء وثبات الرؤى السابقة، إنه الفعل الذي يجسد مبدأ التداخل وبيبتعد عن المبدأ البراغماتي الذي يمحق حضور منهج على منهج أو مبدأ فكر على فكر.

مما تقدم نقول إن النقد المعرفي ميدان فكري معرفي بامتياز، عرف قفزة نقدية جادة في تبني الشمولية لميادين النقد كافة، تبنى فعل الاحتضان كأداة تمكنه من التسلح بثقافة التطوير بغية الوصول إلى هدف سام ورفيع ألا وهو: المعرفي من خلال الفني.

## رابعاً/ المرجعيات الفلسفية للنقد المعرفي

إن الحديث عن التكون المنهجي للنقد المعرفي هو بحث عن منظومة قارة وثابتة لها أصولها الفكرية والمعرفية والفلسفية الممنهجة التي مهدت وبسطت الطريق لهذا المعطى النقدي أثناء هذه الولادة الجديدة، ولا ريب أن نذكر أن الاتجاهات النقدية الحديثة قد ظهرت بناء على منطق الصراع الفكري الناجم من التناقضات، والذي جسد مبدأ الاقصاء والهيمنة بين مختلف العلاقات الإنسانية، فمثلت بذلك جسراً لسريان النتائج النقدية وفق ما يربط الماضي بالحاضر، وما يؤطر لقاعدة نقد جديدة تتأسس على ضوء ما تم ذكره.

المرجعيات بصفة عامة ولأقل أن مجملها والتي تجسدت في المنحيين المعرفي والفلسفي هي من فتحت آفاق وميادين النقد المنهجي المعاصر، فالفلسفة غدت النقد بخصوصيات وصيغ وأفكار نهضت على أعقابها المناهج، والمعرفة كانت بمثابة مادة ثرية بالتصورات العقلانية التي تتحو بمسارات ومقاربات منطقية، فرسمت بذلك النضج الفكري والفني وأبعدته عن دائرة الحدس والتصور والتأمل. والنقد المعرفي وجد ضالته وسبيله في هذين المعطيين اللذين مثلاً موجهها ومرشداً ودعامة تأسيسية قام عليها وتكون ونهل وتغذى منها إنهما (المعرفي والفلسفي).

وإن الجمع بين ما هو عقلاني وما هو فلسفي كمرجعية للنقد المعرفي يمثل وعياً بأن ما سيتم البحث فيه هو خروج من متاهة وضبابية وعتمة ثقافة الاستهلاك التي هيمنت لفترة طويلة نحو ثقافة إنتاج تؤمن بأن مبدأ التعرف على الجديد هو ثقافة إنتاج لفكر يعمل وفق منطق التساؤل اللامتناهي بدلاً من قالبية الأجوبة الجاهزة، وإن مقارنة الظواهر الأدبية الإبداعية ستبتعد عن عُرْف التحميم الأداتي\* نحو حيوية الاشتغال المعرفي.

\* -التحميم الأداتي هو إقحام وممارسة سلطوية باستعمال آليات وأدوات إجرائية على نصوص إبداعية لا تلائم ولا توائم قالبيتها من حيث الشكل والمضمون.

1- النقد المعرفي؛ بحث في المرجعيات الفلسفية:

البحث في أصول وجينات النقد المعرفي من حيث منابعه العربية سيختلف في محطات وينتق في محطات أخرى مع الفكر الغربي، لاسيما أن دافع التحديث العربي هو رغبة موجودة وفاعلة في تأسيس وعي عربي، ولعل الجوانب البارزة والمهيمنة في عملية التأثيل والتي لم تقابل بمرحلة تضادية أو جموح تأسيسية يعيد رفض المسلمات وإعادة انتاجها من جديد؛ نجد المعطى الفلسفي الذي أبرز قدرة فائقة في رسم الخطوط العامة والأساسية لملاحم النقد المعرفي، والفلسفة ظلت ولازالت ذاك المحرك الذي يدفع عجلة الفكر نحو التكوين والبحث عن الكينونة، فسؤال الذات، وسؤال الوجود، هما من رفعا قيمة التفكير الفلسفي على مر العصور، بل وإن تفعيل دور العقل كان محطة من محطات البعد الفلسفي في البحث المعرفي؛ «فنظرية المعرفة تتحكم في النظرة الاستيطاقية، فخط الفيلسوف لا ينقطع منذ أن ينظر في المعرفة إلى أن ينظر في الفن، وهو خط متسق لا تجد فيه تناقضا أو عوجا»<sup>1</sup>، ولعل هذه العلاقة الجدلية بين الفلسفة والفن كانت وثيقة الصلة منذ أفلاطون وأرسطو حتى عصرنا هذا، وازدادت هذه العلاقة شدة مع الطروحات الحديثة في القرن العشرين، ولعل النقد المعرفي هو خير دليل وبرهان على صلة هذه العلاقة.

إن الحديث عن أي اتجاه نقدي دون ذكر أصوله الفلسفية لن يكسب شرعية قوامه ووجوده كمنجز نقدي فاعل في الساحة الأدبية، فالعطاءات المعرفية جمعت بين الأدب والفلسفة عبر «إبداعات الفلاسفة أنفسهم من طرح نقدي وجمالي، إذ كانت الصلة

<sup>1</sup> - نصرت عبد الرحمان: في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، جبهة للنشر والتوزيع، ط1، 2018، الرياض، ص9.



تتعمق وتتشعب بمقدار عمق وتشعب الاتجاهات الأدبية ومذاهبها<sup>1</sup>، فالارتكاز على الفلسفة هو من سيرسم مستقبل الدراسات الإنسانية بشكل عام، ويحدد أفق مسارها.

تتبع أهمية الوصل بين ما هو عقلي وفلسفي في إمكانية حيوية الاشتغال النقدي التي يتيحها النقد المعرفي كميزة خاصة تؤهله إلى أن يندرج ضمن المعارف التي تقدر فكرة الانفتاح، كما أن الحضور الخفي والجلي للرؤى الفلسفية في التصورات النقدية التي تبناها النقد المعرفي، لا يعدو أن يكون مغامرة منهجية قد تفتح أبواباً، وقد تثير إشكالات، غير أن الفضول المعرفي دائماً هو من يدفع لحب البحث والمكاشفة، فعملية الجمع والمزاوجة بين ما هو عقلائي وفلسفي وتجريبي ضمن بعد اشتغالي يندرج في دائرة نقدية واحدة (النقد المعرفي) سياتح إمكانية فهم الواقع والمحتمل والممكن اعتباراً للذات (الفلسفة) والعقل (النقد المعرفي).

لقد استفاد النقد المعرفي من الفلسفات الحديثة في تأسيس كيانه وبناء قوامه المعرفي، فكانت له دعامة تأسيسية ومرجعية يستمد منها حيويته، ويبني بها مستقبله، ويصحح من خلالها جميع المسالك المتعثرة التي آلت إليها عن طريق بناء «منظومة أسئلة متحركة للنقد العربي المعاصر، يقدم من خلالها ذاته، ويبين مرجعيته الغائبة ببيان الأسس الفلسفية للظواهر النقدية للوصول إلى تنظيمها الفكري، وكشف منطلقاتها المعرفية»<sup>2</sup>، فالفلسفة لعبت أدواراً عديدة ومتنوعة وجعلت النقد يعيش في نطاقها، لتقوم بتغذية بمختلف الموارد المعرفية.

تتعلق أسئلة البحث من عمق التجربة النقدية التي جسدها النقد المعرفي في مقارنته للظواهر الأدبية، ومن النظريات المعاصرة المنبثقة عنه؛ كمنظورية الأطر ومنظورية الجسدنة وغيرها، لتتوصل من خلالها إلى الفلسفات التي كانت مرجعية له، ونقيم معها حوارات

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2007، 1، سورية-اللاذقية، ص12.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 14.

ابستمئية لنضيف نتائج جديدة تسمو بهذا الميدان الجديد إلى مراحل جد متقدمة من الدراسة.

إذا كان النقد المعرفي يسعى إلى فهم الواقع فيما هو ممكن ومحتمل، عن طريق قدرة اشتغال العقل في حيويته مع عمل الحواس، وسيرورة الانفتاح على جميع المعارف والنقود والنظريات والتي سمحت له بتبني صفة الشمولية، فحسبنا القول هنا أن جاذبية الفلسفات تقف في هذا الطريق كخلفية للنقد المعرفي تمثلت في الفلسفة التجريبية والفلسفة العقلية وفلسفة التحليل النفسي والفلسفة الجشطالية، لنؤطر من خلالها أرضية ابستمولوجية تحدد هوية وماهية هذا النقد وشكله الفني وكذا وظيفته النقدية.

### أ- الفلسفة التجريبية:

تتطلق الفلسفة التجريبية من فكرة التجربة كنقطة بداية لإدراك الحقائق وكل ما يحيط بنا عن طريق الحواس التي تعتبر منفذا من منافذ تشكيل الفكر واعطاء عينة وتصور عن وجود الإنسان وفهم ذاته، وبعد كل من «(هوبز Hobbs) و(جون لوك J.Loke 1632 - 1704) و(ديفيد هيوم D.Hume 1711-1776) و(لسنج Lessing) فلاسفة التجريبية في القرن السابع عشر والثامن عشر»<sup>1</sup> والذين مثلوا ريادة هذه الفلسفة عن طريق إمطة اللثام عن كل تفكير غيبي يؤمن بالميتافيزيقا، واستبداله بتفكير واقعي وتجريبي، إنه انتقال من الميتافيزيقا إلى «الفيزيقا المادة، التجربة، الملاحظة، الملموس»<sup>2</sup>، فأى تجربة هي مصدر من مصادر المعرفة وتكوين لحواسنا في عملية استنتاج واكتشاف وايصال المعرفة.

<sup>1</sup> - نصرت عبد الرحمان: في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، ص19.

<sup>2</sup> - محمد عروس: التجريب في الشعر الجزائري المعاصر، الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2012، قسنطينة الجزائر، ص43.

ترسم الفلسفة التجريبية مسار المعرفة عن طريق إدراك الحقائق، فاعتمدت على «الحواس في إيصال المعرفة، وبنيت قضاياها على التجربة، فالحواس منافذ المعرفة، وبها نرى الأشياء ونسمعها ونشمها ونذوقها ونلمسها، فتنطبع صور المحسوسات في الذهن وتتولد منها الأفكار»<sup>1</sup>، فنستنتج أن عمل العقل هنا يعمل على تنظيم المعارف التي تتلقاها الحواس من العالم الخارجي، ومن ثم يعمل على تكوينها في صورة ذهنية تمثل الشيء بعينه كما هو موجود في الواقع.

تستمد المعرفة في نظر الفلسفة التجريبية وجودها من التجربة والإحساس، وتجعل من العقل الأداة الفاعلة في ذلك، فيحتل هذا الأخير المرتبة الثانية، فالمسلمة المعرفية التي بنيت عليها الفلسفة التجريبية تقول بأن «محاولة بناء المعرفة على أساس العقل وحده كفيل بأن تجعله يتخلى عن مبادئ التفكير السليم»<sup>2</sup>، ومن ثم فالمعرفة التي تستلهم من العقل وحده تكون غير قادرة على استيعاب الأفق الخارجي (العالم الواقعي)، ولا يستمر عمل العقل إلا بعد أن تمده «الخبرة والتجربة بالأفكار والمعاني»<sup>3</sup>، وعلى هذا فالثالوث المقدس لدى هذه الفلسفة والمتمثل في (التجربة، الإحساس، المعرفة) عندما ينتقل إلى الفن والإبداع فإنه سيحدث توترا يعمل على خلق صورة تخيلية في وعي الكاتب، لتترك بصمتها على العمل الأدبي، ومن ثم لدى القارئ.

وبما أنه قد تمت الإشارة إلى الانتقال بالفلسفة التجريبية إلى العلوم الإنسانية تحديدا، فيجب أن نشير إلى أي نوع من التجارب يمكن أن تمثل مفتاحا رئيسا يمكن الولوج به إلى ميدان النقد المعرفي.

---

1 - نصرت عبد الرحمان: في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، ص19.

2 - ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ص32.

3 - عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، التكون والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2003، الأردن، ص81.

يحدد جون لوك التجربة في نوعين: تجربة ظاهرة واقعة على الأشياء الخارجية، أي إحساس، وتجربة باطنية واقعة على أحوالنا النفسية، أي تفكير<sup>1</sup>، وما بين الإحساس والتفكير تتولد العلاقة الحتمية، ويبرز دور الفلسفة التجريبية كمرجعية وكمؤثر فارق في النقد المعرفي، إنه مؤثر التجربة والإحساس والتفكير، وسنبين ذلك.

إن المحور الأساسي في الفلسفة التجريبية والذي حرّك النقد المعرفي في سيرورة اشتغاله تجلّى في هذه العلاقة الحتمية بين هذا الثالوث المعرفي، والذي أصبح عينة للنقد المعرفي، أطر من خلاله مفهومه لنظرية الجسدنة، وأتاح لها إمكانية المقاربة وفق المقاربة المنهجية للفلسفة التجريبية، وحسبنا أن ندلل على هذا، بالمعنى التجريبي "جون لوك" في مفهومه الأول والذي يتطابق لحد كبير مع ما تدعو إليه نظرية الجسدنة، فهو؛ يتساءل عن المورد الأساسي للمعارف المكتسبة في أذهاننا، فيقول أنني أجب بكلمة واحدة؛ من التجربة فمنها أتت كل معارفنا، إن حواسنا تنقل إلى العقل عدة احساسات عن الأشياء، ومنه فهذا هو المورد العظيم لمعظم أفكارنا، ونحن نعتمد كلياً في نيلها على الحواس<sup>2</sup>، ومنه نستنتج أن الحواس منافذ لاستقبال المعرفة ونقدها والتأسيس لكل ما هو معرفي، وهذا هو التأثير الفلسفي الذي استفاد منه النقد المعرفي، وجسده في نظريته الموسومة بالجسدنة.

ولبيان العلاقة أكثر، نقول إن (الحواس، التجربة، العقل) في الفلسفة التجريبية تعادل (علاقة الجسد بالعقل) في نظرية الجسدنة، فالعقل البشري يقوم بتفسير ما تستقبله الحواس الجسدية لإدراك ما حولنا، فالمشترك الأساسي في نقل المعرفة هي الحواس.

<sup>1</sup> - ينظر، نصرت عبد الرحمان: في النقد الحديث، دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، ص19، 20.

<sup>2</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص19-20.

ب- الفلسفة العقلية:

تعتبر الفلسفة العقلية المرجع الأول بالنسبة للنقد المعرفي، فلقد أثرت هذه الأخيرة بمعطياتها وأفكارها وكل المسائل المنطقية التي كانت تدعو إليها، فجعلت النقد المعرفي يتسلح بصيغ التحليل المنطقي والتفكير العلمي للوصول إلى الحقيقة.

امتدت جذور العقلانية مع أفلاطون واتخذت مسارات عديدة لغاية وصولها للفلسفة الحديثة، فكانت بؤادر الحلقة الأولى والتي تزعمها أفلاطون كما ذكرنا، تتجلى في التمييز بين المعرفة والاعتقاد، فهذين المسلكين أُعتبروا بوابة وصول العقلانية إلى مراحل جد متقدمة من التفكير، فما بين المعرفة والاعتقاد يتجلى البعد الحقائق في لفظة يكون، عند أفلاطون والتي تمثلت في أن «المعرفة ترتبط بما يكون على حين يرتبط الاعتقاد بما يكون وما لا يكون»<sup>1</sup>، فالمعرفة من هذا القول والتي ترتبط بما يكون على وجه إلزامي، هي كل ما يتجلى على الحقيقة المطلقة التي لا جدال فيها، في حين نجد الاعتقاد مرتبطا بمعنيين في فعل كان، والذي يستلزم وجود النسبية في تجلي الحقيقة.

وانتقالا لعالم المثل وفي كتاب جمهورية أفلاطون، وجب ذكر العقلانية بالمفهوم الدقيق والذي حدده بطريقة دقيقة واعتبرت خطوة حاسمة في تفكيره فقد أصر على «أن المعرفة الحقيقية تقتضي الانتقال من العالم الحسي إلى عالم المعقولات»<sup>2</sup>، وهنا إشارة إلى أن هناك تجاوزا من قبل العارف الذي يود بلوغ الحقيقة، وهو تجاوز العالم الذي تكون فيه الحواس الخمس منبععا للمعرفة نحو عالم يجب أن يكون فيه العقل هو المحرك الأساسي لفهم جميع الموضوعات الممكنة واللاممكنة.

ومرورا إلى الفلسفة الحديثة، سلكت الفلسفة العقلية مع ديكرت بعدا حيويا، لاسيما وأن ديكرت أعتبر في زمانه رائد الفلسفة الحديثة، فقد لعب دورا مهما في مجال هذه

<sup>1</sup> - جون كوتتغهام: العقلانية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، مركز الانماء الحضاري للنشر، ط1،

1997، حلب، ص25.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص26.

الفلسفة التي كانت تسعى إلى بلوغ كل مراتب اليقين والمثالية في التفكير المطلق، لقد «نادت بالحق الذي برهنت عليه في وضوح الذهن وبداهته، كما مجدت العقل الذي قال عنه الفيلسوف أنه أعدل الأشياء قسمة بين الناس»<sup>1</sup>، وبعبارة إنه أعدل الأشياء فإن هناك قيمة عظيمة منحها الفيلسوف ديكارت للعقل.

يقف العقلانيون موقف الضد مع التجريبيين حول مرتبة العقل، التي احتلت المكانة الثانية مع التجريبيين، وعلى الضد يُنشئ العقلانيون قاعدتهم الأساسية التي تقول إننا «نستطيع بنور العقل أن نصل، بمعزل عن التجربة، إلى معرفة بعض الحقائق المهمة والأساسية عن الواقع، عن طبيعة الذهن البشري وعن طبيعة الكون وما يشتمل عليه»<sup>2</sup>، فكل فلسفة تأتي على أنقاض وضدية الأخرى، وكل نظرية هي امتداد لنظرية سابقة، تبني وتؤسس منطلقاتها وتجدد طروحاتها بناء على رفض المسلمات السابقة.

وما يهمنا في هذا المسلك العقلاني، يتجلى في طرح التساؤل الآتي: ماهي المفاهيم التي تبناها النقد المعرفي من الفلسفة العقلية وبنى عليها تصوراتها؟

إن ارتكاز النقد المعرفي على الفلسفة العقلية يتجلى في تبني أطروحة العقل وتوظيفها في فهم الظاهرة الأدبية، فالنقد المعرفي «يعزف على أوتار العقلانية من جهة، والابداعية التطبيقية من جهة أخرى»<sup>3</sup>، إنه يسعى إلى بلوغ المعرفة التي تتجلى في النص الإبداعي، مع إمكانية ربطها بالعالم الخارجي وما يحيط بنا.

تتمثل الميزة المهمة في النقد المعرفي، وفي ارتكازه على الفلسفة العقلية في طبيعة الأخذ والبلورة؛ فالاستفادة من المعطى العقلي وإمكانية بلورته بما يخدم المعارف الإنسانية

<sup>1</sup> -راوية عبد المنعم عباس: ديكارت أو الفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، 1989، الإسكندرية، ص5.

<sup>2</sup> جون كوتنغهام: العقلانية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ص17.

<sup>3</sup> -محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص4.

هو الإنجاز في حد ذاته، فرسم المشهد المادي مع الروحي كفيل ببناء فكر متقد يعمل على خلق التناغم والتوافق بين ما كان ضدياً.

إن مصطلح **النقد المعرفي** في (لفظة المعرفي)، تحيل مباشرة إلى التصور العقلاني، فالمعرفة وبلوغها لا يتأتى إلا من خلال تفعيل وتنشيط دور العقل كملكة من ملكات التفكير السليم، فتصبح الفلسفة العقلية في هذا المقام خلفية ألفت بظلالها على هذا النقد وغذته بكل الشروط الحتمية التي يعمل فيها العقل كأساس لبلوغ الحقيقة.

ولكن، ما الرابط بين فلسفتين تبدوان متناقضتين؛ التجريبية حيث الحواس الظاهرة، والعقلية حيث الإدراك الذهني للأشياء في مجال النقد المعرفي؟

إن الربط في الحقيقة هو أن التجريبية تمد النقد المعرفي بالمعارف الحسية عن طريق الجسدنة ونظرية الأطر، وهي المعارف التي يتم بلورتها عن طريق المعالجة العقلية للمفاهيم والتصورات، سواء انتقلت المعرفة من الحس إلى الإدراك أو من الإدراك إلى الحس حسب طبيعة المعرفة الماثورة في النصوص.

### ت - فلسفة الجشطالت

ينزع النقد المعرفي إلى استراتيجية الكل، باعتبارها مفتاحاً يفسح المجال على فضاءات معرفية عديدة، فتبنى مبدأ الشمولية، الذي اقتضى بنا البحث عن جذور هذا المصطلح لمعرفة الخلفية التي تأسس عليها النقد المعرفي في ارتكازه على مبدأ الشمولية في تحليله النهجي.

يعود مصطلح الشمولية أو الكل إلى نظرية الجشطالت، التي كانت لها أبعاد ممتدة تولدت على إثرها، وكما أشرنا أن كل نظرية هي ردة فعل على نظريات أخرى، لذلك لم تكن الجشطالت بعيدة عن هذا المنحى، فقد جاءت هذه الأخيرة كردة فعل على السيكولوجيا التحليلية، التي وقعت في أزمة البحث عن الجزء، إذ سعت إلى فهم القضايا السيكولوجية والمتمثلة في الإحساس والإدراك والشعور عن طريق البحث في «العمليات

التي تنتج عنها، وتبني منها الخبرات المعقدة والأفكار»<sup>1</sup>، وهو ما من شأنه أن يجعل عمليات التفكير من إدراك واحساس وشعور يثير إشكالات على مستوى الوصف والتفسير، ولا يمكن لهذه الإشكالات أن تجد حولا مادامت تدور في فلك (العناصر)

إن تجزئة العمليات الشعورية والذهنية جعلها تبنى على وقائع غير منتظمة، مما تولد «إحساس بضرورة مبادئ جديدة، أمام عدم كفاية سيكولوجيا العناصر فكانت المطالبة بسيكولوجيا المجموعات والبنى والأشكال»<sup>2</sup>، وهو ما جسده فلسفة الجشطالت في أطروحاتها.

هناك بعدين في فلسفة الجشطالت؛ البعد السيكولوجي، وبعد الأشكال، وما يهنا هو بعد الأشكال والذي من خلاله أطرت لبوادر انطلاقها وتجاوزها للنظرية السابقة، والذي من شأنه أن يبين طبيعة الخلفية التي استند إليها النقد المعرفي.

طرحت فلسفة الجشطالت قضية مهمة في نظرتها للشكل مفادها أن «صفات الكليات أجدر من سواها، ولذلك فإن من واجبنا أن ننسى مسألة العناصر القديمة، وأن ندرس الكليات المنطقية كما تحدث في الخبرات والأعمال»<sup>3</sup>، وهنا تأكيد على مبدأ الكلية كنموذج أولي في الدراسة.

تضطلع الجشطالت بخصائص مميزة يمكن أن نوجزها في الآتي: أنها وحدات عضوية تنفرد وتتحد في الحقل المكاني والزمني للإدراك أو للامتثال، تتطوي على تمفصل داخلي؛ على أجزاء أو أعضاء طبيعية تضطلع ضمن الكل بوظائف محددة، الجزء في كل هو شيء يختلف عن هذا الجزء منعزلا أو في كل آخر وذلك بفضل

---

<sup>1</sup> -فاخر عاقل: مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، ط5، افريل 1981م، بيروت، لبنان، ص144.

<sup>2</sup> -محمد الماكري: الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، كانون الثاني 1991، بيروت-لبنان، ص27.

<sup>3</sup> -فاخر عاقل: مدارس علم النفس، ص146.



الخصائص التي يكتسبها من وضعه ومن وظيفته في كل حالة من الحالات<sup>1</sup>، ويمكن أن نوضح هذه الخصائص في النقاط الآتية:

\*الجشطات تثير مسألة العلائقية بين بنياتها، التي تخضع لمنطق الإدراك، والذي يكون شمولياً، إذ إن مبدأ التفرد والاتحاد خاضع لإدراك شعوري في حقل مكاني وزماني.

\*الجشطات تثير مسألة جدلية وحتمية بين الجزء في علاقته بالكل، إذ إن الوظائف الحسية إنما تتم من خلال هذه العلاقة.

\*كل جزء في النظرية الجشطالية هو بنية أو عنصر يمتلك سمات ومميزات سواء كان في كل أو منفصلاً، وتعتبر هذه السمات بمثابة ميكانيزم يحدد هويته ووظيفته التي تميزه عن جزء آخر، وبذلك نقول إن هذه النظرية تمتلك مبدأ الحفاظ على خصائص كل جزء.

هناك قاعدة أساسية في فلسفة الجشطات مثلت إطار فهمهم العام والتي من خلالها يمكن أن نوضح مرجعية النقد المعرفي من خلالها مفادها «أن الوجه يجب أن يعتبر كلا، نعم إنه لا يستغني، في سبيل الحصول على نتيجة ما، عن اعتبار أشياء أخرى إلى جانب الوجه، أي أن عليه أخذ الأجزاء بعين الاعتبار، ولكنه إنما يعتبر الأجزاء من حيث علاقتها بالكل»<sup>2</sup>، فكل نتيجة في نظر الجشطات إنما تستلهم من كلية الأشياء ومن جزئية العناصر ضمن منطق الكل، وهذا إشارة إلى الفعل البراغماتي الذي يفعله النقد المعرفي في نهجه التحليلي.

ما يجعل فلسفة الأشكال خلفية للنقد المعرفي، هو مبدأ الشمولية، ومبدأ الأخذ من مختلف الظواهر دون المساس بالقاعدة الأساسية. (الكل)

<sup>1</sup> - ينظر: بول جيوم: علم النفس الجشطالتي، ترجمة صلاح مخيمر وعبد ميخائيل رزق، مؤسسة سجل العرب، 1973، القاهرة، ص33.

<sup>2</sup> - فاخر عاقل: مدارس علم النفس، ص147.

النقد المعرفي هو نقد شمولي اتخذ من الفلسفة الجشطالية مبدأ القراءة الشمولية للوجود، أي أننا لا ندرك الأشياء إلا من خلال النظرة الكلية، ونظرة النقد المعرفي تمثلت في إمكانيات قرآنية وتواصلية لا حد لها في إطار من المعرفة الشمولية واستيعاب لجهود نقدي يضم ميادين وحقول عدة<sup>1</sup>.

وفيما تعلق بمبدأ الأخذ من مختلف الظواهر دون المساس بالقاعدة الأساسية، فالنقد المعرفي اتخذ منطلق التنوع الاشتغالي على الظاهرة الأدبية في محاولة منه «لإدخال الدرس الفلسفي والتحليلي النقدي الأدبي بشكل غير مفتعل من خلال مصطلح يجمع بين هذه الأطراف جميعاً»<sup>2</sup>، على اعتبار القاعدة الأساسية والتي يمكن الإشارة إليها بالخصائص المنهجية للنقد المعرفي.

مثلت كل من التجريبية والعقلية والجشطالية مرجعاً فلسفياً ومنهلاً فكرياً للنقد المعرفي، فالأولى جسد من خلالها النقد المعرفي "نظرية الجسدنة"، أما الثانية فكان مبدأ العقل هو الفاعل دوماً على اعتبار أن النقد المعرفي ممارسة ذهنية تشتغل وفق منطق العقل، وأما الأخيرة فقط كانت ميزة "الكل" سمة مهمة في استثمار من خلالها النقد المعرفي المبدأ التكاملي والشمولي.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 3.

الفصل الثاني:

# النقد المعرفي بين الإنتاج والاستقبال

أولاً: علاقات النقد المعرفي

ثانياً: مقولات النقد المعرفي

ثالثاً: أسئلة النقد المعرفي

رابعاً: استقبال النقد المعرفي في الخطاب العربي المعاصر

## أولاً/علاقات النقد المعرفي

إن النقد المعرفي مجال رحب في معطياته وفي نهجه وفي مسلكه النقدي، إذ إنه يختلف عن باقي النقود والحقول والنظريات النقدية، التي تبنت مبدأ إقصائياً في المعارف، إذ سعى إلى تبني مبدأً شمولياً واحتوائياً ليحاور به المعارف وليؤسس علاقات ابستمية، يستفيد من معطياتها، فالتكامل المعرفي الذي جسده النقد المعرفي جعل منه منهجاً استيعابياً يفتح على الظاهرة الأدبية في منعطفات تحولاتها باعتبارها نتاج فعل إنساني يعكس التجربة الحياتية في شتى جوانبها، لذلك أعطى هذا الأخير حضوراً متميزاً ورؤية منهجية جديدة لمقاربة الظاهرة الإبداعية وفق فعل إدراكي يروم إلى تفعيل دور ملكة العقل. ومنه نطرح الإشكالية التالية: كيف حقق النقد المعرفي فكرة التكامل المعرفي؟ وما هو رابط التفاعل المعرفي بينه وبين هذه الميادين المعرفية لتأسيس مبدأ العلائقية؟

### 1- التكامل المعرفي تأسيس لمبدأ العلاقات في النقد المعرفي

إن التكامل المعرفي الذي تبناه النقد المعرفي هو فعل تواصلية بالدرجة الأولى، لا يقدر فكرة الحدود، بل يفعلها عن طريق الاحتواء، ولا يتبع فكرة التقويض بقدر ما يؤسس لحلقة معرفية تجسد مبدأ العلاقات، تكون لها ضوابطها التي تجعلها لا تذوب في غيرها بل تحافظ على هويتها، «فقضية التكامل المعرفي قضية فكرية منهجية من حيث إنها ترتبط بالنشاط الفكري والممارسة البحثية وطرق التعامل مع الأفكار»<sup>1</sup> كما أنها «فضاء حوارية أو عملية شراكة تواصلية يراد منه ذلك المتصور المتعلق بالمعنى أكثر مما هو متعلق بما هو نفسي، وهي حوارية تؤديها الذات بوصفها شبكة من التناقضات لا

<sup>1</sup>-فتحي حسن ملكاوي: منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1437هـ/2016م، الأردن-عمان، ص 25.

تحيا إلا بحضور الآخر الذي تقيم معه علاقة حوارية<sup>1</sup> بمعنى إن التكامل المعرفي هو تجسيد لفعل مسالمة بين حدود المناهج، واحتضان بين طرائق التفكير، وابتعاد عن مسلمات قطيعة حالت بين التداخل.

إن المعنى في الخطابات الأدبية، قد فتح عوالم كثيرة ومتشعبة، استدعت ضرورة حتمية للتداخل بين المعارف، فمن مقصدية المؤلف، إلى الدوال والمدلولات الظاهرة والخفية، لدواعي السياق، ولقراءة القارئ الاستثنائية، كل هذا جعل النص الأدبي يدعو إلى المزوجة المعرفية التي تتطلب روح التداخل للإمساك بأطراف معايير المعاني، ولإضاءة جوانب النص ولاستدعاء المهتمش والمسكوت عنه، عبر ما تتيحه من إمكانية في تحفيز العقل على الإدراك الممعن الذي يستتطق عمق المعرفة النقدية من جهة، من حيث خصائصها وميزاتها ودلالاتها وفق السياق المعين، والذي يحفز على بناء جسر تواصل بين الإنسان والعالم الخارجي من جهة أخرى، لذا كان النقد المعرفي هو ميدان الاشتغال الجديد، الذي يوفر كل هذه الإمكانيات الممكنة والمحتملة، بفتحه مداخل معرفية ونظم فكرية لا تستأنس للصراع، بقدر ما تسعى لبلوغ درجة من التكامل والانسجام والنضج، إذ إنه «كلما علا السقف المعرفي ومعه الإدراك والوعي كلما علا فهم النص»<sup>2</sup>.

ينزع النقد المعرفي نحو فعل الشمولية، الذي أعطاه ميزة خاصة، عن النقود الأخرى، التي رفعت قيما، مقابل تهميش أخرى، وأعدمت فكرا، بهاجس عدم قدرتها على الاستقاء بمضمون النص، وغيببت رؤى، ظنا أنها تومئ عكسا للأيديولوجية المركز، وضيقت نوافذ الحضارة الإنسانية على اعتبار أن الظاهرة الأدبية نتاج فعل إنساني بامتياز يعكس التجربة الحياتية، فالشمولية والاحتواء والاحتضان مفاهيم مؤسسة للنقد

<sup>1</sup> - ناصر سطمبول: تجليات التكامل المعرفي في تلقي النص، مجلة أبحاث، مختبر اللسانيات وتحليل الخطاب، عدد ديسمبر، 2013، جامعة وهران، ص6.

<sup>2</sup> - هشام راشد: جدل المداخل الفكرية والأدوات المعرفية، مؤسسة دراسات وأبحاث، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، www.Mominoun.com ص8.

المعرفي، الذي له علاقة «وطيدة بالمعطيات الحضارية من جهة المعرفة، لأنه قائم على الإدراك المنظم والشمولية في المعارف، وهذان الأمران يعدان من مقومات الحضارة لاسيما في وجهتها الأدبية»<sup>1</sup>، فهو منظومة من «الإمكانات القرائية والتواصلية التي لا حد لها من المعرفة الشمولية التي تبغي الدقة في التحليل وتتوخى القصد في تحديد المعنى والمسؤولية في تقديم المفاهيم»<sup>2</sup>، فمنهجيته تسعى إلى تأسيس منطق «حواري من خلال تعايش المفردات العلمية أولا، ومشروعية التكامل التي تسيّر البحث العلمي العالمي المعاصر ثانيا»<sup>3</sup>، فالمبدأ الحواري والمشروع التكاملي، والتمكين الإدراكي، رسم له مسيرة معرفية مع المناهج النقدية عبر دائرة علائقية «يحاور من خلالها النقد الثقافي، ويحوي النقد الأدبي، ويناقش النقد الأيديولوجي العقدي، ويستوعب النقد النفسي والتاريخي والاجتماعي، ويكتسب سمات معرفية متطورة ومتجددة بتطور النهج الفكري العالمي»<sup>4</sup>، ومن هذا المنطلق نتساءل عن طبيعة العلاقة التي تربط النقد المعرفي بهذه الحقول النقدية المتنوعة؟

### أ- النقد المعرفي واللسانيات:

لنتأسس العلاقة بين النقد المعرفي واللسانيات لابد من ذكر الرابط الذي يُقيم هذه العلاقة، وهو اللغة؛ «فالسانيات تتخذ اللغة مادة لها وموضوعها»<sup>5</sup>، لذا وجب طرح التساؤلات التالية: كيف تتحول اللغة من وظيفتها العملية والتواصلية وصولا لوظيفة إدراكية تجعل العقل أساسا للتفكير؟ وكيف يتم توظيف اللغة والانتقال بأبعادها الصوتية والتركيبية والدلالية لفعل تشريحي، يكشف عن الفكر البشري؟ ما أثر التحول الدينامي

<sup>1</sup> - محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف، ص 308.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 1.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 3.

<sup>5</sup> - عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، دون طبعة، أوت 1986، تونس، ص 293.

اللغة في بعدها المعرفي على المعنى؟ هل يتم محو الجانب الجمالي للغة أثناء هذا التحول؟ وإلى أي مدى يتم التوفيق بين الجانبين أثناء المقاربة النقدية؟

إن الحديث عن العلاقة بين اللغة والذهن هو حديث عن طبيعة الانتقال الإجرائي أثناء المقاربات الإبداعية، انتقال من الدرس اللغوي إلى الدرس المعرفي، ويبحث عن أنساق معرفية، تتجاوز في إطارها أنساقا لغوية، جعلت المعرفة سجينة تراكيب وصيغ ودلالات، كانت تستنتج من طبيعة الظاهرة النصية، كان همها البعد التداولي والتواصلية، بعيدا عن تفعيل دور الملكة اللغوية في وظيفة إدراكية ترقى لعوالم الواقع الممكن والمحتمل لذلك ننطلق من مبدأ أن اللغة وعاء للفكر، أو في تعريفها الأولي؛ «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدها»<sup>1</sup>، فكل فكر مصدره العقل، وبالتعبير يستطيع الإنسان تبليغ ما يدور في فكره بواسطة اللغة كأداة وظيفية تنقل المراد إلى ذهن الغير، وتكشف في نفس الوقت عن الهواجس الدفينة المحيطة بالإنسان باعتباره مؤثرا ومتأثرا بوسطه الاجتماعي، وتبرز نمطية ذاته المبدعة، لذا وجب القول إن «اللغة تلعب الدور الحاسم في تشكيل الفكر، بل هي الفكر في حد ذاته»<sup>2</sup>، إذ إن طريقتها تعمل على «كشف ما في الفكر البشري من معان وتصورات فغايتها من الوجهة الوظيفية التعبير عن عملية التفكير لدى الإنسان مما يفضي إلى تطابق مضمون اللغة مع مادة العقل»<sup>3</sup>، فاللغة منهل فكري ذو طبيعة إجرائية وانعكاسية، مثل براديغم واضح المعالم في تجسيد الرؤى وبناء الأفكار ورسم منعطفات الفكر الإنساني في تحولاته الإبلاغية «فباللغة تنجز عملية الإدراك الخارجي»<sup>4</sup>، وتتكشف عنها عمليتين «عملية

<sup>1</sup> - عثمان بن جني: الخصائص، ج1، دار الكتب المصرية، ط2، أوت1955، مصر، ص33.

<sup>2</sup> - عبد الرحيم البار: الأسس المعرفية لعلم اللسانيات الحديثة قراءة في المرجع الفكري، مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، العدد السادس، ديسمبر2016، ص293.294.

<sup>3</sup> - عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص27.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص28.

تصوير الفكر المتكلم، وعملية الفكر المتفهم لمادة الفكر المبلغة»<sup>1</sup> ومن هذا المبدأ؛ مبدأ تعامل اللغة مع الفكر أو العقل، جاءت اللسانيات المعرفية، لتستقل بطبيعتها عن اللسانيات العامة، وتصبح مشروعاً متميزاً، ولتجسد عمق التحول في الممارسات الإجرائية، بعدما كانت اللغة تحصر في المتعلقات والصيغ اللغوية.

إن البدايات الأولى للسانيات المعرفية ظهرت سنة «1987 مع نشر عمل لايكوف وكذلك مع المجلد الأول أسس النحو المعرفي للانكاكر»<sup>2</sup> وقد جاءت نتيجة تقابلها مع «الأفكار البنيوية والتوليدية مستفيدة من الأفكار الوظيفية والسياقية وقد انطلقت من فكرة أن الذهن واللغة قابلان للملاحظة»<sup>3</sup>، وفي نفس الوقت فقد جاءت كردة فعل على اللسانيات العامة من حيث التوظيف اللغوي، ذلك أن اللغة كيان معرفي قائم بذاته يتجاوز المتعلقات والصيغ النحوية لذلك عارضت «النظريات التي تتعامل مع البناءات النحوية كما لو كانت خالية المعنى»<sup>4</sup>، فتصبح اللغة مستأنسة بالمعرفة التي تدخل ضمن نطاق التفكير الذي يكون مصدره ومهامه قائماً على العقل. فيراد بالمعرفة اللسانية تلك «الظاهرة المعرفية التي يلزم دراستها بصفاتها مظهراً مندمجاً في المعرفة البشرية- من مقتضيات ذلك في الممارسة تأطير التحليلات اللغوية من خلال قدرات معرفية أكثر عمومية»<sup>5</sup>، فالعناصر اللغوية سيكون قوام التحليل فيها نابعا من العقل.

إن الانقلاب المعرفي الذي غير مجريات الدراسة اللسانية من الالتزام القواعدي التركيبي نحو الالتزام المعرفي قد حدد مبدؤه الأساسي في «جعل رصد اللغة متوافقاً مع

1 - عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 27.

2 - جون تايلور: اللسانيات العرفنية واللسانيات المستقلة، ترجمة محمد الملاح، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد 3، عدد خاص 2019، ص 135.

3 - وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص 92.

4 - جون تايلور: اللسانيات العرفنية واللسانيات المستقلة، ص 134.

5 - المرجع نفسه، ص 141.



ما نعرضه عموماً عن الذهن والدماع من تخصصات أخرى»<sup>1</sup>، وأصبحت اللسانيات المعرفية «تعالج اللغة بوصفها قدرة ذهنية مركزية في محيط الإدراك وما يرتبط بها من علامات وترميز وتشفير وتعبير وتفكير، فتكون اللغة وفقاً لهذا التصور أداة لنقل المعلومة ونقلها ومعالجتها بقصد التعبير عن المعنى وتوصيله»<sup>2</sup>. وفيما أحدثه "جورج لايكوف" رائد علم اللغة الإدراكي فقد جعل لللسانيات الإدراكية التزامين هما «الالتزام بالتعميم والذي يختص بتوصيف المبادئ العامة المسؤولة عن جميع جوانب اللغة، والالتزام الإدراكي يختص بتوفير توصيف للمبادئ العامة للغة التي تتفق بين ما هو معروف عن العقل والدماع من التخصصات الأخرى»<sup>3</sup>، فيقصد بالتخصصات الأخرى ما تم نمذجه من المناهج اللسانية، ومتعلقاتها، وهو ما سيتم استنباطه من الالتزام بالتعميم، عن المبادئ العامة للغة والتي من ضمنها الاستعارة وقد تم اختيارها للإجابة عن السؤال الذي تم طرحه فيما يتعلق بالجانب الجمالي، لأن الاستعارة توليد للدلالة وفق تصور تخييلي، يضفي جانبا جماليا للغة، لذلك يرى علماء اللغة الإدراكية أن «الاستعارة هي سمة أساسية للغة البشرية»<sup>4</sup> أي أن الاستعارة هنا ترتبط بالفكر، ومن ناحية أخرى فإن «توسيع المعنى المستند إلى الاستعارة يمكن أيضاً تحديده عبر مجموعة من الظواهر اللغوية المختلفة وبهذا فإن الاستعارة تمثل دليلاً إضافياً لصالح التعميم عبر مجالات مختلفة للغة»<sup>5</sup> وسيتم التفصيل فيها.

1 - جون تايلور: اللسانيات العرفنية واللسانيات المستقلة، ص 135.

2 -- وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص 93.

3 - فيفيان إيفانز/ميلاني جرين: طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العزيزي، مجلة فصول في

النقد الأدبي، المجلد (4/25)، العدد 100، صيف 2018، ص 38

4 - المرجع نفسه، ص 48.

5 - المرجع نفسه، ص 48.

### ب- الاستعارة والنقد المعرفي:

لم تكن الاستعارة الابن البار للمعرفة، فقد عرفت في المدونات الفلسفية والمعرفية بأنها المراوغة والمجازية، والتحريرية والانزياحية وهي ضد الحقيقة، ففي الفلسفة اليونانية تم إبعادها من خانة المنطق حيث مثلت بعدا فلسفيا اتخذ أمثلة عند أفلاطون وسقراط عن طريق قدرتها ومحاكاتها وصورها وقصصها في إيصال معرفة تصويرية، حتى أن مفهوم المحاكاة يمكن أن نضعه في خطاب المنطق المعرفي في ذلك العصر، فالمحاكاة هي أولى المستويات المعرفية التي تقوم على تماثل وتشابه الشيء، وهو ما قدمته البلاغة بصورة عامة والاستعارة بصورة خاصة، وقد تم تهميش الخيال في الفلسفة اليونانية وأصبح وهما وزيفا وبدأت الاستعارة تتخذ مسارين، مسار الإقناع في البلاغة اليونانية، والمسار الآخر إن أجمل الشعر أكذبه، والذي يمكن أن نتلمسه في الثقافة العربية. ولما كانت الاستعارة من ضمن المجاز وهو العدو الرسمي للحقيقة، تم تهميشها في الخطاب النقدي العربي القديم، لأنها أصبحت معيارا نقديا يحاسب الشعراء عليه من حيث الإيجابية والسلبية أو الاستعارة القريبة والبعيدة، وإن كان الجرجاني قد أنصفها عندما عمل على أن تكون جزءا من النظم والجملة، وأن الاستعارة البعيدة يمكن أن تمثل قوة وقدرة عالية على التخيل، محاولا أن ينصف أبا تمام والمتنبي الذين تم وضعهما في خانة النقد السلبي في كون استعارتهم بعيدة، ولكن هذا الجدل بين كون الاستعارة خيالا وهما ومجازا والحقيقة التي تخاطب المنطق والعقل، بدأ يتداعى في الوقت الحاضر بعدما اكتشفت الفلسفة الحديثة أن كل العالم وما يحيط بنا هو سردية استعارية كبيرة، فاللغة هي بيت المفاهيم، وكل مفهوم في الأصل استعارة، وهو الذي دفع "جورج لايكوف" إلى أن يكون شيئا اسمه مفهومة الاستعارة وهي لحظة إدراك أن الاستعارة هي جزء من المنظومة المعرفية، ولقد جعل لها "لايكوف" و"جونسون" مكانة مختلفة في دائرة التصورات اللغوية، بل وأصبح لها معنى آخر يعادل الحقيقة التي تتجسد في الذهن البشري يقول «الاستعارات تعابير مشتقة من حقائق أصلية، بل تكون في نفسها عبارة عن حقائق بصدد الفكر

البشري والنسق التصوري البشري»<sup>1</sup>، وليثبت دور الاستعارة في تعالقها مع الفكر يقول بأن «جزءا هاما من تجاربنا وسلوكياتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته»<sup>2</sup>، أي أن الاستعارة هي تجسيد حي للتجارب والحياة الإنسانية بصفة عامة، فكل فكر صادر يمكن تمثيله في الواقع، ليدرك به العالم، تكون وسيلته نسق استعاري.

وبهذا تخرج الاستعارة من مدلولها اللغوي المحض، مقتحمة مداليل معرفية، يتم تشكيلها وفق تصور "لايكوف" الذي أشار إلى هذه المسألة عندما اعتبر أن تشكلها يكون «مظهرا ثقافيا عندما تتأثر به اللغة، كما تتأثر به سائر المظاهر الأخرى مثل السلوكيات والأنشطة التي نباشرها»<sup>3</sup>، كما أنه أشار إلى أن «الفهم الاستعاري منتشر في كل مجالات حياتنا الذهنية واعية كانت أم غير واعية»<sup>4</sup> وبهذا اتخذت اللغة الاستعارية جانبا تصوريا فارقت به المفاهيم المتداولة، التي كانت تعتبرها مجرد انزياحات تضي جانبا جماليا عن طريق عنصر التخيل، لتتحصل على بعد مفاهيمي جعلها تتدرج في البعد السلوكي الذي يؤثر في العقل والإدراك.

ومن التطور اللغوي الذي لامس طبيعة اللغة والاستعارة، تتطور اللسانيات المعرفية وتتشعب حقولها، لتشمل «نظرية خطاطات الصور عند جونسون، ونظرية النحو المعرفي عند لانغاكير، ونظرية الإحياز الذهنية والمزج التصوري عند "فوكويني" و"ترنر"، وعلى دلاليات الطراز عند "جيرابرتس"، وقد أثرت جميعها في أدوات النقد المعرفي المعاصر في دراسة النصوص الأدبية»<sup>5</sup>، فكل هذه النظريات المنبثقة من

<sup>1</sup> - جورج لايكوف، ومارك جونسون: الاستعارة التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1، 1996، الدار البيضاء، ص12.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص12.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص12.

<sup>4</sup> - جورج لايكوف ومارك جونسون: الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة وتقديم عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، مارس 2016، ليبيا، ص14.

<sup>5</sup> - وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص93.

اللسانيات المعرفية، حولت مدار الدراسة نحو مفاهيمية العقل والإدراك، لبلوغ الحقيقة وللبعد عن الحدس.

وعليه نقول إن العلاقة التي تربط النقد المعرفي باللسانيات؛ علاقة تلازم، باعتبار أولي يقوم على التكامل الذي يحدثه هذا الأخير، وباعتبار وظيفي مثلته اللغة في منعطفات تحولاتها المعرفية، وباعتبار براغماتي يتمثل في استفادة النقد المعرفي من معطيات اللسانيات المعرفية من جانب جمالي مثلته الاستعارة ذي البعد المزدوج (جمالي، معرفي)، ومن النحو المعرفي فيما تضمنه من أبنية وصيغ دلالية، تكشفت مضمراتها في منحى معرفي، فلقد مثلت هذه الأخيرة (اللسانيات) مساحة جديدة للاشتغال اللساني انتقلت بموجبه اللسانيات من بحث الجوانب اللغوية إلى بحث ما هو معرفي فيها، فتحول المعنى المعرفي من التخمين الذهني إلى التحقيق العلمي، وبهذا أصبحت اللسانيات وغيرها من النظريات تمثل أدوات للنقد المعرفي، يستلهم منها وظائفها في عمل العقل الذي يؤثر على التجارب الحياتية، وبذلك يمكن القول أن «النقد الأدبي المعرفي يستفيد من نتائج اللسانيات المعرفية والعلوم المعرفية بعامة، التي ترى أن المعاني من عمل ذهن البشري الذي يقوم بعمليات متعددة على التجربة الحسية من اسقاط وربط ودمج وتكامل ليقيم الترابطات المنتجة للمعرفة»<sup>1</sup>.

### ت - البلاغة والنقد المعرفي:

إن التأطير الإدراكي للعلوم الإنسانية جعل حقولا كثيرة تحول مسار اشتغالها، بعدما أصبح العامل الإدراكي هو السبيل في ظل النقد المعرفي للوصول إلى حقيقة النص، فهذا التحول الذي لامس اللسانيات والاستعارة، في بادئ الأمر، جعل البلاغة بمحمولاتها التراثية وبقدراتها التواصلية، وبمطابقتها السياقية، تنحو منحى إبستيميا، تكون فيه الاستعمالات اللغوية، والطرق التخاطبية، والوسائل البلاغية، تدور في فلك الأطر المعرفية، ويجوز لنا أن ننطلق من مفهوم الأطر باعتبار مفهوميته التي تقارب معنى

<sup>1</sup> -وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص94.

البلاغة في مطابقتها لمقتضى الحال، وباعتبار ثاب تمثل في تأسيس علم جديد سمي بعلم دلالة الأطر.

فمفهوم التأطير «يشير إلى أن اللغة تخلق أطرا معرفية تتحكم بتفاعل الإنسان مع الواقع حوله»<sup>1</sup> ومعنى هذا أنّ هناك جوانب ذهنية معرفية، تكون من نتائج التجربة الحياتية، تجعلنا ندرك، لنعيد الإنتاج من جديد وفق مسارات مختلفة. فهذا التصور هو في الأساس نابع من علم الأطر الدلالي الذي «ينتسب إلى مجموعة واسعة من المقاربات التي تحاول وصف معاني اللغة عبر التأكيد على أن الإطار الدلالي هو بنية معرفية مهمة لفهم كلمة عبر ارتباطها بكلمات أخرى»<sup>2</sup>، فعملية الفهم، وعملية الارتباط، يضاف إليها بنية معرفية يشكل بلاغة جديدة تلبس ثوب المعرفة وسنوضح ذلك.

إن عملية الفهم تتطلب دوما تصورا للمنجز الذي سيقام عليه دور الفهم، وهذا المنجز في الظاهرة الأدبية هو عملية إنتاجية المعنى، والمعنى بدوره لا يدرك إلا من خلال عملية الارتباط، والارتباط نوعان، نوع نسقي ونوع سياقي، تجسدا في علم الأطر الدلالي عن طريق ارتباط الكلمات بعضها ببعض، ومن هذا الارتباط النسقي يحدث السياقي الذي يفعل دور اللغة و يجعلها تستخدم «بوصفها نقاط دخول أو منافذ إلى مستودعات شاسعة من المعرفة المتصلة بتصوير معين أو مجال مفهومي معين»<sup>3</sup> فالمعنى والسياق والإنتاجية ويضاف إليها المعرفة شكل لنا بلاغة معرفية، يكون فيها الكلام مطابقا من الناحية التصويرية الذهنية للمقام.

إن الحديث عن البلاغة المعرفية يقتضي بدوره الانتقال من العملية الإنتاجية للمعنى في بعد تصوري إلى عملية تواصلية إقائية تنقل المعنى للمتلقي بطريقة ذهنية،

<sup>1</sup> - إبراهيم بن منصور التركي: دراسات في البلاغة الإدراكية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الطبعة الأولى، 2019، ص32.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص32.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص33.

وعليه يطرح في ظل البلاغة المعرفية التساؤلات التالية: «كيف يمكن للمتكلم أن ينقل المستمع من حالة ذهنية إلى أخرى بواسطة اللغة؟ ماهي المواضيع المشتركة؟ وكيف يمكن لأحدهم أن يحدث هذه الصلات للإثارة والاكتشاف والإقناع؟»<sup>1</sup>، فهذا التحول الجديد في طبيعة البلاغة المعرفية، كان نتاج ردة فعل من قبل التأطيرات الإدراكية على البلاغة الكلاسيكية التي كانت ستمحو هويتها بعدما كان مجال اشتغالها متعلقا بالأسلوب، لأن البعض أراد دمجها في الأسلوبية ليذيب كيائها الأنطولوجي والإبستمولوجي، ويجعلها أداة طيعة في هذا العلم، فمقاربات النصوص الإبداعية، جعلت كلاً من البلاغة المعرفية والأسلوبية المعرفية تتقارب من الناحية المفهومية وتختلف بشكل طفيف في المقاربة النصية، إذ إن «علم الأسلوب المعرفي أحدث تطوراً نحو توفير حساب سياقي وقرائني بشكل كامل للمعنى النصي. إذ توسع العمل في علم الأسلوب المعرفي بسرعة، ليصبح مجالاً راسخاً للبحث الأسلوبي»<sup>2</sup>. ولعل هذا البحث هو ما أشار إليه "عبد الوهاب المسيري" في دراسته لخطاب المجازات الإدراكية، ودورها في عملية التأثير البلاغي، باعتبارها نتاج الفكر الإنساني، ففي البلاغة والأسلوب يكمن الإقناع في الفعل الخطابي، وتتجسد الحلية الجمالية، ويتحفز العقل على إدراك ما يحيط بالعالم

لقد سعى "مارك ترنر" إلى الذهاب بالبلاغة إلى أبعد مما كانت عليه، عن طريق ابتكار نهج تحليلي يكون له تأثير على التفكير والفعل البشري ويجعل منه وريثاً طبيعياً للبلاغة الكلاسيكية، وهذا النهج ينطلق من واقع أن «المستمعين يقتسمون الكثير من المظاهر: أنسقة تصويرية، ممارسات اجتماعية، معارف مشتركة، أجناس خطابية، وكل مظهر لغوي مشترك، مثل التركيب والدلالة والمورفولوجيا والفيونومينولوجيا إذ البلاغة

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بن دحمان: بعض من مشاريع البلاغة المعرفية مارك ترنر نموذجاً، مجلة الخطاب، جامعة ابن خلدون تيارت، العدد 21، ص 118.

<sup>2</sup> - sam Browse: cognitive Rhetoric, john Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, page 18.

حسبه تسعى إلى تحليل كل هذه الأنسقة المعرفية لدى المستمعين والطرق التي يمكن استخدامها من خلالها»<sup>1</sup> فالمشروع البلاغي المعرفي له قابلية الانفتاح على الممكنات المعرفية ومعالجتها بطريقة تسمح بالوصول إلى ذهن المتلقي.

-ومما سبق يتبين البعد العلائقي في البلاغة المعرفية والنقد المعرفي في إمكانية استثمار مقومات البلاغة المعرفية والتحول من مقولة موت البلاغة إلى حياتها باستثمار منجزات الأطر الإدراكية في مقارنة النصوص من منظور النقد المعرفي.

### ث - النقد المعرفي وعلم النفس:

تمثل محور العلوم الإنسانية والاجتماعية في رسم موضوع مهم وأساسي وهو الإنسان باعتباره أساسا للوجود، إذ الأعمال الأدبية نتاج ذات مبدعة، تمحورت في قوقعة الأنا بصفقتها شيئاً مفكراً، واعياً، عاقلاً، مدركاً، يستدعيها روح السؤال العلمي والفلسفي، فيحدث فيها اهتزازاً يعزز عمق المشكل المطروح في بحث الإنسان عن ماهيته، وفي تفكيره، إذ القول هنا أن عملية الاكتساب تمثلت بالالتزام الأول في بعد بيولوجي، يؤسس للذات، يقول إدغار موران: «تصير الذات العارفة موضوعاً لمعرفتها مع بقائها ذاتاً في الوقت نفسه»<sup>2</sup>. لذا سيكون الطرح عن التحول الدينامي الذي أحدثه التحليل النفسي في بحثه الأولي الذي كان منصبا على دراسة الرغبات والحالات الشعورية بمنحى وظيفي تحليلي نحو طريق جديد تتداخل فيه المعرفة، تجعله يندرج ضمن نطاق العلم والمناهج المعرفية يقول فرويد «سيقر المستقبل أن قيمة التحليل النفسي كعلم تتفوق بشكل كبير على قيمته العلاجية»<sup>3</sup>، إن هذا المعطى المعرفي كفيل بالتغير الذي سيجعل من التحليل النفسي علماً قائماً بذاته، تكون المعرفة فيه محركاً ودافعاً للبحث الأولي في طبيعة الذات،

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بن دحمان: بعض من مشاريع البلاغة المعرفية مارك ترنر نموذجاً، ص 119.

<sup>2</sup> - إدغار موران: المنهج معرفة المعرفة، ترجمة يوسف تيس، أفريقيا الشرق، دط، 2013، المغرب، ص 34.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 135.

وفي تكوينها، «فالتحليل الأبيستمولوجي يهدف إلى الرجوع إلى جذور المعرفة الذي يعتمد على المعطيات النفسية وعلى البحث في نمو الشروط العقلي ليصل لغاياته»<sup>1</sup> إذ المعرفة لا تتم إلا «من قبل الفرد العارف، إذ ينبغي أن نتمركز من منظور **perspective** الفرد والتطلع التي يستخدمها في تكوين المعرفة»<sup>2</sup> فالبعد الفسيولوجي للإنسان يعتبر نمطا مهما للبحث في طبيعة المعرفة، فضلا عن البعد السيكولوجي، ليضيف "بياجيه" بعدا آخر تمثل في الجانب البيولوجي، الذي يوليه أهمية كبيرة، «عندما بحث في العوامل المساهمة في تطور الذكاء عند الإنسان بدءًا بعامل النضج البيولوجي»<sup>3</sup>، فكل هذه العوامل ساهمت التحليل النفسي في الابتعاد عن صورته الأولى، لينتقل نحو تصور آخر تتداخل فيه العمليات الفكرية، لذلك «فالتطورات التي عرفتها نظرية التحليل النفسي كانت خارج حدود مؤسسها الأول فرويد حيث اتجهت أكثر نحو تصور تكويني، إذ بدت أكثر إدراكا للتقاطع بين ما هو معرفي وما هو وجداني»<sup>4</sup>، فالاشتغال الإجرائي الذي مكن المعرفة من التداخل مع التحليل النفسي، كان يقوم على عمل «المنطق الذي كان ينظر للعمليات الفكرية من حيث هي عمليات تضغط عليها الأكسيومية، في حين أن علم النفس في فرعه الذي يدرس العمليات الفكرية يهتم بهذه العمليات من حيث هي واقعية وتجري حسب شروط لها علاقة بالحياة»<sup>5</sup> ويقول إدغار موران «نستطيع من الآن فصاعدا التسليم بأن الرغبات والمخاوف والاستيهامات تتسرب إلى الأفكار التي نعتقد أنها خالصة جدا، وأن نماذج عميقة تقولب دون علمنا رؤانا للعالم، وأن التجارب الأولية للطفولة الأولى تعدي في

<sup>1</sup> - محمد وقيدي: الإبيستمولوجيا التكوينية للعلوم، أفريقيا الشرق، د.ط، 2010، المغرب، ص225.

<sup>2</sup> - موريس شريل: التطور المعرفي عند بياجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1402هـ/1982م، بيروت، ص106.

<sup>3</sup> - محمد وقيدي: الإبيستمولوجيا التكوينية للعلوم، ص232.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص238.

<sup>5</sup> - جان بياجيه: الإبيستمولوجيا التكوينية، ترجمة السيد نفاذي، دار التكوين دمشق/دار العالم الثالث، 2004، القاهرة، ص240.



العمق علاقة المرء بالمعرفة»<sup>1</sup>. فالرغبات والأفكار مساوية للنفس والمعرفة، وما يكتسبه المرء من تجارب وخبرات سواء في المرحلة الطفولية أو غيرها يعزز تكوين المعرفة، فسلوك الإنسان الذي ناجم بالأساس عن تفاعله وتأثره وعلاقته بالحياة، يكون قوامه المنطق الذي يعزز فيه دافع الرغبة في التفكير وفي بناء ذاته، وهنا تبرز العلاقة بين علم النفس والمعرفة ويتحول إلى علم قائم بذاته تمثل في "علم النفس المعرفي"، الذي أبرز دورا كبيرا في جعل المعطى السيكولوجي يقوم على التفكير وعمل الدماغ بدل الحدس والتأمل، لذلك ظهر هذا الأخير في «ستينات القرن الماضي بعد تراجع أثر المدرسة السلوكية التي اعتقدت إمكانية دراسة السلوك من دون الحاجة إلى النظر في الحالات الذهنية الداخلية قبل الاستجابة»<sup>2</sup>، وهذا إشارة إلى أن ردة الفعل التي أدت لموت نظريات، أو صراع الأيديولوجيات الدوغماتيقية التي ترفض الاستفادة من أخطائها، كانت سببا رئيسا أيضا في ظهور هذا العلم.

لقد جاء علم النفس المعرفي «كأحد فروع علم النفس العام ليركز على محاولة فهم سلوك الإنسان من خلال محاولة فهم ما يجري داخل عقل الإنسان من عمليات مختلفة قبل حدوث الاستجابة ومحاولة فهم أسلوب تناول الإنسان للمعلومات وتكوين المعرفة»<sup>3</sup> ولقد تركزت اهتماماته على «المكونات التي تتعلق بالمعرفة و المتمثلة بالإدراك بالمصطلح النفسي perception المتمحور حول عمليات الكشف عن المثيرات الحسية وتفسيرها و العوامل المؤثرة فيه، ولاسيما أن الإشارات الحسية التي يتعرض لها الإنسان ليست محدودة بل متنوعة وواسعة، مما تتطلب تنظيما مستمرا وتفسيرا مرنا، وقد عمد علم النفس المعرفي إلى الأبحاث التجريبية للكشف عن هذه

<sup>1</sup> - ادغار موران، المنهج معرفة المعرفة، ص 137.

<sup>2</sup> - وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص 90، 89.

<sup>3</sup> - محمود خليف خضر الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 30.

العملية»<sup>1</sup>، فعلم النفس المعرفي هو إمكانية بحثية تتعلق بالعوارض التي تتحكم في ذهن وتفكير الإنسان عن طريق المثبرات التي تحدث له.

إن فلسفة المعرفة العامة في تداخلها بالسيكولوجيا قد طرحت العديد من الاستفهامات لبناء منهجية متكاملة، يكون التأويل العقلاني أساسها، للوصول نحو فكرة حقائقية، خاصة وأن الوصف السيكولوجي كان ينزع نحو تأويلي هذيان، يبتعد فيه الشيء المؤول عن الواقع ومن بين تلك الاستفهامات: كيف «تؤثر الميكانيزمات العصبية في النشاط العقلي المعرفي؟ وعلى أي نحو تتفاعل وتتكامل كل من العمليات العصبية والمعرفية خلال ممارسة النشاط العقلي لوظائفه؟ وما التكوينات المخية المسؤولة عن النشاط العقلي المعرفي؟»<sup>2</sup>، ومن هنا يمكن القول إن كل الفرضيات التي كانت متعلقة بالأنا، والذات في قضية انفصالها عن المعرفة، قد غيرت سبيلها وبنيت تصورا يستند لأننا وللذات العارفة في علاقتها بالعقل.

-التركيب العلائقي:

إن المكون الذي أسس لعلاقة النقد المعرفي بعلم النفس المعرفي هو مكون التفاعل الحياتي الناجم عن التجربة الذي يكون محتواه العمل الذهني، وبين تكون المعرفة عبر مراحل وميكانيزمات ينبغي البحث عنها ضمن شروط التساؤلات التي تجمع بين هذين المستويين، فإذا كان النقد المعرفي يسعى إلى تفسير علاقة الفرد بالعالم عن طريق تفعيل الوعي، فإن علم النفس المعرفي، يبحث في طبيعة السلوك البشري الذي يكون قوامه العمليات الفكرية الناتجة عن عمل الدماغ، وهنا نقول إن النقد المعرفي استفاد من معطيات علم النفس المعرفي في تفسير التجارب الإنسانية وبناء المعطيات المعرفية.

وأیضا «مادام فعل المعرفة بيولوجي، ودماعي وعقلي وعاطفي ولساني وثقافي واجتماعي وتاريخي فمن المستحيل فصل المعرفة عن الحياة البشرية والعلاقة

<sup>1</sup> - وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص 90.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 91.

الاجتماعية»<sup>1</sup> فالرابط المشترك هو المعرفة التي تعتمد على مبدأ إدراكي، يخصص لكل علم مزاياه، ومكوناته، ويسعى به نحو الارتقاء لبلوغ ذات عارفة، حولت معطيات تجاربها المادية نحو تجارب ذاتية، لتؤسس رابط هذه العلاقة.

### ج- النقد المعرفي وعلم الاجتماع:

إن التخاطب بين الحقول المعرفية، هو أساس الامتداد والتكوين، في بناء المعطيات، وتجسيد التصورات، ورسم الحدود الخطية التي تتقاطع فيها، وتتباعد ضمن شروط تحمل قواسم، تهيئ بها لهذا الامتداد والاستمداد.

فالتنظيم البيولوجي لعلم النفس المعرفي، خرج من رحمه علم اجتماع المعرفة واستفاد منه في إمكانية انفتاحها، وليبني به تصورا آخر يتجاوز به أحادية الذات، إلى دائرة مجتمعية، تنقلت فيها الأفكار من الأنا الشخصي نحو مجتمع يحمل عرقا وهوية، فالانتقال من «التفسير النفسي إلى التفسير الاجتماعي هو انتقال من النظر في سلوك الأنا إلى النظر في سلوك النحن وظهور النحن مشكلة ابستمولوجية جديدة»<sup>2</sup> لتتحول أسئلتنا البحثية نحو المعطيات الآتية: إلى أي مدى تستطيع الأفكار أن تتحول من البعد الأنوي إلى البعد الآخر؟ ما هي التدايعات التي كانت سبيلا وراء هذا التحول؟ وكيف يمكن للمعرفة أن تتوافق مع تنظيم اجتماعي تكون فيه مركز السلطة وما تحمله من مهيمنات ثقافية وعرقية ضابطا من ضوابطها؟ هل علم اجتماع المعرفة هو قفزة على الذات المعرفية، أم هو ضرورة انتقالية له؟

جاء علم اجتماع المعرفة نتيجة إشكالية عرفها العالم الغربي تمثل في تحول حدائي قلب موازين الرؤى والتصورات في الحياة المجتمعية التي كانت تعتمد مبدأ قديما في تصورهم، «فظهرت هذه العلاقة بناء على الإشكالية الاجتماعية التي أفرزتها التحولات

<sup>1</sup> -سمير بلكيف: ابستمولوجيا الإنسان في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة منيرفا، المجلد4، العدد2، جامعة خنشلة -الجزائر، ص183.

<sup>2</sup> - محمد وقيدي: الأبستمولوجيا التكوينية للعلوم، ص243.

الكبيرة في المجتمع الأوروبي من حيث الانتقال من نسق معرفي قديم غير عقلائي أو حدائوي إلى نسق فكري عقلائي حديث مما دعا إلى أن يكون المعالج والبحث عن العلاقة بين أساليب الفكر وأنماط الحياة الاجتماعية الحديثة»<sup>1</sup> فهذا التحول الذي كان قوامه تفعيل دور ملكة العقل في سيرورة وبناء الحياة أدى إلى نشوء هذه العلاقة التي ربطت المجتمع بالمعرفة، بعدما كان الرابط لاهوتيا يغلب عليه الجانب الدوغمائي.

إن التجاوزات التي رسمها علم اجتماع المعرفة في تخطيه للحواس والخروج من انغماسات الذات، وجعل حزامه الأول العقل، نحو إدراك يفوق به التماهيات التخيلية والاستثمارات الوجدانية التي جعلت الذات موقعا خطابيا مشكلا لها، قد فتح المعرفة نحو مدارات براغماتية «تجاوزت بها البعد الاجتماعي طامحة لاكتساب معايير موضوعية دقيقة كونية وجذرية»<sup>2</sup>، إذ التكوين المعرفي للبعد الاجتماعي يرتبط أساسا بالفكر، أي أن العلاقة حتمية تتطلب هذا التلازم، يقول بياجيه «علم الاجتماع كعلم بالظواهر المجتمعية يتضمن دراسة تطور الإنتاج الجماعي للمعارف وشروطه، فيساهم بذلك في دراسة شروط تكون المعرفة بما أن من بين تلك الشروط ما هو مجتمعي»<sup>3</sup> وأيضاً فإن المعرفة التي «تحرم نفسها من الفهم تشوه نفسها وتشوه طبيعة العالم الاجتماعي والأنثروبولوجي»<sup>4</sup> ومن هنا تكون الأبيستمولوجيا التكوينية في بحثها عن المعارف من ناحية كونها، تكون في حاجة إلى هذا الفرع، "علم الاجتماع المعرفي"

وعليه يعرف علم "اجتماع المعرفة" بأنه العلم الذي « يشغل على كل ما يحدث للمعرفة من حيث علاقتها الجدلية بالأنساق الاجتماعية الأخرى وبعملية المعرفة ذاتها وبالوعي ومظاهره و تجلياته في انبثاقه وتطوره وتأثيره و تأثره بالوجود الاجتماعي، كما يدرس أسباب الفكر واختلافها من مجتمع لآخر، ومن جماعة لأخرى داخل

1 - محمود خليف خضر الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 29.

2 - إدغار موران، المنهج ومعرفة المعرفة، ص 329.

3 - محمد وقيدي: الأبيستمولوجيا التكوينية للعلوم، ص 244.

4 - سمير بلكفيف: ابستمولوجيا الإنسان في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 177.

المجتمع الواحد في المرحلة التاريخية الواحدة»<sup>1</sup> ويعرف أيضا «بحث منهجي أبستمولوجي يهدف إلى تتبع العوامل التي تتحكم في تشكيل المعرفة الاجتماعية بكل أشكالها، سواء كانت علمية أو ما قبل علمية مثل الإيديولوجيات والمعتقدات ويحدد القوانين التي تتحكم في كل مظهر من مظاهر المعرفة الاجتماعية باعتبارها ظاهرة اجتماعية لا تبتعد عن فعالية المجتمع بقدر ما تبتعد عن الذات المفكرة المنعزلة عن كيانها الاجتماعي»<sup>2</sup> فالاشتغال الإدراكي الجامع بين المعرفة والمجتمع، مكن هذا العلم من الإحالة الى نسق معرفي آخر يمثل بنية فوقية على النسق الاجتماعي تسمح بالترباط في لحظات تكوينية مختلفة، لإنشاء مركزية كبرى تسمو بالفعل المعرفي نحو بلوغ ما يمكن أن يكون وراثيا أو متعاليا.

-التركيب العلائقي:

إن النقد المعرفي نقد يشتغل على جميع الخطابات الممكنة التي تكون من ضمنها النصوص الأدبية الخاضعة لتجارب حياتية يجسدها الكاتب في صورة محسوسة، لتلقي الضوء على الخلفيات التي بني عليها هذا النص، ومادامت التجربة هي القاسم المشترك الذي يقوم عليها "علم الاجتماع" في تفعيل دور وربط الإنسان بمحيطه الخارجي، وانفتاح رؤاه نحو تصورات العالم، فإن هذه التجربة ستتحوّل إلى تجربة مادية بتفاعل بيني يجمع المعرفة التي تحرك العقل والدماغ بأن يفهم في سياقات اجتماعية تعمل فيها الميكانيزمات المعرفية في بناء تصورات مسبقة، لتنشأ عن هذه العلاقة ما يسمى بنظرية "الجسدنة" *embodiment theory*

نظرية الجسدنة التي كانت نتاج هذا التفاعل أو العلاقة التي تقوم على ربط التجربة «بالتصور العقلي الذي يبني في جزء كبير منه على البيئة الاجتماعية والثقافية

<sup>1</sup> -محمود خليف خضير الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص31.

<sup>2</sup> - ناصر معارك: ابستمولوجيا علم الاجتماع المعرفي عند كارل مانهايم، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد13-2017، جامعة قسنطينة، ص495.

التي تؤثر في التجربة الاجتماعية في جماعة مخصوصة»<sup>1</sup> وما دام النقد المعرفي يستفيد من جميع العلوم المعرفية، فإن علم اجتماع المعرفة فتح آفاقا اشتغالية، استثمرها النقد المعرفي باستلهامه مصطلحات معرفية أولية يقوم بها هذا الترابط (كالعقلية الذهنية *mentalite*، والبيئة المعرفية *milieu cognitif*، والتجريد الفكري *Accommodation*) وغيرها من المصطلحات التي تجمع بين الحقل الاجتماعي والمعرفي.

كذلك إن الترابطات التي جسدها العلوم المعرفية في جعل كل ما تم انتاجه من عمل الذهن البشري، وتمثيلها في بعد اسقاطي ينزاح على تجارب منتجة للمعرفة قد استفاد منها أيضا النقد المعرفي في مقارنته لظواهر نصية موحية بتمثلات فكرية تحمل هما ووعيا، وتطرح مشكلات، يسعى فيها هذا الأخير صوب معالجتها.

إن التمثلات الفكرية التي تكون تصوراتها مبنية على علم الاجتماع والإبستمولوجيا، تؤسس حلقة اشتغالية تجمع بين رابط ثلاثي، كل واحد يستدعي الآخر لصناعة خطاب، يستفيد ويشغل عليه النقد المعرفي ولقد حددها "إدغار موران" صاحب الفكر المركب الذي يقول «علم اجتماع المعرفة يتوقف على العلمية (قصد التوفر على وسائل لتحقيق الموضوعية) التي تتوقف بدورها على علم اجتماع المعرفة (قصد معرفة تحديداتها وتبعياتها الاجتماعية والثقافية)؛ إنه يتوقف على اللحظة الإبستمولوجية (من أجل تحقيق معايير للحقيقة)؛ وتتوقف الإبستمولوجيا ذاتها على علم اجتماع المعرفة لأنه في حاجة إلى وضع ذاته في الأزمنة والأمكنة الاجتماعية والثقافية كي ينظر في ذاته»<sup>2</sup> وما بين هذا العمل الثلاثي، فإن النقد المعرفي سيستفيد من ثلاث جوانب، جانب بلوغ الحقيقة التي سعت إليها الإبستمولوجيا، وجانب أداتي وهو العلمية، وجانب اجتماعي يعرفنا بطبيعة الأنساق الاجتماعية في بعد معرفي.

<sup>1</sup> -وحيد صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص97.

<sup>2</sup> -إدغار موران: المنهج ومعرفة المعرفة، ص330.

### ح- النقد المعرفي والنقد الثقافي

#### من النقد الثقافي إلى النقد المعرفي:

تتسم العلاقة المعرفية بين النقد الثقافي والنقد المعرفي، من زوايا متعددة، لعل أبرزها هو فعل الحوارية التي تحدث عنها "محمد سالم سعد الله" حين اختار النقد المعرفي ليكون محاورا للنقد الثقافي، على عكس النظريات المعرفية الأخرى التي جسد معها علاقة براغماتية، استفاد من نتائج طروحاتها العلمية المعرفية في توظيف منجزاتها المنهجية على الظواهر النصية، ولا ريب في أن يكون فعل الحوارية، هو فعل التجسيد العياني للنقد المعرفي لاسيما وأن هذا الأخير قد جاء كردة فعل على النقد الثقافي، ليس من أجل تنويبه، ولكن لتصحيح مسالكه المتعثرة التي أفضت به إلى أن يعلن عن موت النقد الأدبي.

إن المساءلات النقدية التي ابتلي بها العقل المعاصر، في ظل عولمة حملت معها تيارات معرفية ثقافية، قد مثلت موجة عارمة على نظريات ونقود، كان النقد الأدبي عرضة أولى لها، أدت به إلى أن يهشم وتقوض معالمه وإرثه التاريخي، بمجرد ما إن حضر النقد الثقافي بطروحاته الداعية إلى دراسة الأنساق الثقافية، نحو تعددية معرفية تخرج من إطار الصوت الواحد الذي هيمن على النقد الأدبي، وجعلت أفق الناقد تنحصر في رؤى تملئها الدلالات النصية ذات البعد الضيق.

لذلك سيكون الطرح متعلقا بأزمات النقد الثقافي والتي عجلت بميلاد النقد المعرفي، وما سيتشكل بينهما من علاقات.

#### -أزمة منهج:

إن خطابات "الما بعد" قد رسمت حدودا مفتوحة على مقاربة النص الأدبي، ونقلته من معالم نصية إلى عوالم سياقية ثقافية، أغنت القارئ بامتلاكه سلطة إنتاجية معرفية، يقوم بتسويق تبعاتها من (اللغة، المعنى)، انطلاقا مما يقوم به من تأويلات، فتجددت

بذلك أنماط الخطابات، وانفتحت طبقا لمعطيات المؤسسات الثقافية، فكان النقد الثقافي كأول منجز أفرزته العولمة يحمل سلاح الثقافة ليتأهب به صوب النص، مقوضا النقد الأدبي وداعيا إلى تسريحه.

إن كل تقويض معرفي لابد أن تكون له مؤهلات منهجية ومعرفية وصوت علمي نقدي يضمن بقاءه على حساب المقوض (بفتح الواو)، لكن النقد الثقافي غابت مؤهلاته التي تعرف بهويته أو طبيعته مما دفع إلى طرح التساؤلات الآتية: هل النقد الثقافي منهج؟ أم نظرية؟ أم «أنساق متدربة لها ميول نقدية تسعى جاهدة للنهوض على أكتاف ميادين متنوعة»<sup>1</sup> وهل يمكن الحديث عن إفلاس منهج نقدي معين من قبل نظرية أو فاعلية؟ هل نعتبره مهيمنا منهجيا أم فكريا أم نقديا؟

لقد تعرض النقد الثقافي للمساءلة النقدية ؛ أولا لافتقاره للأداة الفلسفية للخطاب التي تضمن بقاءه، وثانيا لأن الخطاب بوصفه مسؤولية نقدية أو مشروعاً نقدياً يجب أن يبين أن «أهمية المنهج النقدي الذي يكتسي أسساً علمية للاشتغال وأدوات وآليات تنطلق من فكرة ومعرفة وجذر ممتد في المعطى الفلسفي»<sup>2</sup>، فمقاربات النقد الثقافي للخطابات لم تضبط بمحددات ترسم بها أسلوباً نقدياً أو منهجاً، لأن المنهج يشكل «تنظيماً فكرياً كاشفاً لمسارات العمل الإبداعي، ويمنح تصورات معيارية للفواعل المنتجة والبنائية للتشكلات النصية»<sup>3</sup> لذلك «لم يرق النقد الثقافي بعد إلى أن يتحول من مرحلة العطاء الفني إلى مرحلة الاستقرار المنهجي لأن المنهج طريقة في التفكير العلمي يستند إلى مجموعة آليات التحليل والكشف ويلجأ إلى صيغ معرفية اصطلاحية

1 - محمد سالم سعد الله: الخطاب بوصفه مسؤولية نقدية، مجلة المأمون، العدد الرابع، السنة السابعة، 2011، كلية الآداب-جامعة الموصل، ص 20.

2 - محمد سالم سعد الله: مدرسة النقد الأدبي العراقي. مشروع لم يكتمل، مجلة المأمون، العدد الأول، السنة التاسعة 2013، بغداد، ص 57.

3 - فليح مضحي السامرائي: فضاء الرؤية وآليات المنهج "الجمالي والثقافي" في خطاب محمد صابر عبيد النقدي، شاه علم ، ط 1، 2015م، ماليزيا، ص 77.



تؤسس مسيرته»<sup>1</sup>، فهذا الخروج من الدائرة المنهجية أدخله في دائرة استقهامية أخرى تدرجه ضمن النظرية.

إن أزمة المنهج قد عرضته لكثير من الإحباطات المعرفية، جعلته حتى يخرج من دائرة النظرية، ليبحث عن رابط معرفي آخر يضمن به بقاءه، لعل آخرها أنه اعتبر نشاطاً أو فاعلية، لذلك لا يمكن «عد النقد الثقافي نظرية في تحليل النصوص لأنه لم يلجأ إلى صيغ المختبرية الافتراضية التي تؤسس ميدانه النظري»<sup>2</sup>، وهنا نقول إن الأزمة الأولى التي مر بها النقد الثقافي، عرقلت مساره التحليلي، وفتحت جملة من الاستقهامات، جعلت كل ناقد يؤولها وفق منطلقه الأيديولوجي.

### -أزمة غاية:

كانت غاية النقد الثقافي هي تقويض النقد الأدبي، وإبعاده عن الساحة النقدية، لسبب وهو عدم قدرة هذا الأخير على جعل القارئ يفتح على السياقات الثقافية التي توسع من مداركته في التحليل وتعزز من آفاه الرؤيوية، فقام بالتوسل بجماليات النقد الأدبي بحثاً عن أنساق ثقافية، محولاً بذلك الثقافة إلى جمال.

غير أن سيرورة النقد الأدبي باعتباره أولاً منهجاً، وثانياً باعتبار تاريخيته، وثالثاً باعتبار جمالياته، أفضت بالنقد الثقافي إلى وقوعه في أزمة أخرى تمثلت في الغاية التقويضية التي سعى إليها، فالجماليات هي من حفظت قوام النقد الأدبي باعتباره نصاً إبداعياً، والتاريخية التي تمتع بها (النقد الأدبي) امتدت إلى العصور القديمة وإلى جذور "أفلاطون وأرسطو"، ومنهجيته كانت سبيلاً للولوج في أعماق نصوص تخبيء من دلالات ما يزيد شغف القارئ للبحث فيها، فنثري من معارفه. لذلك تنبه النقاد لهذا الخلل المعرفي، فتوالت دراساتهم التي حاولت التوفيق بين ما يمتلكه النقد الأدبي وما يدعو إليه النقد

<sup>1</sup> -محمد سالم سعد الله: النقد الثقافي أزمة منهج أم محنة عمل، مجلة المأمون، العدد الأول، السنة الثامنة 2012، ص 29.

<sup>2</sup> -محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 6.

الثقافي، كدراسة الناقد "سمير خليل" و"محمود خليل الحياي" بدراسة الحياي الموسومة بالنقد الثقافي الجمالي، حيث سعى من خلالها إلى التوفيق بين الثقافة والجمال، محولا الثقافة إلى معيار جمالي بدلا من كون الجمال معيارا ثقافيا حيث يقول: «وبذلك يكون النقد الثقافي الجمالي هو عملية اكتشاف أو تجل معرفي يبحث عن ماهية ومثالية الشيء الثقافي في العمل الإبداعي بعيدا عن غرضيته ونفعيته»<sup>1</sup>، وبهذا يمكن القول إن هناك تأسيسا لنظرية جديدة في النقد الأدبي تعمل على إعادة الاعتبار وتحقيق التوازن بين الثقافة والجمال.

### -أزمة معرفية:

إن نتائج الأسمم النقدية ستظل نتائج نسبية تتطلب من يكملها، أو يدققها أو يدحضها بإتيان البديل، لأن المعرفة حياة، ولا تزول إلا بزوال العقل المفكر (الإنسان)، وكل جديد على الساحة النقدية يأتي محملا بما يخدم غرض نفعيته، دون النظر فيما قد يهمله، أو يبعده بوعي أو دون وعي، ولما كان النقد الثقافي نقدا ذا جانب بحثي أحادي، يفتقر لجانب التعميم النصي، نقد يركز كل اهتماماته على نسقية النص بعيدا عن هويته وما يمكن أن يحمله خلافا لهذا المضمرة الذي جعله مركزا دون مركزه، كانت الأزمة المعرفية التي أوقعه في سيل من التساؤلات، من بينها: أين تموقعت تشكلات الخطاب النقدي بما يحمله من ذاتية النص وطبيعته، الناقد وتحيزه، ذاتية المبدع وواقعيته؟ فالنص بحكمه إبداعا هو وليد ثنائيات أسهمت في إنتاجه «حددها عياد في (النص بين التراث والمعاصرة، وبين الوحدة والتعدد، وبين المحاكاة والاختراع)، والحديث عن تلك الثنائيات هو حديث عن فلسفة النص التي توحى وستحوي بطبيعة الحال إلى ما قبل وما بعد،

<sup>1</sup> -محمود خليل الحياي: النقد الثقافي الجمالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، الأردن، ص110.

القبلية ستتجلى في المبدع والبعديّة تتجلى في الناقد»<sup>1</sup> فالمضمر الثقافي لن يستطيع الإلمام بكل هذه الجوانب المعرفية، يقول "محمد سالم سعد الله" «إن خصوصية النقد الأدبي تكمن في قراءة النص، في حين تكمن خصوصية النقد الثقافي في قراءة النسق»<sup>2</sup>، وما بين النص والنسق بعد أيديولوجي لا يتم الإلمام بهما بالآل بالنقد المعرفي.

كذلك تمثلت الأزمة المعرفية الثانية، في البعد الزمني للنقد الثقافي، لأن فكرة المابعديات هي من افرازات العولمة التي ضخت منتوجا أبستمولوجيا تكون فيه سطوة الثقافة، سطوة لاعقلانية، تفرز تداعياتها في الخطابات وتغمسها بدعوى الإضافة المعرفية، والإلمام النقصي الذي خلفته الحداثة، وبما أن العقل الغربي عقل بدائي في المعرفة، أو عقل يتبنى مبدأ الاستبداد الأيديولوجي فإن «بعض المفكرين يتحدثون الآن عن مرحلة ما بعد العولمة، مما يعطينا شرعية معرفية في الحديث عن مستقبل النقد الثقافي ما بعد انهيار العولمة، أو الحديث عن مرحلة ما بعد النقد الثقافي»<sup>3</sup> فهذه الأزمت الثلاث كانت كافية لإعادة التساؤل حول النقد الثقافي، والبحث عن بديل منهجي ومعرفي جديد، يتناول بالدراسة ما هو معرفي في النص برؤية جديدة، تتخذ الجمالي مادة للكشف عما هو معرفي، ولا تقول بموت هذا الحقل الأدبي أو ذاك، وإنما تستلهم من كل الحقول المعرفية، والرؤى المنهجية مادة لبناء تصور جديد للنقد، وبذلك تتشكل بين النقد الثقافي والنقد المعرفي علاقة حيوية ولنسميها بالعلاقة الترميمية ( ترميم النقد المعرفي للنقد الثقافي، وجعل منظومة المعرفة المهيمنة تتحول لمنظومة حاضنة).

### -التركيب العلائقي:

إن فكرة العلاقة ستبنى من عدة مبادئ، لعل أولها سيكون:

<sup>1</sup> -محمد سالم سعد الله: منعطفات النص "دراسة في معطيات شكري عياد الأسلوبية والنقدية" مجلة الموقف الثقافي، العدد 41، أيلول-تشرين الأول، السنة السابعة 2002، كلية الآداب، جامعة الموصل، ص104.

<sup>2</sup> -محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص6.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص5.

-مبدأ الثقافة:

إن هذا المفهوم «واسع وفضفاض، يصعب تحديده بدقة، نظرا لانفتاحه على مجالات عديدة ومختلفة»<sup>1</sup>، وبما أن هذا الانفتاح هو الرابط المشترك بين النقد الثقافي والنقد المعرفي، ذلك أن النقد الثقافي نقد استعاري «يؤدي وظيفته من خلال الاستعارة من مختلف المعرفة مثل: علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، علم النفس، اللغويات اللسانيات، النقد الأدبي، نظرية الفن، الفلسفة، العلوم السياسية، علوم الاتصال وغيرها»<sup>2</sup> كان هذا مطية لبناء جسر ترابطي مع النقد المعرفي الذي يدعى بنقد الشمولية، وكفيل بنا أن نقول أن مصطلح الشمولية معادل لمصطلح الثقافة، الذي أدى به إلى استيعاب الحقول والنظريات النقدية، فالأول استعاري، والثاني استيعابي، وما بينهما يكون الفكر والمعرفة.

-مبدأ التداخل:

سيكون مبدأ التداخل فكرة ضدية ولكنه علائقية في الوقت نفسه، ضدية من حيث مبدأ الاستقلالية التي تمتع بها النقد المعرفي باعتباره منهجا، ولم يحظ بها النقد الثقافي، وعلائقية من جانب أن التداخل هو المرتكز الجامع بين الاثنين، «فالنقد الثقافي ليس حقلا معرفيا مستقلا بل يبدو حقلا ينشأ عن تداخل الحقول الأخرى»<sup>3</sup> ولأن طبيعته «ترفض أحادية الحقول المعرفية المنفصلة»<sup>4</sup>، أدى به لافتقار الأداة المنهجية، أما النقد المعرفي فهو منهج «وممكنات ومعطيات وتقنيات وآليات وسلوكيات معرفية نراها

1 - محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف، ص 304

2 - المرجع نفسه، ص 304.305.

3 -أنغ، إين: النقد الثقافي وتداخل الحقول المعرفية الآن، ترجمة عطار د حيدر، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب للنشر، المجلد 34، العدد 138 (31مارس/آذار 2009)، ص 60.

4 -المرجع نفسه، ص 57.

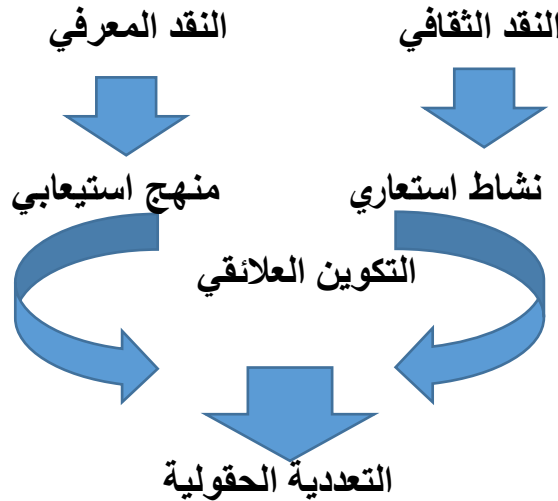
## الفصل الثاني: النقد المعرفي بين الإنتاج والاستقبال

مناسبة لعصر انهارت معد حدود الأجناس وبان فيه التداخل المعرفي بين العلوم»<sup>1</sup>، فالتعددية الحقلية هي جماع الطرفين، والرابط المشترك الذي يوصل إلى صيغ معرفية كثيرة تضيئ وعي القارئ، وتمنح استراتيجية قرائية متفتحة.

### -المبدأ الإجرائي:

يسعى كل من النقد الثقافي والنقد المعرفي لاستراتيجية إجرائية تمثلت في البحث عن الجانب المضمّر والمسكوت عنه، والخفي في النصوص، فالنقد الثقافي نقد «يقرأ الأنساق المكبوتة داخل الأدب القومي الواحد ويقرأ النصوص الثقافية، داخل الثقافة الواحدة»<sup>2</sup> والنقد المعرفي نقد يبحث في «ما وراء الظواهر النصية وليس في الظاهرة نفسها وفي ذلك يسعى لقراءة المستور عنه والتنقيب عن خفايا القصد من النص»<sup>3</sup>، فمهمة النقادين تصل لهدف معين «النسق المضمّر/المعرفة»<sup>4</sup>، إلا أن الأول يتجاوز

الجماليات، والثاني ينطلق منها، وصولاً إلى المعرفي



### الشكل 3 حدود التلاقي والاختلاف بين النقد الثقافي والنقد المعرفي

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص3.

<sup>2</sup> - محمد عز الدين المناصرة: النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر، ط1، 2005، الأردن، ص229

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص3

<sup>4</sup> - محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف، ص315.

### خ- النقد المعرفي والنقد الأدبي:

إن المعالجة الفكرية لهاذين النقادين من باب العلاقة، تستوجب الانتقال المبدئي من (الواو العلائقي نحو إلى الانتقالي)، أي من النقد الأدبي إلى النقد المعرفي، هناك مسيرة معرفية لها مخاضها الفلسفي، الذي أدى إلى هذا التحول؛ تحول في طبيعة الممارسة، وتحول في أداة الخطاب، وتحول في المعرفة المسلطة على النص، وما بين هذه التحولات طرحت تساؤلات كثيرة، تتعلق بميدان النقد الأدبي، من حيث خصائصه الكلاسيكية التي تم نمذجتها إلى خصائص حدائية، ومن الحدائي، إلى تصور إنتاجي مابعد حدائي قلوب محطات ثقافية، فكرية معرفية، تنازلت فيها سلطة الجماليات لفترة وجيزة إثر هيمنة المؤسسات الثقافية التي كان من بينها النقد الثقافي، لتعود وتبرز فعاليتها بظهور النقد المعرفي.

وجب توضيح فكرة رئيسية تتعلق بالمؤسسة النقدية قبل فترة ما بعد البنيوية، التي كانت تدعي أن النقد الأدبي نقد يفتقر لعنصر المعرفة، لأنه كان نقدا يخضع لمبدأ الذوق الفني، ويبحث في الجماليات، لتحقيق عنصر اللذة لأن طابع النص الأدبي ذو منحى خيالي فكيف للمعرفة أن تحضر فيه؟

نقول إن المناهج النقدية تبنت «أسلوبا نقديا يتوجه بشكل أساس لتوظيف الدلالة الفكرية والعقدية والثقافية المتعلقة بخارجيات النص من ( ناص، وظروف سياسية، وأجواء نفسية، وإسقاطات واقعية ونظريات اجتماعية، أحداث تاريخية) وتضفي هذه الدلالات تنظيما معرفيا على سلوكيات القراءة، وتحدد الصيغ العلمية للتلقي»<sup>1</sup>، بمعنى أن المعرفة في ميدان النقد الأدبي لم تكن غائبة تماما، وإنما كانت معرفة جزئية تتعلق بمقتضيات براغماتية تفرضها طبيعة الخطاب ذو الأبعاد الدلالية المغلفة بغلاف جمالي، يختزن أبعادا معرفية، تتطلب الكشف عنها.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مناهج ما قبل البنيوية مسيرة معرفية، مجلة المأمون، العدد الثاني/السنة

والتساؤل المطروح: هل يمكن أن تتحول القيمة الجمالية لقيمة معرفية؟ وما هي طبيعة المعرفة الموجودة في النص الأدبي؟ هل هي معرفة تثير إشكالات تحرك بها عمل الدماغ والعقل للوصول إلى حقيقة كما يفعل النقد المعرفي؟ أم هي معرفة تتأرجح بين ما هو خيالي وما هو واقعي؟ هل نستطيع نمذجة عناصر الأدب وفق أطر إدراكية نقدية؟ «ماذا يعني المعنى في الأدب من منظور إدراكي وما هي التنظيمات الإدراكية الكامنة وراء التنظيمات النصية»<sup>1</sup> فالتساؤل الأول يدفعنا إلى العودة إلى مبدأ أن الأدب ظاهرة إنسانية، ذلك أن الظواهر والمركبات في الفعل الإنتاجي للنص الإبداعي، هي من صنع الإنسان، ولو عدنا إلى فعل التأمل للبرهنة على هذا القول، نقول إن هذا الأخير قد تحول مسار البحث فيه من البحث الظاهراتي من الفضاء الكوني والطبيعي المحيط بالإنسان إلى الإنسان ذاته فهو مصدر المعرفة وموضوعها، فصار هناك «مصدر آخر للمعرفة هو الإنسان نفسه، أو نفس الإنسان»<sup>2</sup>، ولكن هذا التفكير في ماهية التركيبية البشرية لمعرفة حقائقها كان يعوزه أيضا العنصر الإبداعي، لأن الإبداع هو المحرك الوظيفي في الخلق والابتكار وتجسيد إمكانات معبرة بصيغ مختلفة يثبت بها وجوديته التي أراد البحث عنها.

ولما وجد التزاوج بين العقل والإبداع في الظاهرة الأدبية، تحولت بؤر البحث، من المركز المهيمن (العقل)، إلى الوسيلة (الإبداع)، لمعرفة محركاته، والعوامل التي جعلت منظومته التركيبية (فكر + عقل + إبداع) تحفز على هذا الإبداع، فكانت الإشكالية المتفرعة من التساؤل الأول بدت تنحو منحى علائقية طبيعته كآلاتي: «إن بين الإبداع والمعرفة جدلا لا ينتهي»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محيي الدين محسب: الإدراكيات التأسيس المعاصر لعملية النقد الأدبي، مجلة علامات، العدد 76، شوال 1434هـ - 1 أغسطس 2013، ص 38.

<sup>2</sup> - عزالدين إسماعيل: أما قبل، مجلة فصول في النقد الأدبي المجلد السادس، العدد الثالث 5 أبريل /مايو/يونيو 1987، القاهرة، ص 4.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 4.

إن الحديث عن القيمة الجمالية في جدل تحولها إلى قيمة معرفية يعود بنا إلى الجدل المعرفي بين "تيري أنجلتون" و"بيتر فوللر" حول طبيعة هذه القيمة، ومن ثم إلى دخول هذا المعطى التأسيسي للنقد الأدبي (الجمالية)، إلى دائرة علم الجمال، وإلى فلسفته التي تم تعديلها «عند أرسطو الذي حاول أن يمنطق الفن على أساس رؤيته إلى الشعر بأنه فرع من فروع المنطق والذي على ضوءه حددت بداية مهمة الشعر المعرفية التي أهلتها لها طبيعته الخاصة التي تترد إلى القوة النفسانية المسؤولة عن إبداعه»<sup>1</sup>، لذلك طرحت الكثير من المسائل ذات الطبيعة الاستفهامية حول مصير القيمة الجمالية: هل ستتحول إلى قيمة معرفية مادام الإنسان بؤرة التفكير في العملية الإبداعية؟، ليتجدد مسار آخر يؤول طبيعة هذا السؤال من التفلسف إلى عمق الفلسفة يمكن صياغته كآتي: «هل الخبرة الجمالية سواء كانت خبرة مبدع أو متذوق تعد خبرة قيم معرفية أم خبرة قيم وجدانية شعورية»<sup>2</sup> وقد وضع "شوماخر" تصوره في ذلك قائلاً «إن الخبرة الجمالية بالعمل الفني والأدبي عندها تحدث تحت مستوى الوعي العقلاني أي تحت مستوى الفكر والمعرفة، فهي خبرة وعي بحس وشعور وليست خبرة وعي يعقل موضوعه»<sup>3</sup> وهنا رجوع إلى حكم الذوق وفاعليته في تغليب الحس والشعور على العقل والمعرفة.

هناك تحول براغماتي في سيرورة المعرفة من التصور العقلي نحو التصور الشعوري، فأصبحت «المعرفة بالشعور نفسه ترى موضوعها في الجانب الوجداني للعالم وعلى هذا النحو تم إبقاء على أولوية الشعور في الخبرة الجمالية دون إلغاء دور المعرفة فيها»<sup>4</sup>، إذن فالمعرفة الموجودة في النص الأدبي والتي يحاول النقد الكشف

<sup>1</sup> -فرناندو لاثاروكاريتير: الوظيفة الأدبية والشعر الحر، ترجمة محمود السيد علي محمود، مجلة فصول في النقد الأدبي، ص51.

<sup>2</sup> -سعيد توفيق: القيمة المعرفية لأدب، مجلة فصول في النقد الأدبي، ص25.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص25.

<sup>4</sup> - عز الدين إسماعيل: هذا العدد، مجلة فصول في النقد الأدبي، ص6.



عنها هي معرفة شعورية تنطلق من الوعي العقلاني المبطن ليحركها الحس الشعوري، لتصل إلى مرحلة توائم فيها بين العقل والشعور، على أن تجعل الأفضلية والغلبة للشعور، وبالتالي نصل إلى الإجابة عن التساؤل الثاني: فنقول بأن المعرفة في النقد الأدبي تختلف عن المعرفة في النقد المعرفي، إذ الأول ذو طبيعة وجدانية، يحركه الحس والشعور والثاني ذو طبيعة إدراكية يروم إلى تفعيل دور العقل وصولاً إلى معرفة حقيقية توائم الواقع، وبالتالي «فالتحول الإدراكي في الدراسات الإنسانية هو مظهر لتحول إدراكي أكثر شمولاً يأخذ مكانه في الدراسات المعاصرة للكائنات البشرية لأنها تتفاعل مع علم الأعصاب الإدراكي وقد تبدو أنها غير مألوفة لدارسي الدراسات الإنسانية ولكنها في الحقيقة تستقي من محتواها»<sup>1</sup>، وعليه نطرح التساؤل الآخر: هل نستطيع نمذجة عناصر الأدب وفق أطر إدراكي نقدي؟

إن هذا التساؤل مهم وضروري في عملية الانتقال المعرفي، خاصة وأننا نبحث عن جدلية مهمة هي الإبداع والمعرفة، النقد الأدبي والنقد المعرفي، ففعل النمذجة هو فعل تحولي، يسعى إلى جعل ما تم الوقوف عنده كمبدأ تأسيسي في الظاهرة، وتحويله إلى مبادئ الظاهرة الفاعلة، لخلق نقاط تشارك وتجسيد علاقة ليونية تجمع بين المتناقضين، بدلاً من التفريق بينهما، لذلك بات من الضروري أن يتعامل «النقد العربي المعاصر مع وعي الظاهرة النقدية وليس مع الظاهرة النقدية نفسها، لأن الأول يطرح طرائق يطرح طرائق العقلنة في خصوصية الصيغ المستدعاة في حين يقدم الثاني جاهزية المشروع الغربي»<sup>2</sup> أي أن تفعيل الوعي في الظاهرة النقدية يمنح فرصة إنتاجية تكون من ضمن ملكيات النقد العربي المعاصر، فجل الدراسات التي تعاملت مع الظواهر الأدبية، كانت تسلم دائماً بقديسية الطرح الغربي، فنتماشى مع معطياته، دون أن تقدم بديلاً معرفياً، يجسد الوعي النقدي الذي تم إغفاله. وأيضاً يمكن القول بأن «العمل

<sup>1</sup> - قيرداسدونك: مفاهيم الأدب بوصفها أطراً للإدراك، ترجمة حسم البنا عز الدين، مجلة فصول في النقد الأدبي ص 28.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 218.

الإبداعي كان عملاقاً على أساس اللاشعور أو اللاوعي والعاطفة، فمقارنته النقدية احتاجت إلى عقل واع يحاول أن يميز اللعبة، أو العبثية، أو الفوضى اللغوية التي تشكلت في اللاوعي لكي تخاطب عواطف الناقد وعقله عن طريق الانزياح، والتقويض اللغوي الذي أطلق عليه كذبة شعرية بعيدة عن الواقع، فكذبة الشعر (أجمل الشعر أكذبه) احتاجت إلى عمل نقدي يكشف عن معايير لغوية وأخلاقية وجمالية تنمهي مع الذوق العام لمفهوم الجمال اللغوي»<sup>1</sup>. لذلك جاء النقد المعرفي بموجته العقلية متجهاً نحو النقد الأدبي بادئاً بالمناهج السياقية، إلى المناهج النصية، إلى المناهج ما بعد النصية، ليرفع راية العقل، وذلك من خلال حفريات التي جسدت معطى أيديولوجيا، جديداً يتعامل مع الظاهرة الأدبية من جوانب مختلفة تصل إلى الحقيقة التي تم إغفالها بسبب الذوق والعاطفة، لقد جاء النقد المعرفي ليقول بأن المعرفة والعقل والإدراك منطلقات موجودة ولكن تم تغييبها بسبب موجات سطو الجمال، فمسلكه الجديد بين بأن المناهج ما قبل البنيوية قد عرفت «تغيرات معرفية جعلت من المعطى النقدي بدائل آنية مؤقتة تتعامل مع الدلالة المحيطة بالنص وليس مع النص نفسه وتستجيب بشكل مباشر لا يعرف التريث للاستجابات الفردية بعيداً عن فرص اقتناص الدلالة وفض المعنى»<sup>2</sup> هناك معرفة شعورية ستلبس ثوب معرفة إدراكية، وتتنازل عن إمبراطوريتها الشاعرية أثناء تفعيل العقل، وتعود لها أثناء تغليف النص بعنصر الجمالية.

إن هذه المعرفة ستشكل سلطة تُحول فيها الأنظمة اللغوية، ومعجمية الدلالة، وحركية الدوال، وتمرد القول الشعري، إلى منظومة وبناء فكري، يستدعي بذلك سؤالاً مهماً: إذا كانت الشاعرية ستسلك مسار معرفياً، فأين سيكون مصير الإبداع المولد للنص الأدبي؟

<sup>1</sup> -محمود خليف خضير الحياني: النقد الثقافي الجمالي، ص15.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مناهج ما قبل البنيوية مسيرة معرفية، مجلة المأمون، ص17.

فنعود إلى جوهر النقد المعرفي، وإلى رؤيته التكاملية، التي تدعو إلى خلق التوازن بين المعارف بدلا من إقصائها، كنقد يوظف لسير المناهج والنتائج النقدية المعرفية، ليبنى معها علاقات، لا توحى بالتناقض بقدر ما توحى بالاحتواء والاستقرار المنهجي، نقد يسعى للنشوء والارتقاء في عالم نقدي كان يؤمن بالتحيز المنهجي، نقد يسعى إلى الكشف عن تداعيات الذات وتمثلاتها الفكرية في مختلف الدوائر النصية (الداخل +الخارج) تتداخل فيها الفلسفة مع المعطى الأيديولوجي، مع الداعي السياقي، مع حيوية اللغة الشعرية، وأخيرا مع العقل وصولا إلى معنى كلي، لذلك انطلق النقد المعرفي من الفني ليصل إلى المعرفي عن طريق منهجية خاصة، تدعى «بالزواج الإبستمولوجي Epistemic mariag أي (بين الإدراكيات والدراسات الأدبية)»<sup>1</sup>، لقد تم الانطلاق من عناصر الظاهرة الأدبية التي يحاول النقد الأدبي الكشف عنها، إلى نقد معرفي، تأسست بموجبه مصطلحات ومفاهيم علمية جديدة، تؤدي وظيفة إدراكية، تخضع لإرادة العقل من أجل أن يستوعب الواقع، ومن بين هذه النتائج المفاهيمية التي جسدها هذا التكامل المعرفي: الشعرية الإدراكية، الاستعارة الإدراكية، التأويلية الإدراكية .

تقوم الشعرية الإدراكية على الاستعارة الإدراكية أو المفهومية، لتتأسس الظاهرة الأدبية، فتكون التأويلية الإدراكية عنصرا كاشفا عن المعنى، وتعددية الدلالة وفق منطق إدراكي.

### - الشعرية الإدراكية poetic cognitive "

لقد أخذت الشعرية الإدراكية منطلقاتها وأسسها من اللسانيات الإدراكية والنقد الأدبي، فهي امتداد معرفي لهما، أخذت من اللسانيات؛ العمليات اللغوية، ومن النقد الأدبي حلة الإبداع، فأصبحت ازدواجية الفعل، «تقوم بعملية تفسير العمليات اللغوية التي تساهم في بناء النص الأدبي، والعمليات اللغوية في العقل البشري وتزودنا بإقامة

<sup>1</sup>-محيي الدين محسب: الإدراكيات التأسيس المعاصر لعملية النقد الأدبي، ص39.

الصلة بين الحقلين المعرفين»<sup>1</sup> إن الشعريات الإدراكية كانت لها امتدادات سريرية سابقة، قبل دراسة "بيترستوكويل" في كتابه (مقدمة في النقد الشعري المعرفي)، إذ نجد أن أول من استخدم هذا المصطلح كان مع "ريوفان تسير" «الذي وصف هذه المقاربة المنهجية في مجال الشعر»<sup>2</sup>، ثم أخذت تتطور وتأخذ من الحقول المنهجية الأخرى ما يدعم منطلقاتها، حتى أصبحت كيانا معرفيا قائما بذاته، وإن مصطلح الإدراك لن يحجب عمليات التأويل في بعده الإبداعي بل إنه سيشتغل وفق منطق العقل والمشاعر معا، حتى أنها أقامت منهجية خاصة لدراسة العقل وفق عنصرين أساسيين أحدهما «يختص بقاعدة للمشاعر، والآخر يرتبط بقاعدة للتخييل والمحاكاة»<sup>3</sup>، وعلى وفق هذا المزج المنهجي ارتأت الشعريات الإدراكية إلى أن تصبح نظرية قائمة بذاتها تستخدم في تحليل النصوص الشعرية.

هناك مفاهيم كثيرة للشعريات الإدراكية والتي يجب استحضارها حتى نتمكن من معرفة الإطار المنهجي الذي من خلاله تتم المقاربات.

ترى "مارجريت فريمان" أن الشعريات الإدراكية «تدرس العمليات المعرفية التي تحدد ماهية الاستجابة الأدبية والبنية الشعرية وتزودنا كذلك بأساس نظري معرفي يختص بالحدس الأدبي، وتجعل أيضا الأحاسيس والانفعالات والصور في اللغة متصورة في العقل كحقيقة فائقة»<sup>4</sup>، أي أن الشعريات الإدراكية تعمل على جعل الأدب ذو قيمة معنوية وحسية ترتئي به نحو تمثيل الحياة، عن طريق المعاني والدلالات الطافحة بالمشاعر والأحاسيس والنابعة والمترجمة من العقل كحقيقة راسخة.

---

<sup>1</sup> -مارجريت فريمان: انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، مدخل إلى الشعريات الإدراكية، ترجمة محمد سمير عبد السلام، مجلة فصول في النقد الأدبي، ص166.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص166.

<sup>3</sup> -المرجع نفسه، ص167.

<sup>4</sup> -المرجع نفسه، ص165.

وتعرف أيضا بأنها «نظرية في الأدب تتأسس على لغة من النصوص الأدبية والاستراتيجيات اللغوية الإدراكية التي يستعملها القراء لفهم النصوص»<sup>1</sup> ويقول عنها "بيترستوكويل" في كتابه (مقدمة النقد الشعري المعرفي) بأنها «طريقة جديدة للتفكير تنطوي على تطبيق اللسانيات الإدراكية وعلم النفس على النصوص الأدبية»<sup>2</sup>، فالناقد "بيترستوكويل" يرى أن الشعريات الإدراكية تتخذ من علم النفس واللسانيات الإدراكية وسيلة وأدوات إجرائية تعمل على مقارنة النصوص الأدبية وفق منطق العقل.

وهي أيضا «حقل من الدراسات الشعرية يتناول استراتيجيات كتابة القصائد الشعرية مقارنا إياها باستراتيجيات الإنتاج في حقول أخرى بغاية استخلاص بنيات متصلة تتيح الإجابة عن أسئلة القدرات المعرفية لأدوات الفن واللغة والأدب عامة»<sup>3</sup> فالشعريات الإدراكية حسب إنتاجنا، هي ممارسة نصية، تجمع بين الجانب العقلاني، والجانب العاطفي الإثاري، لترسم تجربة ذاتية، تتيح فرصة للمتلقي بممارسة العملية الذهنية لاستنطاق خبايا الدلالات المعرفية، التي جسدها وعي المؤلف.

-الاستعارة الإدراكية أو نظرية الاستعارة المفهومية Conceptual

### métaphore théorie

احتلت الصورة مكانة مرموقة في التفكير الغربي وأخذت سبيلها في التحول نحو انعطافات إدراكية يكون وقع تأثيرها أشد وأبلغ، وكما ذكرنا أن الإسهامات الكبرى كانت مع "جورج لايكوف" و"مارك جونسون" اللذين مثلا الريادة في الثورة الإدراكية بشكل عام. غير أن هناك مُنظراً أعطى تمثيلات وانقسامات للصورة البلاغية بشكل عام، وجعلها تندرج ضمن منطق إدراكي، نجد الجمالي الشهير "كنيث بيرك" الذي يرى أن

<sup>1</sup>- محيي الدين محسب: الادراكيات التأسيس المعاصر لعملية النقد الأدبي، ص 39.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 40.

<sup>3</sup>-مفهوم الشعرية الإدراكية، موقع إلكتروني، تاريخ الدخول، 27-7-2020،

الصور «البلاغية الأربع الكبرى (الاستعارة *Métaphore*، والتركيب الاقتراني *Metonymy* والمجاز المرسل *Synecdoche*، والسخرية *Irony*، إنما هي تجسيد لعمليات أكثر شمولاً: إدراك المنظور *perspective*، الاختزال *rednection* التمثل *representation* الجدل *dialectic*»<sup>1</sup>، وعلى ضوء هذه المعطيات التي مثلها "كنيث"، نجد أن الصورة في منحائها المعرفي تأسست على إدراك المنظور، الذي أعطاها قوة في تمثيل الحقائق الحياتية، وبناء على هذا فإننا سنحاول أن نقيم الرابط العلائقي بين الاستعارة الإدراكية والشعرية الإدراكية، لأن الثانية ترسم التجربة، والأولى تعبير عن الحقيقة المجسدة في التجربة «فالتصور الاستعاري في البحث المعرفي *notiveive* يبين بوصفه جزء من الفهم البشري وليس مجرد متغيرات لغوية، فهو ينطلق من الطريقة التي يفهم البشر تجاربهم»<sup>2</sup> فنجد أن العقل حاضر في عملية التفكير، ولكننا نتساءل دوماً عن السمة الاستعارية ذات البعد الجمالي؟، ليأتي دور هذه الأخيرة وتضفي جانباً خيالياً معرفياً في الآن نفسه، عن طريق «تزويدنا بفهم جديد لتجربتنا، فيضاف للتصور الاستعاري قوة في خلق الحقيقة وإبداعها، بل إن إبداع التصورات في نسقنا التصوري عبر الاستعارة قد يغير ماهواً حقيقي عندنا، ويؤثر في كيفية إدراكنا للعالم»<sup>3</sup>، وبالتالي نقول أن الصورة أخذت محمولاً معرفياً جديداً بفضل ما جسده الثورة الإدراكية مع هؤلاء النقاد، وأصبح فهمنا للحياة فهماً حقيقياً يبني على منطق إدراكي.

-التأويلية الإدراكية: *hermeneutics cognitive* كل ظاهرة أدبية تستدعي

بعداً تأويلياً لاستنتاج الظاهر والخفي، الممكن واللاممكن، المحتمل واللامحتمل، وما دامت الدراسة تتعلق بمقتضيات إدراكية، فإن البعد التأويلي، سينحو مساراً مختلفاً، يؤسس به لرابط خفي يدعى العقل، يكون إحدى أدواته الفاعلة، لتتجسد مهمة جديدة، نطلق

<sup>1</sup> - لارزيا بيليخوفيا: مقالتان في إدراكيات النص الشعري، ترجمة محي الدين محسب، مجلة فصول في النقد الأدبي، ص 142.

<sup>2</sup> - وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص 97.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 97.

عليها تأويلية عقلانية أو معرفية أو إدراكية، تقوم «بالربط بين الأشياء التي يدركها بتصوره، وتخيله وبحواسه الداخلية والخارجية وذلك لإنتاج المعنى الجديد أو المفهوم في عقله»<sup>1</sup> فإننتاجية المعنى تكون مزدوجة تجمع بين التصور الإدراكي الذي يفعله العقل، وبين تبعات المعنى، وما يمكن أن يحمله من شروط النص والناص والسياق، ليعطي معنى جديدا .

الآن يمكن القول بأن النقد المعرفي له علاقة وطيدة بالنقد الأدبي، من حيث الإنتاجية النصية، ومن حيث الأدوات المعرفية التي تتأسس عليها الظاهرة الأدبية، والتي يقوم النقد الأدبي بالكشف عنها لأن دراسة التعبير الأدبي في الأخير «سوف تقود إلى اكتشاف ميكانيزمات التفكير عموما، ذلك أن الوعي الإنساني اليومي والتعبير الأدبي ينزلقان من نفس المبادئ في التفكير، والتي تبنت من خلال التقاطع بين الإنسان والوسط المحيط»<sup>2</sup> لذلك فانطلاق النقد المعرفي من النقد الأدبي لتحقيق المعرفي من خلال الفني؛ رسم صورة مغايرة للدراسات السابقة التي كانت تدعي عدم قدرة الجمالية للوصول لعوالم الواقع. وأيضا يمكن القول إن «العلوم الإنسانية يمكنها أن تقدم أرضية ممتازة يمكن أن توجد فوقها المناهج الإدراكية والنقدية من أجل إرساء مجموعة الأدوات الأفضل والأكثر اكتمالا وتنوعا للتساؤل حول كل من طبيعة المعنى الإنساني وتفصيل المنتج الأدبي والفني للإدراك»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- أحمد عطية سليمان: الإبداع الدلالي في المتضامين، بين البنية التصويرية والبنية العصبية، ثمار القلوب للشعالي أنموذجا، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجماعي للنشر، ط1، 2017، مصر، ص26.

<sup>2</sup>- إبراهيم بن منصور التركي: من النقد الثقافي إلى النقد المعرفي، الرياض، جريدة إلكترونية، العدد1328، سنة 2006م، تاريخ الدخول 2020/4/10، التوقيت، 10:41www.alriyadh.com.

<sup>3</sup> - لارزيا بيليخوفيا: مقالاتان في إدراكيات النص الشعري، ترجمة محي الدين محسب، مجلة فصول في النقد الأدبي ص141.

د - النقد المعرفي والنقد التكاملي:

- علاقة ترابطية بين الالتقاء والاختلاف

إن الخوض في ميدان النقد التكاملي في علاقته مع النقد المعرفي قد يوقع القارئ في وهم التشابه بين النقيدين، وإن الحديث عن الجدلية الترابطية بينهما ربما يكون واضحا ولا يحتاج إلى تبين، ولكن باب العلاقة لا يقتصر فقط على بيان نقاط الالتقاء، بل ستسعى هذه الدراسة إلى توضيح هدف معين من أهم الأهداف التي قد تشتت ذهن أي قارئ في اعتبار **النقد المعرفي نقدا تكامليا**، لذلك سنحاول تقديم تبرير علمي يوضح هذا الخلط المنهجي والمعرفي.

لم تكن مسيرة النقد التكاملي كمسيرة النقد المعرفي محفوفة بدراسات معمقة أثارت جدلا في هويته، وأخرجته من دائرة المنهج إلى اللامنهج، حتى أن هناك من أطلق عليه المنهج المركب، وهناك من اقتصر تعدديته على المناهج السياقية فقط، وهناك من رجح حول توسيع دائرته النقدية إلى جميع المناهج النقدية والأخذ منها لتحقيق سمة **التكامل والشمولية**. فالنقد المعرفي لم يحفل بعد بدراسات لتثير تساؤلات معرفية حول هويته النقدية، ولكن باب البحث دائما يدفعنا إلى التعمق في مضامين الخطابات النقدية الجديدة، خاصة عندما يكون الجديد في مطب الترادف مع القديم.

يرتكز النقد التكاملي على رؤية واسعة شمولية نقدية تستعير من المناهج النقدية وتأخذ من كل واحد بطرف، لخدمة غرض ونفعية النص الأدبي والإحاطة بالمضامين التي يختزنها، فهو يدرس «العمل الأدبي دراسة لا تقتصر على منهج معين من مناهج الاتجاه الفني أو النفسي أو الاجتماعي، بل هو مجموع هذه المناهج المتفرقة، قد استغل بطريقة لا توحى بأن مطبقها إلى منهج معين منها»<sup>1</sup>، والمنهج التكاملي أيضا

<sup>1</sup> - حسن درويش: النقد الأدبي الحديث، مقاييسه واتجاهاته وقضاياها ومذاهبها الفصل الثاني، اتجاهات النقد الأدبي عند المحدثين-الاتجاه التكاملي، مكتبة النهضة المصرية ط2، 1991، القاهرة، ص132.



أداة «تستقي قوتها من ممارسة نقدية مركبة، تجمع المعطيات الفنية والتاريخية والأبعاد النفسية، والاجتماعية والعقدية، أما الشرط في بناء هذا المنهج النقدي فهو الارتكاز على رؤية نقدية شمولية واحدة والأخذ بكل أداة منهجية صغرى تستجيب لهذه الرؤية وتوظيفها»<sup>1</sup>، وإن مفاهيم النقد التكاملي توحى بسمات مشتركة تتداخل مع النقد المعرفي، فالشمولية والتكامل هما الحدثان البارزان واللذان يؤسسان لعلاقة معرفية تجمع النقادين على مستوى التكوين المنهجي وليس على مستوى التكوين المعرفي.

يمكن القول أيضا أن الشمولية تصنع الحوارية، ولا ريب في أن يتشاركا في هذه الميزة النقدية، حتى أن النقد التكاملي سمي بالنقد الحوارية، على عكس النقد المعرفي الذي لم يعطَ بديل مصطلحي له عن طريق السمات التي يحتضنها كالتداخل والشمول والحوارية، بل تعددت فقط ترجمات مصطلح المعرفي.

ومن هنا يكون وجه التشابه بين النقادين يوحي بعدم التفريق بينهما وهو ما يمكن أن يثير إشكالات الخلط بين منجز معاصر ونقد حديث.

تشير القراءة الأيديولوجية إلى أن النقد التكاملي والنقد المعرفي، نقدان يتوقفان في مسار الاشتغال النقدي والتكوين المعرفي، والغرض الحضورية، فهذه المسارات، يمكن أن تحد من التداخل على اعتبار وجه الشبه بين النقادين.

### -المسار الاشتغالي:

يختلف النقد التكاملي عن النقد المعرفي من حيث الاشتغال النقدي، فالأول يقارب النص الأدبي بالاعتماد على مبدأ الأخذ من كل منهج بطرف، أما النقد المعرفي فهو نقد يسعى إلى نهج تحليلي مبدأه الإدراك، وتفعيل دور العقل، بالاعتماد على الجمالية،

<sup>1</sup> -رمضان حينوني: المنهج التكاملي في النقد الأدبي، هل يصلح بديلا عن ضيق المنهج الواحد؟، مجلة إشكالات، العدد الرابع/فبراير/2014، المركز الجامعي لتامنغست-الجزائر، ص 174.

وشمولية المعارف الإنسانية حيناً، للوصول إلى هدف سام ألا وهو المعرفي من خلال الفني.

### -التكوين المعرفي:

النقد المعرفي منظومة منهجية يعتمد مسارات علمية مختلفة الحقول والصيغ والمعطيات منها: الحضارية والثقافية والإنسانية والفلسفية... إلخ، فحقله النقدي شامل ومتسع للعلوم والمعارف كلها، على عكس النقد التكاملي الذي يجمع بين المعطيات النقدية المنبثقة من المناهج النقدية، إذ إن حقله الإجرائي محدود بالنقد وحسب، فالشمولية في النقد المعرفي تجمع كل ما له صلة بالفكر الإنساني في جميع مستوياته المعرفية، أما شمولية النقد التكاملي، فهي تقتصر فقط على المعطى النقدي في سيرورة مناهجه.

### -الغرض الحضوري:

إن الغاية من ظهور النقد التكاملي ليست كغاية النقد المعرفي، فالأول كان ظهوره براغماتياً، أما الثاني فكان ظهوره لأجل تخليص الساحة النقدية من سلطة الهيمنة المعرفية التي سيطرت في الآونة الأخيرة على النقد، فالنقد التكاملي أراد للنص الأدبي أن يُعالج بعدة مناهج لأجل الإلمام بالمعطى المعرفي الذي تحمله مضامين الخطابات، فبعدما وجد أن المناهج النقدية تسير في درب وسهم واحد، اعتمد مبدأ تداخل المناهج للاستفادة المعرفية، أما النقد المعرفي، فمساره كان احتوائياً وتصحيحياً لمسارات نقدية متعثرة.

### ذ - النقد المعرفي والسرديات:

لقد فتحت العلوم المعرفية دائرة مستقبلية أمام الدراسات الأدبية لتستثمر منها معطياتها ونهجها التحليلي ولتؤسس لمعارف جديدة يكون العقل أساس التفكير فيها، فعلى ضوء المعطى العرفاني أخذ الحقل الأدبي يتطور تطوراً ملحوظاً، وأصبحت الساحة النقدية غنية بالنتائج الأدبية المعرفية، من اللسانيات المعرفية إلى النقد الأدبي المعرفي، إلى علم النفس المعرفي، وعلم الاجتماع المعرفي، والشعريات المعرفية وغيرها من العلوم

التي تبنت المبدأ الإدراكي وصولاً عند السرد الذي ما فتئ وأخذ على عاتقه تبني موجة العقل، فظهر ما يسمى بالسرد العرفاني.

حينما نذكر مصطلح السرد العرفاني، نستحضر "جيري إيفرنديغ" في بصماته السردية في الأدب الغربي، والرواية العرفانية مع "عبد الإله بن عرفة" في الأدب العربي الذي من خلالها سيؤسس لأدب جديد، وإن هذا التأسيس لن يقتصر فقط على الرواية العرفانية، وإنما سيعم كل الأنماط السردية.

تشير "ماري لورريان" في مقالها الموسوم (بالسرديات والعلوم العرفانية علاقة إشكالية) إلى طبيعة العلاقة بين السرد وتشكيل حياتنا حيث تقول «ألم يعترف بالسرد ومنتوجه بالقصة بوصفه نشاطاً يعطي لوجودنا ولعلاقاتنا الشخصية والزمنية وجودنا في العالم معنى ويحتوي على آليات عرفانية لها أهمية قصوى»<sup>1</sup>، فالسرد من منظورها هو تجل حياتي له القدرة على تجسيد العوالم وبناء التصورات وفق ما يمنحه من إمكانات قرائية تتعلق بالمبنى الحكائي من زمان ومكان وشخصيات وحبكة إلى غيرها، فكل هذه المعطيات من شأنها أن تصنع آليات تخضع لمنطق الذهن تكون لها القدرة على الإدراك الخارجي المحيد بالعوالم.

وفي مقال آخر "جيري إيفرنديغ" يحمل دراسة بعنوان مسح الدماغ بالمفراس *scanographie* يشير فيه إلى أن «القراء يخلقون محاكاة ذهنية حية للأصوات والإيماءات والأنواق والحركات والموصوفة في قصة مكتوبة، وأنه يتم من خلال هذه المحاكاة تفعيل مناطق الدماغ نفسها التي تفعل تجارب مماثلة في الحياة اليومية»<sup>2</sup>، وهو لا يختلف كثيراً في طرحه عن "ماري لورريان" ولكنها قد وسعت من عمل اشتغال السرد في علاقته بالدماغ عن طريق المحاكاة التي يبرز دورها في تحريك واشتغال العقل.

<sup>1</sup> - ماري لورريان: السرديات والعلوم العرفانية علاقة إشكالية، ترجمة زهير القاسمي، مجلة فصول في النقد الأدبي، ص 186.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 190.

ومع "عبد الإله عرفة" صاحب مشروع الرواية العرفانية نجد أن رؤيته النقدية قد اتسمت بطابع التعميم المعرفي في علاقته بعمل التذکر، إذ التذکر يحفز على اشتغال عمل العقل والدماغ، حيث يقول «تهدف الرواية العرفانية إلى إعادة الوصل مع ذاكرتنا وتاريخنا وموروثنا الثقافي والأدبي والفكري والعرفاني والتفكير والتجديد فيه وإن هذا لأحد المشروعات العرفانية»<sup>1</sup>، إنه تأسيس لرواية جديدة تخالف سابقتها في فعلها الشمولي وعملها الإدراكي.

وإذا ما تتبعنا علاقة النقد المعرفي بالسرد العرفاني والرواية العرفانية فحسبنا القول أن مناطق الاشتغال النقدي الذي يتبناه النقد المعرفي في منظومته المتكاملة ينهل من هذا الزخم العرفاني، فمع السرد العرفاني نجد أن النقد المعرفي وهو يتعامل مع الظاهرة الأدبية وإن اختلفت أنواع هذه الظواهر، نجده يرسم خطى واضحة تؤسس لنشاط عرفاني استمد مقوماته من المجالات التي يدرسها السرد العرفاني تبدأ «من النشاط الذهني للشخصيات، النشاط الذهني للقارئ، السرد باعتباره طريقة في التفكير أو الذكاء السردية وأهمية السرد في حياة العقل»<sup>2</sup>، ومن هنا يكون الالتقاء بينهما في الطريقة المنهجية التي يتعامل بها في التحليل.

ومع النقد المعرفي والرواية العرفانية فإن العلاقة البارزة تكمن في المبدأ الشمولي من حيث مبدأ الانفتاح المعرفي، فكليهما يتأسسان على هذا التصور المنهجي.

### ثانيا/ مقولات النقد المعرفي:

إن النهج التحليلي للنقد المعرفي يفترض وجود آليات معرفية نقدية تكون بمثابة ضوابط تحكمه، تميزه بمقولات، تختلف وتتضاد وتتشابه أيضا مع النقد الأدبي والنقد الثقافي، ولأن لكل نقد موضوعا محددًا، فإن البحث في مقولات النقد المعرفي على اعتبار

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الوراري: الرواية العرفانية تأسيس لأدب جديد، مجلة ذوات، تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد 10، 2015 ص 14.

<sup>2</sup> - ماري لورريان: السرديات والعلوم العرفانية علاقة إشكالية، مجلة فصول، الإدراكيات، ص 191.

"المعرفة" سيجمع مقولات الإثنين (النقد الأدبي، والنقد الثقافي)، ويتجاوزهما في مناحي محددة ليتقردهما، بيد أن الإشكالية التي يمكن أن تثير تساؤلات تعترضنا أثناء ضبط المقولات، هي عملية اشتغال المعرفة في النقد، لأن هذه الأخيرة «لا تتأسس سوى على القراءة الواعية الاستكشافية التأويلية، والتي تقوم على تشغيل جملة من الأدوات والآليات التي لها صلة بالعلم»<sup>1</sup>، وهو ما من شأنه أن يمحو فعل الجمالية، وإنّ حدود الانتماء أيضا بين النقد والمعرفة والأدب، يتطلب دراسة معمقة، تجمع بين العلمية، والإبداعية، والعقلية، وهو ما من شأنه، أن يكون منهج النقد المعرفي منهجا يعيد ترميم ما سعى إليه النقد الثقافي في فعله التقويضي للنقد الأدبي، وما توقف عنه النقد الأدبي في مسيرته، فالهيكل الثلاثي الذي ضم النقد والأدب والمعرفة، يحوي النقد الأدبي والنقد الثقافي وينفتح على عوالم معرفية ونظريات وحقول مختلفة، لتنتج لنا معرفة نقدية، نستطيع من خلالها محاكمة النص الأدبي محاكمة عقلية فنية، فالمعرفية من منظور النقد المعرفي وفق منطلق تحليلي «ليست مجرد نقد لظواهر الثقافة، إنها حفر في الجذور بحيث ترد كل إنجاز ثقافي إلى تاريخيته، وتحاول تفكيك النظم، والمفاهيم ودلالات اللغة، ووسائط الاتصال بين الذهن والعالم»<sup>2</sup> وعليه كان لابد من طرح التساؤل الآتي: ماهي مقولات النقد المعرفي التي يمكن أن نسلطها على الظاهرة الأدبية، تميزه كمنهج، وتضفي عليه سمة الفرادة؟ وهل بمقولات النقد المعرفي، يمكن أن يتحول مصطلح الناقد إلى ناقد معرفي؟

### 1- المقولات:

بداية يجب التنويه إلى مسألة مهمة وهي أن البحث في المقولات يعتبر أول دراسة معرفية، ستستلهم مبادئها من مفهوم النقد المعرفي للناقد "محمد سالم سعد الله"،

<sup>1</sup> - عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص54.

<sup>2</sup> - الحاج أوحمنة دواق: الأبيستمولوجيا الكونية والمنهج المعرفي التوحيدي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2015م، الأردن-عمان، ص130.

لتكون بوابة لكل ناقد أراد أن يملك مفاتيحا لهذا المنجز النقدي الجديد، لذلك وجب استحضار المفهوم ليكون التحليل والاستنباط العلمي منه، هما الدليل الأسمى للفعل الذي يدل على السبق المعرفي في هذا الطرح النقدي، يقول الناقد في رؤيته التي جمعت مفاهيم متعددة للنقد المعرفي بأنه: مصطلح يقدم مجموعة من التوجهات العلمية ويتجه إلى بيان التناول الشمولي في فهم النص وترجمته إلى خبرة المتلقي وبيان معطياته ويسهم هذا التناول في رسم حوارية معرفية مع النص، وهو دعوة لحوار النقود المتنوعة في مساحة معرفية اشتغاليه واحدة دون الجنوح إلى تصدير مقولات بموت هذا الميدان من النقد، إنه ممكنات ومعطيات وتقنيات وآليات وسلوكيات معرفية نراها مناسبة لعصر انهارت معه حدود الأجناس وبان فيه التداخل المعرفي بين العلوم<sup>1</sup>، ومن منطلق هذا الطرح، نقول إن مقولات النقد المعرفي يمكن أن نجسدها كآلاتي: مقولة التداخل، مقولة الشمولية، مقولة الاستثمار والاستمرار، مقولة الجسدنة، ومقولة الجمالي الفني.

### أ- مقولة التداخل:

إن مقولة التداخل شكلت نسقا معرفيا امتدت جذوره لأفلاطون وأرسطو، وتعاقب مع المدارس النقدية، من الكلاسيكية التي جسدت خطوطا حمراء للحفاظ على نقاء الجنس الأدبي إلى الرومانسية التي سعت لتجاوز تلك الخطوط وتكسير سمة الجمود التي هيمنت على النقد والإبداع، للوصول إلى جذور الحداثة وامتداداتها التي منحت أحقية الاستمرار والتميز وكسر سمة الحدود، فالتداخل سمة من سماتها، وبصمة من بصمات التحول النقدي للمناهج التي حالت دون الالتقاء، وإن هذه المحطات المعرفية، هي تجسيد لرحلة التداخل بين الأجناس الأدبية، كفكرة يمكن التمهيد بها عن مقولة التداخل في النقد المعرفي، لنبين من خلال هذا الطرح عن نوعية هذا التداخل الذي يمكن أن يشكل علامة فارقة في المنجز النقدي بصفة عامة، ويكون أيضا ردة فعل على كل ما له صلة برفض مبدأ التجاوز والالتقاء.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله، مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

إن التداخل في النقد المعرفي هو فعل نقدي يضم في طياته مفاهيم متعددة تفتح استقهامات تتعلق بمجالي النقد والإبداع من منظور المعرفة، خاصة وأن تفعيل دور العقل يجب أن يكون في المقام الأول، فالنقد المعرفي تلاقي مع النقد الثقافي في هذا المبدأ ولكنه خالفه في فعل الاستيعاب، وهو ما جعل تخوم المشاكل النقدية تدور حول النقد الثقافي لتفتح مسارات مستقبلية للنقد المعرفي، حتى يعيد المساءلة من جديد، من بينها؛ إذا كان النقد الثقافي حقلاً معرفياً فهو إذا حقل معرفي لا يمتلك هدفاً متميزاً، وما الذي يمثله النقد الثقافي إذا كانت كل الحقول الأخرى قد تبنت البحث الثقافي؟<sup>1</sup>

فليس كل تداخل يتبناه نقد يكون صالحاً في بعض الأحيان، فالتسارع المعرفي لأجل إخراج النقد من مطبات الهيمنة المتوالية نحو نقد معاصر يؤمن بمبدأ التعددية النقدية داخل المنجز الواحد، لم يفعله إلا النقد المعرفي، والنظرية النقدية العابرة للتخصصات، الذين دعوا إليه من منطلق يقوم على الحفاظ على هوية ومبدأ المنهج الواحد، خاصة أن ما خلفه النقد الثقافي من مشاكل إبستمولوجية بدءاً بالنقد الأدبي في فكرة موتيته أو تجاوزه، إلى التداخل مع نظريات وحقول معرفية كثيرة من مبدأ الفعل البراغماتي، الذي يستعير منها للأجل خدمة وغرض نفعيته في التحليل النصوي، إلى فكرة الهيمنة السلطوية، فكل هذه المسالك، جعلت النقد المعرفي ينحو مساراً مختلفاً، في مبدئه التداخلي، مسار يصنع مشهد التواصل، ويفعل عطاءات المعرفة، إنه تداخل يرفض الإقصاء العلمي المستمد من العلوم الإنسانية، تداخل يضيء جوانب الوعي الإنساني في تحولاته عن طريق التفعيل الإدراكي، تداخل يستدعي فعل الحوارية النقدية، «في مسيرة الحياة المعرفية للمنهج»<sup>2</sup>، إنه استقبال معرفي، حرك عجلة الدائرة النقدية في مسار واحد، ألا وهو المسار المعرفي.

<sup>1</sup> - إنغ اين: النقد الثقافي وتداخل الحقول المعرفية، ترجمة عطار حيدر، ص 57.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله، مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 4.

- يبقى التساؤل المهم: هل التداخل في النقد المعرفي يمكن أن يفقد مرونة المنهج، وينتقل إلى تعددية منهجية؟

لم يتجاوز النقد المعرفي المنهج، ولن يتجاوزه، لأنه سيسعى إلى تنظيم إجراءات وآليات نحو طريقة المنهجية، ولهذا لا يمكن تصنيفه بما بعد المنهج، إذ الهدف الأسمى للنقد المعرفي هو إحداث التكامل المعرفي والمنهجي الذي يرسمه، بوصفه مساراً مهماً لتحليل النصوص وكشف الجماليات، فهو نقد مستقبلي يبشر بولادات إجرائية مبدعة تنطلق من ميدان مفتوح إلى فضاء متعدد.

### \*الحوارية مبدأ من مبادئ التداخل في النقد المعرفي

إن التداخل بني أساساً على مبدأ الحوارية النقدية، وهذا هو المتعارف عليه في منظومة النقد المعاصر وقد أشار إليها "محمد عروس" في كتابه (تداخل الأجناس الأدبية) حيث يقول «إن فكرة التداخل تجد جذورها في الرؤى النقدية عند باختين»<sup>1</sup> ولكن النقد المعرفي في مبدئه التداخلي سيختلف عن الحوارية التي جسدها "ديستوفسكي" و"ميخائيل باختين" في أطروحاتهم المعرفية، فالتداخل المعرفي ضمن بنية حوارية يتجاوز الأصوات وبنيات الكلمات المزدوجة، ونظرية التناص بمفهومها العام، إنه تجاوز من درس لساني إلى درس نقدي بامتياز، يحور معنى الحوارية من عملية التوظيف النصوي إلى عملية التكامل المعرفي، حوارية تخرج من إطار المهيمن الواحد وأقصد به "الكلمة" أو تفاعلها مع حقول معرفية أخرى داخل النصوص النثرية، إلى مهيمن غرضه الامتثال النقدي لمجموعة نقود ونظريات معرفية متنوعة، إنه تداخل يوظف مبدأ الحوارية لاشتغال تحليلي ضمن مسار معرفي، من «خلال تعايش المفردات العلمية أولاً، ومشروعية التكامل التي تسير البحث العلمي العالمي المعاصر»<sup>2</sup>، وبالتالي تكون مقولة التداخل في مسارها الحوارية، مقولة نقدية معرفية متميزة عن سابقتها والتي تأسس عليها النقد المعرفي.

<sup>1</sup> - محمد عروس: تداخل الأجناس الأدبية مفاهيم وتصورات، ص 96.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.



### ب- مقولة الشمولية:

تستند مقولة الشمولية في النقد المعرفي إلى النظرية السلوكية في علم النفس المعرفي، وإلى المعطى الجشطالتي الذي يوحى بدلالة الجزء على الكل وتماهي الكل في الجزء حيث أكدت هذه النظرية على «أهمية النظرة الكلية إلى المواقف والظواهر النفسية المدروسة لأن مدركات الفرد وخبراته تعد ذات خصائص كلية لا يمكن تجزئتها»<sup>1</sup>، كما أنها تعود أيضا إلى أصحاب النمط الشمولي حيث استلهم النقد المعرفي منهم طبيعة التعامل مع الأفراد في منحى شمولي لا يؤمن بالحدود، فأصحاب هذا النمط «يتميزون بالقدرة على تحمل المتناقضات والتعددية والتعامل معها ومعالجتها والاستجابة بفعالية عالية»<sup>2</sup>، وهذا ما جسده النقد المعرفي في مبدئه الشمولي حيث سعى إلى التعامل مع النقود والنظريات النقدية المتنوعة من أجل استيعابها في أطر عدة منها «ميدان النقد الثقافي، ميدان النقد الأدبي، ميدان النقد الفلسفي»<sup>3</sup>، ولكل ما يمكن أن تحمله هذه الميادين من متناقضات، فهذه السمة النقدية، تعتبر فرادة من نوعها في النقد العربي المعاصر، فالناقد وهو يتعامل مع الظاهرة الإبداعية من منظور النقد المعرفي، سيجد أن مقولة الشمولية ستفتح آفاقا رحبة من المعارف العلمية والتي في ضوء معطياتها تتسع مستويات العلاقات المعرفية أثناء المقاربة، فالتناول الشمولي في النقد المعرفي ما هو إلا ردة فعل على النزعات الاختزالية التي هيمنت على العلوم الإنسانية بصورة أقوى، إذ التعصب المعرفي في التخصصات النقدية لم يسمح يوما بالتلاقي العلائقي في صورة محسوسة لدراسة فعاليات الإنسان وهي تساهم في تكوين ميكانيزمات البنيات المعرفية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالنقد المعرفي في نهجه التحليلي اتجه إلى «بيان التناول الشمولي في فهم النص وترجمته إلى خبرته المتلقي وبيان معطياته، ويسهم أيضا هذا

<sup>1</sup> -عدنان يوسف العنتوم: علم النفس المعرفي، ص 32.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص 332.

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

التناول في رسم حوارية معرفية مع النص متناسقة مع مدركات التلقي ونهجه»<sup>1</sup>، فالتداخل والحوارية هما سمتان من سمات الشمولية في النقد المعرفي، ووجه من أوجه النهج التحليلي.

### ت - مقولة الجمالي المعرفي

إن مقولة الجمالي المعرفي تضفي بصمة من بصمات الاحتواء النقدي لنقدين حقق الأول منهما تحولات كثيرة في تاريخ الأدب، والثاني جاء ليعيد الاعتبار للأول بعدما انتشرت مقولة تجاوزه من طرف النقد الثقافي، إنهما النقد الأدبي بحلته الجمالية والنقد المعرفي بسمته العقلية، إن هذا الجمع الذي لم يتبلور في محطات النقد المعاصر إلا مع النقد المعرفي، قد جاء ليثير تحولات إجرائية على مستوى الممارسة النقدية تجعل الأولى وسيلة للوصول إلى الثانية، وقبل الخوض في هذه المسألة النقدية وجب توضيح أفكار تم تداولها في كتب مجموعة من النقاد فيما يتعلق بالجمالي المعرفي وما له صلة ببعض الأبحاث التي كانت تروج لهذا المنحى المعرفي.

بداية نقول إن النقد الأدبي في جدليته مع النقد الثقافي ومن ثم بروز النقد المعرفي قد لاقى اهتماما كبيرا من البحث والدراسة في الآونة الأخيرة، والغريب في الأمر أن عدم الوعي بمنجز الثقافة كفعل جسده النقد الثقافي للبحث في ماورائية الأدب، لم يفهم بالطريقة التي تفصل بين المعرفة والفن والثقافة.

فاختيار مقولة الجمالي المعرفي، يمكن أن يصحح الاعتبارات المغلوطة التي تمس من طرح النقد المعرفي، فمثلا نجد الناقد "عبد الحكيم الشندودي" في كتابه (نقد النقد حدود المعرفة النقدية)، يحاول أن يجعل النقد الفني والنقد المعرفي والنقد الشامل نقودا مساوية من حيث الطرح النقدي بالنقد الثقافي، حيث يقول مصطلح «النقد الثقافي مصطلح جديد على الساحة النقدية العربية ولكن مفهومه كان متداولاً في السابق

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

تحت تسميات مختلفة فهو عند إدوارد سعيد النقد الفني وعند الناقد المغربي محمد مفتاح النقد المعرفي، بينما أطلق عليه محمد بنيس في الثمانينات صفة النقد الشامل<sup>1</sup>، وما نلاحظه أن الثقافة عند "عبد الحكيم الشندودي" تم استيعابها من منطلق الشمولية فقط بعيدا عن التجاوزات الأخرى التي فعلها النقد الثقافي، فعدم التفريق بين هذه النقود الثلاث وإدخالها في متاهات النقد الثقافي، سيدد من الممارسات الإجرائية لكل نقد، فالنقد المعرفي نقد يختلف كل الاختلاف عن النقد الثقافي وإن تشابه معه في جوانب كالثقافة إلا أنه يتجاوزه في فعل التكامل المعرفي والمرجع الإدراكي، وهو الذي عجز عنه النقد الثقافي حين أعلن عن موت النقد الأدبي.

فإعطاء وجه الشبه دون مبرر علمي قد يوقع الناقد في مطب سوء اختيار المنهج، وأيضا فإن التشابه على اعتبار مهيم معرفي واحد دون النظر إلى السمات النقدية التي يتميز بها كل نقد ستجعل من الأدوات الإجرائية أدواتا تطرفية تمارس حسب حاجة النص على الرغم من تبني منهج معين.

نجد الناقد "محمد مفتاح" في كتابه "النقد المعرفي والمثاقفة مشكاة المفاهيم" يبين فقط الأسس التي يقوم عليها النقد المعرفي، والتي تدل على سمة الشمولية، ثم مارس نقده المعرفي في تحليل ودراسة المثاقفة والتفاعل الحضاري بين الثقافات من خلال تبيان دور الخيال الإنساني وطبيعته وتطوره وتغيره في الثقافات الإنسانية، لذلك لجأ إلى البحث المعرفي المقارن مستعينا بمفاهيم واصفة مثل القولية والتمثيل والتكيف والتحصين والتطرف والمحيط، وكان تحليل الخطاب هدفا لوصف المثاقفة على شاكلة مفاهيم مثل التناص والمقايسة والمناظرة وغيرها<sup>2</sup>، فهذه الدراسة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتساوى لا من حيث الإجراء والممارسة ولا من حيث المفاهيم النقدية مع النقد الثقافي.

<sup>1</sup> - عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 66.

<sup>2</sup> - ينظر عمر كوش: الاتجاهات النقدية الحديثة، دار كنعان، ط 1، 2003، دمشق، ص 57.

هناك أيضا من حاول أن يفتح عمل اشتغال النقد الثقافي مع عنصر الجمالية، والتي يمكن أن توحى باقترابها من مقولة "الجمالي المعرفي"، فالناقد "محمود خليف الحياي" جاء بنقد ثقافي جمالي يتعارض مع من حيث المبدأ والغاية مع النقد الثقافي الذي دعا إليه "عبد الله الغذامي"، وإن الجمالي الثقافي ليس كالجمالي المعرفي، فالأول تحولت فيه الثقافة إلى معيار جمالي بدلا من كون الجمال معيارا ثقافيا حيث يقول: «وبذلك يكون النقد الثقافي الجمالي هو عملية اكتشاف أو تجل معرفي يبحث عن ماهية ومثالية الشيء الثقافي في العمل الإبداعي بعيدا عن غرضيته ونفعيته»<sup>1</sup>، أما الجمالي المعرفي فهي مقولة استثنائية تعمل على صياغة مشاريع المعرفة التي لا حد لها داخل نطاق النص الأدبي في جميع مستوياته المعرفية، «فتعزف على أوتار العقلانية النظرية من جهة، والإبداعية التطبيقية من جهة أخرى»<sup>2</sup>. وهذا هو الهدف السامي للنقد المعرفي الذي يسعى لبلوغه.

كذلك يتجسد عمل النقد المعرفي من منظور عمل مقولة الجمالي المعرفي على أن «دراسة التعبير الأدبي سوف تقود إلى اكتشاف ميكانيزمات التفكير عموما، ذلك أن الوعي الإنساني اليومي والتعبير الأدبي ينزلقان من نفس المبادئ في التفكير والتي تبنت من خلال التقاطع بين الإنسان والمحيط»<sup>3</sup>. معنى هذا أن النقد المعرفي يجسد التجربة الحياتية للإنسان عن طريق إضاءة جوانب الوعي والمعرفة الإنسانية التي أسست إحساسنا وأسلوب رؤيتنا للعالم من حولنا.

<sup>1</sup> -محمود خليف الحياي: النقد الثقافي الجمالي، ص110.

<sup>2</sup> -محمد سالم سعدالله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص4.

<sup>3</sup> - إبراهيم بن منصور التركي: من النقد الثقافي إلى النقد المعرفي، الرياض، جريدة إلكترونية، العدد1328، سنة 2006م، تاريخ الدخول 2020/6/1، التوقيت، 10:41 www.alriyadh.com.

### ث - مقولة الاستثمار والاستمرار:

تتبع مقولة الاستثمار والاستمرار من المقولات النقدية السابقة، إذ الشمولية والتداخل يمثلان المبدأ الأسمى لها، فهذه المقولة ستجعل من النقد المعرفي نقدا يوظف مفاهيم ومقولات ونظريات ومناهج نقدية لتوسع من فلك الأطر المعرفية أثناء الاشتغال، وتضفي جانبا مهما أثناء التحليل يضيء حيثيات الظاهرة الأدبية، وتعطي للنقد الأدبي سمة العلمية، وتكسب النقد المعرفي طابع التسليح بثقافة التطوير، فالاستثمار يرسم الإطار المنهجي لاشتغال النظام المعرفي، والاستمرار يخلص الساحة النقدية من هيمنات الفعل النقدي التي تقول بموت نقد على نقد آخر.

إن مشاريع الفكر المعاصر لم ترسم يوما استراتيجية التعامل مع العلوم الإنسانية على النحو الذي يضمن بقاءها واستمراريتها، بل سعت إلى فعل التقويض، دون النظر في مسالك التصور الإنساني، فاصطبغت بالمادية البحتة، وغيبت عطاءات المعرفة من حيث النمط الإبداعي، واتجهت نحو فكرة التعالي التي سببتها الموضة النقدية، فكان التغيب بدل الحضور، الاختزال بدل التكامل، والتقويض بدل الاحتواء، فجاءت خصوصية النقد المعرفي بفعلي الاستثمار والاستمرار لتصحح غلبة الفعل النقدي، وتحرك دينامية الفكر الإنساني عن طريق «احتضان الحاضر وامتلاك المستقبل وإرساء قواعد ناجعة لمعرفة إنسانية متطورة لتحقيق التواصل والتطوير في المشروع الإنساني»<sup>1</sup>. تنزع مقولة الاستثمار والاستمرار إلى الدخول في مسارات معرفية متفرعة، تشتغل بفضاءات واقعية علمية، فالاستثمار يشتغل على «الانتفاع من الآخر بكل أبعاده دون تمحيص أو غريزة أو توجيه»<sup>2</sup>، وأما الاستمرار «فهو فعل يبغي الانفتاح ولا يتبنى التقلوب»<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله، مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 7.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 4.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 8.

ومن هنا تكون هذه المقولة أداة نقدية للنقد المعرفي يتم الاهتداء إليها وتوظيفها في هذا الطرح النقدي الجديد.

### ج- مقولة الجسدنة:

ارتكزت مقولة الجسدنة على العديد من الرؤى المعرفية، وتبلورت بصيغتها النهائية مع النقد المعرفي الذي أضاف لها ميزتي العقل والإدراك، فلقد كانت لغة الجسد علامة مهمة في تحقيق التواصل، بل وسمحت للإنسان «بأن يتكلم بأعضاء جسمه أيضا»<sup>1</sup>، فاللغة الجسدية يمكن أن تكشف دائما عما نخفيه، تكشف عن مكونات النفس والفكر، إلا أن تشمل كل «السلوك الإنساني من الحركة والسكون، إلى المشاعر والعواطف، إلى العمليات الإدراكية والعقلية الرفيعة»<sup>2</sup>، فهذه التطورات كان لها تأثير بالغ على الحياة المجتمعية بصفة خاصة، فتولدت العلاقة بين المجتمع والجسد، وأصبحت علاقة تأثير وتأثر بلغت أطرها المعرفية إلى النظرية الاجتماعية.

أخذ الجسد الحقل الأكبر في النظرية السوسولوجية مع الحداثة، وأصبحت «مسألة اجتماعية مهمة»<sup>3</sup>، خاصة بعدما تم التيقن بأن أبعاد اللغة في علم الاجتماع تمتد للجسد وأن هناك ترابطا عميقا يجمع أكثر مما يفرق، ولقد أشار "إلياس نوربرت" إلى هذه المسألة معتبرا أن «قدرتنا المتعلقة باللغة والوعي متضمنة في أجسادنا وتشكل جزءا منها، كما أنها مقيدة بها»<sup>4</sup> وعلى إثر هذا المبرر اتسعت نظريات بنائية مارست دورا كبيرا في إعطاء العمق التحليلي الذي يجمع هذين الإثنين، والتي باثرها ظهر ما يسمى بعلم الاجتماع الجسدي.

<sup>1</sup> - محمد داود: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 2002، القاهرة، ص 8.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 9.

<sup>3</sup> - كرس شلنج: الجسد والنظرية الاجتماعية، ترجمة منى البحر-نجيب الحصادي، دار العين للنشر، ط1، 2009، الإمارات العربية المتحدة، ص 28.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 29.

إن نظرية علم الاجتماع الجسدي شكلت محورا مهما في البحث عن رؤية جديدة، رؤية في الجسدية تعتمد إلى حد كبير على أعمال "جونسون"، و"مارك لاكوف"، اللذين اعتبرا أنموذج المشاريع الإدراكية، ولكن هذا لا ينفي أن هناك بذورا استدعت هذه العلاقة (علاقة الجسد بالعقل) تركزت في فكر "ديكارت" الذي «تبنى موروثا قديما في الفلسفة عبر قبول مثنوية العقل/الجسد والتركيز على العقل بوصفه مكن تفرد الإنسان كائنا اجتماعيا»<sup>1</sup>. لقد أخذ النقد المعرفي في تطوير علاقة العقل بالجسد، والذي أفرز لنا في الدراسات الحديثة بنظرية الجسدنة، فأصبح «العقل والذهن والدماع يفهم في سياق علاقته بالتجربة المادية الذي يتحقق فيها التفاعل مع العالم وينتج منها التمثيلات الداخلية التي تشكل المحتوى الذهني»<sup>2</sup>، فالمعرفة الناتجة من هذه العلاقة تساعد القارئ والناقد في فهم تشكلات البنية النصية، عبر ما يتيح العقل البشري من تفسير ما تستقبله الحواس الجسدية لإدراك ما حولنا.

### 2- هل بمقولات النقد المعرفي يمكن أن يتحول الناقد إلى ناقد معرفي؟

إن هذا التساؤل يمكن أن يوقعنا في شرك المفاضلة النقدية بين الناقد الأدبي والناقد المعرفي، حتى أنه يمكن أن يكون سؤالا سلطويا، بمعنى سلطة النقد المعرفي على النقد الأدبي، ولكن هذا لن يمنع من الخوض فيه، لاسيما وإن الأدوات الإجرائية للنقد المعرفي أدوات جاوزت بين الجمالية والمعرفية، فالناقد الأدبي ناقد مبدع يحتاج إلى إحياء من جديد، يتخلص فيها من الذاتية الانطباعية، «ويبحث عن إمكانية بناء تصور كلي جامع لا يلغي طرفا ولا يستحضر طرفا على حساب آخر»<sup>3</sup>، ناقد تكون المعرفة عنده سلاحا من أسلحته، خاصة وأن النص الأدبي نص معرفي يحتاج إلى أسئلة صحيحة علمية، لذلك فحتى المعرفة بحاجة إلى ناقد نافذ «ناقد ذا شخصية قوية،

<sup>1</sup> - كرس شلنج: الجسد والنظرية الاجتماعية، ص28.

<sup>2</sup> - وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، ص94.

<sup>3</sup> - عبد الحكيم الشندوني: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص33.

يستطيع الخوض في دورب العلم والمعرفة<sup>1</sup>، ليحيط بجميع أنواع العلوم والمعارف التي يتبناها النقد المعرفي في منهجه الشمولي، متخذاً مبدأ الجمالية ومبدأ المعرفة ضمن منطق إدراكي للكشف عن ماورائية الظاهرة الأدبية، فمهمته «تستهدف الأخذ بالآفاق الواسعة لقدرات الثقافة العلمية المعاصرة، وتوظيفها في إعادة وتحليل إشكاليات المجتمع والثقافة الإنسانية»<sup>2</sup>، إنه اكتشاف من ناقد معرفي، يتبنى توجهات المنهج المعرفي الإبستمولوجي المعاصر وأدواته التحليلية المفتوحة بمنطق تحليلي نقدي علمي مفتوح<sup>3</sup>

لذلك يمكن القول إنه بإمكان الناقد الأدبي أن يتحول إلى ناقد معرفي، في منظومة نقدية يكون أساسها الكشف عن المنطلقات المعرفية انطلاقاً من المنظور الجمالي، تتبعها إجراءات فكرية وآليات تحليلية، ورؤى نقدية تستطيع الوصول إلى كنه الدلالة، وتكشف عن الماورائيات.

### ثالثاً/ أسئلة النقد المعرفي:

يطرح النقد المعرفي أسئلة جوهرية، تتماثل وتختلف بين منظورات متعددة، وضمن كل نص، قد يكون أدبياً أم ثقافياً أم جمالياً. إلى غيرها، وإن الأسئلة التي يثيرها هذا النقد تشتغل في مسارات منهجية متشعبة، لتفترض معالجات نقدية متعددة، تطرح سؤال الماذا؟ ولا تكتفي به، وتتعداه إلى ما هو أكثر عمقا، إنه سؤال الكيف الذي يثير كل ما هو ظاهر وخفي في النص، ويحفز أثناء الاشتغال على المقاربة المنطقية العقلية التي تجعل من الذات ذاتا مدركة وفاعلة.

يفرض النقد المعرفي بأسئلته تواءماً بين النص والنظرية الإدراكية، فالنص يحمل من الأفكار ما يجعل من النظرية الإدراكية تبلورها وفق قالب العقلنة التي تبحث عن

1 - عبد الحكيم الشندوني: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 34.

2 - الحاج أوحمنة دواق: الإبستمولوجيا الكونية والمنهج المعرفي التوحيدي، ص 130.

3 - المرجع نفسه، ص 131.



المعرفة للوصول إلى معرفة المعرفة، وهي أعلى مرحلة في منهج النقد المعرفي، يقول محمد عروس «إن النظرية الإدراكية أو المعرفية التي يتأسس عليها النقد المعرفي تسمح له بطرح أسئلة جوهرية في النقد قد لا تسمح له بقية المقاربات النقدية بطرحها من قبيل»<sup>1</sup>، وإن هذا المعطى كفيل بأن نجعل من هاته النظرية بوابة لبلورة أسئلة تكون بمثابة مدخلات تعين الناقد لاكتشاف كل ما هو ممكن، وتعطيه أحقية الممارسة المعرفية.

تتدرج أسئلة النقد المعرفي وهي تؤسس لمدارات حيوية اشتغاله في مجموعة معطيات، أو لأسميها محطات معرفية، على اعتبار أن الكيف في منظومة النقد هو تجسيد لفكر نقدي يؤهل إلى إنعاش الممارسة برؤية علمية دقيقة تفتح المجال لرؤى مستقبلية متنوعة.

من أهم مدارات اشتغال النقد المعرفي ضمن أسئلته النقدية، نذكر الآتي:

-كيف تتحول اللغة من وظيفة شعرية إلى وظيفة معرفية؟، فيكون مدار اشتغالها في جدلية اللغة بين الشعرية والمعرفية.

-كيف يتجلى الحضور الرباعي في العملية الإبداعية؟، والتي تجسدت بمدار سمي بالحضور الرباعي للعملية الإبداعية من منظور النقد المعرفي.

-كيف تبني التصورات العقلية المعنى ضمن مراتب القراءة؟ فينتج مدار المعنى من منظور النقد المعرفي.

-كيف أعاد النقد المعرفي ميزة التواصل، وأتاح إمكانية الممارسات الفكرية؟ فيتركز مدار الاشتغال هنا على التواصل النقدي من منظور النقد المعرفي.

<sup>1</sup> -محمد عروس: النقد المعرفي نحو إبدال منهجي، مجلة آداب الرافدين، العدد86/ السنة الواحدة والخمسون/تشرين الأول2021/10/14م، كلية الآداب-جامعة الموصل، ص168.

### 1- جدلية اللغة بين الشعرية والمعرفية.

يقيم النقد المعرفي علاقة جدلية بين ثنائية اللغة في كونها شعرية أم معرفية، ويؤسس لقاسم لغوي يحيل على شكل التملص من الطبيعة المألوفة إلى الطبيعة الشعرية، ومن ثم إلى الطبيعة المعرفية، ويرتقي بمستوى أشكال اللغة إلى أبنية مفهومية تلعب فيها أدوارا وفق كل تناغم يجسده كل علم أو معرفة.

وضمن الحديث عن النقد المعرفي في علاقته باللغة، فالنظرية الإدراكية هي من ستفتح لعلاقات حوارية بين ما تم انتاجه، وبين ما سيتم التأسيس له، فالعودة إلى المعارف الإدراكية مع مارك "ترنر ولايكوف" و"مارك جونسون" هو من سيخلق نظرية المزج، ويبعد كل دوائر الاستفهام عن اشتغالية اللغة ضمن منظور النقد المعرفي.

ما دام النقد المعرفي يتأسس على المعارف الإدراكية، فإن عمل اللغة في اللسانيات المعرفية والاستعارة المعرفية والبلاغة المعرفية، سيجتمع في النقد المعرفي كاستراتيجية تعمل على خلق التناغم والتوافق بما يخدم غرضية الظاهرة الإبداعية وفق منطق إدراكي، «فالدراسة المعرفية في الفن والأدب واللغة لديها ركيزتان: واحدة في البلاغة الكلاسيكية، والأخرى في علم الأعصاب المعرفي؛ الدراسة الحديثة للمخ والعقل»<sup>1</sup>، وهذه الميزة تدعى بنظرية المزج والتي أثارت جدلا كبيرا في الميدان الإدراكي فالمزج المفاهيمي معمول به من «خلال التفكير اليومي في اللغة والأفعال اليومية حيث يبرز بشكل كامل من دراسة التعبيرات الأدبية واللغوية الابتكارية»<sup>2</sup>، فاللغة من منطلق نظرية المزج، مزج المعارف الإدراكية في منظومة اشتغالية قارة إنما تتأتى من قوالب التعابير الأدبي، على اعتبار أن التعبيرات إنما تتم على ميكانيزمات التفكير البشري،

<sup>1</sup> - مارك ترنر: الدراسة الإدراكية في اللغة والأدب والفن، ترجمة رانية خلاف، مجلة فصول الإدراكيات، ص139.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص140.

وبالتالي تعمل اللغة وفق منطق ذهني يكشف عن هذا التعبير، ويستعين بمجملات تلك المعارف والحقول المختلفة.

إن حضور اللغة في النقد المعرفي ليس كحضورها في أي مجال معرفي آخر، فالتكيف الذي تحدثه هذه الأخيرة مع تلاؤمها مع نظرية المزج، وخضوعها لمنطق الذهن وعمل العقل، شكل لها ميزة فارقة في العلوم الإنسانية، ووسع من مدركات الدراسة التحليلية للظاهرة الأدبية، وخلق نهجا جديدا للنقد المعرفي يتم على إثره مقارنة كل النصوص على حد سواء، فالاستيعاب المنهجي للسانيات والبلاغة والاستعارة ومختلف النظريات المنبثقة من هذه المفاهيم ذات البعد الإدراكي، كنظرية الأطر ونظرية المزج، وغيرها، هي من خلقت مفاهيم اشتغالية النقد المعرفي، وهذه النظريات مرتبطة بالأصل باللسانيات المعرفية في «**بحثها المعرفي المركز على اللغة اليومية وطورها اللسانيون أنفسهم لتشمل اللغة الأدبية استنادا إلى المبدأ المعرفي**»<sup>1</sup>، وهنا نقول أن اللغة شكلت مرحلة جديدة مع النقد المعرفي، مرحلة زوجت فيها بين الأدبية والمعرفية، وحافظت بها على استقرار عملها ضمن المعارف السابقة بفضل النقد المعرفي الذي لا يؤمن بتحيز المعارف، إنها سيرورة انتقالية جديدة للغة تعمل فيها وفق المنشط التبادلي (تبادل المعارف في سياق مفتوح).

يسعى النقد المعرفي إلى جعل اللغة الشعرية المتواجدة في النص الإبداعي مدركات معرفية عن طريق إمطة النقاب الذي جسده الذات المبدعة في لعبة اللغة أو «**جنسية الدال وذهنية المدلول**»<sup>2</sup>، إنه تملص اللغة من هيمنة تبعات المشكلات اللغوية المألوفة، وتنظيم لصيغ وأبنية معرفية عقلانية تكشف عن المعنى الغائب.

نجد الناقد "محمد سالم سعد الله" يتحدث على حيوية المنهج المعرفي في علاقته باللغة، مبرزا الخلفية التي تأسست عليها اللغة في ظل هذا المنهج حيث يقول إن اللغة

<sup>1</sup> -وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول المرجعيات، ص95.

<sup>2</sup> -محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص71.

«لا تشكل بفعل براءتها المشاعة ولا بفعل التنظيم الشكلي المحض، وإنما تتشكل بفعل سلطة معرفية تعمل على قيادة مسيرتها»<sup>1</sup>، إنها ولادة جديدة للغة حملت معها ميزة الحضور الفعلي في جميع المعارف الإدراكية، وأبرزت فاعلية العلوم الإنسانية في امتلاك لغة نموذجية تستطيع التأقلم مع كل معرفة تنتمي إليها.

أما الناقد "محمود خليف خضير الحياتي" في كتابه "النقد المعرفي للنص الأدبي" فقد خصص مبحثاً كاملاً عن الطبيعة المعرفية للنص الإبداعي مبرزاً أن ماهية المعرفة في الفن لا تقوم على أساس منطقي يبحث عن الاستنتاج والبرهان والاستقصاء، إنما تتجلى في الكشف عن الحقيقة التي تظهر ماهية الشيء، وأن اللغة في جدليتها مع المعرفة، فإن مرتبتها تكون ثنائية، على اعتبار أن الفكرة تسبق اللغة في لاوعي وذهن المبدع قبل تحقيقها<sup>2</sup>، فيكون عمل النقد المعرفي هنا عملاً عكسياً ينطلق من الكشف عما هو جمالي للوصول إلى ما هو معرفي.

### 2- الحضور الرباعي للعملية الإبداعية من منظور النقد المعرفي

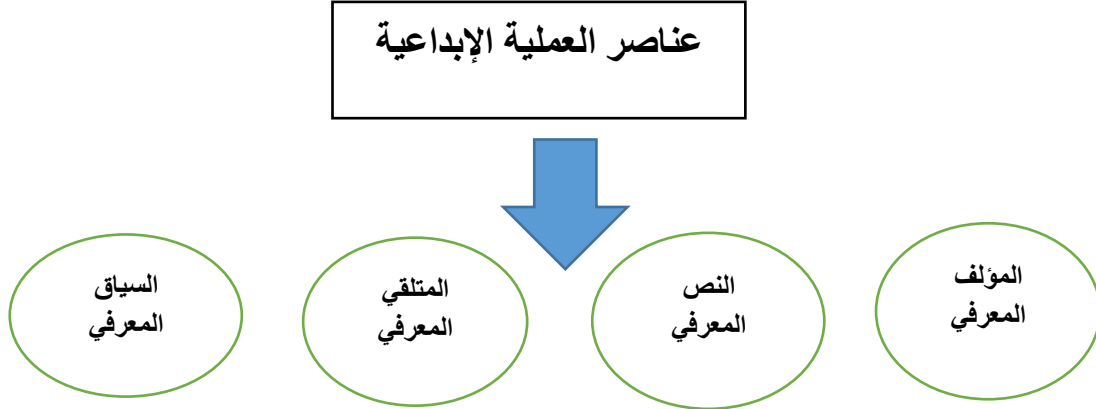
إن تحديد المناخ الفكري للعملية الإبداعية لا يتأتى إلا من خلال حضور المهيمن الثلاثي، وهو (المبدع، المتلقي، النص)، ولكن المفارقة التي سيحدثها النقد المعرفي ستتمثل في العملية الانتقالية من مهيمن ثلاثي إلى مهيمن رباعي تجسد في "السياق"، والذي من شأنه أن يحقق بصمة فارقة في هذا الحضور.

كذلك إن ضبط المصطلحات وفق النقد المعرفي أمر لا بد منه، فبالاختلاف يكون التجديد والإنتاج، فمسميات عناصر العملية الإبداعية في النقد الأدبي ليست كمسميات النقد المعرفي الذي استثمر هذه العناصر وجعل مضامينها تدور في فلك المعرفي، فنجد

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 71.

<sup>2</sup> - ينظر: محمود خليف خضير الحياتي، النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 99، 94.

في قاموسه (المؤلف المعرفي/ المتلقي المعرفي/ النص المعرفي/ السياق المعرفي). والذي من شأنه أن يوسع من أفق العملية الإبداعية وفق مبدأ وعمل المعرفة.



الشكل 4 عناصر العملية الإبداعية في النقد المعرفي

### أ- المؤلف المعرفي:

يتأسس فكر المؤلف المعرفي على جملة من التصورات والقضايا المفتوحة على فروع المعرفة كافة، إذ إن عملية الإنتاج النقدي التي أتاحتها المؤلف الأدبي ستختلف عن الإنتاجية المعرفية التي يجسدها المؤلف المعرفي، فما بين هذا وذاك، تتبع هوة فاصلة ستجعل من ذلك المنشئ (المؤلف المعرفي) يتقمص جميع الأدوار حتى يخرج نصه وفق المنظور المعرفي، وإذا عدنا إلى مفهوم المؤلف بمعناه العام تجده الذي «ينشئ النص وينميه ولذلك يمتلك معنى حقوقيا ويصبح صاحب حق وصاحب سلطة، وصاحب الكلمة التي تمنحه الهيمنة»<sup>1</sup> وإن كلمتا السلطة والهيمنة ضمن مفهوم المؤلف قد انزاحت مع المناهج النصية، واستبدلت بكلمة الموت التي هيمنت لفترة، وانزاحت هي الأخرى مع المناهج المابعدية التي أعادت مكانة وأهمية المؤلف، وما يهمننا في هذا الطرح هو المفهوم النقدي للمؤلف المعرفي ضمن منظور النقد المعرفي .

<sup>1</sup> - موسى رابعة: موت المؤلف وآفاق التأويل، مجلة علامات في النقد، المجلد 15، ج 58، سبتمبر 2005، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ص 44.

يسعى النقد المعرفي إلى بناء جسر تواصل في العملية الإبداعية دون اقضاء لأي طرف من القطب الرباعي الذي ذكرناه، فحضور المؤلف المعرفي سيشكل علامة مع بقية العناصر الأخرى، والذي من شأنه أن يصنع إمكانيات قرائية لا حد لها من القضايا الراهنة والمعاصرة، ففكر المؤلف يشكل مركز تشكل النص، فيصبح المسؤول من وجهة النظرية المعرفية عن التصور العقلاني الذي يبنيه في وعيه، وينسج من خلاله رؤاه ومواقفه الفكرية شريطة أن تكون موصلة للحقيقة، لأن بلوغها لا يتأتى إلا من خلال أن يجعل المؤلف من المعرفة أعلى مرتبة من الفن، حتى يخرج من مسمى الكاتب أو الفنان، وتصبح حروفه المنسوجة داعية لاستعمال العقل للفهم والكشف والبحث.

يسعى المؤلف المعرفي إلى جعل النص الأدبي من أهم سماته «فهم العالم والأرض فالعالم كل ما يعطي الأشياء معنى، ما يكشفها ويجعلها ما هي عليه، والأرض كل ما يخفي كل ما هو مغلق ويبقى على الدوام سرا وحقيقة الوجود في العمل الفني الأدبي، هي دوما هذا الصراع والتوتر بين التفتح والانغلاق، بين المجهول والمعلوم، والظاهر وغير ظاهر، والمعقول وغير معقول<sup>1</sup>، وهذه الثنائيات الضدية التي يؤسسها المؤلف المعرفي في نصه، هي الداعية والمحفزة على تنشيط ملكة العقل، والبحث في كنه الدلالة وفهما فهما منطقيا عقليا حتى يكون الإنتاج انتاجا معرفيا.

يستند مفهوم المؤلف المعرفي على نظرية المقولات "لبيرس" باعتبارها حقا في النظرية المعرفية ومنطقا في الإدراك، فالمؤلف المعرفي ينسج تجربة إنسانية، ستخضع لمنطق الإدراك من وجهة النظرية البيرونية (المقولات) التي ترى في «التجربة الإنسانية كلها كيانا منظما من خلال ثلاثة مقولات هي الأصل والمنطلق في إدراك الكون وإدراك الذات وإنتاج معرفة وتداولها»<sup>2</sup>، ففهم الوجود هو لحظة جنينية في وعي المؤلف

<sup>1</sup> - ينظر: محمود خليف خضير الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 93.

<sup>2</sup> - سعيد ينكراد: السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، الدار البيضاء-المغرب، ص 41.

المعرفي، لا تتقيد لا بضوابط ولا بسياق، بقدر ما ترتبط بالمنطق، ولذلك نجد من يربطها باللمحة الأولانية التي جعلها الناقد "محمود خليف الحياتي" ترتبط بالمبدع. حيث يقول «يمكن أن نربط كل هذه المقولات بحسب الترتيب بالمبدع الأولانية، والنص الثانائية، والمتلقي الثالثية»<sup>1</sup>، لذلك وجب ذكر المفهوم المقولاتي للأولاني حتى نتبين الإسقاط الفعلي لهذا الطرح، "فبيرس" يعرفه بقوله «نمط في الوجود يتحدد في كون الشيء ما هو كما هو إيجابيا دون اعتبار لشيء آخر. ولا يمكن أن يكون هذا الشيء إلا امكانا»<sup>2</sup>. وهذا الوجود في الطرح المعرفي هو التجربة الإنسانية بمنظورها المعرفي التي تتحقق عن طريق التجسيد اللغوي الذي يصنعه المؤلف في نصه «ليشكل بذلك قناة أو سياقاً معقداً للمعرفة المتحولة من الإمكان إلى التحقيق»<sup>3</sup>، وعلى هذا يمكن القول أن المناطق التي يصنعها المؤلف المعرفي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق تكوين المعرفة باعتبارها مصدراً أولاً وأخيراً في العملية الإنتاجية.

### ب- النص المعرفي:

ينتشل النص المعرفي من وعي المؤلف وبصماته، عبر حركية الذهن، ومن خلال العملية الإدراكية، ينسج هذا الأخير عالمه النصي، فيخرج في صورة محملة بكل ما هو معرفي، لتحفز القارئ على امتلاك مشروعية التأويل الحقة التي يسعى من خلالها للوصول إلى معرفة المعرفة.

يكتسي النص المعرفي ميزة مع النظرية الإبستمولوجية ومع النقد المعرفي تحديداً، ويبني من خلالهما تكوينه ومساره المنهجي، فيصبح له القدرة على تكوين أجندة معرفية، مهمتها تحصين اللغة، وتحليل النسق، وكاسراً للحدود الأجناسية المصطنعة، مفرزاً

1 - محمود خليف خضير الحياتي: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 99.

2 - سعيد بنكراد: السيرورة السيميائية والمقولات، قراءة في سيميائية بيرس، موقع الكتروني  
<http://saidbengrad.free.fr/ar/artper.htm>

3 - محمود خليف خضير الحياتي: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 99.

معطيات علمية للمسكوت عنه أولاً، ومؤسسا عناصر نقده المستند على جملة من السلوكيات المعاصرة ثانياً<sup>1</sup>، إنه النص الذي يجمع في إطاره كل محفزات ومنشطات عمل العقل والذهن، إنه القفزة التي تجاوزت المفاهيم السابقة (مفاهيم المناهج والنظريات التي حصرت مهمتها في قوقعة التراكيب والصيغ وعمل اللغة) ليخرج بذلك نحو وجهة معرفية أساسها تمثيل كل ما يحيط بنا وفق العالم الخارجي.

يقترّب مفهوم النص مع السيميولوجيا من مفهوم النص المعرفي، فتحوله من وجهة نظر إبستيمية لا يتأتى إلا عندما «توضع مكتسبات الألسنية والسيميولوجيا إراديا وقد أصبغت على كل منهما نسبية (تفكيك/إعادة بناء) في حقل مرجعي جديد يحدد أساسا بواسطة التواصل المتبادل بين إبستمتين مختلفتين المادية الجدلية والتحليل النفسي»<sup>2</sup>، ويمكن الإشارة هنا إلى أن التحليل النفسي هو من منح إشارة التحول أثناء العملية الإنتاجية للنص، من النظرية السلوكية التي أصبحت تمثل ذلك الدافع المعرفي لوجودية المعرفة إلى النظرية المعرفية مع بياحيه، ومن ثم إلى «هيمنة تسعينيات القرن الماضي النظريات الثقافية على الدراسات الأدبية»<sup>3</sup> لنصبح أمام موجة إبستيمية تتحول فيها النصوص الأدبية إلى نصوص معرفية، مثلما حدث مع اللسانيات المعرفية، والبلاغة المعرفية، والشعرية المعرفية، والسيميائية المعرفية، وغيرها فكل هذه الميادين والحقول التي غيرت وجهتها نحو الإبستيمية، هي من صنعت وجودية وحيوية النقد المعرفي الذي غدا بوابة تضم كل الذي تم ذكره، والذي لم يذكر.

يقوم النص المعرفي من وجهة نظر النقد المعرفي على مصطلح سماه الناقد "محمود خليف خضير الحياني" بالمشترك المعرفي، والذي أراد به تجاوز النظرية

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص2.

<sup>2</sup> - رولان بارت: نظرية النص: ترجمة عبد الرحيم الرحوتي، مجلة الرقيم، العدد14، خريف2017، ص75.

<sup>3</sup> - ماري لورريان: "السرديات والعلوم العرفانية، مقاربة إشكالية"، ترجمة: زهير القاسمي، مجلة فصول في النقد الأدبي، الإدراكيات، ص194.



التواصلية الجاكوبسية من الغاية الذاتية للقول إلى الغاية المعرفية للنص، حيث يقول «بأن المشترك المعرفي هو الذي يقوم بإضمار معرفته والتي هي في الأساس تحقيقاً أو ظهور على وفق المنطق السيميائي»<sup>1</sup> وقد أراد بهذا القول أن ما جاء به جاكوبسون في نظريته التواصلية هو معرفة ينتجها المرسل نحو المرسل إليه، أما المشترك المعرفي هو ما تم إنتاجه واكتشافه من معرفة من قبل النص، ولذلك نجد أن مفهوم النص من منظور النقد المعرفي قد حدد بأنه النص الذي لا يقدم رسالة مفتوحة أو منغلقة بل يقدم أجوبة وحقائق متنوعة ذات مواقف براجماتية تقدم للمتلقى وهو الذي يقدم إجابات متنوعة ومختلفة ولا يقدم كما في نظريات التلقي والتأويلية والنقد الثقافي أسئلة تبحث عن أجوبة من قبل المتلقي<sup>2</sup> ومن هذا المنظور الجديد للنص نقول أن النص المعرفي اكتسب من خلال النقد المعرفي صبغة جديدة (صبغة إبستيمية الدوال، وحركيتها اللامتناهية)، ليرسم استراتيجية نحو تأويلية معرفية، يتولى مهمتها المتلقي المعرفي باعتباره عنصراً مهماً في العملية الإبداعية.

### ت - المتلقي المعرفي:

تعتبر ثنائية النص والمتلقي من الثنائيات التي شكّلت ميزة مع نظريات القراءة والتلقي، والتي ستجسد بحلتها المعرفية منظوراً جديداً مع النقد المعرفي ضمن المدخل الإبداعي فتكون ثنائية (النص المعرفي/المتلقي المعرفي) قضية من القضايا الراهنة المعاصرة التي ستفتح حجب عدة أثناء كل قراءة.

تضطلع مهمة المتلقي المعرفي في الكشف عن الخبايا المعرفية التي تمثل الحقيقة النصية عبر قراءة تأويلية تكون وفق منطق إدراكي، تحفز دور العقل، ليكشف عن الأبعاد الدلالية والتي ينفذ بها إلى أغوار النص.

<sup>1</sup> - محمود خليف خضير الحياني: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 97.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 97.

إن الحديث عن المتلقي وفق المنظور الجديد (المعرفي) يتطلب منا استدعاء نظرية (المقولات) "لبيرس" باعتبارها وحدة إسقاطية على النماذج التي تفعل بطبيعتها مبدأ الإدراك، وإذا انطلقنا من مبدأ التجارب الإنسانية التي مثلت حلقة الوصل بين المقولة الأولانية والثانوية، فإن الثالثة ستزاح مباشرة على المتلقي باعتباره عنصراً فاعلاً ووسيطاً بين المؤلف والنص، وما العمل الأدبي إلا تجربة إنسانية تتطلب من المتلقي المعرفي فك شفراتها والكشف عن الحقيقة الموجودة في ثناياها وفق منطق إدراكي لذلك «فالعلاقة بين العناصر الثلاثة هو ما يحدد في نهاية المطاف طريقتنا في الإمساك بالتجارب الإنسانية واستيعابها كمفاهيم أي كـفكر»<sup>1</sup>، فإدراك الشيء بعينه هو ما يتيح إمكانية الوصول الفعلي للحقيقة التي تجسدت في تلك التجربة، كون القراءة فعل معرفي يمارسه المتلقي عن طريق التأويل ليحقق وجوديته كعنصر فاعل ومنتج ومشارك وكاشف للحقائق المتجلية في النص، وحسبنا الإشارة هنا إلى أن المقولة الثالثة هي من بررت العلاقة بين الأول والثاني (المؤلف المعرفي/النص المعرفي) ومنحت بعداً فكرياً، فهي الشرط الضروري لإنتاج القانون والضرورة والفكر والدلالة<sup>2</sup>، وهذا الشرط سيكون صعب المنال على قارئ أو متلقي معرفته محدودة، فمهمة المتلقي المعرفي تكمن في «فهم معنى الحقيقة بعيداً عن المفهوم الذي صاغته وحددته السيرورة التاريخية الفلسفية والثقافية والمعرفية في كون الحقيقة تطابق الشيء مع العقل، أو مع الواقع أو مع اللغة أو الفكرة»<sup>3</sup> لأن التسليم بقديسية وطرح الخطاب المقروء، سيجعل من تلك الحقيقة المتجلية في النص حقيقة ثابتة لا تقبل التفاوض. والمتلقي المعرفي يجب أن يسعى إلى خلق ذلك التفاوض المعرفي باستعمال وعيه عبر القراءة الفاعلة المعرفية.

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش. س. بورس، ص 65.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 66.

<sup>3</sup> - محمود خليف خضير الحياتي: النقد المعرفي للنص الأدبي، ص 110.

### ث - السياق المعرفي:

يمثل السياق المعرفي الحلقة التي تمد النص بمكونات المعرفة، وتزوده بكل الروابط التي لها علاقة بالجوانب الحياتية، فالنص وفق المبدأ السياقي لا يتحدد دلالاته إلا بالرجوع إلى هذا الأخير، ومادام البحث في فلك المعرفي (السياق المعرفي)، فإن عملية الإسقاط هنا ستكون متجهة نحو الروابط الذهنية التي تفعل من العملية الإنتاجية النصية وفق معطيات معرفية، يكون فيها الوسيط اللغوي مشتركا بين النص والسياق «ويعكس ما هو معروف عن الإدراك البشري من التخصصات الأخرى»<sup>1</sup>. فالسياق المعرفي، يحوي جانبين؛ الأول ما تعلق بتلك العوامل المتشكلة من حلقة المعرفة والتي أسهمت بدورها في تشكيل نسيج النص، أما الثاني فإن اللغة في السياق المعرفي تكون مغلفة بغلاف المعرفة لتتمثل عقليا تلك العوامل، فتقوم بعملية توجيهية نحو إدراك عام للنص، وبعبارة أخرى يمكن القول إن النص من منظور السياق المعرفي يعكس إدراكا عاما عن المعاني المبنوثة والتي لا يتم فهمها إلا بالسياق المعرفي.

### 3- مدار المعنى من منظور النقد المعرفي.

تعتبر دراسة المعنى من المجالات المهمة في المباحث اللسانية خاصة، وقد لاقت اهتماما كثيرا في الآونة الأخيرة، وانبثقت بموجبها عدة نظريات، كل واحدة تسعى لإعطائها مفهوما خاصا يماثل لحد ما تلك النظرية.

ومع الثورة الإدراكية، ومع المباحث المعرفية، حظي المعنى بدراسات عديدة لعل أولها كان مع اللسانيات المعرفية التي جعلت من هذا الأخير حلقة وصل بين الذهن واللغة، تمثيلا لما قدمه وطرحه "لانغكر" في كتابه النحو المعرفي، حيث قدم إشكالية تمحور المعاني بسؤاله التالي: «هل محل المعاني الذهن؟ ويجب أت المعاني (معاني التعابير اللغوية) من منظور لساني معرفي: محلها أذهان المتكلمين الذين ينتجون

<sup>1</sup> - فيفيان إيفانز/ ميلاني جرين: طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العيزي، مجلة فصول الإدراكيات، ص50.

ويفهمون التعابير، أي تعيين المعاني مع التصورات»<sup>1</sup>، فكانت هذه الانطلاقة الأولى لنظريات أخرى تعاقبت مع النحو المعرفي إلى الاستعارة المعرفية وإلى البلاغة المعرفية، الجمالية المعرفية، والتي جعلت من أطروحة المعنى علامة وبوابة في المنجز الإدراكي بصفة عامة.

غير أن التجاوز الذي نريد البحث فيه، هو تجاوز المنظور اللغوي إلى المنظور النقدي، فما شكله النقد المعرفي من قضايا راهنة يجعل من المعنى أداة رئيسة للكشف عنها من منظوره. فما هو مدار المعنى من وجهة نظر النقد المعرفي له؟ أو كيف يتشكل المعنى من منظور النقد المعرفي، هل هناك تجاوز للدراسات اللغوية المعرفية أم أنه استمرار وتعاقب وإضافة؟

إن النقد المعرفي يبلور المعنى وفق سيرورة اشتغاله النقدي التي تسعى إلى مبدأ الانفتاح على الحقول المعرفية الأخرى، فمن الدراسات اللغوية يأخذ المعنى طابعا مزدوجا بين الذهن واللغة، ومع الدراسات الإنسانية الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع يأخذ المعنى قالبا مزدوجا بين التمثل الإدراكي للذات و التمثل الإدراكي للعالم الخارجي، وما بين هذا وذاك يقولب النقد المعرفي المعنى وفق ما تتطلبه الظاهرة الأدبية ويعمل وفق التمثلات التي تمليها الأنشطة المعرفية فتستنتج الفكرة في لحظة الإدراك التي أنشأتها لحظة التمثل، وتسجل المعرفة التي هي في الأساس معنى.

من أهم ما يضيفه النقد المعرفي للمعنى أنه لا يجعل منه محطة لاستنزاف كل ما هو عقلي فقط، إنه يحرك الإنساني والعقلي في عجلة واحدة، لذلك نجد «المسعى المعرفي النقدي العالمي اليوم المتمثل بالطرح المنهجي النقدي حاول تقديم أجندته ومشروع تعامله مع الفكر واللغة بوصفهما حقلين محفزين لإنتاج المعنى وتسويقه-الفكر لإنتاج

<sup>1</sup> - عمر بن دحمان: دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، 10جانفي، ص41.

المعنى واللغة لتسويقه»<sup>1</sup>، فنجد أن حيوية المعنى في النقد المعرفي تتأسس على منطلقات الفهم المتعلق بالقيم الإنسانية والوجودية التي يتيحها الإدراك المعرفي.

كذلك يمكن الإشارة إلى مسألة جوهرية من مسائل تشكل المعنى، وهي أن الطروحات الحديثة المتعلقة بالمنحى المعرفي وأقصد (النظريات)، نظرية عوالم النص، ونظرية العوالم الممكنة، ونظرية الخرائط الذهنية، ونظرية الروابط الذهنية، نظرية الفضاءات العقلية، نظرتي النماذج الأولية والمثالية، وأخيرا نظرية المزج المفاهيمي، هذه الطروحات المتعلقة بالبعد الإدراكي هي من تساهم في خلق أطر متنوعة للمعنى وفق أشكال متعددة.

#### 4-التواصل النقدي من منظور النقد المعرفي.

لو تحدثنا عن ميزة التواصل النقدي في النقد المعرفي، سنجدها تختلف عن باقي النقود الأخرى التي أتاحت هذه السمة، فليس النقد المعرفي كالنقد التكاملي في انفتاحه أو كالنقد الثقافي أو النقد الشمولي، إنه تواصل نقدي يفعل دور العقل في مبدئه، ليصل من خلاله إلى المعطى الشمولي، ومن ثم إلى غاية معرفة المعرفة، فليس الإقصاء منطلقه، ولا الاستنزاف منهجه، إنه يسعى إلى رسم خطة ممنهجة بمنطق استيعابي، «ليبشر بولادات إجرائية مبدعة تنطلق من ميدان مفتوح إلى فضاء متعدد»<sup>2</sup>، وإن هذا التعدد سيساهم في تشكيل طرح نقدي جديد كفيل بإعادة التوازن التي فقدتها التوجهات النقدية الحديثة.

إن التواصل النقدي له إمكانية التقديم على الاختزال، تقديم البدائل والدلالات والرؤى والحقائق والإمكانيات وفق التمثلات الإدراكية التي تسعى لاستتطاق كل ما هو ماورائي، فالقيم الإنسانية التي يختزنها كل خطاب تظل مفتوحة تنتظر تلك الممارسة الفكرية التي تعطيها حقها في استخراج كل ما هو ممكن وحقيقي، لذلك يكون التواصل النقدي وفق

<sup>1</sup> -محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص9.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص2.

النظام المعرفي تلك الاستراتيجية التي تفعل تلك الممارسة الفكرية باستحضار واستثمار المنتجات النقدية والحقول المعرفية وفق مبدأ الأنسنة، لأن العلوم الإنسانية «أصبحت تشكل لبنة علمية مهمة في الفعل المعرفي المعاصر لأنها تسعى إلى رسم المعرفة العلمية، لتنتقل من ثم إلى احتضان الحاضر، وتتطلع جاهدة لامتلاك المستقبل وإرساء قواعد ناجعة لمعرفة إنسانية متطورة، إنها تمثل ضرورة لتحقيق التواصل والتطوير في المشروع الإنساني»<sup>1</sup>، فالنقد المعرفي يسعى إلى بلورة اتجاهين مختلفين في عملية التواصل النقدي، وهما العقلنة والجانب الروحي (العلوم الإنسانية)، لأن مشهد التواصل الحقيقي إنما يبنى من تلك الثنائيات التي تستدعي في حلقة واحدة، فيذوب الصراع، ويتجسد التآلف المعرفي، وتبنى معرفة جديدة.

كذلك يجب الإشارة إلى الكيفية التي يعمل بها هذا التواصل، لأن هناك تواصلين، تواصل براغماتي، وتواصل استثماري لخلق البدائلي، وهنا يجب القول أن التواصل النقدي من المنظور المعرفي يقوم على رسم «حدود فاصلة بين الممكن و اللاممكن وتحويل الفعل المتناهي إلى آخر غير متناه في تقديم الممارسات المعرفية التي تنشط العقل ولا تحجم العاطفة، تبغي الانفتاح ولا تتبنى التقولب، تنتفع من خبرات الآخرين في نهضتهم لتبحث عن صيغ التوافق التي تحيل إلى تحقيق الناتج الحضاري للأمة»<sup>2</sup> ويمكن بهذا القول صياغة أهم ما يتميز به التواصل النقدي وفق المبدأ المعرفي:

\* النقد المعرفي يُفعل مشهد التواصل النقدي وفق مبدأ التكامل المفاهيمي.

\* التواصل النقدي يُنشط حيوية الانفتاح والتعدد على التقولب والانغلاق.

\* التواصل النقدي ينهض على الوحدة النسقية بين العلوم والمعارف.

\* التواصل النقدي يشتغل وفق مبدأ الأنشطة الإدراكية.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: التنمية النقدية، ص 14.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 14.

\* هدف التواصل النقدي تحقيق الناتج الحضاري.

\* التواصل النقدي يتجاوز النظرة الاختزالية إلى وعي شمولي ينتفع من خبرات الآخرين.

\* التواصل النقدي يزوج بين العقل والعاطفة.

### رابعاً/ استقبال النقد المعرفي في الخطاب العربي

إن إنتاج أي ظاهرة معرفية أو إنسانية يجب أن يخضع لمجسات أو محددات اجتماعية، وثقافية، وسياسية، والتي يمكن أن نطلق عليها روح العصر أو المزاج الفلسفي الذي عمل على إنتاج ظاهرة ليتم الاعتراف بها واستثمارها داخل الحقل أو السياق أو الخطاب النقدي لكل علم أو تخصص من التخصصات، فالمحددات المهيمنة التي تعمل على إنتاج حقل معرفي أو طريقة أو أسلوب جديد في مقارنة موضوع معرفي، يحتاج إلى سجل من الاعترافات التي تضمن بقاء هذا الحقل الجديد أو تعمل على تهميشه، والقضاء عليه بوصفه موضة تأتي سريعاً وتنتهي سريعاً، ولكن المشروعات التي يمكن أن يثبتها ظهور عمل من العلوم، أو حقل معرفي، يحتاج إلى اعتراف من قبل المشتغلين بالحقل المعرفي، فضلاً عن تداوله، فكل منتج ثقافي أو معرفي يحتاج إلى دورة تسويقية من حيث الاعلان والاستثمار ورأس المال الثقافي الذي يضمن له البقاء وعدم الاندثار والانتهاه بالتقادم العمري، ولعل ظهور النقد المعرفي كان ظهوراً جديداً في الساحة النقدية، إذ تباينت واختلقت الرؤى المنهجية في استقبال وإنتاج تأسيسه لهذا الحقل المعرفي كي يضمن بقاءه، فالنقد المعرفي مثل بديلاً أو مسوّغاً جديداً يمكن أن يحل مكان النقد الثقافي أو يكون هناك تواؤم نقدي يمكن أن يعطي مرونة للناقد في نقد النص الإبداعي من حيث موضوع الثقافي أو المعرفي في النص وعليه نطرح الإشكالية الآتية:

فيم تمثلت النتاجات النقدية العربية للنقد المعرفي؟ هل هناك تباين واختلاف؟ أم هناك رؤية منهجية واحدة؟ وإلى أي مدى تحكمت الأيديولوجية النقدية في هذا الإنتاج المعرفي؟

### 1- فضاء الاستقبال

إن استقبال النقد العربي المعاصر لأي منجز غربي لم يكن وليدة لحظة معرفية، بل كان سيرورة محطات أفرزت جملة من الإشكاليات، تباينت واختلقت طبيعتها بين أصالة ومعاصرة، وبين إعادة تأسيس يتجاوز الآخر في طروحاتها، وما بين إبداع وفكر وثقافة خلّف منطق الصراع الطبقي بين جدلية الفكر والواقع، وأخيرا مشكل الترجمة الذي ما فتئ وابتلي به العقل العربي أثناء استقباله.

إن الحديث عن النقد المعرفي في دائرة الاستقبال سيفتح رؤى نقدية متنوعة، تتجاوز المناهج السياقية والنصية والما بعدية أثناء ظهورها في الخطاب العربي، وان تساوا في حيز مشكل الترجمة التي لم يمنع منها أي خطاب، لكن الآفاق المعرفية ولن أن أقول آفاقا إشكالية ستعزز من رفعة وظهور هذا النقد على الرغم من قلة وندرة ما تم إنتاجه حوله، إذ إن هذا الاستقبال قد ولّد جملة من القضايا الراهنة المعاصرة والتي ربما سيفتح الجدل حولها مستقبلا؛ من بينها: النقد المعرفي وإشكاليته المصطلحية، والتي كلما بحثنا عن المصطلح الموائم إلا وتجددت أنماط معرفية تثير جدلا فكريا، النقد المعرفي وطروحاته الحديثة التي خلّفت أحكاما مغايرة لرسم ملامح نضجه الفني، النقد المعرفي والنقد الأدبي في جدلية التجاوز أو اللا تجاوز، النقد المعرفي وجدلية الفكر والواقع، النقد المعرفي والنقد الثقافي مشروع تكاملي أم تجاوزي، النقد المعرفي وشرعية العقل أثناء المقاربة النصية، النقد المعرفي موضوعة نقدية تثير مسألة اختيار أم منهج علمي يثير ازدواجية مفروضة، النقد المعرفي في النقد العربي ودعوة الاندماج ومسايرة ركب التطور الحضاري. وهي من القضايا التي لو واصلنا طرحها لما انتهت لعمق وجدية هذا النقد وما يمكن أن يعطيه من تصورات ومعطيات عميقة.



إن اعتبرنا النقد المعرفي مسألة ثقافية، يستوجب منا استحضار مقولة "محمد عابد الجابري"، لنبين حقيقة ووضع النقد المعرفي في الخطاب العربي كمسألة ثقافية أُعتبرت مزاحمة لغيرها من المعطيات، «وتقدم نفسها في بعض الأقطار كفاعل وحيد»<sup>1</sup>، حيث يقول «وإذا كان لنا أن نأخذ بمعطيات عالمنا الراهن فإن المعطى الذي يفرض نفسه هو أن المسألة الثقافية لم تعد في الظل، لم تعد تابعا، بل إنها شئنا أم كرهنا، تطغى على سطح الأحداث، أو على الأقل تزاحم وتضايق على هذا السطح غيرها من المعطيات»<sup>2</sup> وإن هذا التفكير ربما يتناسب مع نظريات نقود ومسائل ثقافية قد سبقت ولكنه يتعارض ويتنافى إلى حد بعيد مع النقد المعرفي، لأن فكرة المسألة الثقافية وإن امتلكت ميكانيكيات التفرد المعرفي أو التميز أو الاستقلال عن المعارف السالفة الذكر، فإن هذا المنجز النقدي الجديد ينفي تماما هذه الاستقلالية لأنه ببساطة جسد نفسه كمشروع تكاملي معرفي على مستوى الأقطار والنظم التي تتعارض وتتضاد داخل النظرية الواحدة. سنتخذ النقد المعرفي كمسألة ثقافية من منظور آخر، منظور يتبنى فعل الذات أولا، ويأخذ بمنطق المظلة التي تحتمي تحتها المظلات الأخرى.

يخالف النقد المعرفي من منظور فعل تبني الذات المناهج السابقة، ففعل الذات يقتضي تنفيذ دور التحريك وإعطاء القوة النقدية التي يتمتع بها كل منهج أو نظرية سابقا، والنقد المعرفي خرج من قوقعة الذات إلى الرحب المعرفي الآخر، بمعنى أنه تخطى عن ذاته كمبدأ من مبادئ المسألة الثقافية، وليس من مبدأ وجوديته وحضوره كمنجز معرفي، ليستمد قوته وطاقته وامكانيات تصوره من المشهد المعرفي والنقدي.

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999، بيروت، ص14.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص13.

أما من حيث المنظور الثاني الذي يأخذ بمنطق المظلة ولأسميها المظلة المعرفية، فإن النقد المعرفي أخذ على عاتقه فعل الالتزام بالمحافظة على كل ميدان وكل منهج نقدي وكل نظرية معرفية، إنه حامٍ من السلطة المهيمنة الإقصائية التي تروج للمعارف في سوق استهلاكية ما إن يتم أخذ نهجها التحليلي، إلا ويأتي بديلها، فهذا الأفق الرحب للنقد المعرفي كمسألة ثقافية يتضاد إلى حد بعيد مع المشاكل التي طرحها محمد عابد الجابري أثناء حديثه عن الاستقبال العربي للمسائل الثقافية.

### أ- النقد المعرفي وتعددية ترجماته:

وحيث نتحدث عن النقد المعرفي وتعددية ترجماته، فإن هذا الاختلاف يعود في الأساس إلى عدم التوافق وتباين الأيدولوجيات الغربية التي تذبذبت في مصطلح المعرفة لكونه مفهوماً متسعاً على شتى الحقول المعرفية، فكان هذا مطية وشيئاً مبرراً أمام النقد العربي حين استقبل هذا المصطلح، فأصبحت جدلية الأصالة والمعاصرة تفرض نفسها لأنها «وجدت أسسها ومبررات وجودها في الوضع الثقافي والفكري، العربي الراهن، في مكوناته وتناقضاته»<sup>1</sup> وأصبح دافع التأسيس لمفهوم جديد حافظاً قوياً، لأجل إعادة بناء الوعي، وغدت مسألة الإبداع في عصر التقانة مسألة محفوفة بالعديد من الرؤى والقضايا، ولن أعيد ترجمات المصطلح، بل سأشير إلى أن النقد المعرفي والنقد الأدبي الإدراكي والنقد العرفاني، مسميات خضعت لمنطق التأسيس والإبداع أكثر من خضوعها إلى إيجاد المصطلح الملائم، لأن الاختلاف لا يكمن فقط في التسميات، بل في البراديغم المعرفي الذي يحفز على الاشتغال النقدي ويعطيه سمة الفرادة.

### ب- النقد المعرفي بين جدلية الفكر والواقع:

وفيما يتعلق بجدلية الفكر والواقع، فإن هذه المسألة النقدية تعتبر مفتاحاً من مفاتيح النقد المعرفي تضيء عليه قيمة تمييزية، وتعيد صياغة أسئلته النقدية في سياق عام

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط2، سبتمبر 1990، بيروت، ص22.

يفرض فيه الفكر تارة، ويكون الواقع في جدال معه تارة أخرى، إنها مرحلة مهمة وحاسمة سيقف عندها النقاد العرب في مراحل متقدمة جدا من التفكير النقدي الرصين القائم على قواعد العلم والمتجاوز لأفكار وآراء متضاربة.

يجب أن نشير بداية إلى أن الفكر من منظور النقد المعرفي ليس مضمونا (المضمون) بقدر ما هو أداة أيضا، إنه «أداة لإنتاج الأفكار سواء منها تلك التي تصنف داخل دائرة الأيدولوجيا أو داخل دائرة العلم»<sup>1</sup>، وبعبارة أخرى الفكر كأداة من «المبادئ والمفاهيم والآليات الذهنية»<sup>2</sup>، فالنقد المعرفي أدواته الفكر الذي يصنع بها التصورات والمفاهيم النابعة من العقل التي تعمل في إطار ثوابت معينة لا تتناقضها ولا تتجاوزها، إنه عمل في حدود الإدراك لا التصور، وعلى هذا فإن الفكر كأداة في النقد المعرفي يختلف عن الفكر في النقد الأدبي لأنه يمثل فكرا كمحتوى، والذي نعني به بنية «التصورات والآراء والأفكار، والنظريات»<sup>3</sup>، فهذا التمييز من شأنه أن يمنح قدرة أمام المشتغلين بهذا الحقل المعرفي على التعامل مع الظاهرة الأدبية في مختلف أنواعها يكون العقل محركا أساسيا في تشكيل الفكر وتجسيد الآليات الذهنية.

إن طبيعة العلاقة بين النقد والواقع ظلت فيما مضى علاقة يشوبها التنازع والاختلاف والضبابية، وقليل ما نجد نقدا يتوافق مع الواقع، إلا مع البنيوية التكوينية، والسوسيولوجية التي أتاحت هذا التصور وبنيت من خلاله علاقة ترابطية مع الحياة الاجتماعية، وإذا قلنا إن مفهوم الواقع مع النقد المعرفي سيختلف أيضا عن مفهوم الواقع في النقد الأدبي، فما بين فكر كأداة مع واقع، تتحول النظرة الكلية من واقع يُستلهم من نظريات وأفكار، إلى واقع تكشف عنه وندركه بالعقل البشري الذي يفسر ما تستقبله الحواس، ليكون التمثل الحقيقي للواقع بعيدا عن التمثل الافتراضي له.

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ص 52.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 52.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 52.

إن النقد المعرفي في جدلية الفكر والواقع، قطار تحولات لنقد معاصر وجديد يستطيع استيعاب الأفق الإبداعي من جهة، ويلامس على خطى معرفية تتماشى إلى حد لا محدود مع الواقع، إنه نقد طافح بالحياة يسير معه في خط متواز ويتحرك معه.

### ت - النقد المعرفي وشرعية العقل أثناء المقاربة النصية:

تحيلنا هذه القضية إلى أسئلة جوهرية يستدعيها النقد الأدبي في حضور النقد المعرفي مفادها كالاتي: «هل أصبحت وظيفة النص الإبداعي بعيدة عن وظيفتها التواصلية، والتأويلية لكي تكون تصويرية تتعلق بالمفاهيم التي ترى المعاني بأنها من أعمال الذهن؟ أو أن هناك سؤالا آخرًا يتمثل في هل يحمل النص الأدبي معرفة وما شكلها؟»<sup>1</sup>، وما الذي يمكن للناقد الأدبي أن يعرفه في النص المعرفي؟

إن هذه القضايا المعرفية التي جسدها الاستقبال، ستظل قضايا مفتوحة المعالجة والطرح والتي من شأنها أن توسع من أفق العمق النقدي فتمنحه سمة التجدد من جديد فالنقد المعرفي يحضر في النص الإبداعي كمارسة فاعلة واعية، تنطلق من الجماليات لتصل إلى المعرفي، تكون علاقة المعرفة ما بين النص الإبداعي والنقد المعرفي علاقة دينامية، تحتاج لنظام خاص يبتعد عن التمييز بين النقد الأدبي والنقد المعرفي، فكلاهما يستدعي الآخر، ومن جانب آخر فإن البعد التأويلي والتصوري في النص الإبداعي لن يفقد مكانته، بل إنه سيكسب وظيفة العقلانية التي تمده بالإجراءات والمفاهيم الصحيحة ليصل بها إلى حقيقة النص، إنه استثمار جمالي معرفي يعزز من حيوية العمل الإبداعي، يبعد عنه توتر الجو النقدي، يقول "محمد أمين العالم" كما «أننا بهذه القواعد (وهو يقصد القواعد العلمية) لا نريد أن نهدر الذوق الخاص بالنقد فإن له دخلا كبيرا في قيمة الناقد ولكن مما شك فيه أن هذه القواعد ستساعد ذوق الناقد على تعرف الصواب»<sup>2</sup>،

<sup>1</sup> -محمود خليف خضير الحياني: إشكالية النقد المعرفي في الخطاب النقدي العربي، ص4.

<sup>2</sup> -أحمد أمين: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، 1967، بيروت، ص27.

وهنا إشارة إلى التكامل المعرفي بين ما يدعو إليه النقد المعرفي وهو بلوغ الحقيقة، وما ينطبق على النقد الأدبي في منطوق الجماليات.

### ث- النقد المعرفي موضة نقدية تثير مسألة اختيار أم منهج علمي

#### يثير ازدواجية مفروضة:

تمثل هذه القضية بؤرة النقد المعرفي أثناء ظهوره على الساحة النقدية، فالاستقبال العربي لكل منجز غربي سيمر بمراحل متعددة من التفكير النقدي، والتي من شأنها أن توقعه إما في الاختيار أم التبنى المفروض، وهو ما مر به النقد الثقافي في مسيرته النقدية الذي اعتبر موضة تملئها تجليات العصر في مراحل العولمة، فكان هذا مطية ل طرح هذا الجدل القائم حول هذا المنجز الجديد.

إن إخفاقات الدائرة النقدية في الخطاب العربي، كانت وليدة اختيارات اعتبارية يملئها الذوق تارة والذي يتماثل مع مبدأ الموضة، وتفرضها الدواعي النصية تارة أخرى، فما تعلق بمنطق الموضة فقد خلف إشكاليات كثيرة لبست حكم الموت في صيغته الإقصائية على المناهج والحقول المعرفية والنقدية، وما تعلق بمنطق الفرض البراغماتي على النصوص فقد أثار موجة عارمة على خصوصية النقد في تحوله إلى علم صارم، وما بين هذا وذاك انحصر النقد المعرفي بين هذه الثنائية والتي ستختلف من ناقد لآخر كل حسب أيديولوجيته الخاصة.

بيد أن طبيعة المنهج المعرفي ستضفي أحكاما نقدية من نوع آخر من شأنها أن تبعد مبدأ الموضة عن خصوصية النقد المعرفي، فالاحتياجات النصية للمعطي المعرفي، مع ميزة التكامل والشمولية، ستجعل منه منهجا علميا لن أقول مفروضا بقدر ما سيكون منقذا ومتمما ومصححا للتوجه النقدي.

إن النقد المعرفي سيعطي شرعية بقاءه على الدوام بفضل منهجه النقدي الذي لم يكن وليد مقتضيات عصر ولا وليد موجة عولمة، بقدر ما كان توجهها نقديا علميا له مدركاته التحليلية هدفها الوصول لحقيقة النص عن طريق التواصل الإدراكي .

المتابعة والمواصلة والسعي لتحقيق ما هو قائم وممكن في الظاهرة الأدبية، وتصحيح مسالك متعثرة من أزمات النقد، كانت غاية النقد المعرفي الذي سيكون عند النقاد منهجا علميا اختياريا، وليس موضوعة مفروضة، وهنا نقول إن المعطى السابق في ثنائية الموضوعة والاختيار، والمنهج العلمي المفروض، سيتحول مع النقد المعرفي إلى وضع يحتل فيه مكانة الصدارة والتميز حتى يصبح اختياريا بقائيا لا يتنافى ولا يتعارض مع أي طروحات علمية سابقة.

### 2- فضاء الاشتغال:

إن المساحة المحدودة للامتداد الجغرافي لحركة ومسار استقبال هذا النقد في العالم العربي، تعاني من قصور يرتبط بندرة وقلة ما تم إنتاجه أو ترجمته في الخطاب النقدي العربي المعاصر، فضلا على أن سلطة الترجمة فرضت رؤية ووجهات نظر وضعت أمام المشتغلين في هذا الحقل في العالم العربي موضع التفاوت والتباين، فالاشتغال وعدم الانسجام في استقبال وإنتاج هذا النقد في الساحة العربية عمل على تنوع واختلاف في المشاريع التي طرحها، وكيفية استقباله من حيث هل هو فلسفة أو لحظة تطور لسانی أو براديجم معرفي؟

ولكن هل يمكن أن نعد المحاولات الأولى للنقد الدنيوي التي عمل إدوارد سعيد في كتابه ( العالم والنص والناقد )<sup>1</sup>، على فرض شرعيته هو البداية الأولى في إرباك منظومة النسق والانساق ومحاولته التركيز على أن النقد الأدبي المتأثر بالأطروحات العلمية أو النصية، وقضية المركزية النصية في تفسير النص، يمكن أن تعمل على حل إشكالية

<sup>1</sup> - ينظر إدوارد سعيد: العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، د.ت، دمشق.

فهم وتأويل النص الإبداعي، والتي وجدها ادوارد سعيد نوعاً من الأمنيات والأمانى الطوبائية البعيدة عن الواقع، إذ إن النقد الأدبي في حقيقته بمعنية النص الإبداعي، هو نقد دنيوي يخضع للظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية وأن ما يطرحه النقد من رؤية في الحقيقة إنما تنطلق من ثقافة أو وعي ثقافي يتحرك على وفقها الناقد في الحكم على النص الإبداعي ونقده. إذ أن البيئة والانتقالات المتكررة للنظريات والنقد تضيء خصوصيتها على النص الإبداعي من حيث أن الناقد ابن بيئته، إذ إن الناقد لا بد أن يحكمه موقف فكري أو كما أطلق عليه ادوارد سعيد "نقد دنيوي" أو موقف دنيوي.

فالوعي النقدي المعاصر الذي حاول أن يكشفه ادوارد سعيد «يقف بين إغرائيين متمثلين بقوتين عاتيتين مترابطتين تستقطبان الاهتمام النقدي، تمثلت الأولى في الثقافة التي يرتبط بها النقد بالقرابة بالولادة والانتماء والقومي والمهنة، والثانية هي الطريقة أو المنظومة التي يكتسبها الناقد من خلال التقرب (بالقناعة الاجتماعية والسياسية وبالظروف الاقتصادية والتاريخية وبالجهد الشخصي والارادة الحديدية)»<sup>1</sup> فالمعرفة والحياة البشرية مثلنا في نظر ادوارد سعيد تلك النزعة التي حركت من سيرورة النقد ووصلت به إلى وضعه الراهن.

يمكن أن نعد هذا الطرح الدنيوي للنقد عند ادوارد سعيد الارهاصات الأولى للنقد الثقافي و"النقد المعرفي"، فمصطلح النقد الدنيوي عند إدوارد سعيد يتصف بالشمولية والانفتاح على الجوانب الثقافية والمعرفية في النص والعالم والناقد.

إن هذا الطرح الفلسفي لتاريخ انتقال النظريات والأفكار، لم يمنع الخطاب النقدي العربي من البحث عن طرق وآليات أخرى في فهم عمل النقد المعرفي، إذ تجلت المبادرات البحثية الأولى في عدة دراسات ميدانية نذكر منها:

<sup>1</sup> - ادوارد سعيد: العالم والنص والناقد، ص 30.

### أ- محمد مفتاح (النقد المعرفي والمثاقفة)

إن المنظومة النقدية العربية في ميدان اشتغالها على النقد المعرفي لم تتجاوز أصابع اليد، ولقد جعلت الناقد "محمد مفتاح" يتصدر قائمة المشتغلين، على اعتبار أن مؤلفه النقدي قد عنون ب **النقد المعرفي والمثاقفة مشكاة المفاهيم**، وهو أول كتاب حمل هذا المصطلح في النقد العربي المعاصر، وربما لا توجد كتب أخرى حاولت أن تحوي هذا الميدان من حيث الطابع الاشتغالي النقدي إلا ما ظهر في سنة 2013، هذه السنة التي فاجأتنا بسلسلة نقد معرفي تضمنت خمسة كتب ميدانية كان آخرها مدخل إلى (نظرية النقد المعرفي المعاصر) للناقد "محمد سالم سعد الله"، فضلا على أن هناك كتابا آخر للناقد "محمود خليف خضر الحياتي"، وبعدها صدر مقالين؛ الأول "المحمد علاقي" والثاني "لوحيدة صاحب حسن"، فهذه النتاجات القليلة أرادت أن تجسد بصمتها النقدية في المنجز المعرفي الجديد، أما ما كان تمهيدا له، فقد كان في مجال اللسانيات وما صاحبها من دراسات في اللغة العرفانية وعلم الدلالة العرفاني وغيرها من الاجتهادات التي نعتبرها بمثابة إرهاصات تشكلية للنقد المعرفي.

يتجلى اقتراح الناقد محمد مفتاح في الوصول إلى إنتاج مقارنة جديدة، أو كما يقول «موضوع جديد على المقاربات الأدبية المتداولة، وعلى الدراسات الأنثروبولوجية المعتادة والأبحاث الأدبية المقارنة المألوفة وسنقترح عليه اسم **النقد المعرفي**»<sup>1</sup> إذ تجسد مسعاه المعرفي في تحليل ودراسة المثاقفة والتفاعل الحضاري بين الثقافات من خلال تبيان دور الخيال الإنساني وتطوره وتغيره في الثقافات الإنسانية، لذلك لجأ إلى البحث المعرفي المقارن مستعينا بمفاهيم واصفة مثل القولية والتمثيل والتكيف والتحصين والتطرف والمحيط، وكان تحليل الخطاب هدفا لوصف المثاقفة على شاكلة مفاهيم مثل التناص والمقايسة والمناظرة وغيرها<sup>2</sup>، أي ما تفرزه المقارنة الثقافية المتخيلة بين

<sup>1</sup> -ينظر محمد مفتاح: مشكاة المفاهيم النقد المعرفي والمثاقفة، ص8.

<sup>2</sup> -ينظر عمر كوش: الاتجاهات النقدية الحديثة، دار كنعان، ط1، 2003، دمشق، ص57.



المجتمعات المختلفة، ويمكن القول إن مقارنة "محمد مفتاح" واختياره لنصوص قارن فيها بين ثقافتين عربية وغربية أو غيرها، تتماهى مع طرح الناقد العراقي "عبد الله إبراهيم" ولاسيما في محاولته النقدية التي فرقت بين رؤية الراحلة العرب والمسلمين للغرب في القرون الوسطى، ورؤية الغرب المسيحي، أو الحديث للعرب والمسلمين والاختلاف الذي سجلته المركزية الغربية الحديثة والمركزية العربية الإسلامية في القرون الوسطى من اختلاف المتخيل الثقافي لكل مركزية غربية أو عربية إسلامية<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من أن معظم مقاربات "عبد الله إبراهيم" النقدية تصب في النقد الثقافي. فإن مقارنة "محمد مفتاح" كانت تهتم بالجانب المعرفي، لذلك اجترح مفاهيم المثاقفة ومفاهيم التناص ظنا منه أن مقارنة التفاعل الثقافي ستعني معرفيا مقارنة التفاعل النصي<sup>2</sup> وعلى ضوء ما قدمه النقد الثقافي ولاسيما عند "عبدالله الغدامي"، والنقد المعرفي عند "محمد مفتاح"، فإن الناقد "عمر كوش" وجدهما يستندان على نفس المرجعيات ويختلفان بالأحكام التقييمية، فأدونيس ما بعد حدائي في النقد المعرفي ورجعي في النقد الثقافي، والسبب هو النمط الثقافي المقاس عليه لدى كل منهما، فالنقد المعرفي لا يهتم بالنمطية قدر اهتمامه بالمشارك بين الثقافات، بناء على التحقيب الثلاثي الذي استند إليه، بينما يهتم النقد الثقافي بما هو نمطي ونسقي في الخطاب، لذلك عدّ الغدامي حداثة أدونيس رجعية بناء على فهم لما بعد الحدائثة الذي يفيد في أنها تمثل ردة فعل على إخفاقات الحدائثة، وبالتالي فإن تقديمية ما بعد الحدائثة في منظور الغدامي تحجب حداثة أدونيس وتعدّها رجعية بالمقاييس<sup>3</sup>. ولعل اختلافنا مع قراءة "عمر كوش" ومقارنة "محمد مفتاح" تنطلق من مقاربتنا التي تتناقض مع مقارنة "مفتاح" من حيث مفهوم ومصطلح النقد المعرفي الذي يقوم على أساس بعيد عن الثقافة النمطية وغير النمطية.

<sup>1</sup> - ينظر عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2004، بيروت، ص 237 . 462.

<sup>2</sup> - ينظر عمر كوش: الاتجاهات النقدية الحديثة ص 81.

<sup>3</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 84.

إنما على أن النص الأدبي هو في الأصل ينطوي على معرفة وله قدرة على التعبير عن الحقيقة التي كانت هي المبرر الوحيد لوجوده في العصور القديمة، والواقع أن المعرفة النصية التي كان يحققها الفن في الماضي إنما كانت معرفة دينية وأخلاقية، ومعرفة شعرية أكثر من كونها معرفة عقلية تصويرية، فالنسق الحقيقي للنص هو ربطه بالحقيقة والمعرفة التي يمكن أن يقدمها للمتلقي والتي سوف تكشف عن آليتها<sup>1</sup>.

ب- بيترستوكويل «Cognitive Poetic- An Introduction» النقد

الشعري المعرفي، ترجمة سلوى سليمان نقلي:

يعد هذا الكتاب ثمرة جهد غربي قامت بترجمته "سلوى سليمان نقلي"، وقد حمل مضاميناً نقدية إدراكية متنوعة جسدت عمق التقاطع بين العقل والأدب من حيث المفاهيم والتصورات المتعلقة بالأدب ومحاولة ربطها مع نماذج معرفية، محولاً في الوقت ذاته الجانب التنظيري إلى تأسيس تطبيقي على نصوص شعرية لتطلق التسمية كاملة بالنقد الشعري المعرفي.

إن مقارنة النصوص الشعرية وفق نظرية معرفية كان بوابة النقد المعرفي في استلهاً المبادئ والآليات الإجرائية وكذا التصورات الذهنية التي تسمح بمناقشة العمل الأدبي، لكننا نجد الناقد "محمود خليف الحياي" يقول فيه إنه في «الحقيقة كتاب أجده أقرب إلى منهجية علم النفس المعرفي من حيث آلية عمله التي ترتبط بالجانب البراجماتي أو العملي؛ لأنه يبحث عن فعل النص وهو ما طرحه المنهج التداولي ونظرية التلقي التي تبناها فيش عن طريق مفهوم الجماعة المفسرة ودرها في تحديد دور النقد الأدبي في الأتقاع وليس التثبيت»<sup>2</sup>، ولكن الجانب الذي نريد البحث عنه في هذا الكتاب هو الطريقة المعتمدة مع العلوم المستثمرة التي حملت معرفة ذهنية، والتي

<sup>1</sup> - ينظر محمود خليف خضير الحياي: اشكالية النقد المعرفي في الخطاب النقد العربي الحديث ص 12 - 15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 13.

من شأنها أن تتيح فرصة التعرف عليها و ذلك باستخلاص المفاهيم الخاصة بكل نظرية وصياغة تلك المفاهيم، مع استخدامه للجانب التطبيقي على النصوص المتنوعة من حيث التجنيس والزمان.

ت - "محمود خليف خضير الحيايى": النقد المعرفي في النص الأدبي، مقارنة في النظرية والأصول والمفاهيم

ما قدمته أطروحة الناقد "محمود خليف الحيايى" أنها حاولت تجاوز ما تم طرحه عن طريق البحث عن صيغة توأمة تجمع بين الجانب المعرفي قبل الحداثة وما بعدها محاولاً أن يثبت أن النقد المعرفي وبالتحديد في دور النص الإبداعي أو الجمالي، كان له هدف رئيسي يرتبط بالمعرفة، فالنص الإبداعي والفني بصورة عامة، كان له علاقة امتزاج بين الحق والخير والجمال، وكان هذا الثالوث يشكل حقلاً معرفياً واحداً، فكل ما تم إنتاجه في العصور القديمة ما قبل الفلسفة اليونانية من طقوس تعبدية وجمالية كان هدفها الرئيسي هو الوصول إلى الحقيقة والاتصال بها عن طريق العمل الإبداعي، فالعمل الإبداعي أو الجمالي لم يكن منفصلاً عن الأهداف العملية أو الممارسات التي ترتبط بالوصول إلى مركزية الحقيقة. ولكن ما تسببت به الفلسفة اليونانية عند سقراط وأفلاطون وأرسطو؛ عملت على الانفصال بين هذا الثالوث، وكان كل حقل له خصوصية تختلف عن الآخر. فمثلاً الأخلاق تختلف عن الحقيقة والتي بدورها تختلف عن الجمال الذي أصبح دوره مهماً، وكان موضوع الخيال والعاطفة محتقرة من قبل العقل، وإن المنظومة المنطقية التي قدمها أرسطو عملت على أن يكون الشعر أو فن الجمال في المرتبة الأضعف أو الأخيرة، وأصبحت الأعمال الجمالية قالباً أو شكلاً لأهداف دينية في العصور الوسطى، ولاسيما عند الغرب، ولكن هذا التصالح بين المجتمع أو العلاقة بين المجتمع والفن والذوق في تحديد الجمال، تم انتهاكه عندما عمل "كانط" و"بوجماتين" على تحويل الجمال إلى حكم ذوقي جماعي اجتماعي إلى حكم جمالي يقوم على أسس ومعايير جمالية تقوم على الشكل على حساب المحتوى، فالانفصال بين الشكل

والمضمون أو المحتوى، والذي أدى الى أن يتغلب الجانب الشكلي على المضمون لمصلحة العلمية التي تمثلت في مضامين الشكلايين الروس، والبنوية، هذا التواطؤ العلمي لأجل الشكل تم إنهاؤه والانقلاب عليه في مفاهيم ما بعد الحداثة، وبدأت تعود للنص الإبداعي ما تم تهميشه عبر العصور، والذي تجلى في عملية الإحالة إلى خارج النص<sup>1</sup>، ولكن ما حاولت تجربة الناقد (محمود خليف الحياني) التأكيد عليه؛ هو بيان محاولة التطعيم بين ما تم طرحه من قبل أرسطو بخصوص التعريف في كتابه فن الشعر وما قدمته نظريات ما بعد الحداثة من رؤية فلسفية كالسيمائية والتداولية، فنظرته للنقد المعرفي كان الهدف منها إثبات أصلها في التاريخ، إذ إن قضية العلاقة بين المعرفة، والجمال، والخير كانت في الأساس موجودة قبل هذا التاريخ .

ث- محمد الصالح البوعمراني (دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني)

شكالت التجارب الأخرى بصورتها العامة التي حاولت أن تبحث عن طرق وآليات في الوصول إلى مفاهيم محددة في التعرف على النقد المعرفي، هناك الدلالة العرفانية التي تمثلت في دراسة "محمد الصالح بو عمراني"، إذ السؤال الرئيسي التي تحاول هذه الدراسة أن تركز عليه؛ هو الكشف عن دور الدلالة في البحث عن المعرفة والتي فيما تبدو متأثرة بالرؤية الغربية التي يفصح عنها الكاتب في بداية المقدمة التعريفية بهذا المصطلح من حيث أن علم الدلالة العرفاني أو علم دلالة الطراز، يقوم على نموذج قدمته عالمة النفس "إليانور روش" ولقد وظفه فيما بعد لسانيون أمثال "لايكوف" و"جونسن" و"تيرنر" و"لانكاكر"، إذ أن بداية الثمانينات من العصر الماضي كانت بداية اللقاء الأول مع هذا النموذج العرفاني، فقد حاولت أن توسع السؤال القديم من قبل: كيف يفكر الكائن البشري؟ وكيف يتمثل الوجود من حوله؟ وكيف يقوله، بل كيف يتكلم وكيف يمارس

<sup>1</sup> - ينظر: محمود خليف خضير الحياني، النقد المعرفي للنص الأدبي.

الابداع عبر اللغة؟ فأستت بذلك لرؤية جديدة تحكم علاقات العرفان باللغة، وعلاقة الفكر بالإبداع والخيال والمعنى.

فالاختلاف الجوهرى بين علم الدلالة وعلم الدلالة العرفاني؛ هو أن علم الدلالة يبحث عن المعنى ولكن علم الدلالة العرفاني تم دراسته من خلال أربعة مداخل تمثل دعائمه الأساسية وهي؛ النظرية العامة التي ينطلق منها الكاتب في كتابه، محاولا اختزال مسألة علم الدلالة العرفاني في نظرية المقولة، ونظرية الفهم، ونظرية الخيال، ونظرية المعنى المتجسد.

ولقد مثلت هذه المسارات المتشعبة والمتداخلة اشكالية في الخطاب العربي لأنها لم تجد لها تربة أو أصولا وجينات عربية قديمة تقوم على أساسها الدراسة العربية.

عمل الباحث في تقسيم كتابه وفقا لوجهات النظر هذه، ولكن على وفق نظرية كل نموذج أو عالم غربي بحث في هذا الموضوع، وقد جمع الكتاب سبع دراسات وهي المقولة والطرز باحثا فيها عن أهم الدراسات والمفاهيم التي قاربت هذا الموضوع، ومفهوم التشابه الذي يربط بين نظرية الطراز الأصيل والنظرية الموسعة، ومفهوم خطاطة الصورة والذي يقوم على فكرة الجسد في العقل، والتجليات غير اللسانية للاستعارة التصويرية التي كشفت عن أهم الأنظمة العلامية، في حين قدمت الدراسة الخامسة مسألة الأجناس وعلاقتها بوجهة نظر العرفانية، والدراسة السادسة خصصها للنظر في تلقي القدماء لاستعارات المتنبي وهو جانب تطبيقي، وبنيت الدراسة الأخيرة على بيان الاختلاف في الاستعارة بين الكلاسيكية والرومنطيقية والذي يتجلى فيه اختلاف يقوم على أسس دلالية عرفانية .

ولكن في أثناء مقارنتنا للكتاب والاطلاع عليه، نلتمس أن الكاتب ينسج وينظم الكتاب على وفق الطرح والرؤية الغربية، مفصلا بها القول في الجانب التطبيقي، فضلا على أن التطبيق الذي حاول الباحث أن يقاربه في شعر "المتنبي" يقوم على أسس أو

أبعاد ترتبط بجانب التقبل الاستعاري مؤكداً على أن الجانب الغامض في الاستعارة لا يمثل حالة سلبية إنما هي تصور موسع لرؤية جديدة للتصور الاستعاري.

وعلى العموم فإننا يمكن أن ننوه أن الكتاب وإن عد تجربة جديدة تساعدنا في الاطلاع على الجانب النظري والتطبيقي فإن القصور الذي يمكن أن نجده هو تغليب الجانب الغربي على العربي، فضلاً على أن الكتاب عبارة عن بحوث تم جمعها وهو ما يمكن أن نكتشفه أثناء القراءة له<sup>1</sup>.

### ج- صابر الحباشة ومجموعة من المؤلفين (دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع)

تشكل تجربة الدكتور "صابر الحباشة" ومجموعة من المؤلفين الذين حاولوا أن يعرفوا المشتغل العربي باللسانيات على موضوع اللسانيات العرفانية في مقاربتهم التي تمت في 2019 وتعد من الدراسات والمقاربات الحديثة والتي تم جمعها في الكتاب الموسوم (دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع) وهي دراسات كانت صادقة مع عنوان هذه الدراسة، إذ ابتدأت على شكل فصول ذات ترتيب منطقي، يبدأ من الذهن ويمر باللغة، والنحو والدلالة، لينفتح إلى سياق أكبر والذي يتبلور في المعنى التربوي والمنظور التداولي، إذ أن هذه الدراسة بمجموعها بصورة عامة لم تأت بجديد ما عدا اتكائها على النظريات الغربية وعلمائها ومحاولتها التحرك من الذهن لكي تنتهي بدراسة تحاول أن تربط بين السياق التداولي، ودوره في تشكيل المعرفة وإن كانت مسألة اللسانيات العرفانية تتطابق في هذا الكتاب مع النموذج الغربي، والغرض والهدف الأساسي منها هو حالة تعريف الباحث العربي على ما تم التوصل إليه من هذه الدراسة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر محمد الصالح البو عمران: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، ط1، 2009، سفاقص.

<sup>2</sup> - ينظر محمد الصالح البو عمران: دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع)، تحرير صابر الحباشة، ومجموعة من المؤلفين، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، 2019، السعودية.

ولكنها بصورة عامة يمكن أن تمثل مسيرة أو طريقة جديدة تأثرت بالنقد الغربي وحاولت تهجين هذا الخطاب النقدي العرفاني لغرض البيئة والحاضنة العربية

### ح- محيي الدين محاسب (الإدراكيات التأسيس لعملية النقد الأدبي)

لم تتعد هذه الدراسة التي أنجزها "محيي الدين محاسب" عن التوجه العام الذي قدمه "صابر الحباشة" ومجموعته، ولكن طرح "محاسب" ركز على جوانب تاريخية أو تأصيلية لظهور موضوع الإدراكيات في الخطاب النقدي العربي والغربي، فالإشكاليات التي طرحها هذا المصطلح حسب "محاسب" ركزت على جوانب كثيرة منها ما يتجلى في قضية ترجمة كلمة الإدراكيات والتي وجد أنها قد تم تداخلها مع مصطلحات كثيرة مثل التعريف والمعرفة والشعر والأدب، فضلا على أن النقد الإدراكي خضع أيضا لمساومة الخطاب وسياقاته وسلطته التي فرضت عليه رؤيتها من حيث النقد المعرفي أو النقد الإدراكي أو النقد الشعري الإدراكي .. الخ. من الترجمات والتشكيلات النقدية. ولعل هذه الإشكاليات في الترجمة قد انتقلت إلى جيناته أو التربة التي تشكلت بها وبذرت بذرتها الأولى فيه، إذ يكشف بأنها تشكلت من سياقين أو رافدين؛ الأول من اللسانيات ومتعلقاتها من التداولية والسيمائية، والثانية ترتبط بالأول ولكنها ترتبط بالسياق الذهني أو النشاط الذهني المترتب على العامل الأول، فضلا عن هذا الاضطراب في المصطلح والولادة العسيرة، فإنه يعد من العلوم المتناسخة أو المهجنة التي ساعدت عدة علوم على تكوينه وبمعنى آخر لا يمكن أن يكون نفي النسب أو السلالة المعرفية والعلمية لأنه يرتبط برابط متعدد العلوم والحقول<sup>1</sup>، وبذلك تكون دراسة أو مقارنة "محاسب" في مقاله عبارة عن تأصيل وتاريخ لهذا المصطلح أو الحقل المعرفي الجديد.

<sup>1</sup> - ينظر محيي الدين محاسب: الإدراكيات التأسيس المعاصر لعملية النقد الأدبي، مجلة علامات، العدد 76، شوال 1434هـ - 1 أغسطس 2013.

### خ- الإدراكيات مجلة فصول في النقد الأدبي:

حملت مجلة إدراكيات العديد من المقالات اللغوية المترجمة المتعلقة بالجانب الإدراكي في عدد يحمل الرقم 100، منها ما تعلق باللغة في علاقتها بالذهن، ومنها ما بحث عن اللسانيات الإدراكية في مجالاتها البحثية وترجماتها، إلى علم الدلالة الإدراكي، وصولاً إلى المجال النقدي وما ضمه من العديد من المجالات البحثية المتعلقة بالجانب العرفاني، كالأسلوبية العرفانية والاستعارة المعرفية، ثم الفن واللغة والأدب في منحاهم الإدراكي، وصولاً عند النص الشعري المعرفي، ومنه إلى السرديات المعرفية.

لقد جسدت هذه المقالات المختلفة المترجمة أرضية إبستمولوجية استفاد منها النقد المعرفي في توجيه مجال اشتغاله النقدي، بدءاً بالعقل والذهن والدماغ في تحقيق معرفة بشرية، مروراً إلى استثمارها فيما يخدم نفعية النص الأدبي.

### د- محمد علاقي النقد الثقافي والنقد المعرفي الانتلاف والاختلاف

تكمن أهمية دراسة "محمد علاقي" في الجمع بين كل من النقد الثقافي والنقد المعرفي في بحث واحد وهو من الحاجات الملحة في تأسيس فكر نقدي، يستطيع التمييز جيداً أثناء وقوفه أمام الظاهرة الأدبية بين معطيات النقيدين.

لقد سعى "محمد علاقي" إلى وضع حدود الفصل والوصل بين النقد الثقافي والنقد المعرفي، حدود التقاطع والالتماس، حدود التلاقي والاختلاف، كاشفاً عن طبيعة العلاقة من حيث المفهوم والطابع الاشتغالي "لأنه وجد أن سؤال الواقع النقدي أصبح سؤالاً مؤرقاً، خاصة على النقد الأدبي الذي مورست عليه معرفة على معرفة، فكان هذا سبيلاً للخروج من دائرة الاستفهام وبيان جميع التعالقات والتجاوزات والاختلافات بين من كانا بديلاً عن هذا النقد، يقول «حاولنا أن نسلط الضوء على كل من النقد الثقافي والنقد المعرفي من حيث المفهوم وكيفية الاشتغال، ورغم أن كل منهما يمثل استراتيجية نقدية حاولت أن تكون مشروعاً بديلاً للنقد الأدبي وتجاوزت الجمالي في التعامل في



النصوص»<sup>1</sup>، فمحمد علاقي يرى أن هذين النقيدين مثلاً مسوغاً أو بديلاً للنقد الأدبي يمكن أن يحلا مكانه، وهذا ما سيجعل من نقد النقد محركاً في هذه الدراسة خاصة بعدما وجدت بعض من التناقضات المعرفية التي مارسها الناقد والتي أشارت إلى نوع من الدوغمائية أو التطرف الفكري التي إما أن تكون نابعة عن عدم سعة اطلاعه على النقد المعرفي، أو أن يكون منحازاً إلى النقد الثقافي وسنبين ذلك:

\*صحيح أن النقد الثقافي جاء ليتجاوز النقد الأدبي ويكون بديلاً عنه، لأن النص الأدبي من منظوره توقف عند حدود الجمالي، فكان لابد من التعدي نحو أنساق ثقافية، تتداخل فيما بينها، فجاء اعلانه عن «موت النقد الأدبي»<sup>2</sup>، لأن هذا الأخير غير قادر على أن يكتشف «الخلل الثقافي»<sup>3</sup>، وبالتالي لن يطمح إلى الوصول إلى الماورائيات الأدبية، هذا فيما أصاب فيه الناقد محمد علاقي.

في حين نجد النقد المعرفي الذي لم يأت بديلاً عن النقد الأدبي أو النقد الثقافي كما صرح به، بل جاء ليصحح المسارات المتعثرة التي آلت إليها الساحة النقدية في فكرة الهيمنة المعرفية التي تقول بموت نقد على نقد أو فكر على فكر كما فعلت الطروحات السابقة، من أبرزها النقد الثقافي في مقابل موت النقد الأدبي.

\* تجلّى التناقض المعرفي الآخر في تصريحات الناقد حول كيفية اشتغال كل من النقد الثقافي والنقد المعرفي، حيث يقول فيهما أنهما استراتيجيتان تكشف المحجوبات والمهمشات النابعة من النصوص، ومهمة كل منهما تتجلى في الوصول إلى هدف معين وهو (النسق/المضمرة/المعرفة)<sup>4</sup>، وفي موضع آخر للبحث عن التساؤل الذي طرحه في: هل يمكن للنقد المعرفي أن يمثل استراتيجية بديلة للنقد الثقافي أم هو مشروع تكاملي؟

1 - محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي: الائتلاف والاختلاف، ص 312.

2 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005، بيروت-لبنان، ص 8.

3 - المرجع نفسه، ص 8.

4 - محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف، ص 315.

نجده ينفي كلامه عن اشتغالية النقد المعرفي في بحثه عن الأنساق المضمرة يقول إنه «حينما نسقط النقد الثقافي ليعوضه النقد المعرفي نكون قد أغفلنا جانبا مهما في دراسة النص وهو ذلك المتعلق بالأنساق المضمرة فيه والتي لا يهتم بها النقد المعرفي»<sup>1</sup>. النقد المعرفي ليس استراتيجية كالنقد الثقافي وإن كان شموليا انفتاحيا، بل هو منهج نقدي له مقولاته واجراءاته النقدية التحليلية، أما فيما يتعلق بعدم قدرته على الكشف عن الأنساق، فيكفي أن نقول إن النقد المعرفي نقد من أهم «سماته التحليلية أنه يبحث في ما وراء الظواهر النصية وليس في الظاهرة، وفي ذلك سعي لقراءة المستور عنه، والتنقيب عن خفايا القصد من النص»<sup>2</sup>، وبالتالي يمكن القول إن دراسة محمد علاقي على الرغم من وجود بعض المغالطات المعرفية في فهمه للنقد المعرفي، إلا أنها فتحت آفاقا اشتغالية أمام القارئ الذي لم يملك بعد مبدأ التعامل مع النقد الثقافي، وأتاحت فرصة التعرف للنقاد على النقد المعرفي باعتباره منجزا جديدا، مع التمييز بين النقادين.

### ذ- وحيدة صاحب حسن النقد الأدبي المعرفي المعاصر الأصول، المرجعيات:

ارتكزت دراسة الباحثة "وحيدة صاحب حسن" على الإمام بجميع المعطيات والمضامين المتعلقة بالأصول والمرجعيات المعرفية للنقد المعرفي لتصل في نهاية المطاف إلى مفهوم جامع يتيح إمكانية الوعي والممارسة. وكما ذكرنا في الفصل الأول المتعلق بالمصطلح والمفهوم أشدنا إلى دور وحيدة في التمييز الجيد بين مصطلح الإدراك، والمعرفة، وحسبنا القول إن هذا التمييز المنهجي والمعرفي يمكن أن يعطي إشارة الفصل النهائية؛ أمام تعدد الترجمات، وثانيا أمام الباحثين والنقاد الذين اختلط عليهم عدم الوعي بهاذين المصطلحين.

<sup>1</sup> - محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف، ص315.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي، ص3.

لقد وجد النقد المعرفي في البحث الفلسفي واللساني مادة غنية له بالتصورات العقلانية، التي رسمت له اتجاهها نقديا، وأعطته شهادة البقاء، لتمهد له فرص الإنتاجية على المستويين التطبيقي والتطبيقي، وهذا ما أثارته هذه الدراسة، فالبحث الفلسفي تضمن كل من نهج "كانط" في القبلية المتعالية والعقل والتجربة، مروراً إلى "هوسرل" في الذات المتعالية في المعرفة، وصولاً إلى علم النفس المعرفي وما تعلق به من نظريات سلوكية كنظرية الجشطلت التي كان لها تأثير عميق في فكرة الشمولية.

أما المعطى اللساني فقد تجسد في اللسانيات المعرفية التي فتحت آفاق اشتغالية اللغة وفق الذهن والإدراك والتي من خلالها تم بلورة نظريات معرفية كان لها الدور الأسمى في التأثير على النقد المعرفي، تقول الباحثة «تطورت اللسانيات المعرفية واتسعت حقولها البحثية لتشمل نظرية التصنيف الاستعاري الوضعي عند لايكوف، ونظرية خطاطات الصور عند جونسون، ونظرية النحو عند لانغاكير، ونظرية الإحياز الذهنية والمزج التصويري عند فوكويني وترنر، وعلى دلالات الطراز عند جيرابرتس»<sup>1</sup>، لتصل في النهاية إلى مفهوم للنقد الأدبي المعرفي وتستقي منه طرقاً وآليات لتفتح به مجالات اشتغالها أثناء الممارسة النقدية على قصيدة الشاعر "سعدى يوسف" بعنوان (تحت جدارية فائق حسن)، بعدما رأت أن دراسة يمى العيد لهذه القصيدة قد غيبت الإطار المعرفي لها.

هناك إشارة مهمة جداً يجب أن نوضحها بخصوص عنوان هذه المقالة، والتي يمكن أن تحدث فارقاً كبيراً على مستوى النقد المعرفي الذي بصدد البحث عنه، وعن النقد الأدبي المعرفي الذي تمثلته الناقدة في بحثها.

هناك اختلاف جوهري على مستوى الإجراء والممارسة بين النقد الأدبي المعرفي والنقد المعرفي، نجد من وظف مصطلح المعرفة مع الأدب والنقد، "كمحي الدين محسب"،

<sup>1</sup> -وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر-الأصول، المرجعيات، مجلة القادسية، ص92.

ووحيدة صاحب حسن، وهناك من اقتصر على النقد والمعرفة فقط، والذي نجده عند محمد سالم سعد الله.

النقد المعرفي لا يقيد نفسه بالإطار الأدبي، بل هو متسع وشامل وهذه ميزته وخصوصيته التي تمنحه مسارا منهجيا متباينا مع النقد الأدبي والنقد الثقافي، أما النقد الأدبي المعرفي الذي بحثت عنه الناقدة فإنه يختلف عن الأول في مدى قوقعته الأدبية. وعلى العموم فإن هذه المقالة قد اختزنت بين رحاب سطورها العديد من المعارف النقدية والتي في رأبي لا يمكن لكتاب آخر أن يحملها، على الرغم من صفحاتها القلائ، إلا أنها أثارت ونظرت ورسمت وغذت ومدت العمل النقدي بهذا المنجز المعرفي.

ر- محمد سالم سعد الله / (سلسلة النقد المعرفي)

اخترت أن يكون الناقد "محمد سالم سعد الله" هو الأخير في الدراسة، رغم أنه حامل لسلسلة متكاملة حول هذا النقد، والتي يجدر أن تمنحه صدارة المشتغلين، إلا أنني آثرت أن يكون بوابة افتتاح لي في الفصل التطبيقي لأن سلسلته النقدية ستمكن من الوصول إلى إمكانيات معرفية جديدة لم تتح للمشتغلين التعرف عليها من قبل.

لقد قدم الناقد مشروعا علميا للساحة النقدية العربية، بعدما وجد أن تخوم المشاكل والأزمات التي أصابت النقد بمنظومته لم يقدم لها الحلول بعد، فسمحت له الفرصة بتقديم نتاج وجهد معرفي على صعد متنوعة من الكتب التي ضمها في مجموعة أطلق عليها سلسلة النقد المعرفي، والتي حملت الآتية:

- مملكة النص: التحليل السيميائي للنقد البلاغي.

- أطراف النص: دراسات في النقد الإسلامي المعاصر.

- أنسنة النص: مسارات معرفية معاصرة.

- ما وراء النص: دراسات في النقد المعرفي المعاصر.

وجدير بالذكر أن هذه السلسلة النقدية تعتبر ثمرة جهد لمنجز نقدي جديد، أولاً من حيث التأصيل والتأسيس، وثانياً من حيث رسم الإطار المنهجي لاشتغال هذا النقد في منظومة معرفية تمكنه من «اكتساب سمات معرفية متجددة ومتطورة بتطور النهج الفكري العالمي»<sup>1</sup>، وهو الذي من شأنه أن يبين سمة الفرادة النقدية التي مثلها محمد سالم الله في هذا النقد.

يشير الناقد إلى بيان الهدف من وراء سلسلة النقد المعرفي حيث يقول: «حاولنا في هذه السلسلة مساءلة النقد المعرفي ومحاولة تطبيقه على بعض النصوص من خلال رؤية نقدية ونهج قرآني لنصوص عدة انطلاقاً من النص الفلسفي مروراً بالنص النقدي التنظيري، وانتهاءً بالنص الإبداعي التطبيقي، متخذين منطلق التنوع في الوحدة منطلقاً علمياً في الاشتغال»<sup>2</sup>، وبالتالي هدف الناقد من وراء هذه السلسلة هو إمكانية الاشتغال بالنقد المعرفي نحو إمكانات متنوعة تسمح بالتوجه نحو ثقافة عالمية تضم نتاجات نقدية ونظريات معرفية متعددة.

-النقد المعرفي نقد مازال في طور البحث والنضج المنهجي، وهذا ما أثبتته الطابع الإنتاجي للنقاد، حيث ركز البعض على الدلالة العرفانية والنص الإبداعي، فضلاً على البحث في جينات المصطلح وتداخله مع الإدراكيات.

ما يخلص إليه البحث في النقد المعرفي بين الإنتاج والاستقبال هو النتائج الآتية:

1. مارس النقد المعرفي علاقات حوارية بفعل ميزة التكامل المعرفي التي جعلته في حلقة وصل مع علوم معرفية كثيرة بنى معها نماذج إبستيمية استفاد من معطياتها ومقارباتها التحليلية فكانت (اللسانيات المعرفية، الاستعارة المعرفية، البلاغة المعرفية، علم النفس المعرفي، علم الاجتماع المعرفي، النقد الأدبي والنقد الثقافي ثم التكاملية

<sup>1</sup> -محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر ص3.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص3

فالسرديات) علوما وممكنات وجسرا توصليا، منح هذا الخطاب النقدي المعرفي نهجا تحليليا يقوم على مبادئ معرفية.

2. تمثلت مقولات النقد المعرفي في: مقولة التداخل، مقولة الحوارية، مقولة الشمولية، مقولة الاستثمار والاستمرار، مقولة الجمالي المعرفي، مقولة الجسدنة. وهي مقولات اندرجت ضمن مفاهيم تتعلق بمجالي النقد والإبداع من منظور المعرفة، لتضفي على هذا النقد سمة الفرادة النقدية والطابع المنهجي.

3. يمكن للناقد الأدبي أن يتحول إلى ناقد معرفي في منظومة نقدية يكون أساسها الكشف عن المنطلقات المعرفية من مبدأ جمالي تتبعها إجراءات فكرية وآليات تحليلية ورؤى نقدية تستطيع الوصول إلى كنه الدلالة وتكشف الماورائيات النصية.

4. انتقل النقد المعرفي بأسئلته الجوهرية من سؤال الماذا إلى سؤال الكيف، مثيرا من خلاله كل ما هو ظاهر وخفي في النص، ليحفز على المقاربة المنطقية العقلية التي جسدت مدارات اشتغالية جديدة استهدفها النقد المعرفي من خلال هذا السؤال، تمثلت في: جدلية اللغة بين الشعرية والمعرفية، الحضور الرباعي للعملية الإبداعية من منظور النقد المعرفي، مدار المعنى من منظور النقد المعرفي، التواصل النقدي من منظور النقد المعرفي.

5. أُنخذ النقد المعرفي كمسألة ثقافية تتبنى فعل الذات أولا، وتأخذ بمنطق المظلة التي تحتمي تحتها المظلات الأخرى.

6. إن النقد المعرفي سيعطي شرعية بقاءه على الدوام بفضل منهجه النقدي الذي لم يكن وليد مقتضيات عصر، ولا وليد موجة عولمة بقدر ما كان توجهها نقديا علميا له مدركاته التحليلية هدفها الوصول إلى حقيقة النص عن طريق التواصل الإدراكي.

7. النقد المعرفي نقد مازال في طور البحث والنضج المنهجي وهذا ما أثبتته الطابع الإنتاجي للنقاد، حيث ركز البعض على الدلالة العرفانية والنص الإبداعي، فضلا عن البحث في جينات المصطلح وتداخله مع الإدراكيات.

## الفصل الثالث:

# أسس التنظير للنقد المعرفي عند

"محمد سالم سعد الله"

أولاً: الأسس الفلسفية للنقد المعرفي

ثانياً: الأسس المعرفية للنقد المعرفي

ثالثاً: الأسس المنهجية للنقد المعرفي

رابعاً: المفهوم النقدي للنقد المعرفي عند محمد سالم

## أولا/ الأسس الفلسفية للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله"

يستمد النقد مبادئه وأسسها خاصة من الخطاب الفلسفي الذي يعتبر الجسر الأول للممارسة الفكرية، ذلك أن الفلسفة هي الغذاء الذي تستمد منه كل المعارف حيويتها واستمراريتها، وهي التي تحفز عملية اشتغال العقل من ماذا؟ إلى كيف؟ وهي التي تبرز نمطية الوجود في بحثها عن العالم والانسان والمجتمع، فتمنح إمكانيات لا حد لها من المعارف، ولذلك نجد أن كل الخطابات تأسست على المنطق الفلسفي، وقدمت رؤى معرفية مثلت بها أنموذجا يحاكي حينها الفلسفة، وحينما آخر تقدمها على أنها الأرضية الإيستمولوجية لها.

والنقد المعرفي وجد طريقه في الفلسفة التي ستفسح له المجال نحو مغامرة معرفية ومنهجية.

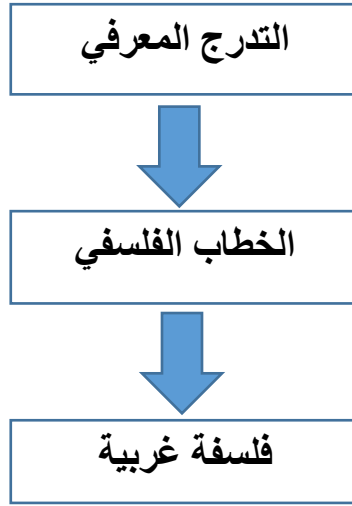
### 1- الفلسفة الغربية:

يتأسس النقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله" على مجموعة من المعارف المتعلقة بالفلسفة اليهودية، لقراءة وتحليل النصوص ذات الأبعاد الوجودية للفكر اليهودي مفسرا بها جملة من القضايا المعرفية المعاصرة، محاولا الربط بين ما هو واقعي نعيشه اليوم، وبين فلسفات عالمية تركت أثرا كبيرا في الممارسات والتوجهات والقيم، وبالنظر إلى ما كتبه "محمد سالم سعد الله"، نجد أنه استند إلى:

#### أ- الفلسفة اليهودية

انقسمت الفلسفة اليهودية في طروحاتها إلى فلسفة عدمية وأخرى قبلانية، والبحث في التوجه الفلسفي بصفة عامة هو تذكير بمرجعيات ثقافية مارست فاعليتها على هذه الخطابات، ويكمن أن نرسم ملامح التأسيس المنهجي للنقد المعرفي من خلال ما تم توظيفه في تحليله بالمخطط الآتي:





-فلسفة قبلانية

-عطلة السبب مسار فلسفي قبلاني

-أسطورة الرجل الباتمان

الشكل 5 ملامح التأسيس للفلسفة اليهودية عند "محمد سالم سعد الله"

-فلسفة عدمية

-أسطورة الرجل السوبرمان

-فلسفة الإنسان الهجين

#### ب- الفلسفة العدمية:

يستند التدرج المعرفي أو الفعل المعرفي المعاصر كما أطلق عليه الناقد، إلى مبدأ الانفتاح على كل العوالم المعرفية الممكنة التي جسدتها العولمة في طروحاتها، وإن هذا المبدأ في طبيعته يشترط تنشيط عمل العقل لاختراق جل الخطابات الرمزية، أو النقدية، أو الفلسفية إلى غيرها، وإن عملية تجديد الفكر ومحاولة بلورته في سياق يضبط به الثنائيات المتناقضة في دائرة واحدة يحتاج إلى التطرف والغلو على نمطية الأسئلة السائدة، وتبني فعل الاختلاف الذي يثبت هوية الذات (الناقد) في بحثها، ويثبت قدرة هذا النقد في تقديم رؤى للقضايا التي تناولها، وحسبنا القول أن ما طرحه الناقد من قضايا، هو تشريع لإفحام سؤال يمثل إجراءً لا يتوقف عن قراءتنا وكتابته، وتلك هي النقطة الفارقة التي غابت عن البيئة العربية، «لأنها لم تتعود السؤال ولأن مركزية تعليمها وثقافتها تلقن التلقي وتقديس الجاهز المعطى، بل وتحرم كل محاولة للخروج عن

المألوف»<sup>1</sup>، لذلك سنبرز فاعلية هذا الاختلاف من خلال بحث الناقد في كيفية تفكيكه للمعرفة انطلاقاً من المعطى الفلسفي، حيث يقول، «إن الحديث عن أسطورة الرجل الخارق بصوره المتعددة، هو حديث عن التموضع خلف الظاهرة، وبيان حقيقة الناتج المعرفي، وتعرية فلسفته، وإن كنا في مراحل سابقة نستقبل الظواهر المتمسمة بالبراءة بوصفنا متلقين سلبيين، فإننا اليوم نروم فحص تلك البراءة، وتمزيق الأقنعة، ودخول نادي الفضائح الذي تلعب فيه الأوراق بشكل مكشوف»<sup>2</sup>، وإن هذا القول يوحي بأن مبدأ العقلانية قد أثر على الناقد بشكل كبير في مساره، فبيان حقيقة الناتج المعرفي يحتاج بالضرورة إلى تبني هذا المبدأ كسلاح يواجهه لما هو خارج عنه، يعتمد استراتيجية التفكير، مستندا إلى عنصرَي: التساؤل الدائم، وتشكيل الأفكار والمفاهيم، إنه يسعى «لبناء الكفاءات الذهنية والمعارف المناسبة لممارسة الفعل النقدي على الذات، والسلطة، والمؤسسة والتاريخ»<sup>3</sup>، لذلك فالبحت في ثلاثية الرجل الخارق (السوبرمان، الباتمان، السبايدرمان)، هو بحث في سياقات ومرجعيات الفكر الأوروبي بامتياز وما يستند إليه من فلسفة يهودية توطر مقولاته عند روادها سواء "بنيثشة" أو غيره....

يبدأ الناقد بتفكيك المعرفة بالربط بين ما كان يُظن أنه خيالي في أذهاننا وبين معرفة أطرت للعقل في الفكر الأوروبي وهي الفلسفة العدمية، وإن هذا الربط في حقيقته جاء من خلال التفكير النقدي عند الآخر بإيمانه المطلق أن الرجل الخارق في ثلاثيته الخيالية (السوبرمان، الباتمان)، له تأثير كبير على الآخر (العقل العربي)، من خلال تمثلاته الرمزية، فالاختراق المعرفي في ماورائياته (التمثل)، سيكشف الواقع الخفي، وفي نفس الوقت، سيضيئ تلك العتمة التي ظلت تتوارى خلفها تلك الشخصيات.

<sup>1</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره' الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة العربية. ط1، 2014، بيروت، ص209.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص14.

<sup>3</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص12.

إن أول انطلاق فلسفي اعتبره الناقد أساسا ومرجعا له في بناء تدرج معرفي يستطيع من خلاله استنتاج الخطابات المغلفة، هو الفلسفة العدمية "نيتشة"، فقد احتلت هذه الفلسفة مكانة كبيرة في المشروع الفلسفي والنقدي المعاصر، وأحدثت تحولات كبيرة على صعد متنوعة منها (السياسي والاقتصادي والفكري والثقافي)، فالرجل الخارق الذي تمثل في ثلاث شخصيات، جعل الناقد يبدأ بسؤاله المازاوي الذي من خلاله سيدفعه للبحث والاكتشاف قائلا: «لماذا لم يكن رجلا واحدا، لماذا انقسم أو تعدد على ثلاثة صور: صورتان بهيئة حيوان، وأخرى بصورة إنسان؟»<sup>1</sup>، ليحمل تساؤله هذا العديد من المعاني التي تحتل عدة تأويلات، مُرجعا كل تمثل لبيئته الغربية، فالسوبرمان أمريكي، والباتمان يهودي والسبايدرمان رجل الجنس<sup>2</sup>، فنستج من هنا أن عملية النباش في الفكر الغربي، وخاصة في مبدأ المركزية، التي تحتلها هذه الشخصيات هو بداية التكوين المعرفي عن طريق تعرية فلسفاتها التي تتوارى خلفها، وهذا إنما يذكرنا بالسلمات المعرفية للأيدولوجيا عند "ماركس"، فهذه التمثلات الثلاث لنموذج رجل خارق هي صيغ أيديولوجية انبثقت من تصورات فلسفية، حتى لا تقبل المحاكمة العقلية، فتنشر الوهم والزيف في ثوب البراءة، وتلك هي الأيدولوجيا عند ماركس التي جعلها ترصد الواقع بطريقة تعمل على تشويبه بواسطة خلفيات وتصورات مسبقة، وهذه التصورات المعكوسة من جراء اندماجها في التاريخ الفعلي الواقعي، بسبب غرورها وادعائها بالكلية، في حين أنها تحمل كلية مثالية خيالية<sup>3</sup>

فالكلية والمطلق هو بداية التأسيس لفكرة هذه الشخصيات في الفكر الغربي والتي جعلت الناقد يتفطن لها من خلال ربطه بالفلسفة العدمية التي مثلت الأنموذج الأسمى في الطرح النيتشوي، يقول في ذلك «انبثق توجه نيتشة في بناء فلسفة الرجل الأعلى من فكرة عزل الاله بل الحكم عليه بالموت وإعطاء سلطاته إلى الإنسان الذي سيمارس

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله، مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص14.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص14.

<sup>3</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص55.

دور الاله المطلق في الحكم والتشريع وقد استثمر نيتشة فكرة الوحدة العليا المؤسسة للموجودات وهي المونادة\* في بناء إرادة الانسان الخارق الذي تنسب إليه مشروعية التحكم بالموجودات بوصفها مونادات جزئية تخضع كلياً للمونادة العليا المتمثلة بالرجل الأعلى<sup>1</sup>، وإن قوله هذا يشير إلى العديد من الأفكار، سنحاول ذكرها مع بيان سبب اختياره للفلسفة العدمية تحديداً:

\*الربط المصطلحي عند الناقد يشير إلى عمق التفكير النقدي عنده، فمصطلح **السوبرمان** اخترعه نيتشة لأنه يؤمن بالإنسان القوي.  
\*موت الإله وعزله وإعطاء السلطة للإنسان.

\* القوة التي يتمتع بها السوبرمان، والتي جسدت لنا صورة الرجل المنقذ للبشرية، هي في حقيقتها انبعثت من فلسفة القوة أو إرادة القوة.

\*فكرة الايجاب في نظر المتلقي العربي لشخصية السوبرمان، ربطها الناقد بفكرة مناقضة لها وهي فكرة السلب باعتبارها المظهر الأساسي للوجود والانكار والنفي، ومن هنا يبرز التفكيك المعرفي له.

وفي مدار البحث عن **فلسفة الانسان الهجين**، نجد الانتقال من نقد الفلسفة إلى نقد الفكر تحديداً، إذ المسائل الاجتماعية والاقتصادية قد فرضت نفسها بقوة، وشكلت هاجساً مستمراً يستدعي المساءلة والاكتشاف، ففي فكرة الاستنساخ يجد الناقد طريقاً آخر لبناء الوعي المعرفي المعاصر، بل ويعتبرها قضية معرفية، ومفردة من مفردات التطور

---

\* - مفهوم فلسفي يرجع في جذوره إلى أصول قديمة من حيث مظاهره المفاهيمية أو استخدامه الاصطلاحي، فالمونادا لفظ يوناني الأصل، ويدل على الوحدة وأطلقه أفلاطون على المثال واستعمله بعض المفكرين المسيحيين للدلالة على الجواهر الروحية التي يتكون منها الكون كما أطلقه لايبنتز على كل واحد من الجواهر البسيطة التي يتكون منها العالم. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص189.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله، مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص15

التي يجب البحث في منطلقاتها وبيان خلفياتها حتى يمنع من الوقوع في ساحة الفوضى واللامنهجية<sup>1</sup>، لاسيما وأن انطلاقة الناقد تبدو انطلاقة ممنهجة مبنية على فكرة القيمة عند ماركس، الذي اعتبر أن «الثروة العقلية الواقعية للفرد تتوقف على غنى العلاقات الواقعية، وأن تطور الحاجات الإنسانية، التي بدأت الصناعة الحديثة في خلقها تتطلب مساءلة نقدية، لأنها تنتج علاقات جديدة بين الإنسان والأشياء»<sup>2</sup>، فوضع سطر تحت مفردتي الإنسان والأشياء، هو اللامنهجية والفوضى التي تحدث عنها الناقد، خاصة وأن ربطها بفكرة التضاييف التي غيبت الهويات، وأنسنت للأشياء يعتبر مأزقا علميا تجاوز الخطوط الحمراء تحت منطلق الاختراع.

تبدو الخلفية الفلسفية للإنسان الهجين وليدة الفلسفة العدمية، والفلسفة الكانطية، حتى ولو كانت اكتست طابعا سياسيا أو اجتماعيا أو تاريخيا، إذ يقول محمد سالم، «العقل العلمي الذي توصل إلى هذه الإمكانيات الرائعة كانت له مواقفه الفلسفية الخاصة اتجاه الإنسان، فقد انبثق البحث في الأساس من إيمانه المطلق بمعطيات العقل أولا، ثم توجهه إلى فصل الجانب المادي عن الجاني الروحي ثانيا، انه افراز حضاري غربي، انبثق من عزل الاله وقتله، واغتصاب حكمه، والتشبه به في التعامل مع عملية الخلق»<sup>3</sup>، ومن منطلق هذا القول وجب تحديد أهم الفلسفات التي تعتبر منطلقا أساسا للناقد أولا، ثم بيانها كخلفية لقضية الاستتساخ:

\*الإيمان المطلق بمعطيات العقل، وهنا إشارة للفلسفة العقلية الكانطية التي ترى أن المصدر الأول للمعرفة هو الاتجاه العقلي، يقول كانط: «إن العقل هو القدرة التي

<sup>1</sup> - ينظر: محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 23.

<sup>2</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص 58.

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص مسارات معرفية معاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، اريد-الأردن، ص 27.

تمنحنا مبادئ المعرفة القبلية، فإن العقل المحض هو ذلك الذي يتضمن مبادئ معرفة شئ ما على نحو قبلي تماماً»<sup>1</sup> ومن هنا تمجيداً لنا العارفة.

\*فصل الجانب المادي عن الجانب الروحي، وهذا منبع الفلسفة المادية عند كل من "هوبز" و"لوك" التي تسبق فيها المادة الإنسان والعقل والأخلاق والتاريخ.

\* عزل الإله وقتله، وإطلاق الأحكام، هي الفلسفة العدمية النيتشوية، التي تؤمن بمبدأ التحرر المطلق، ودخول عوالم التجاوز، تجاوز كل القيود، وجعل اللاممكن ممكناً، واللامتجاوز متجاوزاً.

فكك "محمد سالم سعد الله" القضية المعرفية المتمثلة في الاستتساخ، منطلقاً من ثلاث فلسفات، تعتبر أساساً له في بحثه المعرفي، هي الفلسفة الكانطية، والمادية، والعدمية، وأن هذه الفلسفات تعدّ البنية التحتية الفكرية التي هيمنت على النخب الفكرية والثقافية، مما جعل لها نموذجاً معرفياً يتطلب البحث الأركيولوجي من خلال ربطه بقضايا مصيرية أفرزها العقل البشري في طروحاته الداعية إلى مبدأ التجديد والعولمة.

## 2- الفلسفة القبلانية منطلق فلسفي للنقد المعرفي

### أ- أسطورة الرجل الخارق (الباتمان)

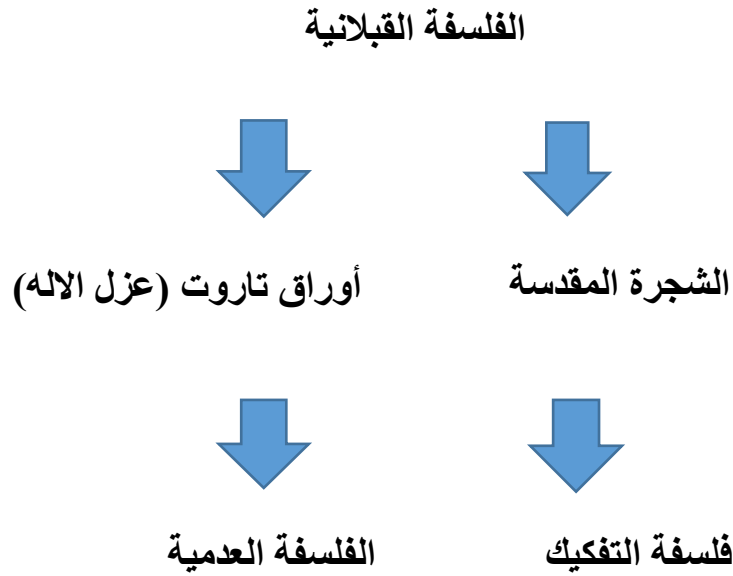
تعتبر الفلسفة القبلانية نموذجاً محملاً بالعديد من الدلالات، والأنساق المعرفية التي لها امتدادات بفلسفات سابقة، بدءاً بفكرة عزل الإله مع "نيتشة"، وصولاً إلى فلسفة التفكيك مع "دريدا"، مروراً باللغة القبلانية الصوفية، التي جسدت الممارسات الفكرية اللاهوتية.

<sup>1</sup> - امانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة وتقديم موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، د.ط، د.ت، بيروت، ص54.

وإن وجودها كخلفية فلسفية للنقد المعرفي يتطلب الإمساك بكل المعايير المعرفية التي شكلت طروحات مغرية في الفكر العالمي المعاصر، لذلك وجب استحضار المعنى الشمولي لهذه الفلسفة حتى نتبين أسباب اختيار الناقد لها أثناء توظيفه في تفكيك أسطورة الرجل الخارق وهو (الباتمان)، «فألطانة الروحية عند القبلايين وظفت أساسا للاهتمام بعلاقة الفرد مع الفيتافيزيقا، وقد جلب هذا الاهتمام تحولات عميقة في المفاهيم المرتبطة (الإله، العالم، الإنسان، وأصول الكون، والخطيئة، ومعنى التاريخ، ونهاية المؤمن)، والهدف من ذلك تحديد موقع الفرد في الكون»<sup>1</sup>، ومن هذه التحولات، تبرز الجدلية المعرفية في تفكيك شخصية الباتمان انطلاقا من الممارسات اللاهوتية لليهود، في علاقتهم بالإله، والخطيئة.

يستند الناقد "محمد سالم سعد الله" في تفكيك شخصية الباتمان، إلى مرجعية فلسفية غربية تمثلت في الفلسفة القبلاية اليهودية، محاولا الربط بين الرجل الوطواط واليهود، لبيان السلوكات التي آل إليها الفكر الغربي في تجسيد لهذه الشخصية، والتي حملوها على أبعاد تظهر للعيان على أنها المنقذة، وفي حقيقتها الرمز الذي ينشر الخبث والفساد. يمكن استنتاج أهم الفلسفات التي استند إليها الناقد من خلال تحليله، والتي أفرزتها القبلاية:

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله وآخرون: فقه التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م، ص 19-20.



الشكل 6 الفلسفة القبلانية في تفكير المعرفة اليهودية

إن الفلسفة القبلانية قد مثلت البرنامج التطويري لبعض الفلسفات (كالعدمية، والنيشوية، والمنطق الصوفي الذي فجر اللغة في تعددية المعاني) من خلال الإجابة على المظاهر المعقدة للكون، ففسحت المجال لاشتغال العقل وإعمال الفكر من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر الجسر والامتداد النقدي، من خلال ربط كل نقد بميتافيزيقيته، لذلك فالفلسفة بالمعنى العام الذي تتمثله الفلسفة القبلانية بمعناها الخاص «هي تعبير عن موقف أساسي إزاء الكائن والموجود، وتعبير عن وضعية تاريخية واجتماعية وعن نفسها بكل وضوح، ويعمق أكثر، كما تتجلى في الحياة العملية المتجمدة في زيفها»<sup>1</sup>، ومن هذا المبدأ نجد الناقد "محمد سالم سعد الله" قد فجر نسقها من خلال راهنية سؤاله، وعقلانيته التي لا يكف بها عن مراجعة مكونات هذه الفلسفة، وأشكال حدائتها في الفكر الغربي، حيث يقول: «اتخذت المدونات الأولى لفلسفة التصوف اليهودي القبلانية رمزا طوطميا حمل سمات المجموع وخصائصهم، فضلا عن سلوكياتهم وتصرفاتهم، وتمثل

<sup>1</sup>– Herbert Marcuse, Philosophie et revolution, Bibliotheque Mediation (Paris Denoel/Gonthier, 1969), P2



هذا الطوطم بصورة الخفاش bat الذي أصبح حضورا مجسدا لكل الممارسات والطقوس التي يقوم بها الأفراد المنتمين إلى الدائرة العقديّة نفسها، ولهذا التمثل أسس فلسفية يمكن الحديث عنها من خلال السلوكيات المسجلة على هذا الحيوان، ثم توضيح الأفعال الجسدية له ودورها في صياغة ثيمات مشتركة بين الطرفين، اليهود من جهة، والخفاش من جهة<sup>1</sup>، من هذا القول سنبين البعد المعرفي له، في اتخاذ هذه الفلسفة منطلقا في تحليله:

\* استنثار التراث الفلسفي (الفلسفة القبلانية) لتشكيل تدرج معرفي للنقد المعرفي.

\* تشكيل رؤية ابستمولوجية من خلال الفلسفة القبلانية تمثلت في استثماره في البعد النقدي أثناء الطرح، وتجسد في (التفكيك عند دريدا/تعددية اللغة عند المتصوفة اليهود/العدمية)

\* مارس الناقد تفكيكه المعرفي من خلال الربط بين أسطورة الباتمان، وأفعال اليهود لتعرية الواقع الذي لم يكشف عنه.

\* الكشف عن التمثل الرمزي من خلال التأثير في الآخر لبناء براديغم معرفي.

\* إعادة بناء المعرفة على منطق جينيولوجي خلخل به الأوهام السائدة لصورة شخصية الرجل الخارق، التي هيمنت على مجتمعاتنا العربية.

\* كشف عن الغلاف الخفي للتمثلات الأسطورية، في رغبة منه لإعادة بناء العقل الواعي المتزن الذي لا يقبل بأي دخيل، إلا بعد تمحيصه وقراءته قراءة حفرية تمس كافة المستويات، الفكرية، والسياسية، والمجتمعية، وكذا الأخلاقية.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 18.

\* أعطى الناقد للعقل من خلال تحليله لشخصية الرجل الخارق، نظرية المناقشة، التي لا تقبل بالجاهز، والتي ترى أن كل شيء قابل للنقد والتداول، والمراجعة والتقييم.

\* إن الحاجة إلى إثبات الرأي هو «مهمة إبستمولوجية»<sup>1</sup> يتخلص فيها الناقد من زخرف القول وتنميته، ويتسلح بتلك المفاهيم والأدوات الإجرائية التي تؤهله لبلوغ الحد الأسمى من المعرفة العلمية لأي قضية، ولا ريب أن نجد ملامحها بارزة كأساس مفاهيمي حاضر في التكوين المنهجي للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله.

#### ب- السبب مسار قبلاني:

إن ارتباط يوم السبت بالفلسفة القبلانية، فيه تأكيد على أنّ الناقد أراد أن يجعل ويبين أن هذه الفلسفة طريقة في العيش، من خلال تأكيده الحفري على ميتولوجيا السبت الذي سار به "محمد سالم" إلى أبعاد رمزية، وأخرى وظيفية، وأخيرا دينية، ليؤكد على أهمية البعد المعرفي لهذا اليوم الذي شكل مرحلة حاسمة في تاريخ الغرب، يقول «إن الاحتفال بيوم السبت يعد في التراث القبلاني من أهم الاحتفالات وأكثرها دلالة ورمزية، إذ عدوه شكلا من أشكال الزواج المقدس، بل ويعد يوم القبلانية بالدرجة الأولى»<sup>2</sup>، وهنا تلتقي العلاقة التأسيسية بين الطرفين، ويبرز البعد المعرفي أثناء المعالجة، وكما أسلفنا الذكر، فإن القبلانية تركز على طبيعة العلاقة بين الفرد والاله، ويوم السبت الذي هو تمثل عقيدي لليهود، يقوم على هذا المبدأ، مبدأ علاقة الخالق بالمخلوق.

وجدير بالذكر أن نبين أن بداية البحث من قبل الناقد، قد تأسست على الفلسفة الفرويدية، ولمسنا ذلك من خلال المصطلحات أولا، وثانيا من خلال جعل الأيام العقيدية تمثلات رمزية، تحفر في ذاته، فتمنحه صفة الأنا التي تمجد ذاك اليوم، يقول:

<sup>1</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص224.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، مسارات معرفية معاصرة، ص20-21.

«يتخذ اللاوعي مناطق رسمه في تشكيلات رمزية تعبر عن قوة الدلالة، التي تضي شرعية على سلوكيات الوعي المتمسك بإمكانيات الرمز على الإيحاء، وقدرته على التحرك في حيز انزياحي مندرج في مخططات عقدية تمتلك قداسة المجموع، وتبني الفرد»<sup>1</sup>، ويقول أيضا «يمارس اللاوعي نهجه في صيغ الحفاظ من خلال صناعة ظروف ملائمة للمتعبدين»<sup>2</sup>، ومن خلال هذا الطرح أمكن تفكيك أفكاره في الآتي:

\*مصطلحات الوعي، واللاوعي، قداسة المجموع، الفرد، قاموس فرويدي، استحضرها الناقد ليبين البنى العقائدية والاجتماعية التي سيطرت على الفكر اللاهوتي.

\*يحضر الجانب المعرفي أثناء الطرح من خلال الفكر النقدي للناقد، في جمع فلسفتين (الفرويدية/القبلانية)، وإنتاج عمليات ذهنية وتمثلات تسهم في تفكيك المعرفة بطرق عقلانية.

\* حضور مفاهيم التحليل النفسي للكشف عن الآليات الواعية واللاواعية في الفكر اليهودي في قوله «البناء النفسي القائم على الرغبة المتطلعة نحو تحقيق التوازن بين الروحي(الدين)، والمادي، (الواقع)»<sup>3</sup>، وبالتالي يتخذها "محمد سالم سعد الله" منطلقا معرفيا لدراسة الأبعاد الوجودية.

\*التأكيد على مبدأ الإدراك بدل التأمل، وهو الجانب المؤسس للنقد المعرفي، ونلمس من قوله (قوة الدلالة/ الرمز على الإيحاء)، فهذه العبارات توحى بتوظيف البعد الإدراكي للجانب المعرفي من خلال التطلع إلى كل الإمكانيات الممكنة التي يتيحها يوم السبت

<sup>1</sup>-محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، مسارات معرفية معاصرة، ص14.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص14.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه، ص14.

من تصورات دلالية تنتج أفكارا، وتبني الرمز بدل الإيحاء، لإعطاء صورة مزيفة للواقع، لا يمكن معرفتها إلا من خلال الإدراك.

وفي حوار لنا مع الناقد "محمد سالم سعد الله"، أكد على سبب تأسيس ما هو معرفي على القبلانية حيث يقول «يمكن عد القبلانية المعين المتدفق لحيوية الطرح النقدي بشكل بشكل عام ولاسيما طروحات ما بعد الحداثة، إذ سبقت القبلانية الطروحات الفلسفية المختلفة في تحديد علاقة الانسان بالإله من جهة، وتحديد علاقة الإله بالطبيعة من جهة ثانية، فضلا عن تحديد منزلة اللغة التي يتمتع بها كل من الإله والانسان، وقد كان لتلك التحديدات أثر كبير في مختلف التنوعات الفلسفية، والمنهجية والمعرفية الحديثة»<sup>1</sup>، وهو ما يؤكد حضور القبلانية في التصورات المعرفية التي ينطلق منها الناقد لتفكيك القيم المعرفية في تصوراته للنقد المعرفي.

### **3- الفلسفة الوجودية منطلق فلسفي للنقد المعرفي.**

يتجدد السؤال النقدي بتجدد الطرح الفلسفي المتمثل في الوجودية كمنطلق أساسي في التحليل المعرفي بين ناقلين جمعهما التوجه الفلسفي ذاته، وفرقتهما البيئة، والمعتقد، والنزعة التي ينتميان إليها؛ (ناقد غربي: هايدجر/ وناقد عربي: عبد الرحمان بدوي) اللذان مثلا مركز الوجودية، برؤيتين مختلفتين، في دراسة للناقد عنونها ب: "الوجود المطلق بين بدوي وهيدجر"

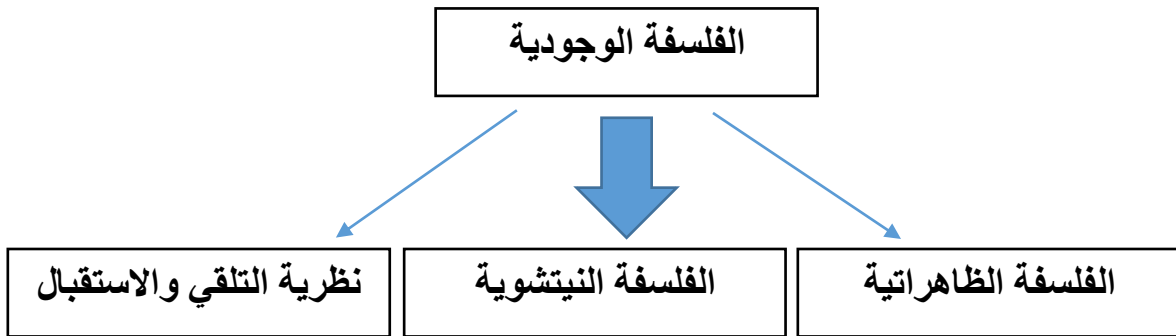
ينطلق "محمد سالم سعد الله" من أساس فلسفي متمثل في الوجودية، بين فيلسوف غربي وآخر عربي، ولعل ما ذهب إليه في طرحه هذا يشبه إلى حد ما، ما طرحه "هشام جعيط" بما يسميه "فلسفة الثقافة" «التي تتخذ من التراث والهوية وعلاقة الشرق والغرب

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: منهجية النقد المعرفي، حوار أجرته الباحثة رانية قدرى، مجلة الأديب الثقافية، العدد الثالث/ السنة الثانية-صيف، 2021، بغداد ص2.

موضوعات لها»<sup>1</sup>، فالجمع بين المتناقضين في التكيف المعرفي هو منطلق النقد المعرفي، إذ التناقض يظهر من خلال السياق الأيديولوجي الذي يتمثله الناقدان في فلسفتها، وعلى الرغم من هذا فإن أكثر ما يفرقهما يجمعهما في سيرورة بحثهما الوجودي، خاصة من مبدأ التأثير بالعدمية النيتشوية التي مثلت المرتكز الأول لهما.

كما أن هذا الجمع، سيثير استقهامات عديدة، لعل أهمها، كيف يمكن الربط بين ذات غربية لها منطق الهيمنة المعرفية والتمركز، وبين ذات عربية لها هاجس خلخلة الفهم السائد الذي أفرزته تداعيات الحداثة في مفهوم العقلانية على الإنسان العربي، أي كيف يمكن إثبات الذات في مقابل الآخر الغربي؟

فسر "محمد سالم سعد الله"، الطرح الهيدجري، بمجموعة من اللحظات الفلسفية المترسبة في الوعي الغربي، والتي نعتبرها بمثابة منطلقات فلسفية استند إليها في تحليله للوجودية عند الناقدين، وسيتم التمثيل على ذلك بناء على تحليله:



الشكل 7 الفلسفة الوجودية بين الظاهرية والنيتشوية والاستقبالية

تصبح الكتابة عند "محمد سالم سعد الله"، نموذجاً لتدخلات فلسفية، متشابكة، داخل النسيج النصي، إذ أصبحت كل قضية فكرية، تتطلب تحليلاً معرفياً، لا يتم صوغها إلا بعد جهد نظري، فعملية المزج الفلسفي التي وظفها تسمى بالحوار المعرفي الذي يؤسس للنقد المعرفي.

<sup>1</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص151.

أ- الفلسفة الظاهرية: ما يدل على هذه الفلسفة قوله: «نقل هيدجر المشروع الظاهراتي من دائرة المعرفة إلى دائرة الوجود»<sup>1</sup>، أي الانتقال من المنطق الإبستمولوجي إلى المنطق الأنطولوجي، أي تفسير وجودية الانسان بدلا من وصفها.

ب- الفلسفة النيتشوية: يفسر وجودية هيدجر بعدمية نيتشة، حيث يقول: «تبنى مفهوم الانسان الخارق عند نيتشة الذي يؤكد على ضرورة بقاء العالم أو الحياة من خلال نشاط هذا الانسان»<sup>2</sup>، فالسؤال الوجودي ينطلق أساسا من السؤال العدمي، أي في وجود الانسان وإعطائه الصفة المطلقة في كل الممارسات.

ت- نظرية الاستقبال والتلقي: والتي تم التعبير عنها أولا بواسطة الظاهرية، وثانيا بواسطة التأويلية، إذ يقول: «وتتحول الظاهرية إلى التأويلية، وتبدأ مسيرة جديدة في الفكر الفلسفي الأوروبي تعالج سلطة الفهم والتأليف، وتراعي حقوق عملية القراءة وتشكك في اكتمال دلالة النص بمعزل عن تلقيه»<sup>3</sup>، فالوجودية استمدت المبدأ الأول من الظاهرية في عملية الانتقال، ثم التأويلية المرتبطة بعملية الفهم والتفسير، فتعطي فسحة ومكانة للقارئ لاستيعاب الوجود.

إن مبحث الوجودية بين هذين الناقلين مفتوح على كل القراءات، ولكن فكر الناقد "محمد سالم سعد الله"، تحرك فيه انطلاقا من معطيات فلسفية، أراد من خلالها أولا؛ تفكيك الأرضية الميتافيزيقية للفكر الغربي بدءا "بهوسرل"، ثم "هيدجر"، ثم "نيتشة"، طارحا في نفس الوقت سؤال الذات العربية حسب صيغ تساؤلية متمثلة في "عبد الرحمان

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 51.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 52.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 53.

بدوي"، فهذا العمل التركيبي، هو الذي من شأنه أن يفجر كل إمكانيات المعرفة، ويثبت نزعة الناقد العقلانية، وسنبين ذلك من خلال تفكيكه المعرفي، ودمجه المنطقي وبحثه عن الاتصال والانفصال بين "بدوي" و"هيدجر". يقول في ذلك «هيدجر جعل من الوجود نتيجة يمكن الوصول إليها عن طريق الوعي الظاهراتي، أما بدوي فقد جعل من الوجود نقصا لا يمكن اتمامه الا من خلال العدم، فالطريقتان متباينتان: طريق يسعى إلى الوجود من خلال دلالة متعالية تصور العالم على أنه حركة تصاعدية تمثل حركة الوعي اتجاه الأشياء، وطريق يمارس روحية الفعل الفلسفي للوصول إلى تسليم واع بضرورة العدم بوصفه شرطا للوجود المحقق للفردية والحرية»<sup>1</sup>، ومن خلال هذا القول يمكن استنتاج أهم العناصر التي تسهم في فهم هذا التحليل المعرفي:

-مظاهر الاتصال: إن كلا الناقلين وجّها اهتمامهما للمبحث الوجودي، "فهيدجر" استأنس بمنطق ردة الفعل المعرفي في الفكر الغربي، لذلك لم يتوان في بناء سؤال متجدد على أنقاض فلسفة "هيجل" التي عجزت عن تفسير الوجود، وعلى فلسفة "هوسرل" الظاهراتية في تعديل مفهوم الوعي، وإعادة الاعتبار للذات. في حين نجد بدوي في وجوديته التي أراد من خلالها البحث عن النزعة الإنسانية في الفكر العربي.

• انطلاق كل منهما من العدم، ولكن وفق رؤيته الخاصة.

-مظاهر الانفصال:

• في حديث "محمد سالم سعد الله"، نجد مفردتي النتيجة والنقص، اللتين جسدتا عمق الممارسة المعرفية التي توحى بالاختلاف الجوهرية بين الناقلين.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 57.

- الوجودية في فكر "هيدجر" هي نتيجة تومئ باتصال الذات بعالم الأشياء، للبحث عن كينونتها.
- الوجودية في فكر "بدوي" هي نقص يشير الى انفصال الفرد عن الآخر، وضرورة اتصاله بذاته.
- العدم عند "هيدجر" ينطلق من موت الاله، أما عند بدوي فهو الربط بين الانسان وخالقه، وبناء ذات عارفة تتمتع بالحرية والفردانية.
- من خلال تحليل الناقد، وتفكيكه المعرفي، نستنتج ما يلي:
- هجرة النصوص داخل النص الواحد في المعطى الفلسفي وهذا ما يدعم فكرة التعدد التي أساسا ينطلق منها النقد المعرفي.
- النزعة العقلانية في تحليل الظواهر وفق منطق إبستيمي.
- الفكر المختلف في قراءته للخطابات.
- فكر الناقد فكر جنياالوجي، أراد لسؤاله النقدي أن يمتد إلى كل الحقول، رغبة منه في خلخلة الأصول والمرتكزات (الهيدجرية والبدوية)، فهو في نظرنا متبنٍ لفكرة الجنياالوجيا النيئتشوية عندما نجد تحليله ينطلق من مبدأ التشكل، لا الماهية.

#### 4- الفلسفة العربية الإسلامية:

إن اتكاء الناقد على الفلسفة العربية الإسلامية كمقوم ومنطلق من منطلقات التحليل لتأسيس ما هو معرفي، هو في حد ذاته مغامرة منهجية، وفي نفس الوقت دعوة للقارئ المعاصر للنظر في تجارب الحداثة وتحليل ظواهرها الثقافية بروح فلسفية عربية إسلامية، رؤية تتيح لهذا النوع من المعرفة بتجاوز النظرة التقليدية، وإمكان تطويرها وتمييتها فكريا وواقعا.

لقد سعى الناقد إلى فهم واستيعاب التحولات على الصعيد العالمي، وانشاء مفاهيم حديثة للإسهام في الثقافة والتوعية بقيم الحكمة الإنسانية الجديدة.



واختيار الناقد للفلسفة العربية الإسلامية ربما يرجع إلى فكرة «أن لكل عصر حكمته»<sup>1</sup>، وإن العودة إليها عودة للإنسان والأخلاق والسياسة. برؤية معرفية وفق منظور جديد وهذا ما جسده القضايا المطروحة في ثنايا كتبه.

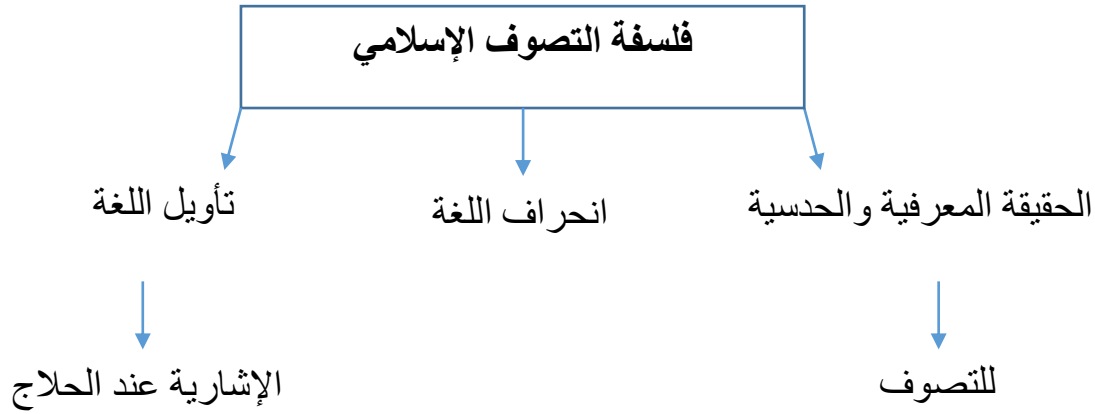
#### أ- فلسفة التصوف الإسلامي منطلق معرفي:

تتبنى فلسفة التصوف الإسلامي على مسلمات معرفية مضمرة، تختزن لانهائية المعرفة، في سياقات متعددة لتطور علوم الإنسان ومعارفه، تتطلق من الدين الذي هو مرتكزها، ليحكمها في الأخير المنطق والوعي والإدراك. ولعل هذا ما جعل الناقد يختار هذه الفلسفة للحمولة المعرفية التي تسهم في تنشيط عمل الذهن والعقل للوصول للإدراك الكلي.

إن هاجس السؤال النقدي في البحث عن كل ما هو معرفي، وخاصة في هذه الفلسفة؛ فلسفة التصوف الإسلامي، هو إشكالية تتأرجح بين المعطين ألا وهما النسقي والسياقي (نسقية تدور في فكر الحلاج من أجل مقارنة نصوصه على مستوى القراءة)، وسياقية تستأنس بفلسفة التصوف لتفكيك الشعر، والتأويل، يقول "محمد سالم سعد الله" «أردنا دراسة جانب متواضع من الحقل الصوفي من خلال دراسة الحقيقة المعرفية والتوجه الحدسي، ودراسة انحراف اللغة وانزياحيه المصطلح، فضلا عن دراسة جانب تأويل اللغة الإشارية من خلال مقارنة نص الحلاج»<sup>2</sup> ومن خلال ثنايا القول يمكن رسم مخطط لكيفية استثمار التصوف الإسلامي في الدراسة المعرفية انطلاقا من المعطيات التي ذكرت.

<sup>1</sup> - سامي محمود إبراهيم: الفلسفة وفقه الواقع، موقع الكتروني، اسلام اون لاين <https://islamonline.net> تاريخ الدخول 2022/2/17 الساعة 17.11

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: أطيايف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2007، اربد-الأردن، ص69.



### الشكل 8 التصوف الإسلامي منطلق معرفي

ب- التأويل وفق فلسفة التصوف:

يبدأ السؤال الفلسفي في دائرة الاهتمام التأويلي انطلاقاً من التصوف الإسلامي باعتباره نسفاً فلسفياً يفجر كل إمكانات الدلالة داخل الخطاب وفق منطق ذهني عقلي، يحسم بواسطته جدلية الاحتمالات، ولأن الإدراك كان هو الأداة الأساسية عند الصوفي، فالتأويل عندئذ سيصبح الميكانيزم الذي يحدد تلك المعرفة في لغة الصوفي تحديداً، يقول "محمد سالم سعد الله" «أصبح التأويل الصوفي متجهاً نحو إسقاط الشريعة واصفاً الحقيقة في مقام أسمى منها، وإلى استنطاق النص في التأويل بصيغة تجري فيها من قبل المواصفة المجازية التي تفيد التأويل الباطني، وذلك بمعرفة حدسية ذات طبيعة دينية سرية، أما التأويل الباطني: فمفاده أن الألفاظ رموز لمعان خفية لا يعلمها إلا إمام معصوم، ومن هنا فقد صرفوا ألفاظ القرآن عن ظاهرها»<sup>1</sup> فقضية التأويل في الخطاب الصوفي تتخذ أبعاداً معرفية ولغوية ووجودية، وسيتم التفصيل حسب رؤية الناقد في ذلك:

-البعد المعرفي: ويتجلى في وصف الحقيقة في مقام أعلى منه عن طريق

الاستنباط والتأويل.

<sup>1</sup> -محمد سالم سعد الله: أطراف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص71.

-البعد اللغوي: ولمسنا هذا من مفردتي المواصفة المجازية؛ فسر قوة الفكر الصوفي يكمن في رمزيته، فنجد أن لغة المتصوفة لغة مجازية ذات دلالات كثيرة قابلة لأكثر من تأويل.

-البعد الوجودي: ترصد اللغة المجازية التجربة الصوفية، والتجربة لا تبني خارج تداعيات العالم الخارجي، فهي جزء لا يتجزأ منه، فتصبح العملية التأويلية في هذا المقام؛ الإفصاح عن مكونات الوجود التي جسدتها تلك اللغة.

يتمثل الطموح المركزي للناقد في الكشف عن التمثلات المعرفية التي تختزنها اللغة الصوفية، وإلى إعادة النظر في المسألة التأويلية من منطلق إسلامي هدفه إقحام الفكر في ثنايا القراءة، وبناء أسلوب يمكّن القارئ من سبر أغوار المناطق التي يتضمنها النص في رمزيته ودلالاته التكنيفية؛ رغبة منه في إيجاد كل الطرق التي تعمل على تنشيط عمل العقل والذهن في الممارسات على النصوص الإبداعية.

#### ت- الحقيقة المعرفية للتوجه الصوفي:

يلجأ الناقد إلى بناء وتفكيك المعرفة انطلاقاً من التصور الفلسفي الصوفي، لاستنتاج الحقائق التي بنى عليها المتصوف رؤيته، ولفهم الطرق المتعددة التي وظفوها إن لكل ناقد فكره الخاص داخل الحقل الفلسفي المختار، نظرتة إلى تشكيل هذا النقد(النقد المعرفي)، وإلى الحمولة التي يمنحها هذا الاجراء المقترن بفعل التفكير الذي عاد به إلى بعض العقول المفكرة في السياق العربي الإسلامي، ومنها الأفق الكثيف "الحلاج" والذي سيتم التفصيل فيه لاحقاً، فالبناء المعرفي الذي انطلق منه الناقد كان متسلسلاً خضع لترتيب منطقي ومعرفي لا زمني، فمن التأويل كأداة نقرأ بها الخطابات الصوفية، إلى معرفة الحقيقة الحسية والمعرفية للتصوف، مروراً باللغة في تشكيلاتها وتمثلاتها الانزياحية، وأخيراً بنصوص "الحلاج" كأنموذج في التصوف الإسلامي.

استهدف "محمد سالم" كل ما من شأنه أن يكون مركزا للعقل، رغبة منه في الانتقال من الفهم إلى الإدراك، يقول «جاء التصوف ليكشف حقيقة العلم الباطن عن طريق تأويل الموجودات والمظاهر والطبائع وتحويلها إلى لغة رمزية، وتركيبات معقدة أشبه ما تكون بمجموعات طلسمية»<sup>1</sup>، ويقول أيضا كل «ما قيل في التصوف ومعارفه، وكنهه وحقيقته، لا يتعدى تأويل الظاهر منه، لأن الحقيقة المعرفية القابعة وراء المدلولات الرمزية والدوال السطحية لا يكشف عنها»<sup>2</sup>، وعلى هذا أمكن ضبط النقاط المهمة في هذين القولين التي تبين نمطية تأويل التوجه الصوفي من وجهة نظر "محمد سالم":

- جعل الناقد التأويل الأداة الأولى والأساسية للكشف عن الحقائق المعرفية للعلم الباطن.
- يرصد القول طبيعة التقنية الصوفية على مستويات الفهم والإدراك والتحليل، وبتجلى هذا في تحويلهم للتجارب بما فيها المظاهر والطبائع إلى لغة رمزية وإشارية.
- يشير الناقد إلى أن قراءة خطاب المتصوفة يحتاج إلى جهد وإعمال للعقل والفكر، فتوظيفهم للغة الرمزية يتطلب قراءة واعية، متزنة، قراءة ذهنية لا قراءة تعبيرية.
- يكمن الفعل الإدراكي عند المتصوفة في رمزياتهم، وفي مجال تأويلاتهم التي فتحوها على العقل، فكل ما هو مفتوح يستعدي التساؤل الدائم والبناء المفهومي لتلك اللغة.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أطراف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص74.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص74.

- الخطاب الصوفي عامة لم يكن بمعزل عن الحركة التأويلية، وفي نفس الوقت مثل تلك النظرية التي تؤمن بأن للمعرفة سبيلا آخر لا يتم الكشف عنها، وفي هذا دعوة من الناقد (محمد سالم) للقارئ في أن يقتحم البؤر المركزية للمعرفة الصوفية لكشف المستور، ومراجعة اليقينيات.

### ث - الرؤية المعرفية لانزياحية المصطلح الصوفي

يتعمق التحليل النقدي في انزياحية المصطلح الصوفي، وتنتسج الرؤية المعرفية، وتنتقل المفاهيم المرتبطة بهذا المصطلح إلى أبعاد أخرى فكرية، يكشف فيها الناقد عن النزعة الصوفية الإسلامية وفق منطق الفلسفة التحليلية.

تشير لفظتا انزياحية المصطلح إلى أن هناك مضامين مستترة ومحتجبة عن القارئ لا يدركها في لفظة "المتصوف"، واختيار الناقد لهذا العنوان فيه دلالة صريحة عن النبش المعرفي الذي سيمارسه للكشف عن حقيقة هذا المصطلح، لذلك نجده يقول «يوصف المصطلح الصوفي بالانزياحية الذي يوحي للمتلقي العادي بمفهوم يختلف عن إيحائه النموذجي أو العارف بمعطيات التصوف ولهذا جسد المصطلح الصوفي ثنائية المرئي واللامرئي، المرئي قياسا لصاحب التصوف في الكشف والمكابدة، واللامرئي نسبة إلى دارس المصطلح لوجود حواجز وحجب عدة»<sup>1</sup>، فهذا القول يوحي بأن صعوبة فهم الإشكالية الاصطلاحية الصوفية لا يتم إلا بالغور في الجهاز المفاهيمي وبنية نظامه المعرفي الذي اختزله الناقد في ثنائية المرئي واللامرئي.

**المرئي:** ويتعلق بتلك الممارسات الوجدانية، والمقامات والأحوال التي مارست فاعليتها في صناعة المصطلح الصوفي.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أطراف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص78.

اللامرئي: وقد ربطه الناقد بالقارئ تحديداً، أي بدارس هذا المصطلح، الذي تمتع بالانزياحية، التي منعت الوصول لحقيقته، فالحوجز والحجب تكمن في الرمز والإشارة التي تشير بدورها لتعددية المعاني.

وضع "محمد سالم سعد الله" تقسيمات وفروعا متعلقة بالجانب الصوفي، واعتبرها بمثابة السلسلة المعرفية العرفانية لمسيرة المتصوف نحو التصوف، ثم مارس بحثه الأركيولوجي في ثنايا المصطلحات الصوفية، وأعطى لكل مصطلح حمولة معرفية، نذكر منها: (وحدة الوجود، وحدة الحلول، الفناء، السكر، التوحيد)

لجأ الناقد إلى مناقشة الجانب المعرفي للمصطلح الصوفي معتمدا مرجعية الفلسفة الإسلامية التي رسم من خلالها الضرورات المنطقية والواقعية لحمولة المصطلح الصوفي، الذي جسّد إطاره حسب تحليل الناقد في: (إدراك الوجود والتفكير/اكتشاف معنى العالم في حيز صوفي عن طريق التجربة) وانتقاء الناقد لمثل هذه القضايا فيه طابع تجديدي من حيث: نمطية التحليل والمصطلحات الموظفة والفكر النقدي.

- **نمطية التحليل:** تجسدت في عبوره المنطقي لحمولة هذا المصطلح من حيث جانبه المعرفي لا جانبه الزمني.
- **المصطلحات الموظفة:** تمثلت في: (المعرفة، العرفانية، الحقيقة، المطلق، العقل)، وهي مصطلحات تدور في فلك ثنائية التأصيل والتأسيس للنقد المعرفي.
- **الفكر النقدي:** يكمن في حسن اختيار الناقد لعنوان انحراف اللغة وانزياحية المصطلح فقد سار به نحو أبعاد إبستمولوجية، والتي أوحى من الوهلة الأولى أن فكره متجدد وأن لفظة الانزياحية توحى بالسعي نحو التنقيب عن خفايا القصد، والكشف عن المستور، وهي الغاية التي يسعى لها النقد المعرفي.

### ج- البعد المعرفي للمتلقي عند الحلاج:

استند الناقد "محمد سالم سعد الله" على المقوم الفلسفي الصوفي الإسلامي كمرجعية لبناء أنموذج معرفي، يقارب من خلاله الوجهة المعرفية لكل من المتلقي والنص عند "الحلاج"، وهو أمر مفيد في استنهاض العقل والتفكير والتواصل، خاصة إذا كانت رؤية الناقد تتبرم من كل اليقينيّات القديمة، وتتبنى رؤية التجديد والاختلاف.

إن فعل التحقيق المعرفي؛ قراءة تسعى إلى البحث عن مبدأ المطابقة أو التوازي بين القارئ والمقروء له، أي إن عملية البحث هنا سترتكز على تحليل المعطى الفكري للحلاج، وضرورة ربطه بالمتلقي، وعلى هذا نجد أن المساءلة النقدية للناقد جعلته ينطلق من المتلقي ويؤسس من خلاله لقضية معرفية تدور في فلك ثنائية (فكر الحلاج/فكر المتلقي)، ويبدو إن مسألة العقل تطرح نفسها في كل لحظة عندما نستحضر سؤال الناقد الذي يقول فيه «إن لم يكن المتصوفة الكبار في ذلك الوقت -كالجنيد والشبلي- وغيرهما، إن لم يكونوا قد فهموا إشارات الحلاج في نصه، فكيف للمتلقي العادي أن يفهمها؟ وكيف لنا نحن المتأخرين من فهم تلك الإشارات التي بقيت في رحم التاريخ لمدة طويلة، تفتقر إلى من يصوغ لها تحديدها الذي تنضبط به، وتكتسب دلالتها من خلاله؟»<sup>1</sup>، فقد أراد بهذا القول، أن يثبت بأن الإشكالية الحلاجية ستظل تؤرق القارئ خاصة أمام مشكلة تضخمه الأيديولوجي الذي سيتحكم في تأويله ويدخله دوامة الضد أو مع النص الصوفي.

إن إدخال السؤال الفلسفي في التراث العربي الإسلامي وجعله موضوعا مستحدثا للصراع الأيديولوجي الراهن، يمثل تحديا للنقاد في قراءتهم لنصوص الحلاج قراءة

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أطراف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص84.

عقلانية، لاسيما حين يتهم الفلاسفة المتصوفة أنفسهم بعدم استيعابهم وفهمهم وفك شفرات ورموز نصوص الحلاج كالجنيد" مثلا وغيره.

ألح الناقد على المنطلق الإبستمولوجي في تعامله مع نصوص "الحلاج" حين صرّح بأن سبب الضعف المعرفي الذي يعاني منه القارئ هو الافتقار إلى العقلانية المنهجية الصوفية التي حالت بينه وبين مقصديه التأويل الذي يستخدمه القارئ للوصول إلى كنه الدلالة الصوفية باعتبارها ما لانهاية من التصور والإدراك المعرفي<sup>1</sup>. فالأمر هنا مرتبط بشكل أساسي بالحقل الإبستيمي المعرفي العميق الذي تختزنه النصوص الحلاجية من رمزية اللغة وأفكار ومفاهيم رؤيوية، تجسد التجربة كعنصر أولاني، وتصف الوجود كمبدأ ثنائي، وتبطن المعاني في لعبة الدوال والمدلولات.

ما يمكن استنتاجه كنقاط تؤسس للنقد المعرفي من خلال الجدلية المعرفية بين المتلقي والحلاج نذكر الآتي:

- تأكيد الناقد على الانطلاق من النص الإبداعي للوصول إلى ما هو معرفي، وهو هدف النقد المعرفي.
- تبني المبدأ العقلاني أثناء التعامل مع الظاهرة الأدبية.
- مقصدية التأويل في البحث فيما وراء الظاهرة الإبداعية، وهي أهم سمة للنقد المعرفي.
- النص الصوفي نص يحمل ما لانهاية من التصور والإدراك وهو الأمر الذي من شأنه أن يمنح القارئ تلك الفرصة في تحويله إلى فعل للمعرفة، لاكتشاف الميكانيزمات التي انطلق ونهض عليها ذاك النص.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد سالم سعد الله: أطراف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص84.



### ح- الجمعة مسار عربي إسلامي:

تتعلق القضايا المعرفية عند "محمد سالم سعد الله" في سرب يتعلق بالوجود والزمان والإنسان، ولقد مثل يوم الجمعة عنده فضاء رحبا انطلق من تفكيكه وفق مرجعية ورؤية إسلامية، لإدراك المخزون المعرفي لهذا اليوم، وما يمكن أن يمنحه من تصورات جديدة ومستحدثة حول طبيعة التمثلات العقيدية.

يبني الناقد معرفته من فكرة أن يوم الجمعة مثل عيدا عقائديا وتمثلا شعائريا، واعتبر «أن لهذه الأعياد ممارسات وظيفية دلالية تتحدد بإيجاد عناصر قوة داخل الفرد المتعبد أو المنتمي إلى حصن العقد الفكر العقدي الواحد»<sup>1</sup>، وكما أسلفنا الذكر فإن يوم السبت مثل عيد اليهود، فيكون بذلك يوم الجمعة عيدا عقائديا للدين الإسلامي، وتكمن الوظيفة الدلالية حسب طرح الناقد في الانشطارات الفكرية العميقة داخل الأنسجة الاجتماعية التي مارست فيها هذه الأعياد سلوكها وفكرها في الفرد، فيكتسب بذلك يوم الجمعة ازدواجية الطابع الحياتي والطابع الفكري، وهو السبب الذي جعل الناقد يفكك معرفة هذا اليوم بالبحث في كنهه.

بحث الناقد في الدلالات اللغوية وكذا الاصطلاحية منطلقا من رؤية إسلامية معتبرا «يوم الجمعة يوما يحمل دلالات تعبدية وإسلامية عربية مخصوصة»<sup>2</sup>، وقد استند إلى القرآن الكريم لاكتشاف كل المفاهيم المعرفية التي حظي بها هذا اليوم وقد خصها في هذا القول «اكتسب يوم الجمعة مظهرا قدسيا إسلاميا، ومنزلة عقديّة خص بها الدين الإسلامي، فضلا على أن هناك معطيات دينية ارتبطت به منها: خلق آدم، وخروجه من الجنة، وموته، وأول يوم أشرقت فيه الشمس، وقيام الساعة، ونجاة

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، نحو مسارات معرفية معاصرة، ص14.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص15.

موسى عليه السلام من فرعون»<sup>1</sup>، فتفكيك يوم الجمعة وإخضاعه للمساءلة النقدية هو هدف مركزي على مستوى المعرفة. يعيد تنشيط بعض المفاهيم المتداخلة، وإدخالها في سياق سؤال أنطولوجي عام يتعلق بالكائن المعاصر في تمثله لهذا اليوم، خاصة عندما نجد دلالاته السلبية في العبرية، فيكون بهذا البحث المعرفي مقصودا عن خلخلة الأسس والمفاهيم المتعلقة بهذا اليوم عند المسيحيين وكذا الإسلاميين.

### خ- الثقافة الجنسية الجامعية دعوة للتأمل

يعالج الناقد فكرة انتقال المعرفة وهو يؤسس للمعرفة من منطلق يروم لإنتاج فهم عميق للمسؤولية الفكرية العربية اتجاه الوافد الغربي.

وبما أن كل فكر نقدي لم يخرج من دائرة النقد، فهو كذلك متورط في الفلسفات الحديثة منها والمعاصرة، فموضوع الثقافة الجنسية الجامعية استند فيه الناقد إلى مرجعية فكرية معرفية إسلامية تستدعي استفزاز الأذهان لمناقشة هذا الموضوع الذي تحاول بعض الدوائر المعرفية العالمية تضمينه في المناهج الجامعية دون تمحيص ودون مناقشة للأبعاد السلوكية التي ستنمخض بعد تدريس هذه المادة في الجامعات، لذلك يحاول الناقد في هذا الطرح استلهام مرجعية إسلامية لبيان طرائق تقديم المنهج المناسب لدراسته وتقييمه.

إن النقد المعرفي يستمدّ جدارته ويكتسب وظيفته كلما خلق فضاء مناسباً في الإنتاج الفكري والثقافي والنظري، والثقافة الجنسية الجامعية موضوع جديد في الطرح وكذا في معالجة الناقد التي تحسب له الأسبقية في التطرق لهذا الموضوع الذي يحتاج إلى تفكير واع ومجادلة وبرهان وتعليق نقدي، باحثاً عن المعنى الذي سيضعه النقد المعرفي موضع العقلانية. إذا ما بُحث في ما ورائيته، يقول "محمد سالم سعد الله" «إن

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 30.

التحول من الظاهرة إلى الخبرة يتطلب أنساقاً منهجية تتسم بالخصوصية في كل بيئة تنتمي إليها، وأن المسافة الزمنية التي يستغرقها تخضع للنسبية، لذا فإن انتقال المادة العلمية من بيئة إلى أخرى دون مراعاة الحاجة الاجتماعية والاستعداد النفسي للتلقي، تقود حتماً إلى انعطافات في التوجه الفكري<sup>1</sup>، فهذا القول يوحي بالتأسيس لسؤال متجدد، وبلورة تصورات نقدية تتعلق بالنقد المعرفي، يمكن تحليله في العناصر الآتية:

- فكرة انتقال المعرفة هي منطلق الاهتمام بالتلقي، إذ النقد المعرفي يسعى لرسم
- حوارية معرفية تتناسب وتلائم مدركات التلقي ونهجه.
- "الظاهرة والخبرة" مصطلحات معرفية تجسد فكرة التحول من العوامل إلى الفواعل.
- حوّل الناقد النقد إلى نمط من الفكر، بل إلى جعله سلوكاً يكتسب فيها المنتج لمعرفة يقظة وتمثل ذلك في جملة "دون مراعاة الحاجة الاجتماعية والاستعداد النفسي".

- "انعطافات التوجه الفكري"؛ نلتمس من هذه العبارة دعوة الناقد إلى تبني مبدأ العقلانية أثناء استقبال كل وافد.

إن الدراسة التي أفادنا بها الناقد تتجلى أهميتها في كونها تعرفنا بمادة لم تحظ بالأهمية التي نالتها دراسات أخرى من حيث موضوع التلقي، وبالرغم من أن عمل الناقد كان مقتضياً، إلا أنه أبان عن تملك حقيقي لمفهوم هذه المادة دون تعميم خلف الأسوار اللغوية كما يفعل بعض النقاد، فذكره للسلبيات والإيجابيات كفيل ببيان الحقيقة الموضوعية للثقافة الجنسية الجامعية.

وبما أن كل ناقد تحتم عليه أيديولوجيته، فإنها كانت حاضرة من حيث استناده للرؤية الإسلامية التي وقف من خلالها وقفة تأملية ودقيقة على عنصرين من عناصر

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 64.

العملية التواصلية في الجامعة وهما (الأستاذ/الطالب) مستشهدا بآية من سورة يوسف لبيان كيفية التعامل مع هذه المادة أثناء تقديم الأستاذ لها، وربما توظيفه للسياق القرآني بدعوة منه لقراءة الخطابات التي تتحدث عن أزمة القيم، فالمعالجة الأمثل والأصح تتم بالقرآن الذي سيحسم هذا الجدل. يقول إذا «كان الأستاذ منفتحاً غير متدين، لا يفقه من الدين وأحكامه إلا ما ثبته وسائل الإعلام غير البريئة... فإنه سيتصرف بإعطاء هذه المادة بحرية كبيرة متخطياً حواجز الدين والعرف والحياء والبيئة الأكاديمية»<sup>1</sup>، بمعنى أن الدين له الدور الأكبر في التعامل مع هكذا خطابات من منطلق فكري إسلامي لا يتجاوز الخطوط الحمراء لا بدافع الثقافة، ولا بدافع الانفتاح ولا العولمة، كما أنه يقول إن «وضع المناهج العلمية الأكاديمية يتطلب حاجة اجتماعية، ومسوغات معرفية تسهم في بلورة الفرد المتعلم تجاه الحياة ومتطلباتها من هذا المنطلق فإننا نعد إلى إطلاق صرخة عقلانية فاحصة وثاقبة»<sup>2</sup>. فلنلح من قول الناقد أنه حصر حدود الاستقبال لأي وافد غربي في ثلاثة اتجاهات (الاتجاه الاجتماعي/المعرفي/العقلاني) وسنوضح رؤيته في العناصر الآتية:

-الاتجاه الاجتماعي: يؤكد الناقد على مراعاة خصوصية كل بيئة، أثناء التعامل

مع المستجدات العلمية.

-الاتجاه المعرفي: ولمسناه في قوله "مسوغات معرفية" فالناقد يدعو المتلقي إلى

ضرورة معرفة المحمولات الفكرية التي يتضمنها كل منهج، فإدراك الأرضية الإبستمولوجية لكل منهج، هو الوعي بفكر الآخر الغربي.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 67.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 67.68.

-الاتجاه العقلاني: يدعو الناقد إلى اللجوء لمحكمة النقد التي يوضع فيها العقل موضع الفاحص الشامل للطروحات.

أما من حيث سبب تبني الرؤية الإسلامية، "فمحمد سالم" يرى بأن الإسهام الإسلامي لم يكن «طريقاً من طرائق الغزو الثقافي أو الهيمنة الفكرية أو التسلط اللاعقلاني إنما كان نموذجاً حضارياً معرفياً اتبع سبل الاقتناع، ومارس المنهجية المعرفية التي قدمت الدليل ونبذت الأهواء وشجعت الابتكار والاستنباط، وحاربت الابتداع والدجل»<sup>1</sup>، فالمرجعية الإسلامية لها أثر في التنمية النقدية وفي تحرير العقل من تبعاته وأوهامه، وفي إنتاج معرفة جديدة.

### ثانياً/ الأسس المعرفية للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله:

إن التأصيل المنهجي لأي نقد يستند إلى مجموعة من الأسس أو المنطلقات التي تضبط هويته وتبني تصورات، وتكشف عن الحقائق الموجودة في خبايا النص، وعن رؤيته الإبستمولوجية وأبعاده التصورية وخلفياته الفكرية. والبحث في الأسس المعرفية هو الانفتاح على العلوم المتنوعة واستثمارها في تشكيل مقومات المنهج للاستفادة منها في الكشف عن الخبرة الإنسانية بوصفها الدينامية المناسبة والمحركة لجمالية النص.

فالأسس المعرفية كخلفية منهجية للنقد المعرفي ستعطي أجوبة عن الأسئلة الكثيرة، كما أنها ستمنح حلولاً للإشكاليات التي أرقّت الواقع النقدي في جدلية فهم الحياة والكون والموجودات من خلال ما ينتج عن تفاعل الإنسان مع كل ذلك، وتحويله إلى إبداعات فنية.

وعليه، ماهي الأسس المعرفية التي استند إليها النقد المعرفي من منظور محمد سالم سعد الله؟

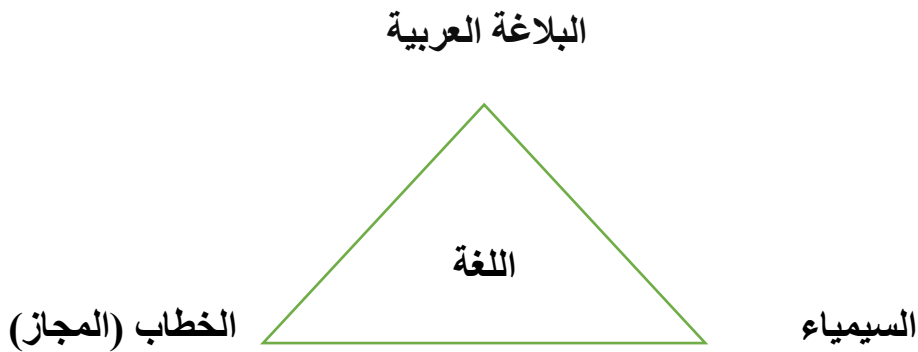
<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: التنمية النقدية دراسات نصية في المنتج المعرفي، ص 18.

## 1- المنطلقات البلاغية:

### أ- المجاز معطى معرفي:

شكل الدرس البلاغي العربي ركيزة أساسية، ومنطلقا مهما في توجيه المناهج النقدية المعاصرة لاستنادها على معالم نظرية وإجرائية ذات امتداد بلاغي تسعف في فهم الخطابات وتؤسس لها من منطلق الآليات في كثير من الأحيان.

إن أهمية البلاغة العربية تكمن في البحث عن البعد الجمالي للغة، وإن الربط بين ما هو سيميائي وبلاغي هو تلك الجدلية المعرفية التي تنطلق من مسلمة ارتباط العلوم بعضها ببعض، فمقاربة الحدود النسقية والسياقية للبلاغة العربية هو معرفة للآليات الإجرائية للسيميائي، وكذا لتحليل الخطاب، وقد لمسنا ذلك من عنوان دراسة الناقد الموسومة ب **السياق السيميائي للوحدات المجازية** والذي يمكن بيانه بالمخطط الآتي بعد استقراء ما جاء في البحث:



الشكل 9 الربط المعرفي بين السيميائي والبلاغة

هذا المخطط يرصد التفكير العقلاني للناقد في الربط بين معطيين (السيميائي، البلاغة) والذي أراد من خلاله:

- التوصل إلى عمق التفكير النقدي للوحدات الدلالية.

- رصد ملاءمة وتكيف النظريات المعاصرة (السيمياء) مع الدرس البلاغي.
- تحليل وتفسير الظواهر وفق هيكل معرفي.

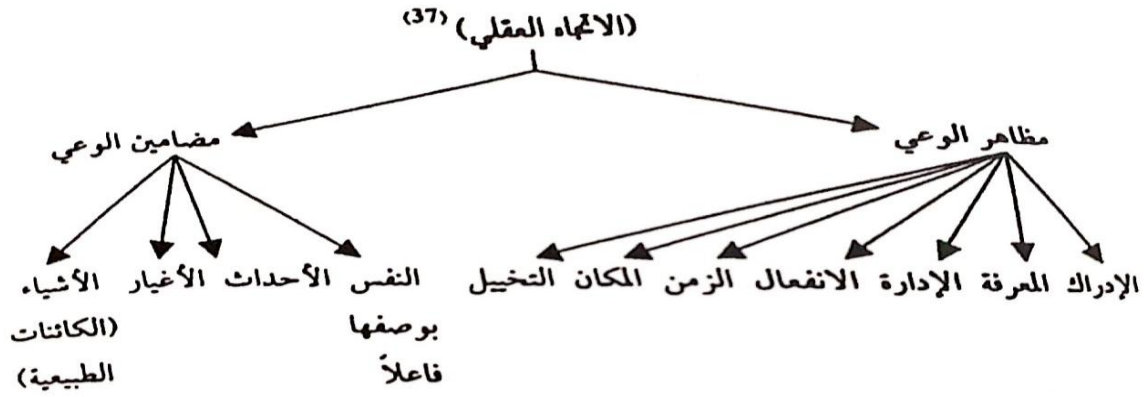
انطلق الناقد في تحليله باختيار "عبد القاهر الجرجاني" كأ نموذج للبلاغة العربية باعتبار اسهاماته التي شكلت نسق البلاغة في كليتها، فدراسة خطابه المجازي وفق تحليل معرفي يوائم فيه بين السيمياء ينطلق من مبدأ أن دراسة «مكونات الخطاب من العلامات (الدلائل)، أو الاستعارات، والكنائيات والمجازات، بفكر سيميائي لم يخل منها الطرح البلاغي سواء من خلال أسلوب الكلام، والخروج عن الاستعمال العادي المؤلف»<sup>1</sup>، لذلك نجده يقسم الخطاب المجازي للجرجاني وفق ثلاث أنظمة، شارحا النظامين الأولين والمتمثلين في الدوال والمدلولات ومسهباً حديثاً أكثر، وتحليلاً أعمق في النظام الثالث الموسوم بالماورائي، على اعتبار أن النقد المعرفي دائماً يبحث في اللغة وما وراء اللغة.

يبدأ التحليل المعرفي للناقد من ثنائيتي البنية السطحية والبنية العميقة لمفهوم المجاز وفق نشاط عقلي محض، على اعتبار أن الصور البيانية يتم الكشف عنها من ارتباط الدلالة المجازية انطلاقاً من الدلالة الحقيقية، وقد وظف أمثلة كثيرة للجرجاني، من ضرب زيد، إلى فتاة نؤوم الضحى، إلى أحيا الله زيدا، فصل فيها الناقد عمل العناصر البيانية محتكماً إلى تفسير عقلي وقد جسده تمثيلاً ذهنية من مخططاته التي فسر بها أمثلة الجرجاني.

إن البنية السطحية والبنية العميقة عند "شومسكي" والتي تم التفصيل فيها، تمثل نظرية معنى المعنى عند "الجرجاني"، كما تمثل عند الناقد "محمد سالم" معرفة المعرفة، ونلمس ذلك عندما تجسدت رؤيته في البيان المعرفي لدور الخيال، يقول في ذلك «يبرز دور الخيال في عملية التشكيل اللغوي، إذ يعد مظهرها مهما من مظاهر الوعي التي

<sup>1</sup> - لخذاري سعد: الدرس البلاغي العربي بين السيميائيات وتحليل الخطاب، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2007، بيروت، ص12، 11.

تتجاوز الأطر الضيقة للمعنى<sup>1</sup>، وما يؤكد طبيعة محاولة وصوله لمعرفة المعرفة هو الربط بين الخيال وبين مظاهر الوعي والذي تمثل في مخططه الآتي الذي سنحاول قراءته قراءة تحليلية حتى نتبين قيمة هذا الربط.



الشكل 10 دور التخيل في عملية التشكيل اللغوي

المخطط: 2

يتكون الجوهر الإنساني الذي يبذل الدلالات من جانبين: الوعي واللاوعي

\*الوعي: يتكون من مظاهر ومضامين.

\*اللاوعي: يتكون من الجوانب الغيبية في الإنسان.

بالنسبة للوعي فالجانب الذي يبذل فيه المعاني هو مجموعة من المظاهر المتعلقة بالإدراك والخيال وما يتبعها، والجانب الذي يحمل مسؤولية التعايش بالمعاني وتسويقها هو مضامين الوعي المتعلقة بالأنف والغير والحوار والتواصل، وبتشابك هذين الجانبين المظاهر والمضامين يمكن توسيع المعاني والدلالات وابتكار الجديد منها دوماً، فنقول

<sup>1</sup> -محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني دراسة سيميائية، عالم الكتب

الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2013، اريد-الأردن، ص45.

<sup>2</sup> -المصدر نفسه، ص45.



إن عقلنة الناقد تكمن في الربط بين الوعي الذهني والمضامين الفكرية وهو جوهر اشتغال النقد المعرفي.

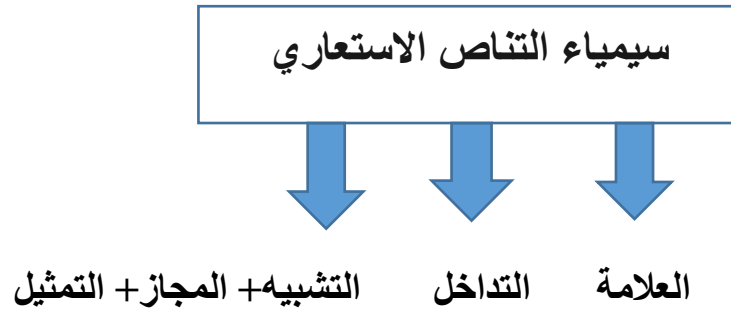
وبعد هذا العرض الموجز لأهمية بحث المجاز؛ يمكن القول إن المبحث المجازي منطوق سيميائي من نوع خاص، وإن السيميائية تهتم بدراسة لحركة الدوال في النص لبيان المدلولات للوصول لقيمة العلامة وللاثر الدلالي الذي تحدثه عبر اللغة، وبما أن اللغة هي الجوهر الحقيقي للتخييل، فإنه يضيف قيمة جمالية تتقارب مع هذا العنصر الدلالي بواسطة منتجات الفكر الذي أثبت قابليته للتناسب مع البعد السيميائي. وبعد المصطلح الذي اجترحه واشتغل عليه الناقد "معرفة المعرفة" هو ما يربط النقد المعرفي بالتصورات السيميائية.

#### ب- الاستعارة:

إن ربط الاستعارة عند "محمد سالم سعد الله" بالتناسل له قيمة جوهرية في منطوق الإدراك تحديداً؛ أولاً من حيث تجاوز المفاهيم البلاغية السابقة المتعلقة بالاستعارة، وثانياً من حيث جعل الاستعارة نسيجاً من التفكير الإنساني وعملية عقلية تضفي تأثيراً عند متلقي الخطاب.

وبالتعرف على ما بين السيميائية والتناسل والاستعارة ينتقل التحول من المنظور البلاغي إلى المنظور النقدي المعرفي ويتجلى التساؤل الآتي: كيف نظرت السيميائية للاستعارة؟ أو كيف انتقل محمد سالم من الاستعارة البلاغية إلى استعارة تنزع منزع الإدراك في المعنى؟

سنعمل على وضع تفسير يتعلق مع العنوان الذي وضعه الناقد في مبحثه، ويكشف عن الأدوات الاشتغالية للنقد المعرفي.



### الشكل 11 بين السيميائيات والاستعارة بعد معرفي

-توظيف السيميائيات في التحليل الاستعاري يجسد مبدأ الانفتاح على المناهج النقدية، وهو ما يدعم مقولة الاستمداد من السيميائيات للتأسيس لما هو معرفي.

-التناص من الفنون البيانية المتداخلة التي تدعم فكرة انهيار حدود الأجناس وبيان التداخل المعرفي.

-الاستعارة: تمثل البعد المعرفي في تنازعها للمعنى عبر تداخلها مع التشبيه والتمثيل والمجاز مكونة ما أطلق عليه "التناص الاستعاري"

إن ربط الاستعارة بمبثي التناص والسيميائيات وتجسيد مصطلح حديث موسوم "بسيميائيات التناص الاستعاري" هو توظيف للبعد الإدراكي في مسالكه التحليلية، إذ الإدراك «هو محاولة فهم العالم من حولنا من خلال تفسير المعلومات القادمة من الحواس إلى الدماغ. والفهم هنا ينطوي على التفسير والترميز والتحليل والتخزين والاستجابة الخارجية عند الحاجة»<sup>1</sup>، فيكون تفسيراً للاستعارة، وترميزاً بتناص، تحليل بسيميائيات، استجابة خارجية من خلال الأثر الذي تحدثه الاستعارة في المتلقي، إذن هناك أبعاد جد معقدة في هذا البحث والتي تتطلب منا رؤية فاحصة لاستجلاء كل ما هو متعلق بالنقد المعرفي.

<sup>1</sup> - أنور محمد الشرقاوي: علم النفس المعرفي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 2003، القاهرة، ص 27.

يفسر "محمد سالم سعد الله" التناص الذي وظفه مع الاستعارة بقوله هو «تداخل النص البياني مع غيره المنتمي له للحقل الدلالي نفسه، واستعماله في إطار ضمني داخل فن بياني آخر. أي التناص الاستعاري يركز بشكل أساس على تشابه دلالي في المعنى في النصين، ومصطلح التناص الاستعاري سيولد مجموعة علاقات داخلية بين الفنون البيانية: بين الاستعارة والتشبيه من جهة، والاستعارة والمجاز من جهة، والاستعارة والتمثيل من جهة أخرى»<sup>1</sup>، وذلك ما بينه في المخطط السابق، و من هنا تتمثل فاعلية الطرح النقدي ضمن سياق الاستيعاب المعرفي للتناص الاستعاري الذي أنتجته البنية الفكرية "لمحمد سالم" والتي بيّن حقيقتها من خلال الاختلاف الجوهرى بين التناص الذي يجسد مبدأ التداخل النصوي داخل النص الواحد. وبين التناص الذي يقيم علاقات حوارية بين فنون بيانية داخل عمل واحد.

يمارس "محمد سالم سعد الله" فعل التحقيق المعرفي بين ما تم الاصطلاح عليه (سيمياء التناص الاستعاري) وبين ما جاء في نصوص الجرجاني، فقد أراد أن يثبت أن التناص الاستعاري الذي أطلقه موجود وحاضر في كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة؛ فقد صرّح قائلاً «النص الجرجاني يركز بشكل كبير على التداخل الحاصل بين فنون البيان العربي مركزاً على دور الاستعارة في ذلك التداخل»<sup>2</sup>، ففكر "محمد سالم" يتحرك مع فكر "الجرجاني" برسم استراتيجية واعية يمكن تبيانها في الآتي:

- البعد العقلاني: يتجلى كما ذكرنا في فعل التحقق المعرفي بين التناص الاستعاري (فكر الناقد) وبين فكر الجرجاني.
- البعد التحليلي: يتمثل في رجوع الناقد للمعطيات المعرفية الواقعية التي تجسدت في خطاب الجرجاني.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 53.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 54.

• البعد المعرفي: مساءلة الفكر العربي في ذاته بنوع من الفكر المتعدد والمتجدد على الدوام، ذلك أن كل نص هو نسيج وطابع معرفي ينفث بتجدد السؤال النقدي إن الرجوع إلى النظرة التحولية للجرجاني هي خلخلة من طرف الناقد "محمد سالم" للطروحات السابقة حول مباحث "الجرجاني" وجعل خطابه متجددة تؤول بفكره (الجرجاني) إلى نمطية التحول المعرفي وفق ما تستدعيه أسئلة الناقد حول وجودية التناص الاستعاري، وكذا إدخال السيمياء في محاولة دمجها في النصوص التراثية سببين عمل اشتغالية الدوال والمدلولات في سياق مبحث مجازي يكون التناص فاعلا من خلال «التبادل الحوارى بين هذه الفنون سيجعل التصرف في حقل الدلالات يشكل فضاء ضمنيا لتبادل المدلولات المختلفة بينها»<sup>1</sup>، وهذه هي النظرة التحولية التي أراد أن يثبتها الناقد (محمد سالم).

تستلهم الكتابة بدورها نمطا تساؤليا لا يكف عن البحث والمكاشفة، فيطرح علينا سيمياء التناص الاستعاري حقيقة علاقة الناقد "بينفست" بالجرجاني في؛ كيف تجسد صوغ نمط علائقي بيت الناقد؟ أو كيف عولجت طبيعة هذه العلاقة من حيث الجانب المعرفي الذي وظفه الناقد محمد سالم؟، يقول في ذلك «يمكن القول إن البنية العلامية كانت حاضرة في خطاب الجرجاني النقدي والبلاغي، فدور العلامة كما يقول بينفست أن تحل محل شيء آخر، والعملية الاستعارية كلها قائمة على الادعاء والنقل والاستبدال وإحلال لفظة على لفظة أخرى لتأدية وظائف إيحائية. وقيم إشارية»<sup>2</sup>، فتفرض طبيعة هذا النص، تجزئته إلى ثلاثة أفكار متعلقة بثلاث نقاد:

-الجرجاني: السيمياء حاضرة في نصوصه النقدية والبلاغية.

-بينفست: دور العلامات في حركيتها التمثيلية والاستبدالية.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 55.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 59.

- أرسطو: تأسيس النظرية الأرسطية على المفهوم البلاغي القديم للاستعارة التي تقوم على الاستبدال والنقل.

- محمد سالم سعد الله: قوة الربط بين مبحث الجرجاني وبينيفست

ما بين العملية الاستعارية والبنية العلامية تكمن الوظيفة الإيحائية، التي تشتغل وفق مبدئين:

- مبدأ الجمالية من خلال الأثر الذي تحدثه في المتلقي.
- مبدأ الإدراك من خلال تحفيز اشتغال الوعي في تلقيها.

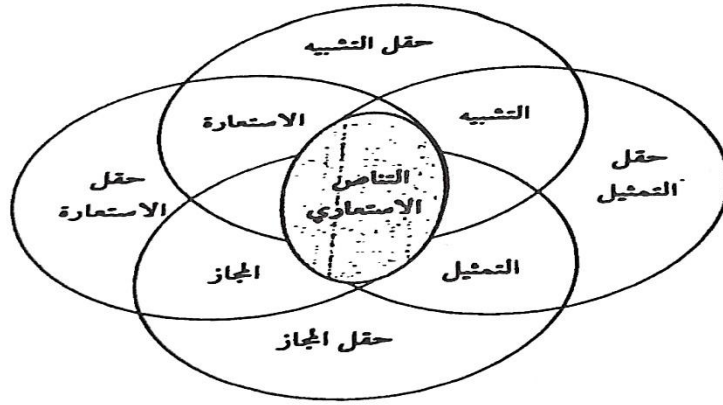
مثلت اللغة عند "محمد سالم سعد الله" مسلكا تطوريا ورمزيا كشف من خلاله عن الاستعارة التطورية من حيث الانتقال المعرفي؛ من جمال العبارة في الخطابات إلى مسلك بنائها الذهني عبر التعالقات التي تحدثها مع مختلف الفنون البيانية، وهو الذي من شأنه أن يسهم في بناء المعرفة. ويبني مرحلة من المراحل التي تُبلور الدرس البلاغي ذي الصيغة الإدراكية، كالشعرية الإدراكية، البلاغة الإدراكية، السيميائية الإدراكية، الخ، وعلى هذا نجده يقول في حوار له معنا: «شغلت الاستعارة موقعا مهما في البناء النصي في البلاغة المعرفية العربية نظرا للتشكيل العلامي الذي تحدثه داخل النظام النصي فهي تشكل الوحدة الدلالية لعلاقات التناص الاستعاري»<sup>1</sup>، كما أنها تشكل الأدوات المنهجية لرؤى النقد المعرفي.

ينتقل "محمد سالم سعد الله" من عملية التحقيق المعرفي إلى عملية التخطيط الذهني، فنجد مغامرته الحفرية في المرجعيات المعرفية تجسدت بصيغة السؤال النقدي المعرفي في مخططين كما اصطلح هو عليه بـ "سيميائية التناص الاستعاري"، وبما تناولته

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: الفكر المنهجي للنقد المعرفي، حوار أجرته الباحثة رانية قذري، مجلة الأديب الثقافية، ص4.

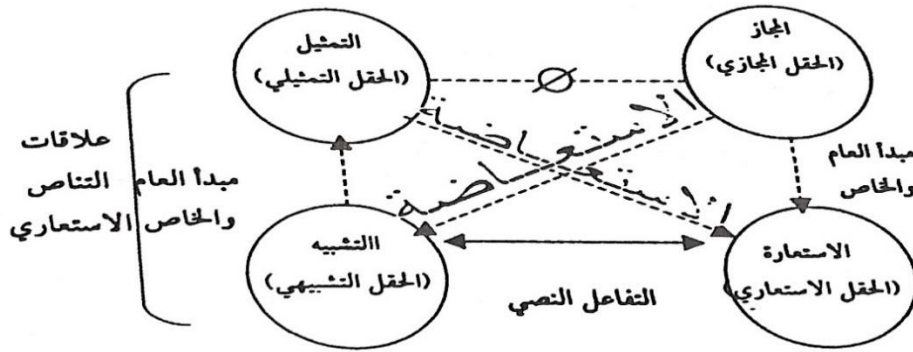
## الفصل الثالث: النقد أسس التنظير للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله

خطابات الجرجاني، وعلى هذا أثرنا استحضارهما (المخططين) حتى نتبين طبيعة الاشتغال المنهجي، ثم التفكير النقدي للناقد.



الشكل 12 مقترح التناص الاستعاري

المخطط: 1



الشكل 13 علاقات التناص الاستعاري

المخطط: 2

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني أنموذجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، اريد-الأردن، ص53.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص62.

يمثل المخطط الأول علاقات الفنون البيانية التي جسدت لنا ما أطلق عليه الناقد بالتناص الاستعاري، والتي أمكن بيانها في أربع معادلات:

فن التشبيه + فن التمثيل = حقل التمثيل.

فن التمثيل + فن المجاز = حقل المجاز.

فن المجاز + فن الاستعارة = حقل الاستعارة.

فن التشبيه + فن الاستعارة = حقل التشبيه.

تتنازع حقول أربعة فعل الإدراك للمعنى الذي لا يتم التعبير عنه مباشرة، تتقاطع فيما بينها مشكلة: الاستعارة، التمثيل، المجاز، التشبيه، إذ تقاطعها يولد التناص الاستعاري، مع الإشارة إلى الحيز الأكبر الذي يأخذه التشبيه مع الاستعارة.

#### -المخطط الثاني:

يرصد المخطط الثاني عمق التفكير المنهجي للناقد، أولاً في اتخاذ المربع السيميائي لغريماس نموذجاً يحاكي من خلاله العلاقات المجازية في طبيعتها التناصية من حيث الحقل الدلالي، وثانياً من حيث توظيفه لثلاثة مبادئ: مبدأ الاستعاضة، ومبدأ العام والخاص، ومبدأ الوساطة.

ما يلاحظ أن هناك مجموعة خالية بين الحقل المجازي والحقل التمثيلي أي لا توجد علاقة منطقية مباشرة بين المجاز والتمثيل، بل العلاقة بينهما تأويلية بما أطلق عليه الناقد بالتناص الاستعاري فهي علاقة بالوساطة، أي بواسطة علاقة العام بالخاص التشبيه بالتمثيل وعلاقة المجاز بالاستعارة.

#### - الرؤية المعرفية لسيمياء الوحدة الدلالية بين التشبيهية والتمثيلية:

ثمة وعي منهجي دفع الناقد "محمد سالم سعد الله" لاستعمال مصطلح "سيمياء الوحدة الدلالية" حين وضع عنواناً على هذا النحو (سيمياء الوحدة الدلالية التشبيهية

والتمثيلية)، على اعتبار أن الوحدة الدلالية في مبثي التشبيه والتمثيل إنما هو حقل معرفي تُمارس فيه السيمياء بشكل جلي، فيفهم من هذا أن السيمياء لها طريقة خاصة وآليات منهجية في الكشف عن الوحدة الدلالية.

يتمدد الوعي المنهجي حين نجد مبدأ الانفتاح حاضرا وموجودا، فالناقد قدم محاولة تأسيسية منهجية للنقد المعرفي من خلال مبدأَي الامتداد والاستمداد؛ امتداد نحو حقول معرفية، واستمداد طرائقها ومنهجها في عملية التحليل، وهذا ما بينته عنوان دراسته:

### سيمياء الوحدة الدلالية بين التشبيهية والتمثيلية



بين النقد واللسانيات والبلاغة يتجسد مبدأ الانفتاح وتتسع الرؤية المعرفية، وتتجلى الحقيقة الغيبية في خطابات الجرجاني حول الوحدة الدلالية، فالنقد المعرفي يجسد شمولية الطرح في فهم النص ولفظة الشمولية توحى بمبدأ الانفتاح.

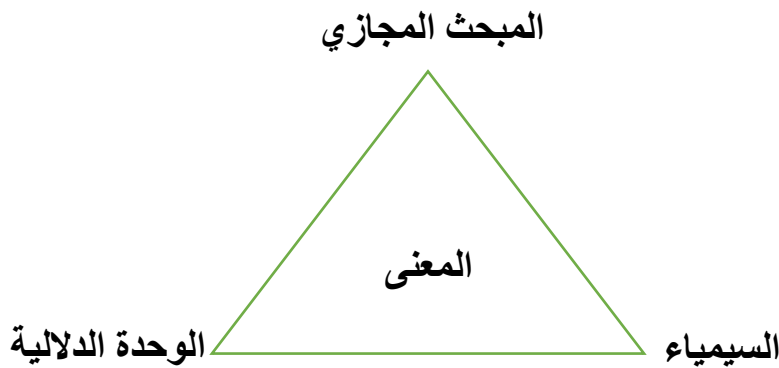
إن المجال الحقيقي "لمحمد سالم سعد الله" هو البحث عن معرفة المعرفة؛ إذ يشخص ثلاث طبقات من النصوص يمكن بيانها كآلاتي:

- النص الإبداعي المتمثل في مبثي التشبيه والتمثيل.
- النص النقدي المتمثل في السيمياء كأداة إجرائية.
- النص المعرفي المتجسد في الوحدة الدلالية فهي جوهر البحث ومركزه.

إن الناقد يشتغل بصيغة الجمع بين (النقد الأدبي، اللسانيات، البلاغة) حين نجد افتتاحية دراسته بالمبحث الفلسفي حول حقيقة الإنسان في جوهره التكويني، وبما أن قوة الربط موجودة في ذهنه دائما، فقد أتاحت له إمكانية إيجاد العنصر المشترك بين الإنسان والتحليل اللساني، حول مفهوم الوحدة الدلالية يقول: «إذا وضع الإنسان تحت مجهر



التحليل اللساني وجد أنه يتشكل من مجموعة مدونات لسانية ذات تراكيب متنوعة، تحمل قصدية ووعيا بضرورة إفهام رسالته وإدراك كنه دلالاته، وما تلك المدونات إلا عناصر يتمحور حولها فضاء الكلام في آلية زمانه ومكانه وهي ترسم حدود الدوال وتخفي قصدية ماورائية المدلولات»<sup>1</sup>، فيشير هذا القول أن البنية الواعية للإنسان تتكون من مجموعة من القصديات التي تتمثل بالكلام، بمعنى أن الوعي الذاتي يعبر عن جوهره بواسطة اللسانيات التي تتخذ من الدوال مسارا لتقديم المعاني والدلالات وذلك ما يمكن بيانه بالمخطط الآتي:



الشكل 14 تشكل المعنى في الثالوث المعرفي (المجاز، السيمياء، الوحدة الدلالية)

يتقاطع المبحث المجازي مع الوحدة الدلالية مع السيمياء في تأدية وظيفة المعنى، وهو العنصر الجوهرى المشترك بين هذا الثالوث، والذي جعل "محمد سالم" يؤسس لهذه الفكرة انطلاقا من بعد معرفي.

يسعى الناقد لتقديم تصورات تفصح عن الأبعاد المعرفية للوحدة الدلالية، تصورات نظرية ومفهومية لهذا المصطلح، ثم بحث في آليات تشكله، وهو الذي بدوره يؤدي إلى الأبعاد الإستمولوجية له، حينما يكشف عن وجوده في خطاب الجرجاني أولا. ثم يربط بين المبحثين ثانيا (السيمياء/الوحدة الدلالية) من حيث المفهوم والإجراء.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 91.

وإن الانطلاق من الجدلية المعرفية في بعدها التفاعلي بين الوحدة الدلالية والسميائية في مبحث المجاز، سيغيّر من التصور المفهومي لهذا المصطلح (الوحدة الدلالية)، عند سابقه من علماء الدلالة الذي يتفقون على أن «الوحدة الدلالية هي المكون الأساسي للكلام، فهي الجزء من الكلام الذي يمكن اقتطاعه عن غيره، ويظل يؤدي المعنى»<sup>1</sup>، وبالرجوع للربط المنطقي الذي وظفه "محمد سالم سعد الله"، بين الانسان والتحليل اللساني نجده يستنتج معنى الوحدة الدلالية بقوله «آلية تشكل الدال والمدلول، هي آلية تشكل الوحدة الدلالية، والوحدة الدلالية هي نواة العمل الإبداعي ومركزه، ويمكن الوصول إليها من خلال معرفة استراتيجية الدال والمدلول وتشكلهما في صعيد النص»<sup>2</sup>، فيشير من خلال كلامه إلى أن اتحاد الدال بالمدلول خصيصة ذهنية تكونان علامة بالمنطق السيميائي، وتشكلان وحدة دلالية بالمفهوم اللساني، ونظرية المعنى في المبحث البلاغي، وأن هذا الاتحاد يشكل العلاقة الضرورية بين الدال والمدلول، لا العلاقة الاعباطية التي ذهب إليها "دي سوسير".

يستمد "محمد سالم سعد الله" مرجعيته في تصوره للوحدة الدلالية من التصور البلاغي (نظرية النظم) عند الجرجاني، وبفاجئ القارئ بتتقيقاته ومساءلاته، ومناقشاته للأحكام والمسلمات في إطار أسلوب جديد في التحليل والتفكير عن طريق الاستنباط والتأويل العقلي، باحثاً في ذلك عن عمق الترابط بين الدال والمدلول، يقول في ذلك «لم يبحث الجرجاني في الدال لذاته، والمدلول لذاته أيضاً إنما بحث فيهما للوصول إلى الدلالة/ وهذا هو جوهر العمل السيميائي»<sup>3</sup>، ويقول أيضاً «يذكر الجرجاني شدة الارتباط بين الدال والمدلول واتحادهما لتكوين الوحدة الدلالية للنص، وأن تلك الوحدة لا تتكون

<sup>1</sup> - إيهاب سعد شفطر: المصطلحات الدلالية بين التراث وعلم اللغة الحديث، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2018، الأردن، ص312.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص91.

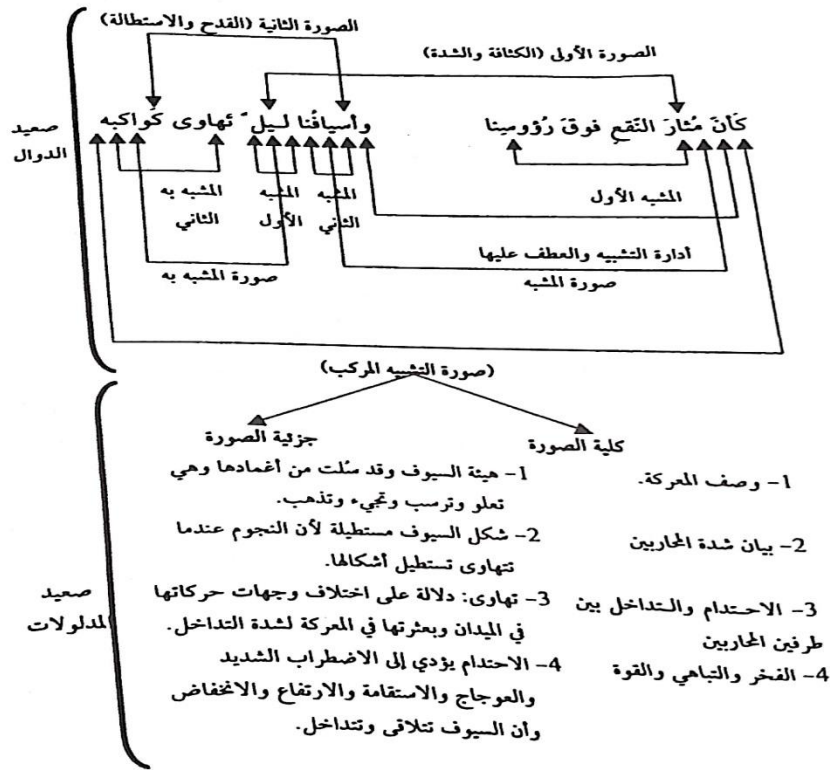
<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص92.

من خلال السطح الظاهري أي الألفاظ/ إنما بفهم الألفاظ للوصول إلى معانيها»<sup>1</sup>، بالإضافة إلى الاستشهادات الكثيرة التي وظفت، ليثبت بها حقيقة ما ذهب إليه، وطريقته هذه تعيدنا لفكر "بيير بيار" الذي أثبت مقولته في التحليل التي تعتمد على منهج تقليب الأشياء، فالناقد لم يأت بالأطر النقدية لنظرية النظم، ليكشف بها عن الوحدة الدلالية، وإنما أتى بمفهوم الوحدة الدلالية ليكشف عنها من خلال تلك النظرية، حتى تنطلق منها عناصر معرفة جديدة.

ومن الجانب النظري نحو الجانب التطبيقي، إنه الانتقال من مفهوم الوحدة الدلالية، إلى توظيفها في مبحثي التشبيه والتمثيل، نجد "محمد سالم" يؤكد حقيقة هذه المسألة من حيث بعدها الوظيفي، إذ ينطلق من نص إبداعي للوصول لما هو معرفي، وهو جوهر وأساس النقد المعرفي، فالنص الإبداعي يتمثل في بيت "بشار بن برد" الذي حلله الجرجاني، والذي خصه "محمد سالم" بقراءة ذهنية تنحو منى التجسيد المخططاتي، وهو ما يرصد طبيعة فهمه ثم إدراكه لمفهوم الوحدة الدلالية وعمق استنتاجها في تحليل الجرجاني، فهو يمارس قراءة على قراءة، وبالتالي معرفة على معرفة، وسّع في المدلولات ليضع نظريته النقدية (النقد المعرفي) كنوع من الممارسة التي تتفادى الرسوخ والثبات والاستقرار الذي وسم به الشعر العربي .

### التمثيل المخططاتي للناقد:

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 93.



الشكل 15 تحويل كلام الجرجاني في تحليله لبيت بشار بن برد

المخطط: <sup>1</sup>

-القراءة العامة للمخطط (بين الجرجاني ومحمد سالم)

يرصد هذا المخطط من حيث المعطى الوظيفي جانبين:

الجانب الأول يتمثل في تحليل الجرجاني لبيت "بشار بن برد"، أما الثاني فيتعلق بالتصور الذهني للناقد ("محمد سالم") في استثمار تحليل "الجرجاني" فيما يخدم مفهومه للوحدة الدلالية.

قام "الجرجاني" بتحليل هذا البيت ليبين أثره في وحدة التماسك والاتحاد بين أجزاء الكلام، وليثبت من خلاله نظريته في النظم، أما "محمد سالم سعد الله"، فقد اتخذ من

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، الجرجاني أنموذجاً،

التحليل؛ مبدأ الاتحاد والتماسك بين الدال والمدلول ليثبت مفهوم الوحدة الدلالية واختيار الناقد "محمد سالم" لهذا البيت تحديدا يشير إلى الاستشهاد الأول الذي خصه الجرجاني عندما قام بتحليل بيت "بشار بن برد". وقد كان كالاتي «في النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع» وتحدث فيها عن اتحاد أجزاء الكلام ودخول بعضها ببعض واشتداد ارتباط ثان منها بأول»<sup>1</sup>، فأخذ "محمد سالم" من هذا الاستشهاد فكرة الاسقاط المعرفي، بين ما جاء به مبحث الجرجاني، وما قدمه هو في الوحدة الدلالية والسيمياء.

### -القراءة الخاصة للمخطط (محمد سالم سعد الله)

قسم الناقد تحليل الجرجاني على صعيدين؛ صعيد الدال، وصعيد المدلول، ووفقا للعلاقة الضرورية والمنطقية بين الدال والمدلول، تتكون الوحدة الدلالية في "بيت بشار بن برد" والتي تحمل عدة معان أي مدلولات، تكون اللغة في هذا التحليل هي الأداة وليست الموضوع، خاصة أن اختيار الناقد للسيمياء يدفعنا لهذا القول، أولا في أن اللغة أداة تحكم في جميع العلاقات السيميوطيقية<sup>2</sup>؛ بين علاقة الصورة الأولى (الكثافة والشدة)، والصورة الثانية (القدح والاستطالة). وثانيا باعتبار «اللغة مفسرة لكل الأنظمة الأخرى»<sup>3</sup> أي في صورة التشبيه في كليته وفي جزئيته.

يمكن القول أيضا إن وجود علاقة التماثل وهي من العلاقات السيميوطيقية حاضرة في هذا المخطط، والتي تجسدت في التماثل بين الطبيعة الذهنية والشعرية؛ ذهنية الناقد في تحليله للوحدة الدلالية، وشعرية الجرجاني في تحليله لبيت بشار بن برد.

<sup>1</sup> - أحمد نتوف وأحمد لعويجي: في حركة النقد القديم حول بيت بشار بن برد كأن مثار النقع فوق رؤوسنا، التطبيق النقدي والتوظيف في نظرية النظم، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد الرابع، العدد 1، 2020، ص178.

<sup>2</sup> -إيميل بينفيست: سيميولوجيا اللغة، ترجمة سيزا قاسم، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 1، العدد 3، 1981م، مصر القاهرة، ص61.

<sup>3</sup> -المرجع نفسه، ص62.

-القراءة الفاحصة في تأسيس الناقد للنقد المعرفي:

ما يمكن استنتاجه:

- إن النزعة العقلانية للناقد جعلته يمثل هذا التحليل وفق منطق ذهني أبرزت قدرته على تشكيل شبكات التكامل المفاهيمي بين ثلاث مستويات للبنية الذهنية (العقلية الذهنية لمحمد سالم في نقد النقد، العقلية الجرجانية في النقد، وعقلية بشار بن برد في الإبداع)، وهذا رغبة منه لخلق معنى جديد في عملية المزج بين المعارف.

- تحقيق الجانب المعرفي وهو مبدأ أساسي في علم الأعصاب، إذ الدراسة «المعرفية في الفن والأدب واللغة لها ركيزتان، واحدة في البلاغة الكلاسيكية، والأخرى في علم الأعصاب المعرفي، الدراسة الحديثة للمخ والعقل»<sup>1</sup>، وتوجهه للمبحث البلاغي أكبر دليل على أن الجانب الإدراكي فاعل دوما في دراسته.

1- المنطلقات اللسانية:

لا يتبلور الوعي النقدي دون العودة إلى اللسانيات، خاصة إذا نظرنا إلى المسألة من مدخل إبستمولوجي، تجتمع فيه جميع المحددات لتؤسس وعيا قاصديا يدرك مدى الحرص على بناء جهاز مفاهيمي ومنحه الرؤية المنهجية وذلك ما يتأسس عليه (النقد المعرفي) خصوصا ما تعلق بمقارنته للنصوص الإبداعية.

تشدد الممارسة العقلانية للناقد "محمد سالم سعد الله" على مبدأ الانفتاح باعتماد مقارنة جينيالوجية يحدد بها الإطار الإبستيمي للنقد المعرفي أثناء معالجته للقضايا المطروحة، فكان الانفتاح على اللسانيات هو المسار الذي استلهم منه الناقد بعضا من

<sup>1</sup> -مارك تيرنر: الدراسة الإدراكية للفن والأدب واللغة، ترجمة رانية خلاف، مجلة فصول، الإدراكيات، ص139.

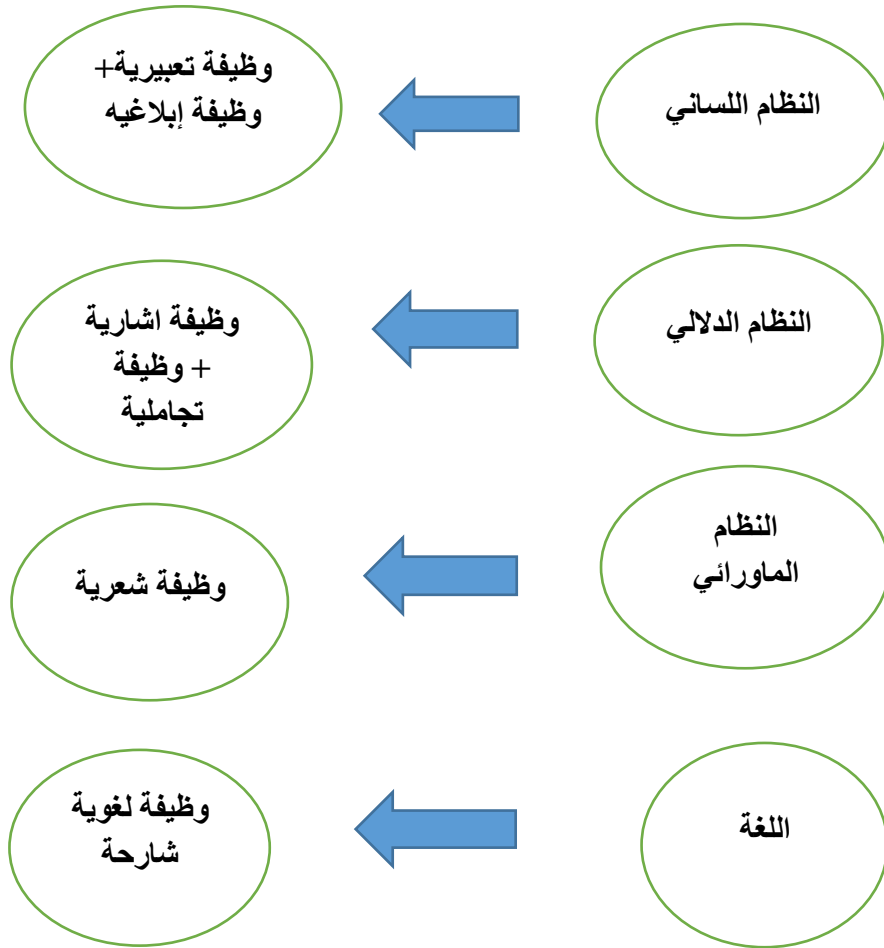
عناصره من "دي سوسير"، ثم "ياكبسون"، إلى "بارت"، إلى "بريل"، وغيرهم، وكان هدفه في ذلك هو البحث عن الكيفيات التي تعمل مجموع المعارف فيها على بناء تشكلات خطابية داخل الحيز المدروس.

#### أ- جاكبسون والجرجاني:

نطلق من مسلمة أن اللغة لها علاقة وطيدة بالكيفية المنهجية لتناول النص الأدبي بالنقد، وهذا ما وجدناه حاضرا في تفسير الخطاب المجازي للجرجاني بمخطط العملية التواصلية لياكبسون، حيث يقول يمكن «عد علاقة المرسل بالمتلقي، وعلاقة المرسل بالمرجع، وعلاقته بالسياق من ميدان هذه العلاقات التي يمكن أن يطلق عليها بماهيات النص»<sup>1</sup>، فالخطاب المجازي يشتغل في مجموع هذه الوظائف والتي أولاها "محمد سالم" عناية تأويلية من حيث عمل المتواليات اللفظية التي جعلها تشتغل وفق ثلاثة أنظمة تتناسب طردا مع ما ذهب إليه "ياكبسون"، «ف نجد النظام اللساني الذي يختص بالألفاظ "الدوال"، ثم النظام الدلالي بما فيه من المعنى "المدلولات"، وأخيرا النظام الماورائي الذي يحمل معنى المعنى "المدلولات الثانية"»<sup>2</sup>، إذن هناك أنظمة تواصلية يخضع لها الخطاب المجازي قد فسرت مع النظام التواصلية لياكبسون، وسنوضح ذلك وفق المخطط الآتي:

1 - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني دراسة سيميائية، ص 39.

2 - المصدر نفسه، ص 38.



الشكل 16 الترابط الذهني بين جاكسون والجرجاني

حاولنا توضيح هذا الربط الذي وظفه الناقد بين "جاكسون" و"الجرجاني"، وعلى الرغم من أن الناقد لم يقدّم بتفسير للقارئ حتى يفهم طبيعة اشتغال الخطاب المجازي وفق العملية التواصلية "جاكسون"، فسنعوم بشرح موجز لما قدمه:

- يختص النظام اللساني بما فيه من ألفاظ أي الدوال بالوظيفتين "التعبيرية+ الإبلاغية". ذلك أن عمل المرسل ينحصر في إنتاج تلك الألفاظ فهي وظيفة تعبيرية، وما يستقبله المتلقي منه تكون وظيفة إبلاغية، فكلاهما ينزعان منزع الدوال.



- النظام الدلالي بما فيه من المعاني أي المدلولات، يختص بوظيفة إشارية+ وظيفة تجاملية، فالمدلولات لا يتم إدراكها إلا بالسياق وقناة الاتصال، كما أن المدلولات مرتبطة بعلائق سياقية مع المداليل الأخرى داخل النص، ولا يتم المعنى إلا بتواجد تلك العلاقات التركيبية.
- النظام الماورائي: وهو الوظيفة الشعرية، فالخطاب المجازي يشتغل على ماورائية اللغة، على الإيحاء لا التصريح، فيتكسب بذلك النص دلالة جمالية أو وظيفة شعرية.
- الشفرة: وتتجسد في اللغة، إذ إن كل خطاب يتأسس على بعده اللغوي، وهذا المبدأ سنه الجرجاني وطبقه في دراسته من اعتبار أن اللغة تجري مجرى العلامات والسمات<sup>1</sup>.

#### ب- بارت والجرجاني:

يبدأ وعي الكتابة من جدلية الربط الذهني بين معارف النقاد الغربيين والنقاد العرب، بين الجرجاني وبارت تتجلى مهمة الفكر التي لا تتحصر فقط في العمل التحليلي المحض بقدر ما يكون الاختيار الأداتي ملائما والمفاهيم المطروحة، فاختراق العقل وتكسير ضوابطه حكمة يتفاعل فيها الانفصال والاتصال (انفصال بين الخطاب المجازي للجرجاني وبارت، واتصال بينهما).

يمارس "محمد سالم سعد الله" السيمياء في البلاغة العربية وفي مبحث المجاز تحديداً ليحقق أغراضاً معرفية ونفعية تفيد إمطة اللثام عن الموضوعات المستحدثة أولاً، وثانياً فقد أراد أن يستعيد الجرجاني بثوب جديد من خلال نظرة جديدة وهي النظرة التحولية والتي سيتم الكشف عنها.

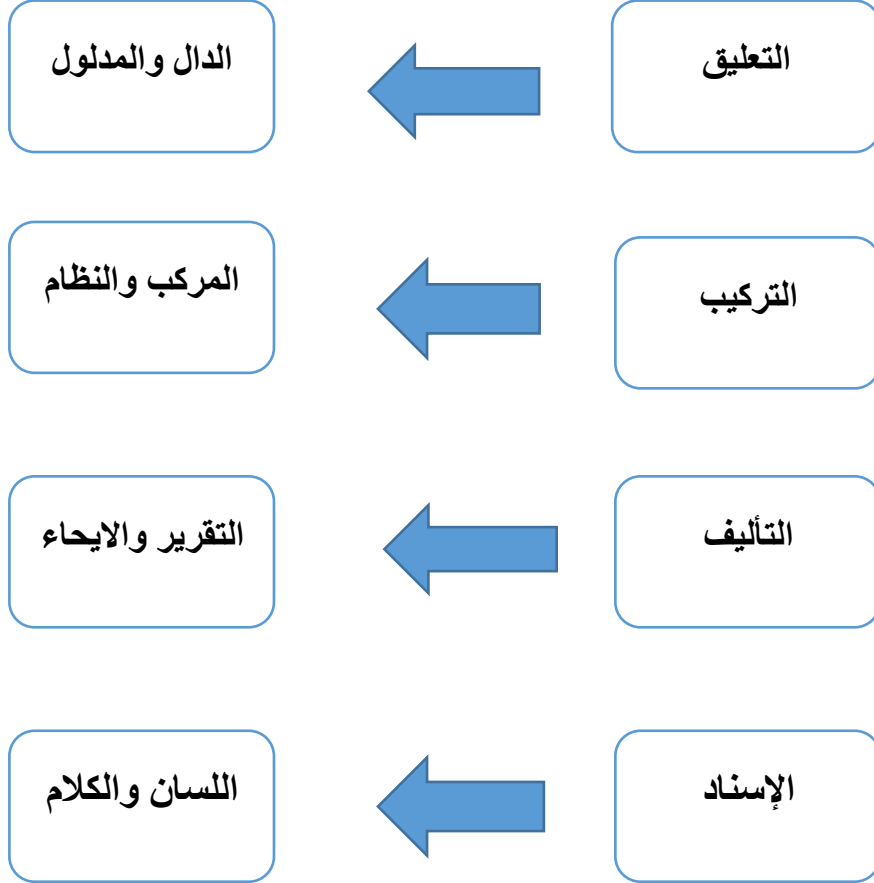
<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني دراسة سيميائية، ص38.

يجعل الناقد "محمد سالم" من عملية النظم عملية ذهنية، تتضمن مجموعة مستويات، بحيث يجعل من تلك المستويات طريقاً من "النظم" إلى "سيماء الدلالة"، أي من "الرجاني" إلى "بارت" تتضح المفاهيم والأبعاد المنهجية للوعي الذهني للناقد يقول: «التركيب والتأليف والإسناد والتعليق سلسلة كلامية تحمل الطبيعة التأسيسية لمباحث السيميائية، والمرتكزات التمهيدية الأولى لقيامها، وقد تجلى ما ذهب إليه النص الرجاني في طروحات بارت في حديثه عن سيمياء الدلالة التي ارتكز فيها البحث على جملة أمور هي (الدال والمدلول، المركب والنظام، اللسان والكلام، التقرير والإيحاء»<sup>1</sup>، ويظهر من كلام الناقد أن هناك عملية اتصال بين ما ذهب إليه "الرجاني" و"بارت"، وأن مبحث البلاغة العربية له الفضل في التأسيس للسيمياء من خلال عناصر النظام النصي، فما قدنه الناقد لا يعدو أن يكون تلخيصاً عاماً لناقدين كبيرين، فضل طابع الحصر المعرفي لمشاركة القارئ في التحليل الذهني، ومادامت بنية التحقق ثابتة في هذا المعطى المعرفي، فإن بناءات المعنى وبيانها لا يتأتى إلا من خلال تدخل الذات القارئة لذلك سنحاول نحن، وفق عمل اشتغال العقل، أن نوفق بين عناصر السلسلة الكلامية للرجاني مع طروحات بارت في سيميائيته، مع بيان التقابلات وفق هيكل معرفي يعيد إيضاح ما ذهب إليه الناقد، ووجب القول إن كتابات محمد سالم تتم عن روح نقدية متميزة تبين عن رغبتها في التجديد والابتكار لبناء مشروع ثقافي ألا وهو النقد المعرفي، لذلك فإدخال السؤال النقدي من قبل القارئ لا مناص منه خصوصاً إذا وجدنا الإيحاء بدل التصريح في المعارف.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الرجاني دراسة سيميائية، ص48.

\*منطق الربط بين السلسلة الكلامية وسيمياء الدلالة، بين الجرجاني

وبارت



يبين من خلال هذه المقارنة جملة مقومات مخرجها في:

-التعليق/الدال المدلول:

يفسر الجرجاني النظم أو يعرفه بناء على التعليق بقوله «النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضه ببعض وجعل بعضها بسبب بعض»<sup>1</sup> وهنا إشارة للعلاقات السياقية بين الوحدات الدلالية، والتي يقابها عند رولان بارت الدال والمدلول للعلامة السيميولوجية

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تقديم ياسين الأيوبي، ص 57، وفي طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة 2004 بتعليق محمود محمد شاكر، ص 4 في المدخل.

«الذنان لا يرتبطان ولا ينتجان الدلالة إلا في سياق محدد»<sup>1</sup>، فالجانب السياقي عند "الجرجاني" و"بارت" هو الكفيل بالبعد الوظيفي للوحدات الدلالية وعليه نستنتج أن التعليق هو توحي معاني النحو بين الدال والمدلول.

#### -التركيب/المركب والنظام:

بين التركيب والمركب والنظام هناك علاقة ترابطية بين عمل الوحدات الدلالية. وقد جاء معناه عند بارت أن «المركبات اللغوية تتوالى وراء بعضها، ويتكون المعنى من العلاقة البنيوية التي تقيمها الكلمة في إطار السلسلة الكلامية مع الكلمات الأخرى»<sup>2</sup> فالتركيب يرتبط بالنظام النصي المتكون من مركبات متنوعة.

#### -التأليف/التقرير والإيحاء:

أقام الجرجاني علاقة متينة بين النظم والتأليف فيشير إلى مفهومه قائلاً: «التأليف (النظم) ليس إلا توحي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم»<sup>3</sup>، وما يقابله في التقرير والإيحاء عند بارت، أنه وضح هذه «الثنائية معتبرا العلامة الدالة لها وجه الدال أو العبارة ووجه المدلول أو المضمون وبين الوجهين علاقة رابطة هي الدلالة التي تربط بينهما»<sup>4</sup>، فنقول إن الترابط يكمن في التأليف الذي يتعلق بإمكانية الإيحاء وقدرته في عملية الإبداع.

<sup>1</sup> - وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18-العدد الثاني-

2002، ص23.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص23.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، حققه وقدم له، أحمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط2، 1987، دمشق، ص459.

<sup>4</sup> - وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، ص 67.

-الإسناد/اللسان والكلام:

يكون الإسناد جزءاً من التعليق في نظرية النظم، فقد قرأه عبد القاهر الجرجاني داخل «مباحث علم النحو في شقه البلاغي ضمن نظرية النظم وأخرجه من الدائرة النحوية المغلفة المستندة إلى المعيار الحتمي إلى التدبر الفكري النحوي الوصفي المتعلق بمعاني النحو»<sup>1</sup>، فيكتسب الإسناد مهمة تحقيق صور المعنى وفق توجه معرفي يراعى فيه المتكلم والمتلقي، وهو ما ينطبق على ثنائية اللسان والكلام التي اكتست طابعا وظيفيا عند كل من "سوسير" و"بارت" فهي في مفهومهما العام اللغة ضرورية حتى يصبح الكلام مفهوما واضحا مؤثرا كل التأثير، غير أنه لازم لتأسيسها، ولكن بارت مدها لتشمل كل أنظمة الدلالة<sup>2</sup>، فيكون وجه التناسب بين الجرجاني وبارت في مفهوم الإسناد مرتبطا بمبدأين؛ الأول مبدأ قدرة الإسناد على توظيف اللغة والكلام على توليد الجمل المناسبة للسياق، والثاني متعلق بقدرة التأثير.

وبالنظر إلى منطق الربط هذا، فإن وعي مفاهيم الدرس اللساني المعاصر الذي يتأسس في جملة منه على ثنائية المحور النظمي والمحور الاستبدالي لا يستقيم مع ما ذهب إليه الناقد، إذ معطيات الدال/المدلول، المركب والنظام، التقرير والايحاء، اللسان والكلام، تقوم على ثنائية المحور الاستبدالي والمحور النظمي بينما معطيات التعليق والتركيب والتأليف والإسناد خطية تقوم على محور النظم، وهو البون الشاسع بين الرؤية الجرجانية وسيمياء الدلالة، ولو ذهب الناقد إلى المعطى الجرجاني المتمثل في المعنى ومعنى المعنى لكانت الرؤية أكثر تلاؤما مع معطيات الدرس السيميائي المعاصر.

<sup>1</sup> - عبد الرحيم البار: مباحث الإسناد في الجملة العربية بين الأصول النحوية والأبعاد البلاغية والآثار الفلسفية، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الثالث والعشرون، جوان 2018، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 285.

<sup>2</sup> - ينظر: وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، ص 61.

### ثالثاً/ الأسس المنهجية للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله:

غدت المناهج النقدية بوابة للبحث العلمي ومنطلقاً للحفر المعرفي، خاصة في التوجهات المعرفية المعاصرة، التي أسهمت في وضع الأسس لها أثناء عملية بنائها المعرفي، فالمناهج النقدية شكلت نسقا ومحورا رئيسيا وحاجة ضرورية وتأسيسية لأي مقارنة علمية، ولا ريب أن نجد ملامحها بارزة كخلفية للنقد المعرفي، ذلك أن الأسس المنهجية «شكلت البنى التحتية التي تنبني عليها القواعد الكلية الحاكمة لصياغة أي منهج جديد على وفق منظومة تشتمل على فلسفة وإجراءات تهدف للوصول إلى نتيجة متوخاة»<sup>1</sup>، وحتى نقرب من معناها أكثر، ومن أهميتها في اعتمادها يقول "عدي جواد" بأنها: «خطوات للبناء الفكري الأولى التي تقوم عليها وسائل معيارية لاستعمال أدوات متمثلة بالمناهج على وفق إجراءات نظرية متمثلة بالأنموذج المعرفي»<sup>2</sup>، وجدير بالذكر إن الاختيارات المنهجية بخصوص النقد المعرفي التي نهجها "محمد سالم" والتي كانت مرجعية له، ستنتهي في نهاية المطاف بصياغة مضامين جديدة ورؤى جديدة من خلال إعادة النظر في الأدب والنقد، فقد تعامل مع المناهج التي سوف نذكرها على مستوى الموضوع و مستوى الإجراء، وجعل منها خطاطة قرأ من خلالها استراتيجياتها المعرفية، لتغدو منطلقاً وطريقاً تأسيساً للنقد المعرفي.

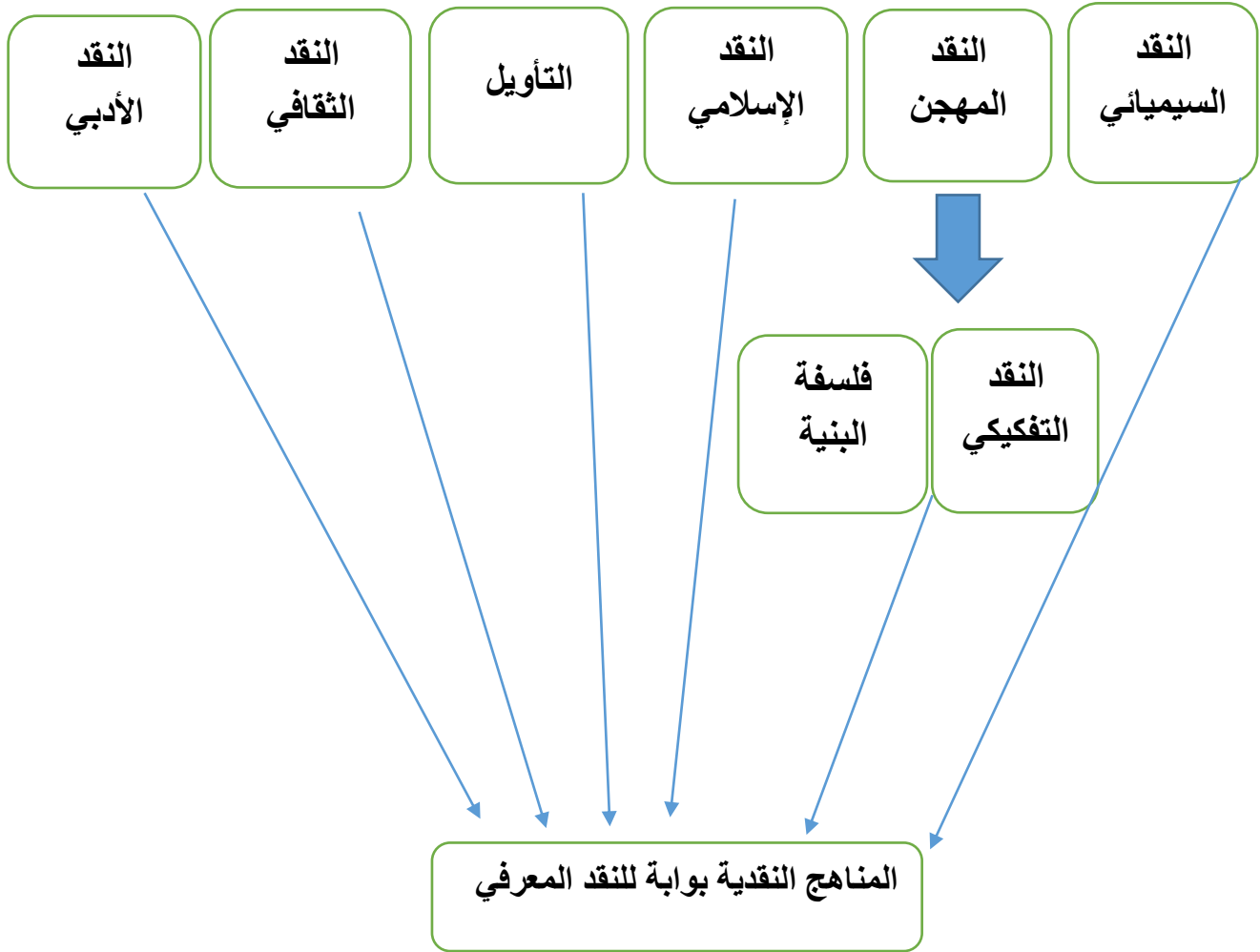
إن التعامل مع التنوع الكبير في فضاء أو مجال المناهج النقدية يعتبر معاناة معرفية، فإعادة النظر في الواقع النقدي أمر مرهون بقدرة استيعاب الناقد لها أولاً. وثانياً بوضع الحلول والنتائج التي تتماشى مع طرحه المعرفي.

<sup>1</sup> -عدي جواد علي الحجار: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، قسم الشؤون الفكرية والثقافية للعتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، 2012. العراق، ص26.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص26.

## الفصل الثالث: النقد أسس التنظير للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله

وبقراءة المنهج النقدي في مجال النقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله، يتبين أن المناهج التي استند إليها والتي يمكن بيانها في المخطط الآتي:



الشكل 17 المناهج النقدية بوابة للنقد المعرفي

حتى يتم توظيف تلك المعطيات المنهجية لبناء رؤية تكاملية وشمولية تجمع بين ما هو أيديولوجي وما هو ثقافي، ما هو نسقي مع ما هو خارج نصي، يمكن بيان المناهج التي أسهمت في بلورة رؤية منهجية للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله" في الآتي:

## 1- النقد السيميائي:

لقد تم التعبير عن النقد السيميائي بلغة المعرفة أثناء سيرورة تشكله، فالحفر في التراث العربي القديم، وفق طريقة الناقد "محمد سالم"، يذكرنا بالبحث الجنيالوجي كما سماه "فوكو"، وحسبنا أن نعطي ملمحا بسيطا عن طبيعته حتى نتبين بعده في الأساس الفلسفي، إنه «أعادة تشكيل ظروف ظهور وتفرد حدث معين من خلال عناصر متعددة وكثيرة ليس باعتبارها نتاجا *produit* بل باعتبارها أثرا *effet*»<sup>1</sup>، وأثر السيميائية إنما يتجلى في الظرف التاريخي الذي ظهر فيه هذا المصطلح (سوم)، والذي أريد به عدة معان، فضلا عن وجوده في القرآن الكريم، فذكر هذا التعدد، إنما خاضع لظرف وروده في تلك الثقافة، وقد بين ذلك "محمد سالم سعد الله" بتقسيم دلالة هذا المصطلح وفق مرحلتين: «المرحلة الأولى تمثلت فيما قبل الإسلام، وحملت معها معنيين؛ علم السحر وعلم أسرار الحروف. وأما المرحلة الثانية تمثلت فيما بعد الإسلام وحملت معان؛ في القرآن الكريم، وفي المعاجم التأسيسية (العلامة=السمة، الإشارة) = (سوم)»<sup>2</sup>، والعودة للموروث العربي للبحث في أصل هذا المصطلح هو تأكيد على نزعة الناقد التي تريد أن تثبت هوية ومكانة السيميائية في الثقافة العربية، إذ يقول يمكن «كون الأصل الأول للفظ سيميائية عربي، لوجود جذرها في المعاجم العربية التأسيسية الأولى، فضلا عن ورودها في القرآن الكريم، واستخدامها عند العرب القدامى»<sup>3</sup>، فنستنتج من هذا؛ أن الموقف النقدي عنده يعمل على مستوى التاريخ بحثا عن روابط عديدة، ينتقل بها الناقد من السببية الأحادية، إلى السببية المركبة والمتمثلة في (تعليق الظاهرة الواحدة بعدة نماذج)، و نجد أن هذا النهج الذي سار به الناقد "محمد سالم سعد الله" وضح رؤيته "باتريك هيلي *patrick Healy*" بقوله «النقد هو سبر تاريخي للأحداث يقودنا لبناء

<sup>1</sup> - الزواوي بغورة: في النقد الفلسفي محاولة في تحديد المفهوم، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 41 أبريل، ص 55.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني دراسة سيميائية، ص 15.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 8.



أنفسنا، وهو غير سام، وهدفه ليس هدف الميتافيزيقا، إنه نسبي في تصميمه، وتنقيبي في نهجه»<sup>1</sup> وعلى هذا نجد فكره يتحرك داخل مدارات تتسج الهوية نفسها، كممارسة للاختلاف الاستثنائي الذي يطمح لجعل الثقافة العربية مركزا لاحتواء الرؤية التي يتبناها "محمد سالم سعد الله" في طرحه للنقد المعرفي.

وقد مثل الناقد "عادل الفاخوري"<sup>2</sup> أول مرجعية معرفية في النقد السيميائي عند "محمد سالم"، وحسبنا أن نذكر مؤلفاته في هذا النقد، حتى نتبين سبب جعله في مقدمة المبحث السيميائي. من بين كتبه (تيارات في السيمياء الطبعة الأولى 1990، علم الدلالة عند العرب الطبعة الأولى، ماي 1985)، والمتأمل في هذين المؤلفين سيتساءل عن ندرة ما تم إنتاجه، بالمقارنة مع من سبقه في هذا الميدان؛ يقول "محمد سالم": «يعد عادل الفاخوري من الباحثين العرب الأوائل الذين عالجوا هذه المسألة بشيء من التفصيل، فقد ذكر أن العرب توصلوا إلى وضع أسس عامة لنظرية العلامات Theory of sign، أو السيمياء Semiotic تحت عنوان الدلالة Semantic، وكان ذلك في اطار تعيين العلاقة التي تربط اللفظ بالمعنى»<sup>3</sup>، فعادل فاخوري هو الرمز الأول للخطاب السيميائي في النقد العربي الحديث والذي حرّك دائرة النقد، ولذلك جعله "محمد سالم" منطلقا أساسيا يمثل مبدأ النحن، ولكي يبين "محمد سالم بأن" دراسته في النقد السيميائي والحفر في المعالم الكبرى واتخاذها مرجعية للدراسة المعرفية، أردف كل ما

<sup>1</sup> - باتريك هيلي: صور المعرفة، مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، ترجمة نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، 2008، بيروت-لبنان، ص194.

<sup>2</sup> - عادل فاخوري: فيلسوف وشاعر ولساني لبناني، من أفضل الباحثين في علم المنطق الرياضي، ومن أبرز المطبقين لعلم المنطق الرياضي على اللغة، كونه كان يهتم باللسانيات، من مؤلفاته: أفكار إذن أنا كمبيوتر. المنطق الرياضي، منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، الرسالة الرمزية في أصول الفقه، تيارات في السيمياء، علم الدلالة عند العرب، مكتبة نور، موقع إلكتروني، [www.noor-book.com](http://www.noor-book.com)

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني دراسة سيميائية، ص8.

جاء به "عادل فاخوري"، بمخططات استثنائية، ليفجر كل إمكانيات الاحتواء العقلي لدى القارئ.

وبعد التعرض إلى ما أنجزه، مرورا "بعادل فاخوري"، إلى "محمد مفتاح" ثم "نصر حامد أبو زيد"، الذين أكدوا أن الثقافة العربية، ثقافة معرفية وسيميولوجية، يتوصل "محمد سالم سعد الله" إلى أن بؤادر السيميائية في مرحلة ما بعد الإسلام، تشكلت في معان وفق الميدان اللغوي والمنطقي والفلسفي الذي تضمن علم الدلالة، ووفق الميدان الفقهي الذي تضمن (إشارة النص، دلالة النص، دلالة الاقتضاء، عبارة النص)<sup>1</sup>، فهذه المعاني التي تم استنتاجها من طرف الناقد، إنما جاءت بطريقة استثنائية؛ طريقة تحفز عملية اشتغال العقل، لاستخراج كل إمكانات التحليل النصوي للنقد السيميائي من حيث وجهته العربية.

## 2- النقد المهجن:

والعودة إلى النقد المهجن، هو فتح لأبواب الصراع المعرفي بين نقاد عرب، ناقشوا المقولات الغربية، وأبرزوا فاعلية الفكر العربي، وأن اختيار هذا المصطلح من طرف الناقد يشير إلى حيلة الخروج من مسلك تكرار قضية تعامل النقاد العرب مع الوافد الغربي، وأن الاختلاف الذي سيحدثه النقد المهجن في طريقة الممارسة، ستكشف عن مضامين معرفية أخرى، ولكن مبدأ البحث هنا سيتجلى في بيان الخلفية العربية التي من خلالها ناقش "محمد سالم سعد الله"، مفهومه للنقد المهجن، والتي سيكون بؤادر لتشكيل النقد المعرفي

انحصر النقد المهجن من حيث المعالجة المعرفية في ثلاثة محاور: فلسفة البنية، النقد التفكيكي، منهج الحفريات، وإن هذا الإطار الثلاثي الذي رسمه الناقد للنقد المهجن يثير تساؤلات عديدة من قبل القارئ، هل فاعلية النقد العربي المعاصر أثناء تعاملها مع

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني دراسة سيميائية، ص 15.

الوافد الغربي قد حصرت في هذا الثالوث المعرفي؟ أم أن المعطى العربي لم يستطع استيعاب الجهد الغربي، فراح يتخبط في دوامة البنية والنقد التفكيكي؟ أم أن كل الجهود العربية بما فيها التنظيرية والممارسة التطبيقية قد جمعت فقط في النقد المهجن؟ داخل هذا السياق الفكري، وفي ظل هذه الأسئلة، سنعمد إلى ذكر النقاد العرب المعاصرين الذين وظفهم الناقد "محمد سالم سعد الله" كمرجعية معرفية للتعامل مع البنية والنقد التفكيكي:

النقد التفكيكي	فلسفة البنية
عبد الله الغدامي	زكرياء إبراهيم
عبد الله إبراهيم	فؤاد زكريا
علي حرب	البازعي
عبد العزيز حمودة	عبد العزيز حمودة
سامي مهدي	مطاع صفدي
محمد مفتاح	كمال او ديب
سعد عبد الرحمان البازعي	سعيد الغانمي، الدواي، فؤاد أبو منصور

في إطار فلسفة البنية، كان المنطلق المعرفي الذي اختاره الناقد في جدلية البنية كفلسفة بعيدا عن صراع التمثل الكلي أو الجزئي للوافد الغربي، ولعل تفضيل مبحث الفلسفة كفيل بأن يحفز مدارات الإدراك، لشمولية معرفية أكثر عمقا، تحاول فيها الاستمولوجيا الفصل في مسألة قيمة المناهج الغربية، التي آل إليها معظم النقاد في معالجاتهم بالمقارنة مع المعطى الفلسفي الذي سيكشف لنا عن الواقع العربي، وعلى هذا يقول «يمكن تقديم الموقف النقدي العربي الحديث تجاه فلسفة البنية والاختلاف المعرفي والفلسفي الحاصلين عند النقاد العرب في هذا الإطار، وفق قسمين؛ قسم عد البنيوية فلسفة، وقسم لم يعدها فلسفة»<sup>1</sup>، ولفظنا المعرفي والفلسفي واللذان جعلهما الناقد متلازمتين، سترسم صورة عن التصور العقلاني لهؤلاء النقاد العرب الذين اختارهم،

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أطراف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص38.

وستكشف عن الفاعلية الذهنية للناقد في كيفية تعامله مع المواضيع المعرفية، وكيفية تطيره لهذه المسائل في مجال حاضن للعقلانية.

وربما هذا الحصر الذي وظفه الناقد لهؤلاء النقاد في اختلافهم حول طبيعة البنية؛ مفاده كشف أدبيولوجية كل ناقد على حدة، ومن ثم محاولة استقراء كل الآراء الموظفة بطريقة جديدة، طريقة تتطرق من الوعي لتحقيق منظوره للنقد المعرفي، لذلك نجد أن إعادة صياغة أسئلته النقدية في سياق عام وهو سياق النقد العربي المعاصر، لينتقل به إلى السياق الخاص وهو النقد المهجن، والاعتداد بمبدأي العام والخاص فيه إشارة إلى الحفر المعرفي الذي مارسه الناقد، والذي بينا أهميته في المبحث البلاغي.

### 3- النقد التفكيكي:

تتجسد معالجة هذا النقد في قضية القبول والرفض للنقد التفكيكي، ومحاولة الوقوف عند أهم النقاد المعاصرين الذين ناقشوا مقولات التفكيك، ولن تكون هذه الدراسة ذات طابع تجديدي من حيث الموضوع، بل ستكون قراءة على قراءة، أي نقدا على نقد، وبالتالي سنتيح إمكانية الكشف عن الرؤية النقدية للناقد.

يقسم الناقد اختياراته للنقاد إلى مجموعتين، بين الراضين والمؤيدين؛ حيث تمثلت المجموعة الأولى في "عبد الله الغدّامي"، "عبد الله إبراهيم"، "علي حرب"، وهي الفئة التي قبلت الطرح التفكيكي، في مقابل الفئة الراضة التي تمثلت في "مطاع صفدي"، "محمد مفتاح"، "سامي مهدي"، "سعد عبد الرحمان البازعي"، "عبد العزيز حمودة" لينطلق مناقشا أقوالهم النقدية، معتبرا إياها مسؤولة تكشف عن واقع النقد العربي المعاصر، فأمام تضارب الآراء والمواقف والأفكار، يوسع الناقد ويطور من أدواته وآليات اشتغاله، منطلقا من معرفة قائمة على أدوات مفهومية مضبوطة، رغبة منه في التغيير والتحديث، وتغييره جاء في رسالته الأيديولوجية التي وجهها للقارئ. والتي تدعو إلى تأصيل مشروع عقلائي عربي من خلال التبرم من الانسياق التام وراء المنجز الغربي، حيث يقول «ما نحتاجه اليوم هو سلوك طرق العقلنة في تهديم جميع الأقتعة التي لا

تمتلك إلا البريق المزيف والجنوح نحو بناء أطرنا النقدية من خلال رؤية مميزة ترسم أجرومية الأسئلة المعرفية التي تعترى مسيرتنا، علينا التفتيش من دواخلنا، هل نحن مؤهلون لصياغة منجز بديل عن المنجز الغربي»<sup>1</sup>، وبالنظر إلى هذا القول يتبين لنا أن اعتماد زاوية النظر الإبستمولوجية حاضرة دوماً من خلال مفردة العقلنة التي يتوسم فيها الناقد تجاوز كل التصورات التي كانت تدعي أنها مسلمة يقينية، والذهاب نحو أسئلة معرفية، تنزع منزع العقلانية المعاصرة التي تدعو «إلى الاقتناع بأن النشاط العقلي يمكنه أن يبني منظومات بمقدار عدد الظواهر المختلفة»<sup>2</sup>، وهو ما يلائم جوهر ما دعا إليه.

#### 4 - النقد الإسلامي وإشكالاته المعرفية:

النقد الإسلامي ومسألة مشروعيته في إثبات هوية الفكر والواقع، الذات والموضوع، امتلاكه لزماد تطور الفكرة المطلقة، لقد بلغ هذا النقد مع "محمد سالم سعد الله" مدى واسعاً عبر قراءة نسقه المعرفي الضخم، وتقديم البدائل والحلول التي تستجيب إلى معطيات الساحة النقدية.

إن المتأمل في عنوان كتابه "أطراف النقد دراسات في النقد الإسلامي المعاصر"، سيجد أنه يحمل دلالة نقدية ومعرفية؛ نقدية من حيث طابعه المنهجي، ومعرفية من حيث الدراسة التي سيخصها له من خلال منحه مساحة واسعة في رقعة النقد العربي المعاصر. والتي لا تكون إلا بالاستجابة للحاجات الإنسانية والمستقبل.

يتجلى الهدف الأساسي "لمحمد سالم" من دراسة هذا النقد في إتاحة «فرصة للنقد الإسلامي بتقديم نتاجاته وأجوبته فضلاً عن رسم الشخصية النقدية ذي الصبغة

1 - محمد سالم سعد الله: أطراف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص 57.

2 - محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، ص 137.

العالمية التي تحتضن لفيها من التوجهات والإبداعات المتنوعة والمختلفة»<sup>1</sup>، وقد أشرنا في نقده المهجن إلى أن الناقد يسعى جاهدا لبناء مشروع عقلائي عربي معاصر يستطيع من خلاله تحقيق الهوية العربية بتجاوز التمثل الكلي للوافد الغربي، وهو ما سيحاول إثباته بالنقد الإسلامي.

يجد النقد الإسلامي المعاصر مع "محمد سالم سعد الله" عناصر تبريره فيما ينتج من الخطابات النقدية ذاتها، وبما أن مشروعه النقد المعرفي المعاصر يقوم على محاورة النقود المتنوعة، كان النقد الإسلامي قضية كبرى للمحاورة، حيناً، وللتجديد المعرفي حيناً آخر، تجديد في البحث عن الجوانب الإدراكية التي ستمنحه سمة الفرادة.

وبما أن الثقافة العربية ثقافة تطمح إلى الجاهز دوماً، لجأ الناقد إلى طرح مجموعة إشكالات تتحو منحى التأصيل والتجديد وبناء كيان معرفي لهذا النقد انطلاقاً من النقد العربي المعاصر وواقعيته؛ «إذ الفكر النقدي يستمد جدارته ويكتسب وظيفته، ويستحق تسميته انطلاقاً كلما انتزع لذاته فضاء مناسباً في الإنتاج الفكري والنظري والثقافي»<sup>2</sup>، ففضاء النقد الإسلامي المعاصر هو البيئة العربية التي ستكتسب هويتها وشرعيتها ومكانتها وتثبت أحقية وجدارة التفكير العقلي العربي إزاء الوافد الغربي؛ إنها مغامرة فكرية تستوجب مراحل عدة ما بين المنهجية والفكرية والتأصيلية، قد يلم بها الناقد، وقد يغفل عن بعض تفاصيلها، لأن كل نقد يصبح قضية نقدية، وكل قضية نقدية قابلة للنقض وإتيان البديل وهكذا، يقول "محمد سالم" مبيناً الغاية المعرفية من هذا النقد «بإمكان النقد الإسلامي المعاصر بناء صرح من الإدراكات المستقبلية التي تتناول جهده بياناً وشرحاً ونقداً وعرضاً لإيجابيات وسلبيات، وتوضيحاً لمناهج نقدية إسلامية وليس منهجاً واحداً، ثم أمنيات بفتح أقسام تخصصية في الكليات الإنسانية في الجامعات العربية

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد الإسلامي أصالة الموروث وفاعلية الخطاب، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد 12، العدد 4، 2005، ص 73.

<sup>2</sup> نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية، ص 8.

مستقبلاً»<sup>1</sup>، إن صرح الإدراكات المستقبلية التي اصطلح عليها الناقد هي منطلق تأسيسي للنقد المعرفي أولاً يسهم في بلورة التنمية النقدية\* بوصفه منتجاً معرفياً، كما أن طموح الناقد في هذا القول مع لفظة الأمنيات دعوة ضمنية للعقول العربية إلى بناء عقلي عربي عصري، يستطيع وضع المغايرة، وقلب الرؤى التي تستنكر همة الثقافة العربية في التفكير؛ هي دعوة للعقلانية بابتكار مناهج نقدية للنقد الإسلامي، ودعوة للفردانية من خلال التجديد النقدي والمعرفي.

يبدأ كل تأصيل منهجي بوضع مجموعة إشكالات ليمارس الناقد دوره في معالجتها؛ وتمثلت إشكالات النقد الإسلامي في: إشكالية أسلمة الأدب، إشكالية غياب المنهج، إشكالية تحديد المصطلح، إشكالية الدور الإعلامي، فالأولى تمثل قضية تأصيلية بامتياز تبحث عن منافذ تحقيق الوجود ومنافسة الآخر، والتي يقول فيها "محمد سالم": «ماهي مهمة الأدب الإسلامي وأين تكمن؟ هل تكون بمشروع أسلمة الأدب أم بمشروع تقديم الأدب الإسلامي»<sup>2</sup>، إنه قلق المعرفة كما يصطلح عليه البازعي، وقلق المفكر بالدرجة الأولى في تحقيق الفرادة.

إن إثبات الوجود عملية تتطلب جهداً معرفياً يمكن اعتبارها وحدة كبرى إذا ما قيست بالطرح الذي وظفه الناقد وهو يعالج إشكاليته، فقد وجدناه يستثمر معطيات النقد العربي القديم والحديث في معالجة هذه الإشكالية بتوظيفه مصطلحات "الشكل والمضمون/ الأنا والآخر"، والتي نعتبرها وحدات صغرى وظفها الناقد ليخرج بمعرفة أكثر شمولاً واتساعاً تمثلت في جعل النقد الإسلامي ينتمي إلى الانفتاح على الكينونة،

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أطيايف النص، دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، ص2.

\* - مصطلح يشير إلى إمكانية الاشتغال على إمكانات التحليل عبر تمكين الإدراك للتصورات العلمية في محيط النص وخارطته (محمد سالم سعد الله: التنمية النقدية دراسات نصية في المنتج المعرفي، ص7.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: أطيايف النص، ص8.

والانتماء إلى الأنوية نسبة إلى الأنا<sup>1</sup> وأما ما يخص الإشكالية الثانية والمتعلقة بغياب المنهج، فإن هذه الإشكالية أرقّت العديد من النقاد، وجعلت مؤلفاتهم تعنى بالاهتمام بالمناهج أكثر من شيء آخر، والأدب الإسلامي في نظر "محمد سالم" كان أدبا يفتقر لمنهج مما أدى إلى ضبابية في الرؤية، وجعل «النقاد يلجؤون إلى المضمون في التحليل والتركيز لبيانه على حساب القضايا الفنية والتقنية»<sup>2</sup>، فالتطرق لغياب المنهج هو العبور الأول نحو وجود نقد إسلامي سيمارس فعاليته في النقد العربي المعاصر، إذا ما وجدت له أدوات وإجراءات وآليات تمنحه أحقية الفعل والممارسة والتطبيق.

أما إشكالية المصطلح؛ نجد أن الناقد عالجها من جانبيين: الجانب المضموني أي ماهيته الدلالية، والجانب التعددي أي تعدد المصطلح أمام المفهوم الواحد، وهو بذلك يكشف لنا عن مفاهيم متعلقة بمصطلح الأدب الإسلامي، مفاهيم يجب أن يحسمها النقاد، حتى تحسم دلالاته ومعناه، ويتجه نحو مفهوم نقدي قابل للتطبيق على الثقافة بشكل عام.

وفيما يخص إشكالية الدور الإعلامي، والتي نعتبرها إشكالية جديدة إذا قورنت بالدراسات السابقة المتعلقة نحو تأصيل منهجي لأي نقد، فإن "محمد سالم" يرى بأن «الأضواء التي تسلط على هذا الأدب متواضعة جدا وسيؤدي ذلك إلى معرفة متواضعة أيضا»<sup>3</sup>، وهذا دليل على أن الجهود المعرفية بخصوص هذا المجال ضئيلة، وأن معالجة إشكالية الدور الإعلامي إشكالية ترجع إلى تكثيف جهود النقاد لهذا الأدب ومنحه مسارا نقديا له فاعليته في النقد العربي المعاصر، يحقق فرادته وتميزه كباقي النقود الأخرى وتمنحه سمة العالمية، وهو بذلك يوجه رسالته بروح مفعمة بالتفاؤل المعرفي نحو تخليص هذا الأدب من جموده وركوده الذي يرى فيه البناء والتقدم المعرفي للنقد العربي فيقول

1 - محمد سالم سعد الله: أطراف النص، ص 8.

2 - المصدر نفسه، ص 8.

3 - المصدر نفسه، ص 10.



«فواجب الأدب الإسلامي أن يحرر نفسه من القيود اللاعقلانية التي أحيطت به ليتسنى له الرقي لمنافسة الآخر الذي لم يدخر جهداً في بنائه»<sup>1</sup>، وهو بذلك يشدد على تعبئة هذا الأدب بقدرات العقل التي تشخص الواقع وتبني الفكر النقدي، وتؤطر لعلاقات معرفية تمنحه أحقية المنافسة الغيرية.

## 5- النقد الإسلامي وإشكالاته المنهجية:

مروراً بإشكالات معرفية نحو إشكالات منهجية؛ يتجلى فيها تفاوت فكر الناقد في تعميق سؤاله المعرفي وحسه النقدي، وهو ينظر من زوايا متعددة تكشف فيها عن طموحه المعرفي في الذهاب بالنقد الإسلامي إلى أن يصطبغ بالعالمية.

ينطلق الناقد باقتراح عمل منهجي للنقد الإسلامي متكون من «مصطلحات ثلاث تقوم على علاقة جدلية بينها، هي (التراث، الأصالة)، (الحدائث، المعاصرة)، (النص، الواقع الإبداعي)»<sup>2</sup>، وإن هذه الثنائيات الثلاث توحى في حقيقتها بعمق التفكير النقدي الخاضع للإدراك، فعملية الصوغ هذه، تتم عن إنتاج معرفة تتميز بالدقة والإحكام، معرفة تستند للسؤال، وتستشكل أفكاراً ومفاهيم، لتبني كفاءات ذهنية ومعارف مناسبة لفعل نقدي يأخذ من النقد الإسلامي مرجعية منهجية له في التأسيس لما هو معرفي وهو "النقد المعرفي" حيث يقول: «وظيفة آلية العمل المنهجي للأدب الإسلامي هي تحويل سلوك التفكير إلى التصور الخاص للواقع والحياة والكون والإنسان»<sup>3</sup> والنقد المعرفي نقد منفتح على العوالم والمعارف الإنسانية الحياتية التي تمجد الذات العارفة.

تتعدد المداخل المعرفية في التأسيس لما هو منهجي وتنعكس الأيديولوجية العامة في هذا الطرح بين إشكالات منهجية للأدب الإسلامي، وبين نقد إسلامي معاصر في أصالته وفعالته، وبين إعادة كتابة خطوات منهجية للنقد الإسلامي، وبين امتداد لعمل

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أطراف النص، ص12.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص12.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص13.

نقدي آخر يتناول في ثناياه الفلسفة الإسلامية وأثرها في التنمية النقدية؛ هي أبعاد معرفية تكشف عن رؤية نقدية حضارية ترى أن محطة الإقلاع تبدأ من النموذج الثقافي العربي، وما النقد الإسلامي المعاصر إلا السبيل في ذلك في رسم معالم خطاب نقدي عربي يخلصه من فكرة التبعية التي هيمنت على فكر النقاد العرب.

سوف يقع اختيارنا على مبحث "النقد الإسلامي المعاصر في أصالته وفعاليته"، أولاً للحمولة الدلالية التي يختزنها هذا العنوان، وثانياً للكشف عن مراجعة الناقد لأساسيات المعرفة وفق عملية تشريحية تشرع للمعرفة اعتماداً على قواعد العقل، وثالثاً إعادة بناء وبلورة مشروع النقد الإسلامي المعاصر وهو بيان لإنتاج فكر نقدي يقدم معنى جديداً من خلال جملة مفاهيم ومصطلحات تبدأ من إشكالية النقد العربي إلى اتزان النقد الإسلامي، وينتهي بمحور النقد الإسلامي من الابتداء إلى الانطلاق.

يبدأ الناقد بطرح مجموعة إشكالات للنقد العربي المعاصر مهاجماً تبعيته للآخر الغربي مدرجاً إياها في أزمات معرفية وثقافية حددها في مجموعة نقاط توحى كلها بنقمته على الوضع الذي آل إليه نقدنا العربي المعاصر في افتقاده عناصر هويته ووجوديته، ولقد جعل نقده للخطاب العربي محكمةً ضبط بها شروط المعرفة وحدودها وصحح جميع الأقوال المغلوطة من وجهة نظره التي هيمنت على العقول العربية المفكرة معلناً بصورة قطعية مقولة النقد العربي المعاصر التي «لا تشكل سوى وهم منهجي أيديولوجي، تأتت من أنا مفتعلة متضخمة، لا تبصر إلا نفسها، من خلال وهمها الميتافيزيقي، ولا تنظر إلى الآخر إلا من خلال تعاليها، الذي لا يستند على أبجديات التعالي وسماته»<sup>1</sup>، إنها مفارقة عجيبة يحدثها "محمد سالم" حين يجعل من النقد المعاصر وهماً، ويقرنه بمفهوم التعالي المتجسد ضمن منطوق النفي، وما دمنا مع النقد العربي، فإن التعالي سوف يفهم بالمفهوم الكانطي، مادام هناك وهم منهجي، وأنا متضخمة، ووهم ميتافيزيقي، كل هذه الأوهام لن تشكل تلك المعرفة التي يمكن أن يثبت بها مقولته النقدية، فالتعالي حسب

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد الإسلامي أصالة الموروث وفاعلية الخطاب، ص 78.

"كانط" هو ما يجعل نوعاً من المعرفة ممكناً بشكل قبلي ومحض، أي يحدد الأصل والامتداد والقيمة الموضوعية لأي معرفة، بناءً على فحص نقدي لقوانين العقل البشري من جهة ما تتعلق بالموضوعات على نحو قبلي<sup>1</sup>، معرفة قبلية تؤخذ من الغرب لبناء نظرية جديدة، وامتداد يعود دائماً للغرب في أصوله ومنابعه كحال المناهج اليوم، وقيمة تحددها الأيدولوجيا لكل ناقد عربي، وليس الموضوع الذي يحدد قيمته باعتباره جديداً مستحدثاً، إنها إمكانيات مستحيلة ارتبطت بالتعالى المقترن بالنفي، فمثلناها على النحو الذي تبلور في فكر الناقد، إنه يبحث دائماً على اشتغال العقل وجعل المعرفة دوماً ذات طابع عقلاي تخضع للتمثلات الذهنية لبناء فكر نقدي جديد

لن نقف موقف التسليم الكلي مع ما طرحه الناقد خاصة ونحن أمام سلسلة نقدية، تحوي فكر الناقد في مختلف ميادين دراسته، إنه فكر متجدد، يتجدد بتجدد رؤيته الخاصة، وأمام هذا الاختلاف لابد وأن يوجد التناقض، إنه تناقض معرفي، ومنهجي في الآن نفسه، وأما قوله الأخير الذي عقّبنا عليه فيما يخص مقولة النقد المعاصر، فإن اللغة التي وظفت أُرمت الوضع بشكل مفتعل ينفي تماماً اجتهادات النقاد، كما ينفي وجود نقد عربي.

إن التناقض الذي وجدناه في ثنايا كتب الناقد ونحن نتفحص جهده في محاولة تقديم النقد الإسلامي كنقد بديل يصنع الهوية العربية، ويبتعد عن التبعية، هو تلك الهوية التي صنعت موضع الجدل فيما كتبه في مؤلفاته "أطياف النص" وفي "مملكة النص" وفي مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر وأهم معالم هذا التناقض يمكن بيانها في الآتي:

أ- التناقض المنهجي: يتمثل في الخلط المفاهيمي أثناء توظيف المصطلحات، فبداية انطلاقه وسمها بـ إشكالية النقد العربي إلى اتزان النقد الإسلامي، والنقد العربي

<sup>1</sup> -فتحي المسكيني: استشارات كانطية-التعالى الحر أو في الحرية الموجبة، الحوار المتمدن، 3-

m.ahewar.org، بتاريخ 9-7-2021، الساعة 17.42

نقد مر بمراحل تطويرية عدة من القديم إلى الحديث ثم المعاصر، وأثناء ذكر إشكالات النقد نجد الناقد يعمد إلى توظيف مصطلح الحديث أكثر من المعاصر. وفي نتيجة خاتمته يورد النقد المعاصر. وكأن دراسته كانت كلها مقتصرة على هذه الفترة، كما أن غياب النقد القديم أمر يثير تساؤلاً، وهو ما يجعل القارئ في محك الاستفهام دوماً، هل تقديم النقد الإسلامي المعاصر مرهون بحل إشكالات النقد الحديث والمعاصر؟

**ب-التناقض المعرفي:** يتجسد في معطياته التحليلية، وهو يناقش قضية السيمياء وقضية إشكالات النقد العربي، كيف لناقد عربي أن يتبنى منهاجاً غربياً يقرأ به نصوص الجرجاني، ثم يذهب إلى دحض ما مارسه عبر مقولته في بيان الإشكالات التي تبين عدم وجود منهج نقدي إذ يقول «معاناة النقد العربي من التبعية للنقد الغربي، وقد أنتجت هذه المعاناة عجز النقد العربي وتراجعها وغياب منهجه النقدي وضياح خصوصيته»<sup>1</sup>، أين المنهج وأين الخصوصية العربية ومنهج السيمياء حاضر بقوة، كما يليه التناص الذي مورس، يقول في مقدمة كتابه مملكة النص: «يفتح هذا البحث طريقاً لدراسات أخرى تعينه في سبيل إضاءة جوانب التحليل في النصوص العربية بالاستعانة بأدوات وآليات منهجية حديثة تمهد لقراءات متعددة وتنبئ بأفاق جديدة لدراسة التراث العربي»<sup>2</sup>، إنها دعوة للنقاد بتبني المناهج الغربية وتطبيقها في دراسة التراث العربي، والتي بدورها تنفي مقولاته في إشكالات النقد العربي. ومن جهة أخرى سوف أخطب الأنا حتى أوضح أكثر: كيف يمكن أن أدعو لتأسيس نظرية أو نقد أصنع به هويتي ومكانتي المعرفية دون أن أنظر بعين الآخر وأنا أتبنى منهاجاً غربياً أمارسها على النصوص العربية؟ هل أريد تبيئة المناهج الغربية في تربة عربية وأبحث عن الجديد؟ كما أن نظرية النقد المعرفي المعاصر تعود في أصلها إلى الخطاب النقدي الغربي، وإن كانت هناك تغييرات طفيفة لامست المحتوى فيما دعا إليه الناقد، إلا أن

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أطراف النص، ص 25.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مملكة النص، ص 4.

المنبع والأصل يبقى غريباً، مازلنا ننظر بعين الآخر كما يقول "محمد سالم"، ولن نتبرأ منه مادامت نظرتنا متجة صوب إبداعهم، الناقد العربي يمارس بلورة النظريات الغربية بأفق رؤية عربية يصنع بها تميزه عن النقاد الآخرين. وتبقى هذه وجهة نظر تقبل التصويب أو إتيان البديل.

## 6- النقد الثقافي والنقد الأدبي:

تنتصب أهمية الوعي في المعالجة النقدية لهذين النقيدين من خلال إظهار نسقهما الفلسفي، ومنطلقهما الفكري، وبيان نقاط الالتقاء والاختلاف في الممارسة النصية، مفككا بذلك أطرها المعرفية وجاعلا منها مرجعية للنقد المعرفي.

لقد هيمن نمط المقالات التي كانت ترمي إلى الاهتمام بموضوع النقد الثقافي والنقد الأدبي، كل حسب رؤيته الخاصة، ونحن أمام النقد المعرفي يعترضنا هذا الموضوع الذي سنلمس فيه اختلافا في الطرح والمعالجة، ولربما كانت الدراسة الأقرب "لمحمد سالم سعد الله"؛ دراسة "عبد الحكيم الشندودي" في كتابه "نقد النقد حدود المعرفة النقدية" الذي نشر بعد كتاب النقد المعرفي، والذي تناول فيه مبحثاً بعنوان النقد الأدبي والنقد الثقافي في الصفحة 62، حتى أننا عثرنا على توظيف الناقد "عبد الحكيم" لمصطلح النقد المعرفي بعد ما جعل من النقد الثقافي نقدا معرفياً، غير أن ما يجدد طابع الدراسة ويجعلها تختلف، هو الغاية المعرفية التي قادت الناقد "محمد سالم" لتناول هذا الموضوع وهو التأسيس للنقد المعرفي، في حين نجد الناقد الآخر يؤسس لنقد النقد.

في البداية حاول "محمد سالم" أن ينطلق في تحليله من مبدأ "العام والخاص"، وقد أشرنا إلى أن هذا المبدأ قد هيمن بشكل كبير على دراسته، فبين طبيعة الانتقال من مجال النقد الأدبي ذي الهدف الجمالي إلى النقد الثقافي ذي الهدف المعرفي في بعده الثقافي.

يرى الناقد أن المشهد المعرفي المعاصر، وانفتحات المعرفة على مختلف الأصعدة وهيمنتها بشكل حتمي لأجل تصدير الثقافات، وبروز العولمة كان السبب في

خروج «الناقد من دائرة النقد الأدبي الضيقة والدخول إلى ميادين الساحة الثقافية الممتدة والواسعة، وهو ما جعل النقد الثقافي ينشأ متسماً بالشمولية والموسوعية»<sup>1</sup>، فالقوة المعرفية كانت السبب المباشر في تخطي الحدود وجعل أفق الناقد يفتح نحو ممارسات أوسع ينطلق فيها بأدوات فكرية لا حصر لها، تسهم في فهم التحولات الجارية على الساحة.

ما نبحت عنه في هذه الدراسة هو الصورة الجديدة لفعل التفكير ونمطية اشتغاله، والتي تمثلت في الارتكاز على نقطة مهمة وهي العامل التاريخي الذي يحدد بقاء هذين النقيدين، والذي فرض عليه مساءلة أساسية يحسم بها هذا الجدل، فقد جعل من النقد الثقافي موضحة و صورة من صور الإفرازات الثقافية التي تولدت عن العولمة، والتي ستؤول إلى الزوال لأن المصدر الأول (العولمة) سيضمحل ببديله ما بعد العولمة، وهي نفس الفكرة التي أشار إليها عبد "الحكيم الشندودي" حين قال «النقد الثقافي بدوره قد يكون عرضة للتجاوز في المستقبل على اعتبار أنه تقليعة معرفية أنتجتها العولمة التي كسرت الحدود وتبنت الشمولية في إيقاع يقضي بمحو الثقافات المحلية وإحلال الثقافة العالمية كبديل»<sup>2</sup> وفي السياق نفسه يقول "محمد سالم" «النقد الثقافي متأثر بموجة العولمة وما يتبعها على الصعيد المعرفي والثقافي وقد تكون هذه الموجة محددة بفترة زمنية لا تطول لأن المفكرين يتحدثون عن ما بعد العولمة»<sup>3</sup>، فالنقد الثقافي وفق القولين سيفقد لا محالة تنازعه المنهجي مع النقد الأدبي أولاً، ومع النقود والنظريات الأخرى ثانياً، إن الحديث عن ما بعد العولمة، هو كشف عن الأنظمة الفكرية وأنماط الممارسات العقلانية التي سادت في المشهد المعرفي والثقافي الأوروبي، واختزلت بطريقة

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، ص 51.

<sup>2</sup> - عبد الحكيم الشندودي: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، ص 64.

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد الثقافي أزمة منهج أم محنة عمل، مجلة المأمون، ص 29.

لاعقلانية في الفكر العربي، مما جعل انحسار المستجد الثقافة العربية يخضع لسبب زمني.

وبالعودة للعامل التاريخي، يذكر الناقد ميزة النقد الأدبي في مراحل تاريخيته التي صنعت له البقاء والتميز على باقي النقود الأخرى التي أفرزتها الحداثة وما بعدها، إذ يقول: «إن النقد الأدبي يمتلك إرثا تاريخيا ممتدا ومرجعا علميا معرفيا ابتداءً مع الذوق الأدبي الفردي وتطور مع التحليل العلمي»<sup>1</sup> وهو بهذا يشير إلى الأفضلية التي يتميز بها النقد الأدبي عن الثقافي من حيث أطره المرجعية التي تمثل له الأرضية الإستمولوجية والتي غابت عن النقد الثقافي.

ومرورا بالجدل المعرفي بين النقاد، ينتقل الناقد إلى مسألة أخرى وهي مسألة توحيد المصطلحات، وقد لجأ في ذلك إلى اعتماد النموذج الغربي باعتباره الصانع الأول الذي له أحقية في صناعة المصطلح وبلورة المفهوم المعرفي على عكس الخطاب العربي الذي انشغل بالجانب المظهري للنقد الثقافي فراح يصف ويعرض ويشرح ويقدم أقوالا وآراء، يقول "محمد سالم" «العديد من النقاد الغربيين ذهبوا إلى توحيد مصطلح النقد الثقافي مع مصطلحات أخرى مثل نقد ما بعد البنيوية ونقد ما بعد الحداثة، والساحة العربية لم تمتلك زمام النقد الثقافي بعد»<sup>2</sup>، وإذا كان هذا الطرح غريبا بعض الشيء، لأن قضية توحيد المصطلحات انشغل بها الغربي والعربي على حد سواء، ولا يتعلق الأمر بالنقد الثقافي فقط كون الممارسة الإجرائية ضئيلة في النقد العربي، والتي وصفها محمد سالم بأن النماذج الإجرائية في النقد الثقافي نماذج مرهونة فقط ببيان صيغ التطابق والاختلاف كما في نموذج عبد الله إبراهيم<sup>3</sup>، ولعل استحضار قول "الشندودي"

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص5.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: أسنة النص، ص53.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد سالم سعد الله: النقد الثقافي أزمة منهج أم محنة عمل، مجلة المأمون، ص29.

وهو ناقد عربي مارس جهداً أيضاً في النقد الثقافي، نراه يلجأ لتوحيد مصطلح النقد الثقافي مع النقد المعرفي والنقد الفني والنقد الشامل، وهو ما يتعارض مع القول الأول.

يتوسع "محمد سالم" في معالجته النقدية للنقد الثقافي في قضية تحمل صيغة تعجبية وسمها ب: **النقد الثقافي مشروعياً البقاء للأشمل!** والتي تستدعي منا ملاحظة دقيقة حول طابع هذا العنوان وما يمكن أن يحمله من دلالات، لاسيما وأننا نتعامل مع ناقد معرفي، فالمتأمل فيه؛ يرى أن هناك تعييناً للأفكار، واختلافاً في تسمية القضايا، وإعادة لتنشيط الفكر داخل ثقافتنا العربية، فعملية صوغ وبلورة النقد الثقافي في قالب تعجبي يتأرجح بين البقاء أو الزوال، يحتاج إلى حفر معرفي عميق تتحرك داخله اللغة والأفكار والمفاهيم، عملية صوغ تستدعي القارئ بنهايتها التي توحى أيضاً بعدم الاستقرار على معطى نهائي يحسم به وضع النقد الثقافي، تدفعه ليعمل على تنشيط عقله وذهنه بتقديم البدائل المعرفية التي تسهم في القراءة المغايرة، وهي حركة منهجية اعتمدها الناقد حتى يثير بها استفزاز العقل العربي للتفكير وصناعة التغيير.

مادام الهاجس الفكري والنقدي متمثلاً في النقد الثقافي، فإن الناقد سوف يطوّر من أدواته المنهجية ليصل لصرامة التحليل العقلاني، والذي يوصله لإصدار حكم قد يتوافق وقد يتنافى مع الصيغة التعجبية التي طرحها، فالبحث الذي اعتمده تمثل في الحفر الأركيولوجي، إذ جعل نصب اهتمامه خلخلة الأنظمة المعرفية التي أنتجها العقل الغربي، وفي تلك الأنظمة ظاهرة العولمة والتي كانت السبب الرئيسي في ظهور النقد الثقافي، فنجده يقول: «النقد الثقافي بدعة.. عولمية لأن العولمة تعاني من مشكلة عويصة لاسيما في الميدان الأمريكي تتعلق بخلو أبجدياتها من التراث، لذلك توجهت وبقوة إلى دعم التوجه الثقافي، كي تختلط الثقافات، وتضيع الهويات، ولهذا نجد خلو الكليات الإنسانية في الجامعات الأمريكية من أقسام اللغة الإنجليزية أو اللغة الثقافية وأقسام الدراسات النسوية ودراسة المثلية والشواذ»<sup>1</sup>. إن إلحاح "محمد سالم" على جعل

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: أسنة النص، ص 58.



النقد الثقافي بدعة عولمية فيه رغبة واضحة لتعرية الواقع الغربي، وفضح الدافع المعرفي الذي أفرز النقد الثقافي، إنه يمارس نقده وفقا لعقل سياسي، كما مارسه الجابري، إذ إن وظيفته لا تكمن في الإنتاج المعرفي بل في «ممارسة السلطة، سلطة الحكم، أو بيان كيفية ممارستها»<sup>1</sup>، وما مارسه "محمد سالم" يكمن في الحكم على سياسة العقل الغربي، ولأن ميدان اشتغاله تمثل في النقد المعرفي الذي يُبنى على التصور العقلاني، فقد وجد في العقل السياسي طريقا أيسر يستظل به كمرجع للتفكيك المعرفي خاصة أن هذا «التوجه يندرج ضمن التصور العقلاني للعمل أو البحث السياسيين»<sup>2</sup> وبالتالي أمكن القول إن الناقد اختار مرجعيته المتمثلة في النقد الثقافي ممارسا حفره المعرفي ليبين جدية اشتغال العقل العربي في مثل هذه الموضوعات.

## 7- التأويل:

يعنون "محمد سالم" دراسته الموالية بخصوص التأويل إلى "سيمياء التأويل التشبيهي"، وهو بهذا يصرح أن التأويل سوف يتم الكشف عنه في المبحث البلاغي، وفي النصوص الجرجانية تحديدا والتي تتعلق بمبحث التشبيه.

بدأ الناقد حديثه عن التأويل وأهميته، واقفا عند حدوده، وفروقه الجوهرية مع التفسير، وقد أبرز غايته في بيان هذه الفروقات، خاصة عندما تعلق التأويل بالتشبيه، قائلاً في ذلك «الغاية في الحديث عن التفرقة بين التأويل والتفسير، رؤية الخطاب الجرجاني وكيفية تعامله مع النص الإبداعي الذي أخضعه لعملية التأويل لا التفسير حيث لم يرض هذا الخطاب بشرح دوال النص فقط بل سعى إلى كشف ما وراء المعنى»<sup>3</sup>، وهو ما يؤكد سبب اختيار الناقد لمبحث التأويل تحديداً، فمادامت السيمياء

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، الدار 2000، بيروت، ص5.

<sup>2</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص122.

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي، ص78-79.

تبحث في كنه العلامات، فإن التأويل سوف يتماشى مع ما ذهب إليه الناقد حين اقترح عنوان سيمياء التأويل التشبيهي.

إن هذا العمل في حقل التأويل، يستوجب الإبداع والاجتهاد حتى يرتقي الناقد بآلياته التحليلية، ويتفرد بوجوديته، وفكره في الساحة العربية، فمن بين أشكال الإبداع؛ "التحليل الفكري لنصوص الجرجاني"، والاستنباط العملي الذي يثبت من خلاله رؤيته، وهو قسم التشبيه الذي "يحتاج إلى تأويل" حسب ما استنتجه من نص الجرجاني، إنه يحتاج إلى التأويل الذي تشتغل فيه المنظومة الفكرية، «إنه التأويل الاستنباطي فالفكر يعمل فيه بالتأمل والتدبر واقتناص الدلالات»<sup>1</sup>، وهو ما يبرز حيوية التأويل في صناعة أنشطة إدراكية، تعمل على صياغة المعنى وتوليد الدلالة بصيغ إستيمولوجية، وما دما نبحت عن كيف استثمر الناقد التأويل في التأسيس المنهجي للنقد المعرفي، فإن التأويل الاستنباطي الذي يقوم أساسا على تنشيط العقل كان هو المرتكز الأول، والذي جعل الناقد يقف معه على مصطلح الإدراك والتواصل، إذ يقول دائرة التأويل تقتضي الإدراك والتصوير لماهيتها، وتحقيق التواصل بين أطراف الحدث الكلامي<sup>2</sup>، فالإدراك هو منطلق النقد المعرفي، والتواصل هو هدفه، وما بين هذين المبدئين ينطلق الناقد من معارف سابقة ليبين الإدراك في نقده المعرفي أنه يقوم على استثمار معارف سابقة، دون الانطلاق من العدم، وهذا ما بيّنه استنتاجه في الآية الكريمة، وفي مواضع أخرى لنصوص الجرجاني موظفا مصطلحات النقد المعرفي المتجسدة في (الوعي، القصد، الإدراك العقلي، مبدأ التحفيز، التطور الذهني)

ما يشير إلى الطابع التجديدي في هذه الدراسة، هو إدخال البحث السيميائي في التأويل التشبيهي وفي نصوص الجرجاني تحديدا وهو ما مكن الناقد من التعمق في

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النقد البلاغي، ص 81.

<sup>2</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص 81.

المبحث الإدراكي من خلال أثر خصوصية التأويل التي يحدثها على مستوى النص والمتلقي؛ فالنص من خلال التركيب، والمتلقي من خلال الإدراك.

ما يمكن استنتاجه في البعد التحليلي للناقد:

- توظيفه لمبدأ العام والخاص لبيان البعد المعرفي للتأويل والتفسير
- استثمار المبحث السيميائي في التأويل، للبحث عن النشاط العقلي الذي يحدثه هذا الأخير.
- توظيف معارف سابقة تمثلت في آيات قرآنية، مع نصوص الجرجاني ليعمل على بلورة مفاهيم تتعلق بخصوصية تأثير التأويل
- أخذ مقتبسات وربطها بما هو معرفي تحليلا واستنتاجا.

رابعاً/ الحدود المفهومية للنقد المعرفي من منظور "محمد سالم سعد

الله"

نسعى من خلال هذا المستوى من فهم فكر "محمد سالم سعد الله"، إلى الاقتراب من قضية فكرية ذات جاذبية خاصة، يلتقي فيها الجانب الإدراكي بالإبداعي، ويتفاعل فيها الفكري بمسائل الذاتية والاختلاف مع الآخر الغربي.

تتعلق نظرية النقد المعرفي المعاصر كما اصطلح عليه الناقد والذي وسمه "بالنظرية" بإشكاليات عديدة تبدأ مع الأسباب والدوافع التي أدت إلى هذا النشوء، مروراً بالمنطلقات والأهداف والتي تتغير بدورها حسب كل بيئة ينتمي إليها، ثم إلى معطياته ومنجزاته، فنقف نحن كباحثين ننتبع أبجديات هذه النظرية التي تتداخل مع ميادين منهجية ونقدية ونظرية أخرى.

وتبدو الحاجة ملحة وضرورية لأن نسائل المفهوم النقدي للنقد المعرفي من وجهة نظر "محمد سالم سعد الله"، لأسباب عدة تتعلق أولاً بمعرفة العوامل المختلفة التي تشاركت في تشكل فكر الناقد، وثانياً لاكتشاف مساحة النقد المعرفي في خارطة النقد العربي، فالوعي بطبيعة المصطلح والمفهوم هو استيعاب للبنية الفكرية والتحليلية للناقد، ذلك أن «البحث في المصطلح بحث في عمق الذات، والتدقيق فيه تدقيق في العلم بالذات»<sup>1</sup>، والعلم بالذات هو معرفة للرؤية الإستمولوجية التي انطلق منها الناقد في التأسيس لهذا المفهوم، كما أن البحث فيه، هو إدراك لطبيعة الاختلاف مع المفاهيم المعرفية الأخرى التي تناولت النقد المعرفي مصطلحاً ومفهوماً. وبناء على ذلك، ماهي

<sup>1</sup> -الشاهد البوشيخي: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، الأردن-إربد، ص7.

الحدود المفهومية التي سيحملها مصطلح النقد المعرفي؟ وما حدود الاختلاف التي جسدها محمد سالم مع المفاهيم الأخرى؟

إن الإشارة إلى صعوبة التحديد المفهومي الدقيق لمصطلح النقد المعرفي أمر لا بد منه، ويرجع هذا إلى أن الدراسات التي تعدّ على أصابع اليد والتي تناولت هذا المفهوم بحذر وحيطة أوحى بعمق هذه الإشكالية، ولأن النقد المعرفي نشأ في رحم العلوم الإدراكية المرتكزة على ثوابت العقل والمنطق، ازداد الخوف أكثر بالوعي بطبيعته المفهومية، فوجد من أراد استنباطه في حقول متنوعة لا توائم طبيعته، ومنهم من أراد البحث في مفهوميته انطلاقاً من النقد الثقافي، ومبدأ النقد المعرفي يرفض القولية ويسعى إلى التجدد وكسر رتابة المؤلف، كل ذلك يجعل من الصعوبة بمكان تحديد المفهوم بدقة.

ومع ذلك توجد محددات عامة يتحرك في إطارها مفهوم النقد المعرفي، سيتم من خلالها الإمساك بالخطوط الرئيسية لتحديد مفهومه عند "محمد سالم سعد الله"، ثم بيان ما أمكن من السمات الخصوصية لفكر الناقد في معالجته لهذا المجال المعرفي.

### 1- المصطلح:

داخل هذا السياق الفكري، نشر "محمد سالم" كتابه الأخير والذي ختم به سلسلته المعرفية بعنوان: "مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر"، والذي شكّل به حدثاً نقدياً في النقد المعاصر، ذلك أنه دعا من خلاله إلى التبرم من فكرة الموت التي أفرزتها الطروحات المابعدية كالنقد الثقافي وغيره، وحث على الانفتاح على كافة العلوم الإنسانية اعتماداً على «أدوات لا ترهن نفسها في منهج أو في مذهب أو في قواعد صارمة»<sup>1</sup>، وأمام بحثنا المتعلق بالمصطلح استوقفنا عنوان هذا الكتاب الذي لمسنا من خلاله عدة قضايا وجب تحديدها، «لأن تحديد المفاهيم والمصطلحات مسألة ضرورية لضبط وتنظيم العملية الفكرية والتحليلية التفسيرية وتأطير ممارسات الفكر الاجتماعي في

<sup>1</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص 256.

سياق منهجي بعيد عن الفوضى والشتات الذهني»<sup>1</sup>، فإنه لا يمكن الحديث عن مفهوم هذا النقد دون الوقوف على عتبة اللغة باعتبارها أداة من أدوات تشكل الفكر، فكل كلمة حملها هذا العنوان هو مصطلح له بنيته الدلالية ومنطقاته، وله تأثيره الخاص في تشكيل الحدود المفهومية.

**نظرية النقد المعرفي المعاصر؛** ما يلاحظ على طبيعة العنوان، توظيف مصطلح النظرية والمعاصرة، وهو أمر يدفع فينا حب التساؤل والاكتشاف، لماذا التشديد على مصطلح النظرية؟ ولماذا لم يقل الناقد مدخل إلى النقد المعرفي المعاصر مباشرة حتى نضع هذا النقد موضع المنهج الذي اتسمت به بقية المناهج؟ ولماذا لفظ المعاصر تحديداً، على الرغم من أننا لم نتعرض سابقاً لمصطلح النقد الثقافي المعاصر، أو النقد النسوي المعاصر، مثلاً مع أنها طروحات مابعدية حديثة؟ وجدنا النقد الأدبي المعاصر لأنه يسبقه النقد الأدبي الحديث الذي مر بمراحل تطويرية وسمته بالمعاصرة، فمن الحديث يأتي المعاصر وهكذا....

ثمة رؤية منهجية دفعت الناقد لاستعمال مصطلح النظرية على أساس أن النقد المعرفي ليس منهجاً، ونحن ندرك يقيناً أن كل نقد ظهر في الساحة النقدية هو في جوهره منهج يمارس سلطته على النصوص الإبداعية، وإذا قلنا أن هذا النقد قد ولد في رحم العلوم الإدراكية فهذا لا يمنع بتاتا من أن يتمتع بخصوصية المنهج، وإذا جئنا إلى مفهوم المنهج بالمعنى العام نجده «يتعلق بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها، وهذه الطبيعة الفكرية النقدية أسسها ديكرت على أساس أنها لا تقبل مسلمات قبل عرضها على العقل، ومبديؤه في هذا الشك للوصول إلى اليقين، فرفض المسلمات إجرائياً وعدم تقبل إلا ما تصح البرهنة عليه كلياً هو جوهر الفكر النقدي»<sup>2</sup>، وهذا

<sup>1</sup> - عبد الوهاب المسيري: في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الشروق، ط1، 2003م، القاهرة، ص23.

<sup>2</sup> - صلاح فضل: في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، 2007، دمشق، ص8.

المفهوم الذي استحضرتة، كان مقصودا لسبيين، الأول هو النزوع منزع العقل أثناء التعامل مع المسلمات، وهو عمل النقد المعرفي، وكما أشرنا فهو ذو طبيعة إدراكية، وثانيا، السمة الأساسية وهي المتعلقة بالعلوم الإنسانية التي تبرز دورها في تشكل الفكر النقدي، والنقد المعرفي له علاقة وطيدة بمبدأ الانفتاح على العلوم الإنسانية، كل هذا يجعلنا نتساءل دائما، عن سبب عدم منح هذا النقد طابع المنهج.

وإذا انتقلنا إلى التصور الثاني، والذي يحيلنا إلى أن النقد المعرفي أريد به أن يكون حقا معرفيا، فإننا سنبتعد عن هوية أي نقد له آلياته وأدواته الإجرائية، وسيعتبره القارئ كغيره من الطروحات التي تتزع منزع الموضة والتي ستؤول إلى الزوال، فغياب الضابط المنهجي، غياب للنقد بأكمله، خاصة إن لم تكن هناك نتائج يتوصل إليها الناقد أثناء مقارنته للنصوص، إذ أنه لا جدوى ترجى من نقد لم يمتلك أحقية الممارسة النقدية. كل هذه الأفكار سوف نعتبرها تصورات نبني من خلالها تحليلنا، ولن نتمكن من معرفة الحقائق ما لم نمارس بحثا في طبيعة المصطلحات الموظفة وهي؛ "النظرية والمعاصرة" لنحاول الربط والاقتراب من التصور المفهومي للنقد المعرفي.

يشير مفهوم النظرية إلى وجود «مجموعة منسجمة من الافتراضات القابلة للتقصي، إذ الافتراض والانسجام والتقصي مفاهيم أساسية تحدد بعد النظرية، كما أن كل نظرية تعتبر موضوعا للمعرفة»<sup>1</sup>، كما أنها تعرف في المعجم الفلسفي "لأندري لالاند" بأنها «مجموعة من الأفكار والمفاهيم المجردة والمنظمة وإنشاء تأملي للفكر يربط نتائج بمبادئ»<sup>2</sup>، واعتبارا من هذين المفهومين نقول إن النظرية تختص بالمعطى

<sup>1</sup> - سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1985 بيروت، ص219.

<sup>2</sup> - أندري لالاند: "موسوعة لالاند الفلسفية"، منشورات عويدات، بيروت باريس، طبعة 2 - 2001 الجزء الثالث من R إلى Z ص: 1454 - 1455.

المعرفي، ولها إمكانية ربط النتائج بالمبادئ عن طريق إعمال الفكر، والخاصية الأخيرة المتمثلة في تنشيط الفكر تمثل مرتكز النقد المعرفي في الدراسة.

أما مفهوم المعاصر فقد تحدث عنه "عز الدين إسماعيل" وهو يناقش مسألة العصرية في الشعر العربي، محددًا له أنماطًا، والذي نجده أقرب إلى ما نريد البحث فيه هو النمط الثاني، إذ يقول «النمط الثاني مثلته دعوى العصرية التي كان الشاعر الفرنسي رامبو من دعا إليها في عبارته المشهورة لا بد أن نكون عصريين بصورة مطلقة، والعصرية المطلقة هي شعور بالظواهر المعاصرة كآلة والمدينة الصناعية والسلوك العصابي»<sup>1</sup>، ومن هذا المفهوم نقول إن مصطلح المعاصر هو دخول لبوابة المعارف والعلوم، وأن مواكبة المستجدات العلمية يعتبر سمة من سمات العصرية. وإن النقد المعرفي وكما هو معلوم من مستجدات النقود التي ظهرت في الساحة النقدية وروافده تعتبر ملمحًا من ملامح عصرنته.

لن تتعلق الدراسة ببيان مفهوم النقد المعرفي فقط بل إلى رصد الأسباب والظروف التي استدعت نقل النقد المعرفي إلى حاضنة الخطاب النقدي العربي، لبيان حقيقته ثم مقارنته بالأسباب الأخرى التي كانت خلف استقطاب المناهج الأخرى، ولبيان الحاجة التي جعلت الناقد يستتب هذا النقد؛ هل هي رؤية منهجية تستهدف الخصوصية الثقافية والحضارية؟ أم أنها لا تعدو أن تكون موجة جديدة للتأثر بالآخر؟

- بداية نتساءل عن طبيعة المصطلح؛ "النقد المعرفي المعاصر" هل هو وليد نشأة غريبة، أم أنه من إنشاء واجتهاد الناقد محمد سالم؟

تشير الدراسات والأبحاث الأخيرة إلى أن مصطلح النقد الإدراكي كان هو المصطلح الأكثر استعمالًا في النقد الغربي، منها دراسة "بيترستوكويل"، و"جونسون" "ولايكوف" في كتابهما، بالإضافة إلى المقالات التي جاءت في مجلة فصول، وأن روافده

<sup>1</sup> - عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، دت، ص11.



تجسدت في البعد الإدراكي الظاهراتي، وأن هذه الروافد هي التي أسهمت في تشكيل الرؤية النقدية العربية لهذا المصطلح، ومن هذه الروافد نذكر: الشعرية الإدراكية، اللسانيات الإدراكية، البلاغة الإدراكية، الأسلوبية الإدراكية، السيميائية الإدراكية، علم الدلالة الإدراكي. وكلها تنحو منحى مصطلح الإدراك.

وبما أن الترجمة لها محددات وضوابط منهجية يخضع لها الناقد أثناء تعامله مع المصطلح الوافد، فإن الأيديولوجيا مارست دورا هاما في التحكم فيه، فنجد من يقابل الإدراكي بالمعرفي، ومنهم من يجعل فروقات طفيفة بين المصطلحين وهكذا، وفي مقابل تلك الروافد التي ذكرت نجد الشعرية المعرفية وهكذا.

وقد أشار "فاضل ثامر" إلى هذه الإشكالية في مقاله المعنون ب: "ألم يحن الأوان لتوحيد المصطلحات النقدية والفكرية؟" داعيا إلى توحيد المصطلحات، فيقول من المصطلحات الحديثة التي بدأت تشيع وتنتشر في ثقافتنا العربية وتنظم حولها المؤتمرات وتصدر بحقها المؤلفات مصطلح النقد المعرفي أو العرفاني أو العرفني ولو عدنا إلى أصل المصطلح في اللغات الأجنبية ومنها الإنجليزية والفرنسية لوجدناه يحيلنا إلى مصطلح «COgnitive Poetics» الذي يمكن ترجمته بالشعرية الإدراكية كما يمكن ترجمة مصطلح «cognitive criticim» بالنقد الإدراكي<sup>1</sup>، فهذا الاختلاف يجعل من القضية الاصطلاحية للنقد المعرفي قضية لم يحسم الجدل فيها بعد، وما دما نبحت عنه عند "محمد سالم" فإن قراءتنا للمدونة تبين بأن عملية البلورة لم تتضح معالمها، وتلك فجوة كان بالإمكان تجاوزها، كما تجاوزها فاضل ثامر في دراسته، فقد أحصى جميع النقاد الذين مارسوا بحثهم في هذا المصطلح، دون ذكر مشروع الناقد "محمد سالم"، ولعل هذا يرجع إلى عدم وضوح سبب تبنيه لمصطلح نظرية النقد المعرفي المعاصر.

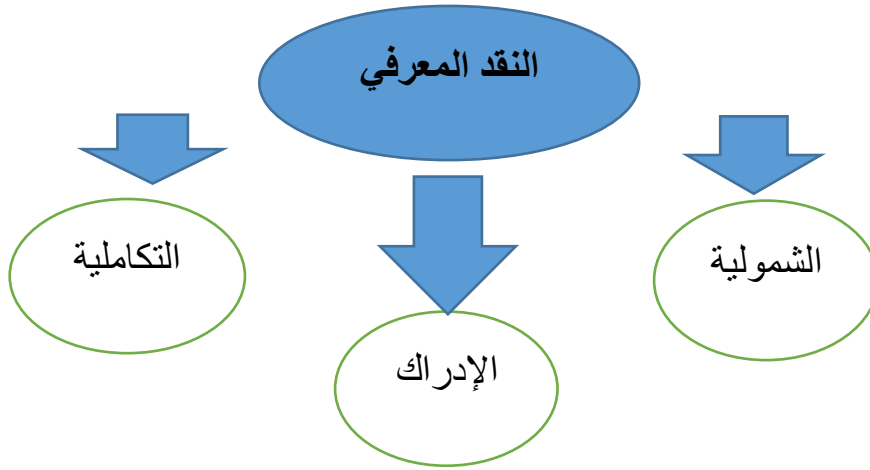
<sup>1</sup> -فاضل ثامر: ألم يحن الأوان لتوحيد المصطلحات النقدية والفكرية نقد معرفي أم شعرية ادركية، 29 يونيو-2020.

أما من حيث الأسباب التي أدت لظهور هذا المصطلح، فإن الحاجة الذاتية تلعب دوراً مهماً عند الناقد في التجديد والطموح المعرفي، لاسيما وأن ما تم إنجازه بخصوص هذا النقد في ثقافتنا العربية من حيث اكتساب صفة المشروع تمثل في إنجازين فقط؛ الأول "لمحمد مفتاح" الذي بدأ منذ السنة 2000. ويتعلق بالتداخل والتأثر مع معطيات النقد المعرفي الغربي، من حيث اعتماده فكرة الإدراك التي تنطلق من نقطة الصفر، والمشروع الثاني والذي نحن بصدد البحث فيه، مشروع "محمد سالم سعد سالم" في سلسلته المتكاملة والتي انطلق منها من مفهوم الشمولية والتكاملية المعرفية، وهي نقطة التجديد المعرفي كما ذكرنا.

## 2- مفهوم النقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله:

يتطرق "محمد سالم سعد الله" إلى مفهوم النقد المعرفي المعاصر، وهو يبيّن تصويره لهذا النقد وفق مجموعة من المنطلقات يحددها بقوله «النقد المعرفي إمكانية الاشتغال على إمكانات التحليل من خلال تمكين الإدراك للتصورات العلمية في محيط النص وخارطته، إنه إمكانات قرآنية لا حد لها من المعرفة الشمولية التي تبغي الطبقة في التحليل وتتوخى القصد في تحليل المعنى والمسؤولية في تقديم المفاهيم، إنه استيعاب لجهد نقدي ودعوة لحوار النقود المتنوعة»<sup>1</sup>، يتمحور المفهوم النقدي عند "محمد سالم" في ثلاث مجالات فكرية، والبحث فيها يسهم في إعطاء فكرة عن الكيفية التي يمكن بها رؤية الحدود المفهومية بوضوح، أما المجالات التي سوف ننظر فيها فستمثلها وفق المخطط الآتي:

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.



الشكل 18 الحدود المفاهيمية للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله

#### أ- الإدراك:

من منطلق الإدراك نقول إن النقد المعرفي من العلوم الإدراكية التي تفرض نفسها حقلاً جديداً من المعرفة، ومصطلح الإدراك وفقاً لنظرة المحدثين يرتكز على ثنائية العقل/الدماع أو مفهوم المعرفة<sup>1</sup>، وبالتالي يرسم حدود عمل الإدراك وفق زوايا ثلاث هي: التنقيب عن المعرفة، استخدام المعرفة، توظيف جميع المستويات المتعلقة بحدود المعرفة، والنقد المعرفي يوظف الإدراك بناءً على التصورات العلمية في محيط النص أي إن العملية التحليلية من وجهة نظر الناقد تعتمد على أن إدراك النص الأدبي على المستوى النقدي لا يبدأ من نقطة الصفر، بل يعتمد على معارف مسبقة متراكمة تعتمد على أرشيف الخبرة الإنسانية، بمعنى يجب أن تكون للقارئ معرفة مسبقة في مواجهة النص.

#### ب- الشمولية:

يتأسس النقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله" على مبدأ الشمولية الذي يسعى لإعادة بناء المعرفة انطلاقاً من التصور الكلي في استثمار العلوم والمعارف، وإن هذا

<sup>1</sup> -كاترين فوكس: هل توجد لسانيات إدراكية، ترجمة لطفي السيد منصور، مجلة فصول في النقد الأدبي، الإدراكيات، ص 63.

المبدأ يفيد كثيرا في قراءة النصوص بعق عن طريق الإفادة من مختلف الإجراءات المنهجية، فالقراءة النقدية الواعية لأي خطاب تتطلب فهم الدلالة والمحتوى والكيفية التي تشكل بها ذلك النص، والأنساق الذي توالد فيها، لذلك نجد الناقد يحرص بشدة على انتقاء لغته بدقة متناهية حين يذكر لفظ الشمولية التي تتزاح مباشرة في قوله نحو الدقة والتحليل، وبما أن المجال هو النقد المعرفي الذي مرتكزه الإدراك فإن الحديث عن مبدأ الاحتمالية أثناء المعالجة النصية أمر مرهون بالجانب الأيديولوجي للناقد، إذ المسلمات التي تخضع للمنطق الإدراكي لا تقبل النقض إلا في حدود التجديد المعرفي، "فمحمد سالم" استند على مبدأ الشمولية حين وجد أن طبيعة النص التي تحتاج إلى رؤى مركبة ومعقدة تستلزم بالضرورة الإلمام بالمعارف أولا لتضيء عتمة ذلك النص، وثانيا بمقصدية التكامل المعرفي، وثالثا لتفتح إمكانات قرائية وتواصلية.

إن الناقد هنا في مرحلة إنجاز التصورات النظرية وإثبات المفاهيم والمصطلحات الخاصة بنظرية النقد المعرفي، وهذا لضرورة معرفية تستلزم الوضوح وعدم التداخل مع المفاهيم التي دعت إليها النقود الأخرى (كالنقد التكاملي والنقد الثقافي) اللذان جسدا مبدأ الانفتاح من خلال الطرح الشمولي والتكاملي؛ فالأول شموليته خاصة بالمنظومة النقدية فقط، أما الثاني فشموليته للمعارف بنيت على مبدأ اقضاء وموت النقد الأدبي، وشمولية النقد المعرفي تسعى إلى الابتعاد عن القراءة المختبرية، وتتبنى على الامتداد والاستمداد، على الاستثمار والاستمرار.

ومن خلال الطرح الشمولي نقول أيضا، إن نظرية النقد المعرفي لها تداخل كبير مع النظرية النقدية العابرة للتخصصات، «التي تتبنى أيضا تداخل المعارف والثقافات وتجاوز مفاهيم المركزية النقدية والأحادية المنهجية»<sup>1</sup>، وهو أمر يستلزم توضيحا،

<sup>1</sup> - فيصل غازي النعيمي: النظرية النقدية العابرة للتخصصات، مجلة الأديب الثقافية، عدد أول/سنة أولى، صيف 2020، بغداد، ص71.

فالنقد المعرفي يتبنى المبدأ الإدراكي في التحليل وهو الذي يغيب عن النظرية النقدية العابرة للتخصصات.

ما يتم استنتاجه حول شمولية النقد المعرفي عند "محمد سالم"، أن هذا المبدأ يؤسس لنظم معرفية تسهم في بناء مسارات فكرية إنسانية في مواجهة الأسئلة الشائكة وهو ما يبين حقيقة وهدف هذا النقد المتمثل في التواصل المعرفي.

#### ت- التكاملية:

إن المبدأ التكاملي يمثل الإطار المرجعي للمفهومية النقدية، وهذا المبدأ تنضوي تحته مجموعة من مجالات الحياة العلمية والمعرفية والحياتية، فتكاملية النقد المعرفي تعتمد على أكثر من نظرية نقدية أو فكرية ذات خلفيات فلسفية ومعرفية وأيديولوجية يجمعها نص أدبي واحد، وإن فكرة الجمع التي تتضمن معنى التكاملية منطلقها النقد الغربي الذي طور من مفاهيمها ونفى مبدأ التعصب النقدي للمنهج الواحد، و"محمد سالم" يطور من هذا المبدأ ويذهب به إلى مجالات أوسع، فالتكاملية عنده لا تتعلق بالمعطى النقدي فقط بقدر ما تؤسس لعلاقات مع فروع متنوعة من مجالات الحياة الإنسانية والمعرفية، ولعل ما طرحه يعد قريباً جداً من مفهوم التكاملية عند "نعيم اليافي" الذي جعل مضمونها يندرج ضمن الوعي والفهم والمعرفة، وهذه المصطلحات ذات الطابع الوجودي والإنساني هي تجسيد للتكاملية في النقد المعرفي عند محمد سالم، إنها تكاملية في المعطى المعرفي التي ستجسد الإنسانية في مقارنة النصوص، والتي غيبتها القراءات المابعدية بمقولات الموت، وقد أشار إلى هذه الفكرة قائلاً «دون الجنوح إلى تصدير مقولات بموت هذا الميدان من النقد أو ذاك كما حدث في طروحات بعض النقاد المعاصرين المبشرين بولادة النقد الثقافي في مقابل النقد الأدبي»<sup>1</sup>، وبناء على هذا، نقول إن التكاملية في النقد المعرفي هي تجسيد للحياة في الممارسة النقدية، وانفتاح على

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

العلوم والمعارف، واحتضان لرؤى مستقبلية تسهم في بلورة وعي نقدي متزن لا يؤمن بالإلغاء بقدر ما يؤسس على التكامل.

إن الملاحظة والسؤال دفعا "محمد سالم" إلى الانطلاق من مبدأي العام والخاص في بيان معطيات مصطلح النقد المعرفي، فكما وظفه في سيمياء التناص الاستعاري، نجد توظيفه أيضا في تشكيل المفهوم، ونلمس هذا من خلال قوله: **سلكت المسارات المعرفية النهج النقدي التحليلي. امتلكت المسارات رؤية حول مسائل اصطبغت بالإشكالية أولا. تنهض الممارسات المعرفية بحيوية الخطاب. ابتلي العقل المعاصر بثنائيات جدلية<sup>1</sup>**، وقد اعتمد على هذين المبدئين ليبنى هذا المفهوم بالصورة التي تجعله يعبر عن الخطاب العربي بالمعنى الذي له اليوم في الفكر الغربي، حين يجد مرجعيته الأصلية في مبدأ التكاملية الخاضعة لمنطق الإدراك الذي ينطلق من العلوم والمعارف وليس من درجة الصفر كما تأسس عند الغربيين أمثال "بيترستوكويل" وعلى هذا نحاول أن نستخرج معطيات هذا المصطلح التي جسدها الناقد والتي أراد من خلالها الذهاب بهذا النقد إلى عملية "تعميق الوعي" من خلال ما تم طرحه.

**- المعطى الأول:** يذهب الناقد إلى المبدأ الخاص، حين يبين عمل هذا المصطلح في «فحص منظومة تشكل الظواهر المعرفية من خلال تحليل بيان نسقها المشكل لها، ثم تقديمها في إطار من الشمول المعرفي»<sup>2</sup>، فالفحص والتحليل والبيان والتقديم؛ مصطلحات إجرائية ووظيفية تبحث عن الخزان المعرفي للظاهر، إذ البحث في تشكل النسق هو توطين للسؤال عن الكيف، وهو ما يجعل طبيعة الوعي تبحث في العمق لا السطح.

**- المعطى الثاني:** يقول فيه الناقد بأن النقد المعرفي له إمكانية تحويل «المنتج إلى بنية، وتحويل النص إلى فعل المعرفة الذي يبغى كشف القيم التي نهض عليها

<sup>1</sup> - ينظر: محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 2.1.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 1.

النص»<sup>1</sup>، فالنقد المعرفي يعمل على تكييف المنطق وإثارة الإدراك في عملية التحويل. إنه الأداة التي من خلالها يتم تأويل الماضي وتفسير الحاضر وامتلاك المستقبل للكشف عن القيم.

-**المعنى الثالث:** ويمثل في المبدأ العلائقي ومبدأ التداخل، إذ العلاقات تبنى على منطق التقييم، والتداخل على البعد الحواري، يقول إنه «إعادة تقييم المنجز الإنساني في سياق لا يؤمن بحدود الأجناس، وتأسيس لمنطق حوارى من خلال تعايش المفردات العلمية»<sup>2</sup>، إنه استهداف للعقل وتشكيل للوعي ومعالجة للقضايا التي كانت تنزع منزع الضد وجمعها في بوتقة واحدة.

-**المعنى الرابع:** وهو من المعطيات التي نقف عندها مطولا، والذي يتعلق بفكرة التكامل المعرفي، الذي جعله الناقد من المعطيات الأساسية التي يتأسس عليها مفهوم النقد المعرفي يقول فيه إنه يسعى نحو «مشروعية التكامل المعرفي التي تسيّر البحث العلمي العالمي المعاصر»<sup>3</sup> فجداية الربط بين النقد المعرفي والتكامل المعرفي يعتبر تحديا منهجيا أولا، ومعرفيا ثانيا، وقد يؤول به إلى التناقض مالا لم تضبط حدود المصطلحات التي وظفها الناقد، وسنبين ذلك.

يسعى النقد المعرفي إلى مبدأ التكامل المعرفي من خلال الضبط المنهجي، أي أنه يضبط الحدود المتنازعة بين المناهج والنظريات التي تتبنى مبدأ الإقصاء والهيمنة، وفي نفس الوقت فهو يستفيد منها في إضاءة الجوانب النصية وتوسيع الرؤية المعرفية.

أما الحديث عن التكامل المعرفي من حيث الطابع الإيستيمي فقط، فالأمر يختلف، فإذا كان النقد المعرفي كما يقول الناقد يسعى لهذا التكامل الذي يسيّر البحث العلمي العالمي المعاصر، ولنضع سطرًا تحت **العلمي والمعاصر**، فإن هناك رؤى تتناقض إلى

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

2 - المصدر نفسه، ص 1.

3 - المصدر نفسه، ص 1.

حد كبير مع التكامل المعرفي لأن هذا الأخير في نهاية المطاف «سيصطدم بالنظرية النسبية ونظرية الكوانتيم ونظرية المجال الموحدة»<sup>1</sup>، فهذه العلوم الحداثية تتبرم من اليقينيّات وتذهب إلى أن الحقائق نسبية ليست مطلقة، وحسبنا التمثيل بنظرية الكوانتم تحديدا باعتبار علاقتها بفلسفة العلم، التي مثلت موجة معرفية انضوت تحتها العديد من النظريات، وما دمنا أيضا نبحت في النقد المعرفي وهو النقد الذي يتخذ من فلسفة العلوم المعاصرة أرضية إبستمولوجية فضلنا نظرية الكوانتم\* حتى نتبين كيف يكون التناقض المعرفي مع ما طرحه الناقد.

نظرية الكوانتم من النظريات الحديثة المتعلقة بفلسفة العلم، «والتي أحدثت فيها ثورة عامة وفي إبستمولوجيا العلم تحديدا. فقد غيرت مفهومنا حول طبيعة المعرفة العلمية من كونها "حتمية" إلى "لاحتمية" Indeterminism»<sup>2</sup>، ومفردتي الحتمية واللاحتمية يشير إلى الانتقال من النظرية الحتمية\* المتمثلة في النظرة الجسيمية الجزئية

<sup>1</sup> - فيصل غازي النعيمي: النظرية النقدية العابرة للتخصصات الإشكاليات والآفاق، مجلة الأديب الثقافية، ص 74.

\* نظرية الكوانتم نظرية فيزيائية جاءت كتعميم وتصحيح لنظريات نيوتن الكلاسيكية ودمجها بالحركة الموجية وخاصة على المستوى الذري ودون الذري وتسميتها بنظرية الكوانتم يعود إلى أهمية الكوانتم في بنائها وهو مصطلح فيزيائي يستخدم لأصغر كمية يمكن تقسيم الأشياء إليها ويستخدم للإشارة إلى كميات الطاقة المحددة التي تنبعث بشكل متقطع، (هيثم السيد وياسر مصطفى: نظرية الكوانتم بين العلم والفلسفة مناظرة أكاديمية، أجرت في 4 ديسمبر 2013، بقسم الفلسفة بكلية الآداب-بقنا، جامعة جنوب الوادي، ص 425).

<sup>2</sup> - هيثم السيد وياسر مصطفى: نظرية الكوانتم بين العلم والفلسفة مناظرة أكاديمية ص 437.

\* - الحتمية مذهب فلسفي يؤكد بأن الضرورة تسود العالم. وإبستمولوجيا، فإن الحتمية تتمثل في مجموع الشروط الضرورية. لكي تتحقق ظاهرة ما (روني بوقريس: العقلانية النقدية عند كارل بوبر، ترجمة وتقديم سعيد بوخليط، أفريقيا الشرق، د.ط، 2009، المغرب، ص 101)



لنيوتن إلى النظرية الاحتمالية\* التي تجسد النظرية الموجية التي تؤمن بمبدأ الاحتمالية وليس الثابت، وللربط أكثر نقول أنه مثلما كان احتمالية التفسير الإلكتروني في مدار الذرة، كان هناك احتمالية المعنى في ثنايا النص، إذ لا وجود لتكامل معرفي بين ما طرحه الناقد وبين هذه النظريات العلمية المعاصرة.

ولربما هذا التناقض الذي تحدثنا عنه يرجعنا إلى مقولة "مصطفى ناصف" حول مهمة النظريات الحديثة؛ كنظرية النقد المعرفي المعاصر، فكل نظرية في مفهومه مهمتها **إظهار القلق<sup>1</sup>**، والقلق المعرفي أمر مرهون بمدى قدرة القارئ واستيعابه لفهم هذه النظرية، فلا وجود لتكاملية حتى في مفهوم الناقد للنقد المعرفي، فكيف يكون هناك تكامل في المعالجة التي يطرحها؟ وعلى هذا يقول ادوارد سعيد بأن النظرية هي «الإدراك النقدي الذي مفاده أنه ما من نظرية قادرة على التنبؤ بكل الحالات التي قد تكون مفيد فيها، وتغطية تلك الحالات وتطويقها»<sup>2</sup>. ومن هذا القول يتبين لنا أن كل نظرية مهما بدت حديثها فإنها لن تستطيع الإلمام بكل المعارف في بوتقة واحدة ويبقى مفهوم التكامل المعرفي في نظر الناقد، مفهوما خضع لسلطته الأيديولوجية مادام لم يحدد فعاليته في الضبط المنهجي أم في المنطق الإبستيمي.

لعل "محمد سالم سعد الله" هو ثاني ناقد عربي بعد "محمد مفتاح" الذي قام بكسر الحدود القائمة بين النقد الأدبي العربي المعاصر والعلوم الإنسانية التي يشغل معها النظام المعرفي الخاص والعام والنظام الحضاري والعقدي المتوارث، فقد أراد من النقد المعرفي المعاصر أن «يعمل على تداخل الأنظمة العامة على صعد مختلفة لتشكيل هذا المشروع، وبيان اتجاه هذا النظام من خلال محاور ثلاثة: (الأنا، الآخر، العالم)،

\* -الاحتمالية إبستمولوجيا مذهب من خلاله يمكن أن تصبح صحة الحتميات الميكروفيزيائية موضع تساؤل، نظرا للحتمية الظواهر، أو بناء على الحدود الداخلية لمعرفتنا (روني بوقريس: العقلانية النقدية عند كارل بوبر، ترجمة وتقديم سعيد بوخليط، ص100).

<sup>1</sup> - ينظر، مصطفى ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، عالم المعرفة، 2000، الكويت، ص17.

<sup>2</sup> - ادوارد سعيد: العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، ص28.

ومحاولة توظيف تلك المنهجية في بناء جدول معرفي<sup>1</sup>، فهذه المحاور مثلت محطة للتداخل، بين الذات العربية، والذات الغربية، والعالم الذي يضم الأجناس المختلفة بما تضمنته من معارف.

لقد أراد الناقد من نظرية النقد المعرفي المعاصر التمرد على سجن النسق «لتحرير النظرية نفسها من المنهجية الأحادية لأن قوة النظرية تعتمد على انفتاح النسق بما لا يتعدى الانغلاق على ذاته لتحقيق ديمومة التنامي المعرفي»<sup>2</sup>، وبالتالي نقول إن هناك ثلاثة اعتبارات ميزت الشخصية الفكرية "لمحمد سالم"، وهي الأيديولوجيا، الوعي المعرفي، التكوين الفلسفي، فرؤيته النقدية للنظرية بشكل عام، والنقد المعرفي بشكل خاص منح أسلوباً جديداً في المعالجة والكتابة النقدية التي تدعو إلى انفتاح المناهج على المتون المعرفية.

### -النقد المعرفي والمنجز الحضاري:

يكتسي مفهوم النقد المعرفي محورا من المحاور التجديدية التي تسهم في بلورته وتشكله على الصعيد النقدي؛ فمن التساؤل حول هويته، إلى معطياته، ثم إلى المنجز الحضاري الذي يعتبر هو الآخر مرحلة من المراحل الحاسمة في إدراك مفهومية هذا النقد، ولقد أعتبرت مصطلحات الناقد مصطلحات ذات طابع وظيفي، جاءت بطريقة مكتسبة عن طريق المثاقفة، ونلمس هذا من المفردات الآتية ( الفعل المعرفي، المشروع الحضاري، المادية، النهضوي العقلاني، النهج العلمي، وغيرها). فهذه المصطلحات حُمّلت على محمل ومصدر بيان المشروع الحضاري وكيفية تحقيقه من طرف النقد المعرفي.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص3

<sup>2</sup> - عباس عبد جاسم: النظرية النقدية العابرة للتخصصات، مجلة الأديب الثقافية، ص173.

تتمثل جدلية الربط بين النقد المعرفي والمنجز الحضاري في فكرة أن «الممارسة في المجتمعات الحديثة مبنية على المعرفة والتفكير وعلى أدوات علمية ونظرية»<sup>1</sup> وأساس المجتمعات الحديثة في قوام المشروع الحضاري الذي يبني على التجديد في الفروع المعرفية، «إذ الحضارة في جوهرها عبارة عن تقدم وتجديد في الجانب العلمي والفكري وانعكاس ذلك على الحياة المادية والعملية»<sup>2</sup>، فإن الأمر سيثير فينا التساؤل، كيف يحقق النقد المعرفي المشروع الحضاري؟

يشير "محمد سالم سعد الله" إلى هذا المبدأ قائلاً: «ينهض الفعل المعرفي إلى بلورة المشروع الحضاري عن طريق رسم استراتيجية ناجعة للتعامل مع العلوم الإنسانية بوصفها علومًا تعيش اللحظة التي تتفاعل معها، واستدعاؤها ضرورة ملحة في اشتغال أنظمة النهج العلمي، لأن المشروع الحضاري لن يكتمل إلا باقتران ثنائيات عدة منها المادة والروح، العلم والإنسان، المنظور والتمثيل، العلمي والشعوري، الأصالة والعصرية، النهضوي العقلاني والماضي المتطرف»<sup>3</sup>، فهذه الثنائيات التي كانت في العلوم المابعدية تتحو في صراع التناقض، ستصبح مع النقد المعرفي موضع اقتران تحقق من خلالها مشروعية المنجز الحضاري.

ينهض المشروع الحضاري على مستجدات الفاعلية الإنسانية، واستثمار الخبرات والممكنات في تقديم كل ما هو جديد ونافع للمسيرة الحياتية، وبما أن النقد المعرفي هو اشتغال على مستجدات النتاج الفكري والذهني على الصعيد النقدي ذي الطابع المعرفي الشمولي، فإن كشوفاته ستسهم في بناء المشروع الحضاري، انطلاقًا من معطيات الخبرة الإنسانية المعرفية وأهميتها في التنمية الفكرية في العلم والعمل.

<sup>1</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي، ص 84.

<sup>2</sup> - جيلالي بوبكر: البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ط، د.ت ص 2.

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله، مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 7.

### - النقد المعرفي والتحليل النقدي:

يسعى النقد المعرفي كغيره من النقود الأخرى إلى فعل النهج التحليلي على مختلف الأنواع الخطابية وفق منظومة خاصة يعتمدها، يتفرد بها عن غيره، ويصنع وجوديته واستمراريته بها، وقد أشرنا سابقا إلى أن النقد المعرفي نقد لا يؤمن بمبدأ الموتية كما فعلت الطروحات السابقة، وإنما يفعل التداخل والاستمرارية والاستثمار، وهو أمر مهم جدا في المعالجة التحليلية، وقد جعل "محمد سالم سعد الله" من النقد المعرفي عبورا لاكتناه وفهم الظاهرة الأدبية بأفق رحب ورؤية أوسع، فهو يصر بطريقة علمية مؤسسة على وعي منهجي على اختيار مفهوم هذا النقد لأنه قادر على احتواء أهم تمثلاته الاصطلاحية والمفهومية والإجرائية لذلك نجده يحدد استراتيجيته في التحليل بقوله «يسعى النقد المعرفي إلى دراسة الظواهر النصية المنتمية إلى مساحات اشتغالية متعددة. لنصل إلى الأنشطة الإدراكية المنتمية إلى ميدان معرفي معين والموحية بتمثلات فكرية وقراءات لنصوص تحمل همها ووعيتها في محاوره المشكلات واقتناص الحلول وتعالج هذه الأنشطة ممكنات تواصلية. وتجسد وظيفة إرسالية تحلل المسكوت عنه، وتختبر محاولات النصوص في اقتباس مشروعيتها العلمية»<sup>1</sup> وهو بهذا القول أجاب عن سؤال مهم يتمثل في كيفية اشتغال النقد المعرفي، وسنبينها في العناصر الآتية:

- يواجه النقد المعرفي جميع النصوص مهما تعددت أجناسها الخطابية.
- يكشف النقد المعرفي عن البعد الإدراكي لاكتشاف عمق النص وصلته بوعي المبدع، لأن هذا الأخير سيزودنا في نهاية المطاف بمخزون وثراء فكري يجدد من عملية المعالجة.
- يفعل النقد المعرفي من العملية التواصلية بين حلقتين؛ الحلقة الأولى تضم عناصر العملية الإبداعية من نص وقارئ ومتلقي، أما الحلقة الثانية فتضم العلوم والمعارف.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص9.

إن كل تأسيس نقدي يستهدف لا محالة مجموعة من المرجعيات التي تأخذ موقعها لتؤسس قواعد مستحدثة في ذاك النقد، تغنيه فتميزه، وبالبحث في أسس التنظير للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله" وجدنا أنه استند في تكوين نقده على مرجعيات فلسفية ومعرفية ومنهجية، مع الانفتاح على تقنيات تحليلية تعتمد على التركيب والمزج بين المعارف.

يمكن أن نلخص أسس التنظير للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله" في النقاط الآتية:

- استثمار الفلسفة اليهودية كعنصر رئيسي لتفسير جملة من القضايا المعرفية المعاصرة، محاولا الربط بين ما هو واقعي نعيشه اليوم وبين فلسفات عالمية تركت أثرا كبيرا في الممارسات والتوجهات والقيم.
- مثلت الفلسفة القبلانية عند الناقد "محمد سالم سعد الله" البرنامج التطويري لكل من الفلسفة العدمية والفلسفة النيتشوية والفلسفة الوجودية من خلال (الإجابة عن المظاهر المعقدة للكون) وهذا بغية تشكيل تدرج معرفي للنقد المعرفي.
- كشف "محمد سالم سعد الله" عن الغلاف الخفي للتمثلات الأسطورية رغبة منه في إعادة بناء عقل واعٍ ومرتزٍ، عقلٌ لا يقبل بأي دخيل إلا بعد قراءته على كافة المستويات الفكرية. والسياسية، والاجتماعية، والأخلاقية.
- من الأسس الفلسفية أيضا كانت؛ الفلسفة العربية الإسلامية وقد وظفها الناقد في تفكيك كل من يوم الجمعة والسبت من أجل إخضاعهما للمساءلة النقدية.
- تمثلت الأسس المعرفية للتنظير النقدي عند "محمد سالم" على منطلقات بلاغية وأخرى لغوية؛ بحث الناقد من خلال المبحث البلاغي عن الجدلية المعرفية التي تربط كلا من السيمياء والبلاغة، والاستعارة و التناص. أما المبحث اللغوي فقد تم فيه الكشف عن السمة الترابطية بين العقلية الذهنية "للجرجاني" والعقلية الذهنية

"لجاكسون"، وبين "الجرجاني" و"بارت" وفق مبحثهما: السلسلة الكلامية وسيمياء الدلالة.

- تعددت المناهج النقدية كأسس منهجية وظفها الناقد لبناء رؤية تكاملية وشمولية تجمع بين ما هو أيديولوجي وما هو ثقافي، ما هو نسقي مع ما هو خارج نصي، فكان النقد السيميائي، النقد المهجن، النقد الإسلامي، النقد الأدبي، النقد الثقافي، التأويل، بوابة منهجية استند عليها الناقد في بلورته للنقد المعرفي.
- من العناصر التي أمدت النقد المعرفي بخصائص وسمات تفردية تغنيه كمفهوم متكامل نجد؛ التكاملية، الشمولية، الإدراك، وهي مفاهيم مؤسسة لهذا النقد تبنها الناقد في تأسيس مفهومه للنقد المعرفي حتى يواجه به أولاً؛ جميع النصوص الخطابية مهما تعددت أجناسها، وثانياً؛ لكي يكشف من خلاله عن البعد الإدراكي في النص ومدى صلته بوعي المبدع، وثالثاً حتى يُخالف مبدأ النقود السابقة في ضم حلقتين، الأولى عناصر العملية الإبداعية (نص، مبدع، متلقي)، والثانية العلوم والمعارف.

## الفصل الرابع:

### الرؤية التطبيقية للنقد المعرفي عند "محمد سالم

سعد الله"

أولاً: النسق اللغوي للنقد المعرفي من منظور "محمد سالم سعد الله"

ثانياً: النقد المعرفي والاشتغال على النصوص النقدية من منظور "محمد سالم سعد الله"

ثالثاً: النقد المعرفي والاشتغال على النصوص الإبداعية من منظور "محمد سالم سعد الله"

رابعاً: الممارسات الفكرية للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله"

أولاً/النسق اللغوي للنقد المعرفي من منظور محمد سالم سعد الله:

شغلت اللغة مساحة معرفية مهمة في الأعمال التي تناولها النقاد والباحثون قديماً وحديثاً، ونشطت حركة المؤلفات التي «قامت بتشريح عميق ودقيق لمختلف جوانبها ومستوياتها»<sup>1</sup>، فأصبحت اللغة ذلك النموذج الذي يعطي إمكانية الكتابة والقراءة النقدية بأفق أوسع.

غير أن الموجة العلمية الأخيرة، وأقصد بها العلوم الإدراكية، جعلت القارئ وهو يتفحص هذه النتاجات المتعلقة باللغة، يجدها تدور في فلك ومجال واحد، وهو كيفية بيان تحقيق الغاية التواصلية للغة، مما جعل مسار الدراسة يتحول إلى المجال المعرفي. إن للثورة الإدراكية ميزة خاصة في جعل اللغة تكتسب ميزة عقلية، جعلت المعارف اللغوية تتحول بموجبها إلى مدارات إدراكية، فوجدنا الاستعارة والبلاغة واللسانيات، تنحو منحى إدراكي وتتخذ من اللغة المعرفية وسيلة لاستيعاب كل نصوص الظواهر الأدبية. إن المشروع الجديد الذي أنجزه الناقد محمد سالم "النقد المعرفي" أضاف لبنة جديدة وهامة في المنجز العلمي والمعرفي في دراسة وتحليل اللغة، وفق قضايا جديدة مطروحة، وذلك ما جعلنا نحن أمام رؤية خاصة؛ رؤية أصيلة وحديثة ومعاصرة تنظر للغة بمنظور آخر، منظور سوف يحول رؤيتنا من المجال الشعري إلى المجال المعرفي.

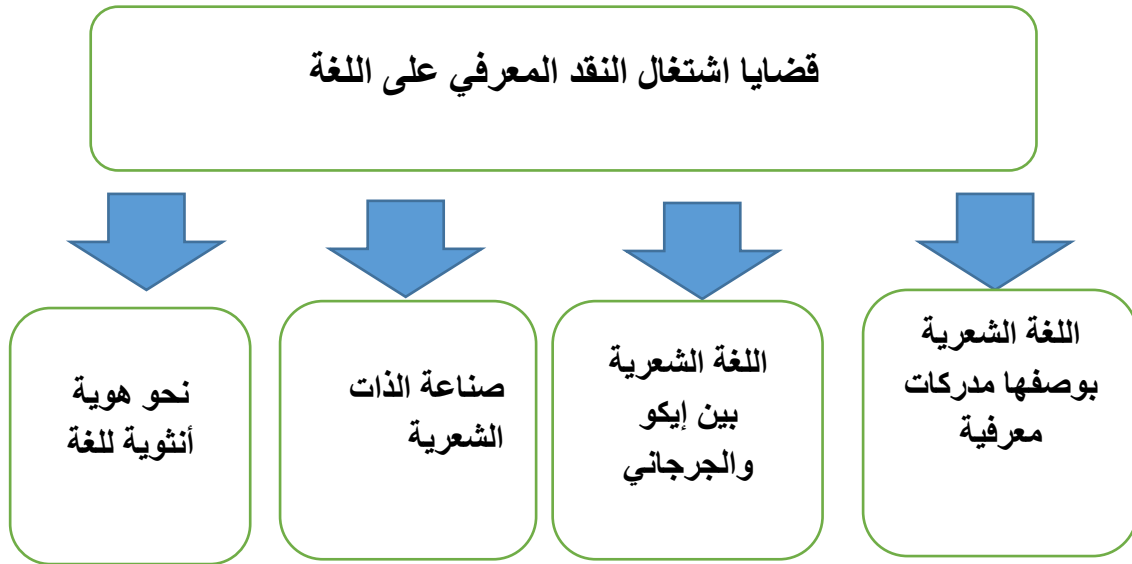
وبما أننا في الممارسة التطبيقية للناقد، فإن عمق البحث سوف يتسع، لاتساع مجالات اشتغاله النقدية، ويجعل فكرنا يقارب الأسئلة الآتية:

كيف تجسد حضور اللغة في النقد المعرفي؟ وكيف قارب "محمد سالم سعد الله" قضية اللغة من منظور النقد المعرفي؟ وماهي الأدوات والإجراءات المنهجية المتبعة في ذلك؟

<sup>1</sup> - حسين مسكين: اللغة والفكر، دراسات نقدية، مؤسسة الرحاب للنشر والتوزيع، ط1، 2014، بيروت لبنان، ص13.



سوف نضع مخططاً توضيحياً نرسم به القضايا الاشتغالية للغة:



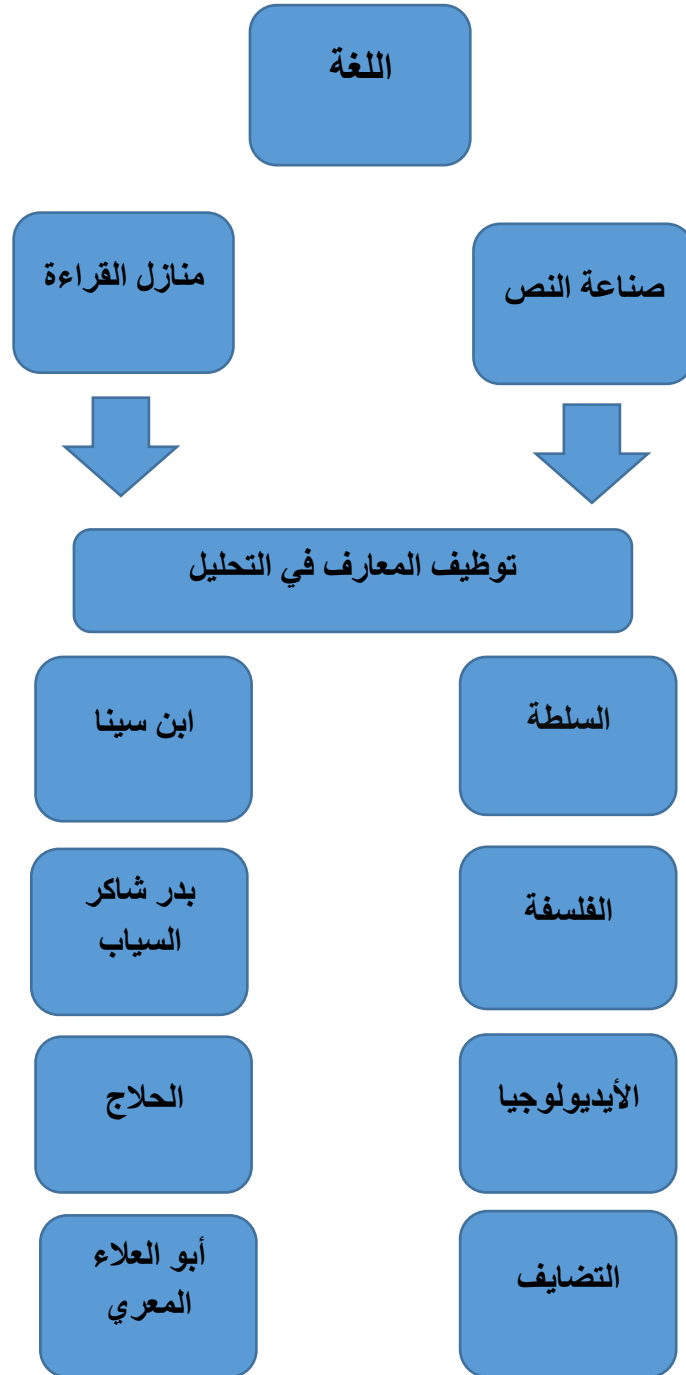
الشكل 19 النقد المعرفي واللغة الشعرية

### 1- اللغة بوصفها مدركات معرفية:

يتساوق فكر "محمد سالم" وهو يشتغل بالنقد المعرفي على النسق اللغوي داخل حوارات عدة، يفرض بها نفسه عليك، دون إعلان للسيطرة أو الاحتواء داخل فكره، إذ نجده يعبر عن تفاصيل لغته الجديدة من خلال تداخلات عدة تمتد امتداد الجسر الذي لا ينتهي إلا بنهايته، إنه يعلن عن مجالات عدة خلقت أطراً للغة، وصنعت هويته وذاته ووعيه، مطالباً في ذلك اعتباره ناقداً معرفياً فقط.

لا يتوقف الناقد في إقحام نفسه داخل فضاءات يصعب للقارئ تحديدها، فضاءات تنتمي؛ للفلسفة، والفكر، والأدب، والنقد، والمعرفة العلمية. لتجعل منه ذلك الناقد الذي يلهث وراء الحقيقة المعرفية للغة، خاصة بعد إصراره المعلن والمتجسد في عنوانه؛ **اللغة مدرك معرفي**.

وأمام قراءتنا لما طرحه استنتجنا مظاهر وعيه، وهو يحلل النسق اللغوي وفق نقده المعرفي، مظاهر تبدو متشابكة مع الزمن والمعرفة والطرح، لكنها متماسكة من حيث معالجته النقدية. وسوف نوضح ذلك بمخطط:



الشكل 20 بين صناعة النص ومنزلة القراءة؛ توظيف معرفي

يجعل الناقد "محمد سالم" من التصورات الفلسفية حقلاً يجمع المعاني، ويصنع مشهد الفكر والمعرفة، وكما أسلفنا الذكر فإن الفلسفة هي الأرضية الإبستمولوجية التي تتكئ عليها العلوم والمعارف لتصنع هويتها وتضمن بقاءها، والنقد المعرفي نقد اشتغالي حيوي، يعتد بالفلسفة كسلاح لتفسير الظواهر، والركون للحقيقة انطلاقاً من «النزعات

العقلية التي تمنحها لتموضع المعاني في منازل القراءة»<sup>1</sup>، وبما أن اللغة الشعرية هي المقصودة في هذا المبحث فإن العملية التحويلية التي سيلجأ لها الناقد، في جعل القيمة الجمالية للغة قيمة معرفية أو مدركا معرفيا كما اصطلح عليه، سوف يحتاج إلى كم هائل من المصطلحات المعرفية التي تنتمي لمجالات عدة، على اعتبار أن النقد المعرفي نقد شمولي، وهذا ما تجسد في المخطط الذي تم استقراؤه؛ فقد وظف مجموعة من المعارف لنقاد مختلفي الهوية والزمان والمعرفة، وقام بعملية إسقاط لكل من السلطة، الأيديولوجيا، التضاييف، الفلسفة على مباحث هؤلاء ممارسا حفره المعرفي، مستنطقا خبايا السلطة عند ابن سينا، الفلسفة عند السياب وغيرهم

من البعد الفلسفي في تصريح الناقد لخلق النزعة العقلية، مروراً بالتحليل النفسي في توظيف الذات المبدعة التي ستملص من الجماعة، وتصنع وجودها وتميزها، وتبتعد عن النسق المؤلف، إلى النسق اللامألوف، فاللغة هنا تعمل عملاً انعكاسياً للعقل، انعكاس على ذاتية الفكر وتطوير للوعي، يقول في ذلك: «القاسم اللغوي يتسم بصفة الجمعية، ولا يشعر بالتمايز والخصوصية إلا إذا أعيد تشكيله وفقاً لإجراءات المشروعية الفردية»<sup>2</sup>، فالتمايز والخصوصية هو إحالة غير مباشرة على الكوجيطو؛ أنا أفكر إذن أنا موجود؛ «فالوعي ملازم للفكر ملازم للغة، إنه انبثاق للذات على نفسها وعملياتها وأفعالها»<sup>3</sup> اللغة لا تتم إلا بالتفكير، وبالتفكير أصنع الخصوصية والفرادة التي تختلف عن الجماعة.

إن هذا الفكر يطالبنا بأن نختلف معه، ونسائله، لا أن ننخرط معه دوماً، لاسيما عندما نعثر على فجوة معرفية، تخلص منها الناقد بدافع صناعة المشهد الفلسفي الخاص، فإذا كان النقد المعرفي نقداً يدعو من منظور الناقد إلى الشمولية والتكامل المعرفي،

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 71.

2 - المصدر نفسه، ص 71.

3 - إدغار موران: المنهج، معرفة المعرفة، ترجمة يوسف التيبس، ص 129.

فلماذا القطيعة الإبستمولوجية بين الذات والجماعة في التعامل مع النسق اللغوي، «أليست اللغة لعبة مزدوجة بين الفكر الفردي والتنظيم الاجتماعي، اللغة فردية وتواصلية وجماعية، تستطيع أن تجهز أسطورة الأخوة التي تلحم المجتمع، هي وحدها القادرة على إعادة الإنتاج الثقافي والحل الفردي للمشاكل معا»<sup>1</sup>، إن اللغة في تفاعلها مع الجسد والتي خلّفت "مقولة الجسدنة" استطاعت أن تولد العلاقة بين المجتمع والجسد، وتخلق أطرا معرفية تمتد إلى النظرية الاجتماعية، فالفرادة والتميز والخصوصية يصنعها الفكر الواعي والمرتزن، لا يصنعها الانفصال، فنحن أمام اللغة التي تجمع الفرد بالجماعة، والتي تعطي قيمة للحياة وفقا لهذا التداخل، التي تجسد فكرا ومعرفة بالتناغم والتواصل، لا بالتباعد والتنافر، هي إنسانية بالدرجة الأولى، تمنح كل عقل إمكانيته الخاصة، لتمارس في الوقت ذاته «رقابتها الاجتماعية والتواصل البيئي الذي يضمن اشتغال الآلية الاجتماعية»<sup>2</sup>، وبالتالي صناعة المشهد الفلسفي لن يتجسد بهذا الانفصام، ولن يتحقق الخروج عن المؤلف إلا باتحاد ثلاث مجالات (المجال النفسي psychosphere والمجال الاجتماعي sociosphere والمجال الفكري Noosphere)

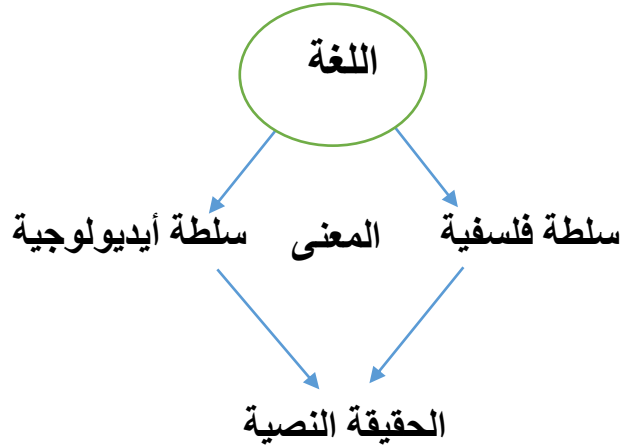
ينطلق محمد سالم من وظيفة اللغة والتي حددت "بصناعة النص"، فيعقد عملية جدلية بين نصين (نص النص، ونص السلطة) ليثير من خلالهما أسئلة تحرك عمل الذهن وتحفز على اشتغال العقل في البحث في ماورائيهما، قائلا: «من المحرك لأبنية النص وأنساقه؟ من المسؤول عن انسيابية المعنى أو عدم انسيابيتها؟ هل المسؤولية كامنة في فعل السلطة أم التسلط؟»<sup>3</sup>، استدعت هذه النظرة الجديدة مجموعة من الأسئلة لم يكن من السهل على "محمد سالم" صوغها إلا بعد جهد نظري كبير، إذ أصبحت اللغة في هذا المقام تتطلب تحليلا متعلقا بالسلطة في مختلف المراحل المفهومية لها، لقد أراد أن يبحث عن اللغة الحاسمة التي يحركها العقل لتحمل مدركا معرفيا، فبينت مغامرته

<sup>1</sup> - إدغار موران: المنهج، معرفة المعرفة. ترجمة يوسف التيبس، ص128.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص128.

<sup>3</sup> -- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص71.

المنهجية والمعرفية في الأبعاد المعرفية للسلطة رغبة لامتناهية في كسر الحواجز والمتون التي كانت عائقاً أمام تشكل المعنى من منظور معرفي.



الشكل 21 اللغة سلطة معرفية

تستند كتابة الناقد في هذا المستوى على مقومين (السلطة، اللغة)، يمتدان وفق نسقين ميتافيزيقيين (الأيديولوجيا، الفلسفة) لتتحرك كتابته في نسق معرفي يستثمر مفاهيم السلطة في علاقتها باللغة للاقتراب من الحقيقة النصية.

#### أ- اللغة والسلطة الأيديولوجية

يبحث الناقد في الاستراتيجية التي تمارس بها السلطة بوصفها معطى أيديولوجيا، مُحدِّداً أبعادها المفاهيمية عند كل من "ياكسون" و"ديسوسير" و"فوكو" و"بارت"، فقد أتاح إمكانية تفكيكها إلى وحدات صغيرة، قبل إعادة تركيبها من جديد وفقا للمنظور الذي يريد البحث فيه، فقد أراد أن يثبت ما ذهب إليه فوكو في مفهومه للسلطة الأيديولوجية في علاقتها بالهيمنة لأجل ربط هذا المبدأ باللغة، ففوكو يقول: «السلطة أساسا مجموعة علاقات، أي أنها تسمح للأفراد والكائنات الإنسانية بربط علاقات فيما بينها ليس على هيئة اتصال للمعنى ولا على شكل رغبة فحسب، بل أيضا على شكل يسمح لكل طرف

بأن يؤثر في الآخر، أو إذا شئتم بأن يحكم على الآخر»<sup>1</sup> يأخذ "محمد سالم سعد الله" هذا المفهوم ويطبقه على كيفية لعب السلطة مع النسق اللغوي، مشيراً هو الآخر إلى عملية الحكم على مصطلحات أخرى فنجده يقول «السلطة لغة طقوسية ذات فاعلية مهيمنة غايتها الاستحواذ، وهدفها الافتنان ووسيلتها اللغة ولهذا كانت تمثل براعة درامية نسبة للتصورات العقلية المقنعة التي تحدد به مناخها الفكري العام»<sup>2</sup>، فالعلاقة التفاعلية بين اللغة والسلطة، هي علاقة براغماتية تصنعها السلطة لتجعل من اللغة وسيلة لإفراز مكنوناتها المعرفية، وسلوكياتها الذهنية فهي ممارسة خطابية لها.

### ب - اللغة والسلطة الفلسفية:

تأخذ السلطة الفلسفية الحيز الأكبر من الدراسة، فالناقد يأخذ من الفلسفة النموذج الأسمى في تشكيل الفكر وبناء التصورات، وقد بينت مرجعيته التي أشرنا إليها في الفصل الأول اعتماده على الفلسفة القبلانية في تشكيل وعي معرفي يروم إلى الكشف عن كل تداعيات المعنى، ولهذا نجده يفسر بطريقة تحليلية عميقة كيفية استغلال السلطة الفلسفية للغة، وجعلها أداة طيعة في فعل التسلط الفلسفي، وقد أشار إلى الزمن الأفلاطوني والهيغلي في تعامل المشروع الفلسفي مع اللغة لإكسابها طابعا لاهوتيا «وأنظمة سلطوية لا تقبل المحاكمة، فهي موروثات ممنهجة تقدم آثارا علاجية للفكر البشري عبر امتداد قرونه»<sup>3</sup>، فاللغة في هذا المقام وحسب هذا القول هي ذلك التمثل المطلق المدرك للممارسات اللاهوتية، التي تؤثر بشكل فاعل على الفكر، من خلال تقديمها بعدا معرفيا عن العالم الخارجي المحاط بتلك الأنظمة. فنجد الناقد يستغل إمكانية فكره في تقديم المعرفة أولا، وفي خلق وابتكار مصطلحات جديدة، فالعقل يؤلف مالا نهائية الكلمات والجمل، وعلى هذا نجد المصطلح الجديد الذي أطلقه بناء على العلاقة بين

<sup>1</sup> - كعبش محمد: نقد مفهوم السلطة عند ميشال فوكو. مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 33، الجزء الأول/مارس 2019، ص 528.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 72.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 73.

السلطة الفلسفية واللغة، مصطلحا وسمه ب (السوبرمان اللساني الجديد) «الذي يستبدل النسق المتناغم بالنسق المعاصر المتسلط اللاقانوني»<sup>1</sup>، فالارتباط المنطقي والتسلسلي الذي وظفه في هذا المقام يشير مباشرة إلى منطق الربط الذهني عنده، فكما أن شخصية السوبرمان لحظة معرفية تجسد الانفتاح والقفز وتجاوز الخطوط الحمراء كذلك اللغة وفقا للسلطة الفلسفية تتمرد على القانون ولا تقبل المحاكمة.

استعمال المفاهيم وإعادة إنتاجها بطريقة معرفية كانت المرحلة الموالية في تحليل الناقد وهو يبين ويبرر كيفية استفادة السلطة من الفعل اللغوي، والذهاب باللغة نحو أبعاد وتشكلات أخرى، ويمكن أن نشكل سؤالاً بناء على ما قدم: ما هي الأبعاد المعرفية التي جعلت السلطة توظف الفعل اللغوي، وتجعل من اللغة أداة لإيصال مقاصدها؟

نجد الناقد يحدد هذه الأبعاد وقد وسمه بثالث، تاركا فرصة سانحة أمام القارئ في التحليل والتفسير وإيجاد منطق الربط، فيقول: «انتفعت السلطة في علاقتها مع الفعل اللغوي بثالث مهد لها الطريق في عملية تحويل اللغة وتشكيلها، وتتحدد فاصل هذا الثالث بالآتي:

#### الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج

#### تسعى اللغة إلى تمثل القصد والبرهنة

تحاith اللغة المشروع الفلسفي من جانب التركيز على الامتزاج بالوجود»<sup>2</sup>، ما نلاحظه أن السياق اللغوي والمعرفي والفلسفي يحضر بقوة في عملية انتفاع السلطة، وحمل اللغة على محمل المدرك المعرفي وسوف نقدم شرحا موجزا لهذه الأبعاد حتى نتمكن من الوصول لمنطق الربط الذهني عند الناقد.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص73.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص74.

-الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج؛ ذلك أن اللغة تعمل على توجيه الدلالة وجهة معينة وتعمل على التأثير في الآخر انطلاقاً من الروابط اللسانية، ومن فكرة مفادها «أنا نتكلم عامة بقصد التأثير»<sup>1</sup>، فيحدث تفاعل بين المدرك والمدرك، فتكون اللغة في هذا المقام حاملة للوظيفة الحجاجية، ومن هنا انتفعت السلطة من هذا المبدأ، وجعلت من اللغة تحمل طابعا براغماتيا، هدفه إيصال الدلالة وممارسة تأثيرها في توجيه العقول نحو أنظمتها السلطوية وممارساتها الفكرية واللاهوتية.

-تسعى اللغة إلى تمثل القصد والبرهنة؛ وهنا إشارة الناقد للنظرية القصدية بطريقة غير مباشرة، ويمكن الإلمام بعناصر مفهوم القصدية من خلال الملاحظات الآتية:

يوجد في الوعي شيء ما أمام العقل

يملك العقل قدرة على توجيه ذاته نحو الأشياء

الأحداث الواعية تكون موجهة نحو الأشياء<sup>2</sup>، فالقصد مركزه الوعي والعقل، تحمل اللغة قصديتها من المرسل إلى المرسل إليه، فإما يحدث التجاوب أو اللاتجاوب من الآخر، هي رسالة مشفرة تحملها الكلمة وتتمثلها في الحين ذاته، بهدف وغاية إلزام المتلقي بالعمل الفعلي لما تم القصد عليه، فتكون اللغة هنا ذات وظيفة بوظيفة إثباتية الدلالة، ومن هنا تنتفع السلطة وتتشكل اللغة تباعاً لمنطقاتها وتمارس وظيفتها في فعل القصد.

-تحايث اللغة المشروع الفلسفي من جانب التركيز على الامتزاج بالوجود؛ تمثل اللغة معنا معرفيا لتمثل المعطيات الفلسفية، إذ تستعين بكشوفات الفلسفة وأفكارها وطروحاتها، لتقدم منظومة لغوية دلالية ترى بالجماليات والدلالات، لذلك أسهمت المنظومة اللغوية البانية للنص في تقديم العديد من الأفكار الفلسفية ولاسيما المتعلقة

<sup>1</sup> - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة للطبع، الطبعة 1، 2006، المغرب، ص16.

<sup>2</sup> - صلاح إسماعيل: فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، دار قبار الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، القاهرة-مصر، ص152.



بالوجود، وتوضيح علاقة الأنا بالإله التي ركز عليها التنظير النقدي ما بعد البنيوي، ولولا المعطيات الفلسفية لغاب الجمال النصي في تمثله اللغوي من جهة، ولخسر القارئ حيزا معرفيا مهما يتعلق بامتزاجه بالخبرة الإنسانية.

### ت - التضايف بين المطلق الفلسفي واللغة الشعرية:

يشير مصطلح التضايف عند الناقد إلى «المسار المعرفي الذي أطلقه في إطار علاقة التداخل والتماثل والتواصل والتأثير بين المصطلحات المتعلقة بما بعد البنيوية، وهذا الاستخدام ذو خصوصية معرفية للدرس النقدي، كما أنه يشير إلى حوارية معرفية بين المفاهيم من جهة، وإلى نسق معرفي للتصورات التي يشتغل عليها المصطلح من جهة ثانية»<sup>1</sup>، إنه يصر على التداخل والتواصل والتأثير وممارسة الغواية المعرفية، تحت مظلة التضايف، إنه يجمع بين المعارف، ليجد ذلك الرابط المعرفي الذي يحكمها، فالتضايف الذي وظفه كان في إطار الكيان الفلسفي والكيان اللغوي، بين المطلق الفلسفي واللغة الشعرية، هناك علاقة تضايفية ولكنها ليست بالمطلق إنما بالنسبية، قوله في ذلك: «العلاقة التي تحكم المطلق الفلسفي بتشكيل اللغة الأدبية هي علاقة نسبية متضايفة بمعنى أنها علاقة تسمح للأنظمة النصية بالاشتغال دون التقيد بالنظام الفلسفي الوافد»<sup>2</sup>، بمعنى أن السلطة التي يمارسها المطلق الفلسفي على مختلف الظواهر لن تكون تامة مع اللغة الشعرية، لأن النظام النصي والأيدولوجيا لهما نصيب من هذا التشكيل، وبالتالي اجترح الناقد مصطلح التضايف حتى يجعل كلا من البناء النصي والأيدولوجيا والفلسفة فعاليتي تمارس نشاطها أيضا فيكون التوثيق والارتباط والتقارب الموضوعي بين اللغة والأيدولوجيا، وبين اللغة والفلسفة وهكذا، إنها دائرة اشتغالية واحدة.

<sup>1</sup> - حوار أجرته الباحثة رانية قذري مع الناقد محمد سالم يوم 13-7-2021. بتوقيت 20:44.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 77.

### ث - النفس الإنسانية والإرادة الراديكالية:

حاول "محمد سالم سعد الله" قراءة كثير من النصوص الشعرية، ليثبت أحقية اللغة في جعلها مدركا معرفيا، من خلال منازل قراءتها، معنونا حوار بحثه ب: "النفس الإنسانية والإرادة الراديكالية"، فالنفس الإنسانية ماهي إلا إحالة للقيم التي تحملها اللغة، وما الإرادة الراديكالية إلا مرجعا للسلطة الفلسفية.

وقع اختيار الناقد على نماذج لشعراء مختلفي الهوية والزمان والمكان، فهو يعيش الاختلاف في أي توظيف له، بدءا بالثنائيات المتناقضة، لاستدعاء وتداخل النقود التي جاءت كردة فعل، مروراً بتوظيف الشعراء. لقد أراد من خلال هذا الاختلاف أن «يحدد المشاهد التي وظفت السلطة الفلسفية في تشكيل لغتها الشعرية»<sup>1</sup>، لقد انطلق من القصيدة العينية "لابن سينا" ليراهن بكتابته على تفجير النسق اللغوي فيها والمتضمن تبليغ رسالة خلق النفس الإنسانية، محددًا السلطة الفلسفية بالاتجاه الأفلاطوني، واللغة الشعرية بمسارين حددهما قائلاً: «إن اللغة الشعرية البانية لعينية ابن سينا سلكت مسارين؛ مسار الاستنتاج: إدراك كنه الحقيقة؛ مرتبطة مع الاستنباط، ومسار الاستقرار: تتبع مسيرة الحقيقة؛ مرتبطة مع الفهم الواقعي»<sup>2</sup>، فالحقيقة والاستنتاج والاستنباط والإدراك والفهم الواقعي، مصطلحات مؤسسة في النقد المعرفي، مارسها الناقد في تحليله الاشتغالي، وكشف عن عمق اللغة في بعدها المعرفي.

مرورا "بالحلاج"، إلى "أبي العلاء المعري"، ثم "خليل الحاوي" وأخيرا "بدر شاكر" السياب، كشف الناقد من خلال نصوصهم الشعرية عن تقديم اللغة للمضامين المعرفية في قالب شعري، وقد تمثلت هذه المضامين في قيم النفس الإنسانية؛ كالحياة والموت، الفناء والبقاء، البعث، الموجودات، حيث يقول «اللغة الشعرية قدمت مدركات معرفية محملة بتصورات الناص وأكدت هذه المدركات على تنوع المسارات المعرفية المشكّلة

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 80.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 81.

لبنية اللغة الشعرية»<sup>1</sup>، وهو ما يعكس مقولة الجمالي المعرفي للنقد المعرفي، وهي أهم مبدأ وجوهر فيه.

## 2- اللغة الشعرية بين إيكو والجرجاني:

تحدث المفارقة ويتجلى الاختلاف في موضوع اللغة الشعرية بين ناقلين كان التأويل أداة من أدواتها الفكرية، وحقلا من حقولها المعرفية، التي تتبنى الكشف عن المعاني المبنوثة بين ثنايا النص، لتتحكم بطبيعة اللغة الشعرية، ومادام الانفتاح هو جوهر النقد المعرفي، فإننا نرى أن هذه الدراسة تجلت في انفتاح على حقل معرفي يحقق التواصل والتحاور بين ثقافتين مختلفتين؛ الثقافة العربية في النقد القديم، والثقافة الغربية في النقد الحديث، وهو ما يمنح القارئ فرصة الاطلاع على النتاجات الفكرية والمعرفية للوقوف على البنية الذهنية لعقليتين مختلفتين.

لن أعيد ما تم البحث فيه بخصوص المبحث البلاغي في علاقته بالتأويل والسيمياء، لأن ما وجدناه في كتاب "مملكة النص"، أعيد بيانه في الكتاب الأخير "نظرية النقد المعرفي المعاصر"، غير أن اللمسة الجديدة التي أضافها الناقد تمثلت في محاولة استكناه العنصر الترابطي بين هذين الناقلين والمتجسد في التأويل، ومحاولة الجمع بينهما في لغة شعرية تنتقل من حيث شكلها بفعل العملية التأويلية إلى مستوى أعمق، وتتشكل بفعل التفكير العقلاني إلى مراحل بلوغ الحقيقة المعرفية.

إن الاهتمام النظري الذي حرّك "محمد سالم سعد الله" إزاء النصوص المختارة جعل من كتاباته مناسبة للتفكير أمام إشكالية القراءة والكتابة. فهو يجعل من التأويل سلطة تمارس فعاليتها في اللغة، وتعيد تشكيلها وبناءها في النصوص الإبداعية، وفقا للنظرة الجرجانية، ونظرة "أمبرتو إيكو".

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 84.

يبدأ الناقد مع الجرجاني ويكشف عن طبيعة العلاقة بين التأويل والتركيب في نظرية النظم عنده، وعلاقتها بالمبحث السيميائي في إعادة تشكيل اللغة الشعرية، يقول في ذلك «جاء اهتمام نص الجرجاني بالتركيب لرسم استراتيجية الاستدلال التي تقوم بها الجمل بوصفها وحدات تحليل علامية تندرج في بناء نصي، وإذا أردنا معرفة سر الاهتمام بالتركيب أدركنا فعل التطور الذهني الذي يقيمه التركيب في إعادة إنتاج الدال وتحصيل المدلول، وهو جوهر العملية السيميائية»<sup>1</sup>، يمثل هذا القول رمزا معرفيا لقضايا معينة ترجمها الكاتب بفعل إبداعي ليخلق التفاعل والتناغم ويصوغ شكلا مختلفا من أنماط التحليل الذي ينبنى على إمكانية التصور والتفكير والتأمل، وسوف نبين هذه القضايا في شكل معادلات اختزالية ليتم تحليلها:

\*التركيب = دال + مدلول.

\*الاستدلال = المعرفة التي تبني على الحقيقة العلمية.

\*تركيب + استدلال = بناء نص من خلال إنتاج الدال وتشكل المدلول.

يقوم التركيب عند "الجرجاني" على الطابع الهيكلي، هيكلية على الصعيد اللغوي الذي ينبنى على المبدأ الاستدلالي، إذ الاستدلال يعتمد بالضرورة إلى العقل، على اعتبار أن العقل لا يمكن له أن ينفصل عن العلم، وبالتالي تعمل العملية الاستدلالية على تحديد الكلام وضبط دلالاته، وإقامة العلاقات اللغوية وفق طريقة منطقية، لتسهم بدورها في التماسك النصي.

يعمل أيضا التركيب وفق قول الناقد على نمو البناء الفكري والمعرفي وهو ما يشرع للعقل في أنشطة معرفية تعمل على إنتاج المعنى في قالب شعري يتمثله التركيب أولا كمبدأ، والذات الفاعلة كمبدأ ثان، والمتلقي كمبدأ ثالث من حيث عملياته التأويلية، وهو ما أشار إليه قائلا: «شعرية التأويل قد كشفت عن الترابط الطرددي بين الاتجاه

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 106.

العقلي والاتجاه النفسي لكل أطراف الحدث الكلامي»<sup>1</sup>، فاللغة في هذا المقام هي ذلك التفاعل بين الاتجاه العقلي والنفسي؛ يحكمها الجانب الطردي، فكما كانت هناك زيادة في اتجاه واحد، ماثله الأول، واتسعت الفجوة تباعا لتلك الزيادة، فتتكون الشعرية، وتحدث الجمالية، وتصبح عملية التأويل فلسفة سلطة تضطلع بمهمة الكشف عن ما وراء اللغة ليرز الجانب المعرفي المتواري خلف الجمالي، وهو ما أشار إليه في مبحث الجرجاني تحديدا وفي النقلة المعرفية التي أحدثها قائلا «جاء الجرجاني ليغير مشروعية البقاء إلى مشروعية التفاضل والتكامل، والانتقال من التفاضل العيني للدلالة إلى المكنون الماورائي للدوال أي (الميتا لغة)»<sup>2</sup>، وبهذا كشف الناقد عن شعرية التأويل برؤية معرفية، ليقيم بها جدلا بينها وبين إيكو.

ومع إيكو يختلف مسار التحليل عند الناقد، ويبرز المنهج المعتمد بشكل قوي، إذ إن ممارسته كشفت عن تبنيه لنقد النقد، وليس النقد المعرفي، ففي "حادثة التأويل وحيوية الهيمنة" وهو عنوان مبحثه، يختار الناقد عينة من الكتب التي تحدثت عن التأويل، والتي تمثلت في: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، التأويل والتأويل المفرط، القارئ في الحكاية.

لقد حاول الناقد فك ملامسة التحولات المعرفية والمنهجية في الكتب الثلاث لإيكو كاشفا عن تشكل اللغة الشعرية وفق منطلق التأويل عنده، محاولا تمرير ما بينه ليس كرؤية جديدة بل كتحول في النقد العربي المعاصر، فهو لم يقع في مأزق التكرار بإعادة صياغة أفكار معروفة بأسلوب يريد محاكمة الناقد والنص وكفى، بل عمل على فحص دقيق للتأويل عبر مفاهيم متجددة تفضي لإيجاد وجه مقارنة بين اللغة الشعرية عند الجرجاني وإيكو.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 107.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة التربية والعلم، كلية الآداب-الموصل، المجلد 12، العدد 1، 2005، ص 155.

إن محاوره الناقد للثقافة الغربية هو محاولة لتأصيل معرفة تثبت فكره النقدي، خاصة وأنه لم يبق أسيرا للقراءات السابقة حول التراث النقدي لأمبرتو إيكو. بل ارتقى إلى مستوى القراءة الفاعلة، الواعية الفاحصة التي تعيد الإنتاج بدل التكرار يقول: «اقتصر تحليل اللغة الشعرية كشف أسس تشكلها عند إيكو على تفضيل ممارسة النشاط التأويلي أولاً، ومتابعة حركة العلامة ووحداتها ثانياً، والاستفادة من معطيات الانفتاح النصي على العالم ثالثاً، ولا ننسى أن هذه الأسس هي معطيات العالم البرجوازي الذي أغرى النقاد بالتوجه نحو النص وكفى بدافع قيم الحداثة وما بعدها»<sup>1</sup>، يمثل هذا القول حلقة وصل بين الفترة التاريخية التي ظهرت فيها المناهج النصية، التي أعلنت من سلطة النص وبين التوجه الرأسمالي الذي ظهرت فيه البرجوازية بطروحاتها الداعية للاهتمام بالذات فقط، وما بين هذين المعطين تكونت اللغة الشعرية عند إيكو وتشكلت في مشروعه القائم على انفتاح التأويل والدلالات والذي فيه مارس سلطته في ذاتية النص مستفيداً من "السيميائيات البورسية"، و"النظرية الغولدمانية" في الانفتاح النصي على العالم.

على الرغم من أن الناقد قد أقر في بداية حديثه عن عدم اللجوء إلى المقارنة بين الناقلين، لإبراز مواطن التأثير والتأثر، إلا أن دراسته الأخيرة في مبحث "النص الحضارة. التأويل"، تشير عكس ما طرحه، فقد قدم استنتاجاته المتعلقة بالبرجوازي وإيكو، معتمداً صيغة المقارنة النقدية، فمن بين الألفاظ التي وظفها (تعامل الناقدان بشكل مختلف، يطلعنا إيكو في الجهة المقابلة، إذا كان البرجوازي... فإن إيكو، الخ)

وإذا عدنا أيضاً إلى العنوان الأول "اللغة الشعرية بين إيكو والبرجوازي" أدركنا أن الممارسة الفكرية التي يتبناها ستخضع لمنطق الجدل والحوارية وبيان أوجه المقارنة، يقول: «إذا كان البرجوازي يريد الوصول إلى حد دلالي لفهم تشكل شعرية النص والتواصل مع جماليات اللغة الشعرية، فإن إيكو لا يريد التوقف عند فاصل دلالي

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 111.

محدد، بل يجاري دعاة التفكيك بالقول بلانهائية المعنى»<sup>1</sup>، فالجرجاني مارس تأويله في الفنون البيانية، كاشفا عن بنية اللغة الشعرية، في حين نجد إيكو يستلهم الطرح التفكيكي في انفتاح التأويل وتعددية المعاني.

### 3- صناعة الذات الشعرية:

يأخذ البعد المعرفي للغة في هذه المرة سيرورة أخرى، سيرورة تشكل اللغة وفقا للذات، وصناعة الذات من منظور اللغة، واتسام الذات بمصطلح يميزها وهو الشعرية، وكما أشرنا سابقا إلى أن فعل المعرفة هو فعل لا يمكن له الانفصال عن الحياة الاجتماعية والعلاقات البشرية، فكذاك اللغة تبني معرفتها من منطلق طبيعتها البيولوجية والثقافية والاجتماعية، فالناقد يؤسس فكرة صناعة الشعرية من هذا المبدأ، ليتفرد بخصوصية محتومة تضي جانبيا يخلق التميز والتفرد، بصيغة أخرى وهي إعادة بناء الذات وفقا للغة. «بحيث تصير الذات العارفة موضوعا لمعرفتها مع بقائها ذاتا في الوقت نفسه»<sup>2</sup>، والعودة للعالم الشعري هو عودة للتجارب الإنسانية التي أنتجت معان ورسمت أطرا معرفية بناء على تلك المعاني، وأضفت طابع التجدد والحيوية.، يقول الناقد: «تتطلب الدلالة الشعرية تأملا إنسانيا يتعلق بمعايشة الذات للخارج، وتعطي أحكامها حول القيمة والقيمة المعاكسة. اللتين تسهمان بشكل كبير في رسم خصوصية الذات الشعرية في إبداع النص وإيجاده، فضلا عن تحديد مسارات النص في ثيمات معينة تختزل تجربة الزمان والمكان، وتقدم رؤية حبلية بتصورات متنوعة، ومعان ماورائية»<sup>3</sup>. يشترط الناقد في قوله مجموعة من التصورات التي حدد بها صناعة الذات الشعرية، والتي أمكن بيانها في النقاط الآتية:

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص112.

2 - إدغار موران: المنهج، معرفة المعرفة، ص34.

3 - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، ص97.

• اللغة الشعرية تتبع من إسقاط للواقع الاجتماعي، تتمثل فيها الأفكار التي خلفتها العلاقات الاجتماعية، فتضفي قيمة معرفية عن الواقع الخارجي، وقيمة حول الذات بوصفها جزءا من ذلك الواقع، فترتسم التجربة.

• تتجسد خصوصية الذات الشعرية في إنتاج دلالات جديدة غير مطروقة، وخلق رؤية مبنوثة بالمعاني، تشكل بها النص في بعده الإبداعي، وتجسد لحظة اختراق الزمان والمكان، وتذهب باللغة في شعريتها نحو «قفزة خارج المفهومات السائدة»<sup>1</sup>، تأخذ بالواقع، وتحضن ما وراء الواقع، عن طريق البعد الماورائي الذي لا يرى على سطح النص.

يسقط الناقد صناعة الذات الشعرية على وطنه العراقي، أي الجيل العراقي، جاعلا منهم أنموذجا لهذه الصناعة، مستحضرا نصوصا شعرية لثلة من الشعراء الذين اختارهم، محلا قصائدهم، كاشفا عن صبغة ذاتهم الشعرية، يقول «قدم الشعراء الشباب في الموصل إمكانيات هائلة كما ونوعا في النتاج وشكلوا ظاهرة أطلق عليها هنا ظاهرة صناعة الذات الشعرية...، وما نغنيه بصناعة الذات الشعرية توجه الشاعر لتبني ثيمة دلالية يضمنها في نصوصه كلها حتى يعرف بها»<sup>2</sup>، ولعل ما ذهب إليه الناقد يشير إلى قضية الالتزام، فتركيزه على الشعر العراقي والموصلي تحديدا فيه إشارة إلى أن الناقد يتبنى نزعة التعريف بالواقع العراقي، ليكشف عن ذاتية اللغة وعن الخصوصية التي يحملها، ومن ناحية أخرى، فإن تجسيده لهذا المصطلح "صناعة الذات الشعرية" يعكس طبيعة اشتغاله بالنقد المعرفي، فلقد اختار ظاهرة، ومنحها مصطلحا ومفهوما، ومن ثم عمد إلى «فحص منظومة تشكل الظاهرة المعرفية من خلال تحليل بيان نسقها المشكل لها»<sup>3</sup>، ونسق صناعة الذات الشعرية هو الشعر العراقي الذي يكشف من خلاله الناقد عن تشكل الذات الشعرية.

<sup>1</sup> - أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، ط 2، 1978، بيروت-لبنان، ص 9.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، ص 98.

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.



أراد محمد سالم بمفهوم صناعة الذات الشعرية أن يبين أن «الذات الكاتبة للنص الأدبي، داخل سياق أصالتها، تلغى ضمن صيرورة فعل الكتابة بوصفها نتيجة ووسيلة لها/..../. تصوغ تفاصيل هويتها داخل ثنانيا الكلمات والجمل والشخصيات، فيستطيع الكاتب بهذا الخلق ترجمة ثقافته ولغته وتصوره الخاص للعالم وللحظة التي يكتب فيها»<sup>1</sup>، وبهذا تصوير اللغة في صناعة الذات الشعرية معرفة حاملة لفكر، له انعكاساته على الواقع الخارجي المحمل برؤى وأفكار تترجمها اللغة في شكل جدلية معرفية مغلقة ينسق من المشاعر الفردية التي تخلف سمتها وتميزها وتفردتها.

والعودة للنقد المعرفي أمام صناعة الذات الشعرية، غاية في الدقة والأهمية، وهو ما يجعلنا نطرح التساؤل الآتي: كيف ينمي هذا المصطلح الفكر؟ أو كيف يطوره؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، نعود إلى الناقد لنستنتج منه ما طرحناه، "فمحمد سالم" يجعل من صناعة الذات الشعرية «استراتيجية جريئة ومبدعة في تقديم فلسفة الشاعر والتنديد بسكون الدلالة وتقديم دلالات مستقبلية تحمل بذور التغيير والتفائل»<sup>2</sup>. وفي هذا الربط بين ثلاثي يحمل في طياته نواحي العطاء والتجديد، وفلسفة تومئ بفكر له خلفياته الإبستمولوجية، نقول إن نمو وتطور الفكر في صناعة الذات أمر مرهون بهذا الثالوث الذي يبين نمطية اشتغال العقل من منظور الأنا، ولكي ندلل أكثر على اختلاف اللغة وفقا لما جاء به الناقد فإن «الوعي الملازم للفكر الملازم للغة، هو انبثاق للفكر الانعكاسي للذات على نفسها وعملياتها وأفعالها، تقدم فيه طبيعة اللغة إمكانية الانعكاس التي تمكن كل عمليات العقل من أن تصير مواضيع للوعي فيتشكل مستوى من الانعكاس يستطيع فيه الوعي أن يزدهر ويطور بدوره انعكاس الفكر على ذاته»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي المعاصر، ص 264.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، ص 98.

<sup>3</sup> - إدغار موران: المنهج، معرفة المعرفة، ص 129.

وما انعكاس الفكر على ذاته إلا صناعة للذات الشعرية، ونمو للعقل وفقاً للأنا التي تمحور أفكارها في قالب شعري.

#### 4- حلم الكلمات؛ نحو هوية أنثوية للغة:

يحاول الناقد الاقتراب دائماً من الواقع، في ملامسة منه للخطابات الشعرية. لينطلق باللغة نحو أبعاد إبستيمية ترسم هوية أنثوية، إنه واقع الشعر الموصلّي (نموذج ألاء عبد الواحد)، التي جسدت في خطابها الشعري ممارسات رسمت شخصيتها للغة، واعتبرها "محمد سالم" بمثابة التوجه النقدي المعرفي الذي يستلزم تحليل مكوناته عبر الحديث عن تلك الهوية التي تصطبغ بها اللغة الشعرية، يقول «يمثل النص الشعري منطلقات مهمة في تحديد هوية اللغة التي ستحمل بصمات دلالية تعلن عن توجهها، وتنبئ عن صيغ تشكلها، وتمتاز هذه اللغة بفرادتها، وتمثلها لغائية الرؤية ابتداءً من شعرية الكلمة وانتهاءً بشعرية النص»<sup>1</sup>، فالنص الشعري هو الخطاب الأنثوي الذي قصده الناقد والذي سيمارس فعله في اللغة بمنحها هوية تباعاً لهوية ذلك الخطاب عبر النسيج اللغوي الذي مثلته رؤية الكاتبة، والتي فسحت المجال لتشكّل دلالات ومعانٍ جديدة عكسها ديوان حلم الكلمات.

ينطلق الناقد في تحليله لهذا الديوان من استخلاص "تيمتين" تجسدتا في "الحب والحرب"، وقد اختار هاتين اللفظتين لغرضين؛ الأول: الكشف عن طبيعة اللغة الأنثوية في مسار تشكلها من وجهة نظر شاعرة عراقية، والغرض الثاني هو الاشتغال بالنقد المعرفي على قضايا التجربة الإنسانية.

انخرط فكر الناقد في عمليات الكشف عن اللغة، وفي انخراطه مُنحت معان لفهم الوجود والحياة والمعرفة، وتجلت هذه المعاني في تحويل الفعل السلبي إلى ردة فعل إيجابي، كتحويل الحرب إلى حب، لقد أراد أن يطور من العمل الفكري والرؤية العقلية

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: النص الملزم في الشعر الموصلّي المعاصر خصوصية الرؤية والتناول، مجلة دراسات موصلية، العدد الخامس عشر - محرم 1428هـ/ شباط، 2007، ص 27-28.

ليصوغ من الفعل الإبداعي للشاعرة نموذجاً يكشف من خلاله عن التجربة الإنسانية بمنظور معرفي.

يمكن الإشارة إلى البعد الاشتغالي للنقد المعرفي في هذه الفكرة؛ إن المحتوى الأنثوي في الخطاب الشعري يعتمد على توظيف اللغة الفنية لتمثيل الخبرة الإنسانية المتعلقة بالأنثى، والنقد المعرفي يسعى في تحليله إلى الكشف عن الخبرة الإنسانية في النصوص الإبداعية.

### ثانياً/ النقد المعرفي والاشتغال على النصوص النقدية من منظور

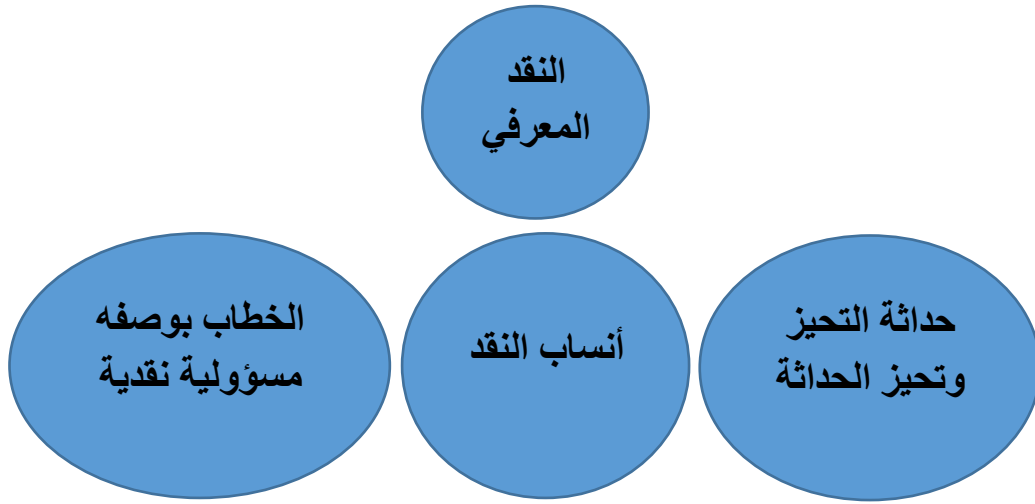
"محمد سالم سعد الله"

#### 1- أنساب النقد؛ دراسة في المسيرة المعرفية للمناهج:

إن الربط بين المناهج النقدية والمعطى المعرفي هو خروج من المتاهات الضيقة التي آلت بالنقد إلى التوضع حول الكشف عن الدلالات المبتوثة في ثنايا النص، وعن الجانب المعرفي الذي سيؤول بالنقد نحو ممارسة فكرية يشتغل فيها العقل بالتوغل في الأنساق الداعية إلى التشكل، وفي طبيعة المقاربات المنطقية، تلك هي قضية الناقد الجديدة بالاشتغال بالنقد المعرفي على النقد، وقد صرّح بها جملة وتفصيلاً في عنوانه أنساب النقد، كاشفاً عن المنحى الذي سيتجهه في الدراسة ألا وهو المعرفي.

وهذا المخطط يُبيّن المباحث النقدية التي مارس عليها الناقد بحثه الاشتغالي في

النقد المعرفي:



الشكل 22 اشتغال النقد المعرفي على النقد عند "محمد سالم سعد الله"

إن الهدف الأساسي من وراء الدراسة المعرفية للمناهج، يكمن في تخلص الناقد من الفكرة السطحية للنقد، والتوغل به إلى البنية العميقة، إذ إن الواقع النقدي اليوم لم يعد في نظره نقدا بالمفهوم الذي يليق بطروحاته الحديثة، ففوقته في فكر الكشف عن المآذ، لم تجعله منتج أفكار، بقدر ما جعلته كاشف أفكار، فالناقد يريد أن تفتح الدراسات في الكشف عن **الكيف**: أي كيف تشكل النص، كيف كانت مسيرته؟ الخ هي دعوة للنقاد، بتغيير ثوب الممارسة النقدية نحو ممارسة معرفية تذهب بالنقد إلى أبعاد أوسع، تفتح فيه الآفاق الرؤيوية، لتتعدد فيه الجوانب المعرفية، يقول: «يشاع أن النقد هو جهد منصب على متابعة الإثارة الجمالية المكونة في النص وإظهارها، من خلال بيان مقصديات الناص، وهذه الرؤية هي رؤية تقليدية لمسيرة العمل النقدي تعتمد على تسطيح النتائج، وتضييع الهوية الفلسفية له ولاسيما المعاصر منها»<sup>1</sup>، غرض الناقد هو الذهاب بالنقد إلى الرؤية الحديثة من خلال البحث عن المعطى الفلسفي أولاً باعتباره صانع الهوية.

لقد ظل الناقد محافظاً في حديثه دائماً على المعطى الفلسفي، ففي كل مرة نجد رعاية فائقة به؛ من حيث توسيع المدركات، وإنتاج الأفكار، وتغيير مواطن البحث فيه،

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مناهج ما قبل البنيوية: مسيرة معرفية، مجلة المأمون، ص 16.

فمن الأسس الفلسفية، نحو التحليل بناءً على معطيات الفلسفة، مروراً بالفلسفة وعلاقتها بالنقد، وكما أشرنا فإن "محمد سالم" يرى بأنها تمثل الأرضية الإستمولوجية لكل علم، فهي من تضبط التوجه، وتصحح المسار، وهي أبجدية النقد المعرفي، الذي سوف يشتغل به الناقد على «مسيرة الحياة المعرفية للمنهج»<sup>1</sup>، لاعتبارات عدة يمكن استنتاجها بناءً على أقواله:

\*تمثل الفلسفة باباً من أبواب المعرفة.

\*النتائج النقدية انعكاس طبيعي للاتجاهات الفلسفية.

\*أتاح البحث الفلسفي للنقد تصورات عقلانية ومقاربات منطقية.

يقول محمد سالم: «إن المتتبع للمسيرة المعرفية النقدية، يجدها خضعت لصياغة عقلانية علمية، بمعنى آخر خضوعها بشكل متواتر لسلسلة متوالية من التغيرات المعرفية على صعيد البناء والتكوين والقصد النقدي، فضلاً عن تغذية فلسفية مستمرة تمد العمل النقدي بأسباب بقائه، وتمهد له فرص تقديم نتاجه»<sup>2</sup>، ومؤدى هذا القول أن التحولات التي شهدتها النقد تعتبر استراتيجية معرفية خضعت لتصور عقلائي، أفرز مراحل نشوء النقد من حيث البناء والتكوين والقصد النقدي والفلسفة التي مثلت المنعطف الحاسم في توفير كل الشروط الممكنة للمعرفة من أجل استمرارية هذا النقد.

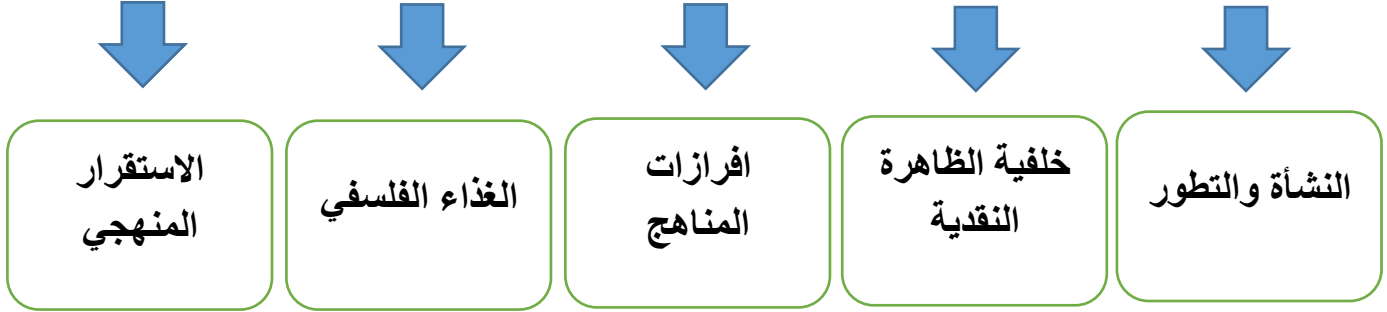
ويمكن أن نرسم المراحل التي سيمر بها الناقد في دراسته التحليلية للمسيرة المعرفية

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص4.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص217.

المناهج النقدية

مناهج ما قبل البنيوية/البنيوية وما بعدها/مناهج التلقي والاستقبال



الشكل 23 المسيرة المعرفية للمناهج النقدية

يشخص الناقد مراتب قراءته داخل هذا المبنى المعرفي قاصدا جانبا معيناً وهو التعامل مع وعي الظاهرة النقدية التي تطرح «طرائق العقلنة في خصوصية الصيغ المستعدة»<sup>1</sup>، مشيراً في الوقت ذاته إلى الابتعاد عن القراءات التي تتبنى توصيف الظاهرة بمعزل عن هذا المبنى المعرفي الذي سوف يقصي تبعية الآخر في طروحاته.

أ- مناهج ما قبل البنيوية:

ينطلق الناقد من إمكانياته التأويلية القائمة على المنطق الشمولي في استجماع نقود ما قبل البنيوية في بوتقة واحدة لدراسة مسيرتها المعرفية، مستثمراً روابطها النقدية في أفكار عامة، تنطبق على المناهج التي اختارها، والتي تمثلت في (المنهج الكلاسيكي، المنهج التأثري، المنهج الانطباعي، المنهج الجمالي، المنهج النفسي، المنهج التاريخي، المنهج الاجتماعي)، مقدماً رؤية وقراءة مغايرة وفق نقد معرفي يروم استجلاء مواطن المعرفة الداعية للتشكل والاستمرارية، بدلاً من الاكتفاء بخارجيات النص.

إن إعادة النظر في هذه المناهج سوف يضفي قيمة في طرق التفكير والتي ستنعكس بدورها على معطيات العقل العربي في تطوير مساره، إذ إن عدم الاكتفاء

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 218.

بالباهز الغربي ومحاولة الانخراط في تشخيص واقع المناهج النقدية يشير إلى تلك الإرادة العقلية التي تتبنى مبدأ التحديث، وشروطه وامكانياته بمسار فلسفي وفكر نقدي يسعى دائماً إلى التعمق بدل التسطیح، تحت فكرة مؤداها «لا معرفة من دون معرفة المعرفة»<sup>1</sup> كما يقول إدغار موران.

إن النقد المعرفي نقد يشتغل على استغلال القدرة الذهنية في إنتاج فكر يمتلك كل المقومات القابلة للاستثمار، ولعل المصطلحات الوظيفية التي استثمرها الناقد والتي كانت لها امتدادات فلسفية، كانت مركز البحث وبؤرته في جدلية الربط بين المناهج ما قبل البنيوية والفلسفة، يقول «إن المؤسسة النقدية ما قبل البنيوية بنت مدركاتها على تلمس الخطوط الفلسفية العامة التي يمكن توظيفها في العمل النقدي، من حيث تمثل مجموعة من العناصر المسهمة في رسم خصوصية منهجية كالعقل، والذوق، والحس، والعاطفة، والخيال، والطبيعة، والفن، والحالة النفسية والمستوى المعيشي، والتطور السياسي، وتنوع الموضوع وقد ارتبطت هذه العناصر بموجهات فلسفية اختلفت باختلاف مراحل النشوء والتطور»<sup>2</sup>، فهذه المصطلحات قد مارست دوراً اشتغالياً في بلورة هذه المناهج، عن طريق تمثالتها الفلسفية التي كانت لها صدى كبيراً في صناعة النقد، فقد اختار الناقد الذوق، ودل به على فكرته، وربطه بالمنهج الكلاسيكي، ثم التأثري، فالانطباعي فالنفسى، وإن الربط في حقيقته هو تمكين لاشتغالية البنية الذهنية للناقد في اختراق حدود المعرفة، وخلق حقل معرفي جديد يعنى بالواقع الخارجي الذي تتمثله المناهج من جهة باعتبار خصوصيتها، وبالفلسفة باعتبارها واقعا داخليا يغذي معرفتها، وبالذات التي ستفعل منطلقها في الإدراك من خلال الترابط بين النصي والعالمى، وفحص الوعي الذهني عند المبدع.

<sup>1</sup> - إدغار موران: المنهج، معرفة المعرفة، ص 8.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مناهج ما قبل البنيوية مسيرة معرفية، مجلة المأمون، ص 16.

تظهر أهمية البنى المعرفية في استنتاج الناقد وربطه لحركة النقد وتأثره بفلسفة التاريخ الأوروبي في لحظة الإبداع الفني، فالناقد يعيد تأسيس وبناء معرفة حديثة انطلاقاً من أساسيات النقد المعرفي، الذي يتبنى الاستثمار، إنه استثمار لمعطيات النظريات الفلسفية المتمثلة في "هيغل" و"داروين" و"فرويد" و"ريتشاردز" و"ماركس" وغيرهم، هي لحظات معرفية تم توظيفها في مناهج ما قبل البنيوية، سوف تمثل ذلك الأنموذج أو الحقل الإبستيمي الذي يعطي شرعية بقاء هذه المناهج، وقد أوردها الناقد على النحو الآتي: «ربط الأدب والفن بتنوعات المعرفة وافرزاتها المستمدة من الواقع. (نظرية الانعكاس، ربط وسائل الإنتاج بالمجتمع، وبالوقائع المادية الموجودة خارج الوعي الإنساني والمتعلقة بمحور المعرفة) (النقد الماركسي)، نظرية التوصيل والتجربة الشعورية (فلسفة ريتشاردز)، اكتشاف المسكوت عنه في النص (فلسفة فرويد)»<sup>1</sup>، ولقد اخترنا أربعة نماذج فقط، لنفس طبيعة اشتغال البنية الذهنية للناقد أثناء عملية ربطه المعرفي.

تمثل "نظرية الانعكاس" امتداداً فلسفياً للنقد الاجتماعي، حيث تأثر هذا الأخير بالرؤية الاجتماعية وانعكاسها على الأدب؛ «إذ الرؤية الاجتماعية للأدب تفرض تغيراً في المفاهيم الأدبية كمفهوم الإبداع الفني الذي غداً فعالية اجتماعية»<sup>2</sup>، فهذه النظرية مثلت أداة فكرية للناقد عن طريق صوغ القضايا الراهنة بطرق جديدة، تعمل وفق تنشيط العقل.

الحال نفسه ينطبق على النقد الماركسي؛ فالنظرية النقدية الماركسية لها تأثيرها البارز في مناهج ما قبل البنيوية بشكل عام والنقد الاجتماعي بشكل خاص حيث مارست هذه الأخيرة فعاليتها على الأديب الذي «لا يمكن له أن يكتب إبداعه بعيداً عن واقعه،

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 221.

<sup>2</sup> - نصيرة الوناس: نظرية الانعكاس في الأدب، مجلة معارف، جامعة آكلي محند أو لحاج-البويرة، العدد 13، ديسمبر، 2012، ص 109.



فيصور الواقع السياسي والاقتصادي في نتاجه الأدبي المبني فالتنقد الماركسي ليس مجرد سوسولوجية أدب وإنما غايته تحليل العمل الأدبي على نحو أكثر كمالاً للكشف عن التغيير في البنية التحتية وما نتج عنه من تغيير في البنية الفوقية»<sup>1</sup>، فالتنقد الماركسي هو إنتاج للمعرفة انطلاقاً من إفرازات الواقع في بعده المادي، حيث تتحول تلك المعرفة للحظة إبداع أثناء تسليط الأديب قضاياها على النص.

أما فلسفة ريتشاردز المتمثلة في نظرية التوصيل والتجربة الشعرية، فلقد استفاد منها النقد الجمالي وأخذ من مفهومها لحظة تجسيد المنحى الإبداعي، وفق منحيين؛ الأول قدرة الفنان على صياغة تجربته الشعرية مفهومة قادرة على التوصيل حتى يتجسد البعد التأثيري، أما المنحى الثاني فيتمثل في «ربط ريتشاردز للأدب بالسيمانتية (الدلالة) وهي الدراسة العلمية لعمل الألفاظ في المعنى»<sup>2</sup>.

وفلسفة "فرويد" والتي يمكن إسقاطها مباشرة على المنهج النفسي، في عملية اكتشاف المسكوت عنه في النص، على اعتبار تموضع الذات في بؤرة العملية المعرفية، «فتأويلاتنا للواقع ليست مستقلة عن حالاتنا النفسية العميقة»<sup>3</sup> وهنا يتمظهر الجانب الإبداعي الذي تبرزه الذات في عملية فحص النص.

إن إعادة السؤال وتجديده من وجهة نظر الناقد "محمد سالم" مرهون دائماً بالمعطى الفلسفي، أولاً على اعتبار أنها تغذي العلوم، وتخلق نمطية الحياة بين المعارف، وثانياً لأنها «إجراء فكري خصوصي، لها القدرة على صياغة علاقات الأشياء، في كينونتها وصيرورتها... هي مجال فكري لإنتاج المفاهيم»<sup>4</sup>، فعودته الدائمة للفلسفة يفسر توجهه

<sup>1</sup> - ماهر حميد: النظرية النقدية الماركسية، قراءات نقدية، صحيفة المثقف، موقع الكتروني، almothaqaf.com.

<sup>2</sup> - فايز الداية: في اللغة ونقد الدلالة (نظرية الأدب وصلتها باللغة والدلالة)، موقع الكتروني almerja-com، نشر بتاريخ 2017/9/10، بتاريخ الدخول، 2021/10/25، الساعة 20:15.

<sup>3</sup> - ادغار موران: المنهج، معرفة المعرفة، ص 135.

<sup>4</sup> - محمد نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي، ص 10.

الإدراكي الذي أشرنا إليه سابقا من أنه ينطلق من معارف سابقة، يستثمرها في معطيات جديدة وفي قضايا معرفية راهنة تسعف في بلورة وعي نقدي ورؤية شمولية لذلك الطرح.

### ب- مناهج ما بعد النصية:

إن النموذج الثالث والمعني بدراسة المسيرة المعرفية للمناهج ما بعد النصية يركز على عمق معرفي هائل، حاول فيه الناقد تقديم إجراءات منهجية تتعلق بنظيرتي الاستقبال والتلقي من حيث مسألتين؛ الأولى تجسدت في استراتيجية المصطلح والتي وقف عندها على حدود مصطلحي الاستقبال والتلقي، والمسألة الثانية تتعلق بالتنوع المنهجي والدلالي. غير أن الوقوف عند مفهوم المسيرة المعرفية من معناها الشمولي سيتبادر لذهنه أن الناقد سيتتبع هذه المسيرة من حيث رجوعه للنقد العربي القديم لبيان أهم التمهصلات والخطوط العريضة من حيث الجذور والتحويلات التي مرت بها هاتين النظيرتين، على اعتبار هويته العربية التي تفضي به للرجوع للتراث العربي، ومن ثم الانتقال الى الوجهة الغربية لبيان هذه المسيرة، إلا أن ما وجدناه يومئ عكس ذلك، "فمحمد سالم" اختار مسألة المصطلح لاعتبارات عدة، من بينها التفريق بين التلقي والاستقبال من حيث الرجوع للبيئة الغربية، حيث يقول: «نظرية الاستقبال ولدت في النقد الأمريكي الحديث ضمن ما يعرف ب(النقد الأنجلوأمريكي) ويتحدد بمجموعة من النقاد من أهمهم: (جوناثان كيلر، تورمان هولاند، ديفيد بلبش، مايكل ريفاتير)، أما نظرية التلقي فقد ولدت في ألمانيا منبثقة بشكل مباشر من معطيات الظاهرية والتأويلية، ومن أهم من مثلها آيزر، يابوس، فيش»<sup>1</sup> وثانيا الوقوف عند المنطلقات المنهجية لكل ناقد غربي، وهي خطوة مهمة تحسم "لمحمد سالم" في ضبط المفاهيم المطروحة بطريقة واعية.

رسم الناقد مبدأ الحوارية المعرفية مع هؤلاء النقاط الغربيين، واقفا عند مسميات النظريات عندهم، ومصنفا إياها كل حسب الوجهة التي ينتمي إليها، نجد "تورمان هولاند"

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 229.

في نظريته الموسومة بنظرية هوية النص، و"كيلر" في نظرية القدرة الأدبية، وما يقابلها في الجهة الأخرى وهي جهة نظرية التلقي، نجد "آيزر" ونظريته النصية في عملية التلقي و"فيش" في النظرية الأسلوبية التأثرية والتواصلية.

إن التفريق المصطلحي بين هاتين النظريتين يقتضي بالضرورة وجود فرق على مستوى المسيرة المعرفية لكل واحدة، إذ إنه لا وجود لنظريتين مختلفتين من حيث المنشأ، ومن حيث النظريات المدرجة، ومن حيث الوعي النقدي، والمنطلقات المنهجية وتجمعهما مسيرة معرفية واحدة.

عمد الناقد إلى بيان مسيرة معرفية واحدة والمتعلقة بنظريات التلقي، مسهبا حديثه عن "آيزر" و"ياوس" في بيان النقلة المعرفية التي مارسها على حدود النص وتغيير مفهوم القارئ، مرجعا تشكل هذه النظرية للأسس «الظاهراتية والتأويلية من حيث الارتداد الفكري والنقدي المطروح في ثناياها فضلا عن أثرها الكبير في تفعيل الممارسات النقدية التي سارت مع معطيات ما بعد البنيوية على صعيد التلقي وأوجه المعنى المختلفة»<sup>1</sup>، وهنا نجد كما معرفيا هائلا أختزل في الظاهراتية والتأويلية، والمعطيات المابعدية للبنيوية، دون تفسير واضح لكيفية التشكل والأخذ من المعطى الفلسفي، "محمد سالم" يخالف هذا المبدأ بطريقة خاصة، طريقة تتبنى التطوير من أجل الاختلاف، ولن يحصل هذا الاختلاف إلا بالعقل الذي يحفز القدرة الذهنية على إنتاج فكر جديد، وهذا الفكر يتجلى في إسقاط مبادئ النقد المعرفي على جل هذه الأفكار ومحاولة إيجاد ترابط معرفي يقيم هذه الحوارية، فاختياره للتأويلية والظاهراتية فيه تحفيز للقارئ على كشف هذه العلاقة، وسيتم بيان ذلك:

تستفيد نظرية التلقي من التأويلية، وللتخصيص أكثر نقول تأويلية غادامير، فهذا الأخير ارتكز عمله التأويلي في «كشف الوعي البشري المدون في تجاربه اللغوية واختار الفن مجالا لذلك العمل لما فيه من تدوين بذلك بالوعي، ولكي يحقق الوعي

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 230.

البشري استمراريته، والوعي المدرك آنيته أي لحظة بناء المعنى، شدد على إنضاج التأويل في حدود التاريخ، وهو يتحدث عن الأفق التاريخي؛ استعار يابوس مفهوم الأفق منه<sup>1</sup>، فتكون أهمية الوعي في بناء المعطيات النصية، لإثبات وجوديته، «وفي تحويل النص إلى فعل للمعرفة الذي ينبغي كشف القيم التي نهض عليها ذاك النص»<sup>2</sup>، والتي تكون مباشرة بالتأويل.

### ت - حداثة التحيز وتحيز الحداثة:

حداثة التحيز وتحيز الحداثة؛ يصنع الناقد من هذا العنوان جدلية معرفية، يخلق بها راهنية سؤال يجدد به البنية الفكرية والثقافية التي عالجت الحداثة من منظورات وزوايا مغلقة، كأساس لتحديث الفكر، وكمنطلق لاشتغال العقل، وكمبدأ بعدم التسليم بقديسية القضايا المطروحة، والتوجه الدائم نحو البحث المستمر عن معرفة المعرفة عن طريق خلخلة المفاهيم، وبناء رؤى جديدة توائم معطيات المنهج المعتمد (النقد المعرفي).

الأمر يتعلق بالبحث في الفكر، وكل فكر سوف يقودنا إلى الواقع، ومن الواقع نلمس قيمة القضايا المطروحة، من هنا كانت قضية الحداثة وارتباطها بمصطلح التحيز قضية مركزية في الفكر، اشتغل عليها الناقد من منظور النقد المعرفي، من مسلمة تؤمن بأن هذا النقد «يستثمر معطيات العلم المعاصر في فهم السلوك البشري المؤسس على المعرفة العلمية»<sup>3</sup>، فخطاب الحداثة قضية معاصرة، أدمج فيها الناقد لفظ التحيز، ليدرس من خلالها علاقة النص بالناص، أي كشف البنية الذهنية التي أسهمت في تشكيل النص، ولو رجعنا إلى مفهوم التحيز عند "المسيري" لنوضح العلاقة أكثر نقول إن هذا المصطلح يشير إلى «مجموعة من القيم المستترة الكامنة في الأنساق المعرفية،

<sup>1</sup> - ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الأول 1998، عمان، ص100.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 1.

<sup>3</sup> - محمد عروس: النقد المعرفي نحو ابدال منهجي جديد، مجلة الأديب الثقافية، العدد الثالث السنة الثانية، صيف، 2021 بغداد، ص57.

والوسائل المنهجية البحثية، وفي اللغة المستخدمة التي توجه الباحث دون أن يشعر بها»<sup>1</sup> ومن خلال هذا المفهوم، يمكن ربط العلاقة بين الحادثة والتحيز من وجهة نظر "محمد سالم سعد الله"؛ إن التحيز مفهوم معرفي يرتبط بالتبني الفكري والعقدي، يحاول الناص توظيفه في خدمة أفكاره ورؤاه، وهو مظهر حدائي، إذ اتسمت الحادثة بربط الأفكار مع اللغة، حتى باتت المفردات طاقات دلالية تحوي مشاريع فكرية، والغرض من هذا الربط، هو محاولة اكتشاف المسيرة المعرفية لتلك العلاقات المبنية داخل نسيج النص.

ينطلق الناقد من تقديم تصويره للنص الحدائي، من فكرة قيمته المعرفية التي تضمن له البقاء الدائم، وعدم الزوال، وقد حصر ارتباط هذا النص من جهتين؛ تمثلت الأولى في المبدع، والثانية من جهة النسق الحضاري، حيث يقول: «النص ميدان أفكار المبدع وتصويراته، والثانية: النص متحيز في جوهره بنسق الحضاري الذي نشأ فيه واستمر بظلاله، ومن النص إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى المنهج يكمن الطابع التفاعلي للأفكار»<sup>2</sup>، فالمبدع والنسق الحضاري هما مركزا النص الحدائي من وجهة نظر الناقد، إلا أن لفظة الحدائي سوف تفقدنا لجانب آخر، وهو المتلقي، باعتباره مشاركا في العملية الإبداعية، ومساهما في تشكل النص، و مؤسسا لمركز حضور النص بحضور المتلقي والمبدع، فالعملية هنا سوف تظل مترابطة الفعل ما دمنا نتحدث عن نص حدائي.

يعمد الناقد إلى خلخلة المفاهيم المطروحة المتعلقة بالحادثة، معتمدا في ذلك على لفظ التحيز ليكون الفعل الكاشف عن المضامين المستترة وراءها، فقد شكك ابتداء من المسلمة التي تقول «إن الحادثة نموذج لا غنى عنه ومن ثم يجب أن يؤخذ كما هو

<sup>1</sup> - عبد الوهاب المسيري، سلسلة حوارات المسيري، الثقافة والمنهج، تحرير سوزان حرفي، دار الفكر، 2009، دمشق سوريا، ص306.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: أنسنة النص، ص42.

ولو أحدث هزات على مستوى الفكر والقيم»<sup>1</sup>، عبّر عن هذه الفكرة بما اصطلح عليه بالشمولية والادعاء بالكوننة. أي كونية الأفكار انطلاقاً مما «تقدمه للآخر من الحلول المرجوة لتسهيل مهمات آليات اشتغالها المنهجية»<sup>2</sup>، وإن هذه الرؤية التي تبناها الناقد تتماثل وتختلف على منحيين مع رؤية عبد الوهاب المسيري، الأول يحدث التماثل على مستوى المبدأ الذي يقول بتحيز الحداثة، والمنحى الثاني يختلف على مستوى المبدأ الاجرائي الذي انطلق منه الناقدان، فتحيز الحداثة في فكر "محمد سالم سعد الله" جاء انطلاقاً من أن الناص يشحن اللفظ بكم معرفي هائل يحدد توجهاته، وهذا الكم المعرفي وجب أن يؤخذ على عدم البراءة المطلقة لأن تمظهره يأتي من «خلال الإخفاء الطاعي على العنن، والإضمار الطاعي على الإظهار فيها وانعكاس الانسيابية الإنتاجية لكل منهما»<sup>3</sup>، فيما تأسست الفكرة المقابلة "عبد الوهاب المسيري" على تعامل النقاد العرب وتحيزهم للوافت الغربي الذي يدّعي كمالية الحداثة من أجل الاستيراد منه، مسمياً مثل هذه الرؤية بالتحيز، «أي أنه يسمي الرؤية التي تعتبر الحداثة كونية بالتحيز»<sup>4</sup>، فالأول دعوة لمحاكمة الناص، من خلال البحث في النسق المعرفي الذي أسهم في تشكل وبناء البنية الوظيفية للنص، والثاني دعوة لمحاكمة الحداثة نفسها من خلال عدم الانقياد التام وراء كل فكر غربي.

يستعمل كثيرا الناقد لفظ البراءة، في معظم خطاباته النقدية، وقد لمسنا ذلك في خطابه المتحدث عن (أسطورة الرجل الخارق)، داعياً من خلال هذه اللفظة إلى تعرية الواقع المعرفي، وفي خطابه (اللغة الشعرية بوصفها مدركات معرفية)، وظفها من خلال منطق عدم تشكل اللغة على فعل البراءة المشاعة وإنما من خلال توجيهات السلطة داعياً

<sup>1</sup> - عبد الرحمان اليعقوبي: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2014، بيروت-لبنان، ص79.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص367.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص367.

<sup>4</sup> - عبد الرحمان اليعقوبي: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، ص80.

للبحث في النسق المعرفي، وثالثا في خطاب تحيز الحداثة، وقد أردف عدم البراءة بالناصر الذي يحمل مفرداته وفقا لأيديولوجياته، مستشهدا بما ذهب إليه "تيري انجلتون" في فكرته التي تدعو بأنه ما من «نظرية أدبية أو اتجاه أدبي يدعي أنه نقي، وأن كل هذا ضرب من الأساطير الأكاديمية، وأن مظاهر هذه النظرية من نص ومنهج ومبدع وقارئ على علاقة وثيقة بنظام سياسي»<sup>1</sup>، وكل هذا من أجل دعوة القارئ إلى التمحيص والتتقيب والبحث والكشف في القضايا المعرفية، عن طريق تمكين العقل من استكناه الحقائق المتوارية، وقد بين أين تتوارى هذه الحقائق، تارة في السلطة، ومرة عن طريق اللغة، وتارة في الخلفية الفلسفية، وأخيرا ما تم البحث فيه وهو الحداثة عبر تحيزها .

### ث - الخطاب بوصفه مسؤولية نقدية:

حقق النقد المعرفي غايته في تحصيل المكاسب المعرفية المهمة المتعلقة بجل القضايا المدروسة انطلاقا من اللغة بمختلف تشعباتها، مروراً بالنقد الذي سيسعى فيه الناقد من خلال الاشتغال به، إلى بلورة أحكام نقدية انطلاقا من إنتاج موقف فعال يبدأ بمراجعة المسلمات، نحو المساءلة النقدية من خلال خلخلة المفاهيم، مروراً بالمرحلة الحاسمة، وهي تجديد الفكر عبر إنتاج معرفة مغايرة.

يحمل هذا العنوان هما نقديا انطلاقا من تحميله على لفظ المسؤولية التي التصقت بالخطاب، والتي توحى بطبيعتها بالتخلص من المفاهيم السائدة والمطروحة حول طبيعته التي لا توحى بأي تغيير أو تجديد إلا على مستوى المسند إليه، على اعتبار أن الخطاب مسند إليه، كأن نقول الخطاب الروائي، أو الخطاب السردي، أو خطاب العتبات، الخ، فنجد أن السرد والرواية وما إلى ذلك، هي من تجسدت فيها تلك المضامين والمحمولات المعرفية، فتحظى بالدراسة، لتأتي على مسمى الخطاب.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 367.

إن النقلة المعرفية التي مارسها الناقد على مفهوم الخطاب، ستفتح آفاقا جديدة لتشخيص واقع الخطاب، «ورسم ملامح البديل المنشود للتجاوز الإيجابي»<sup>1</sup>، عن النظرة التقليدية التي مورست عليه، وعن طريق تبنيه للمسؤولية النقدية التي تتضوي تحت مظلة المعرفي.

يفتح الناقد ممارسته النقدية بمجموعة تساؤلات، ليثير بها ذلك الجدل المعرفي، وليستفز القارئ، للبحث في هاته القضايا التي أصبحت من وجهة نظره قضايا مفتوحة الطرح، ولم تتعرض بعد للدراسة التي تعطيها حقها، فعدم وجود العلامة الاستفهامية، ضمن أسئلته، التي تحمل صيغة الاستفهام، يوحي بأن مسيرة النقد لم يحسم فيها الجدل مادامت الرؤية النقدية تسعى نحو تطلعات معرفية أكثر، وهذه التطلعات، عبّر عنها الناقد بالهم المعرفي، الذي سيكتنز من ورائه، اشتغالا عقليا للبحث في مفهوم الخطاب، ومن أهم الأفكار التي يمكن استنتاجها ضمن أسئلته:

- البحث عن الوظيفة المعرفية بين النص والتلقي.
- تحول المسيرة النقدية من البعد النصي إلى البعد الخطابي.
- حال النقد من حال الوضع السياسي العربي.
- بين السلوك البشري والسلوك الخطابي محاكاة على مستوى القيم.

نأتي للتساؤل الأخير والذي يعتبر الجوهر من حيث الاشتغال بالنقد المعرفي، يقول فيه الناقد «هل أدرك الخطاب المعرفي الفهم التقني الحالي للوجود، وهل استكشف الأنماط المحركة للقوة العلمية الكامنة في البنى النصية، ضمن أنساق الاقتناع على حساب الحقيقة»<sup>2</sup>، فنلمس من هذا الطرح قوة الإدراك التي فعلها الناقد، من حيث توظيفه مصطلح الخطاب المعرفي أولا، وثانيا من حيث الانتقال بمفهوم الخطاب من المعطى

<sup>1</sup> - رضا حمدي: قراءة نقدية في محاولات تأصيل المشروع العقلاني العربي الجابري وأركون نموذجا، مجلة عالم الفكر، ص 106.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 357.



النقدي، نحو معطى معرفي، يريد من خلاله الكشف عن المهيمنات الكبرى التي تحول دون اكتشاف الحقيقة، إلى فهم الوجود الذي يؤول بالذات إلى الحقيقة.

يبحث الناقد في الأبعاد التاريخية لمصطلح الخطاب، من معطى فلسفي معاصر، فيريطه مباشرة "بفوكو" من خلال أطوار ثلاثة جسدها في مؤلفاته، فهو لا يريد العودة للمفاهيم المطروقة، ولا يريد اجترار الأفكار التي عالجت هذا المصطلح، لقد التجأ لضبط حدوده التاريخية انطلاقاً من الفعل المعرفي المعاصر، فكانت نتاجات "ميشال فوكو" وإسهاماته السبيل في هذا الربط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فاختبار الناقد يشير إلى اهتمامه العميق بالتوجه الفلسفي، "بفوكو" لم يتجسد «هدفه الفلسفي أبداً في تحليل المعنى ووصف بني اللغة، وإنما دراسة الوظائف المختلفة للخطابات في التاريخ»<sup>1</sup>، وعلى هذا الأساس كان التوظيف والربط العقلاني للناقد محكماً كثيراً في بيان نزوع الخطاب من «الشفاهية العلمية والمدونات النصية إلى حيوية في المجتمعات الغربية»<sup>2</sup>، من هنا كانت انطلاقة الناقد مركزاً لتحميل الخطاب صفة المسؤولية، مسؤولية تاريخية من وجهة نظر ميشال فوكو، ومسؤولية معرفية من وجهة محمد سالم سعد الله. يأتي الانتقال من ضبط الحدود التاريخية، نحو الحدود الدلالية للخطاب، والعودة هنا للعنوان، هو عودة للمفهومية النقدية للخطاب، وقد تركنا العائلة المقدسة لهذه اللحظة تحديداً، ولم نشأ ذكرها في البداية حتى نتبين أهم المراحل التي مر بها الناقد ونتمكن من رصد البعد الاختلافي الذي سوف تحدثه هاتين المفردتين.

العائلة المقدسة الخطاب بوصفه مسؤولية نقدية؛ لو تتبعنا هذا العنوان من حيث صيغته النحوية، لأمكن القول، إن الخطاب بما تلاه سيكون خيراً للعائلة، ولو تتبعناه من حيث معناه الظاهري سيكون الخطاب في هاته الحالة محملاً على المعنى العام للعائلة، ولو ذهبنا إلى معناه الباطني، أي المعرفي، سنقول بأن العائلة المقدسة تسمية لعمل

<sup>1</sup> - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 9.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 357.

مشترك "ماركس وإنجلز" يرصد تبعية «الانتقال من المثالية إلى المادية، ومن الديمقراطية الثورية إلى الشيوعية، ويعكس التقدم الذي تحقق في تكوين المفهوم المادي الثوري عن العالم لدى المؤلفين»<sup>1</sup>، والمتأمل في هذا المفهوم سيتساءل طبعاً عن العنصر الترابطي بين الخطاب والعائلة المقدسة، خاصة وأن الناقد وظفه لضبط حدود دلالات الخطاب، فتكون العودة للنقد المعرفي، عودة لإدراك وفهم المستتر.

كما أشرنا سابقاً، أن الناقد أراد أن يتجاوز النظرة التقليدية لمفهوم الخطاب، ويمنحه أبعاداً دلالية، تكسبه حيوية وحياء، وتضفي عليه طابعاً تجديدياً، يعطيه أحقية البعد المعرفي، فما كان من "محمد سالم" إلا أن يسقط فكرة الشمولية والتكاملية، ويتجاوز الحدود على المفهوم الدلالي للخطاب، وبما أن النقد المعرفي يتأسس على الاستثمار من أجل استمرار النظريات، وإدخالها ضمن بوتقة التفكير العقلاني، استثمر الناقد مفهوم العائلة المقدسة بطريقة أخرى، استنتجها من النقد النقدي الذي مرّ من خلاله الكاتبان إلى مراحل تطورية ابتدأ باعتباره مذهباً، ثم صاحب مصنع، ثم معرفة هادئة، ثم مطلقاً، وأخيراً ارتحالا دنيوياً، ليضع "محمد سالم" من العائلة المقدسة «تسمية بديلة عن زوال الحدود المعرفية بين الميادين الخاضعة لآليات تحليل الخطاب والتي استخدمها ماركس وإنجلز لبيان محددات مسيرة النقد، وموجهات خطابه الذي ينبغي عليه تخطي حواجز الكلمة والارتقاء في تصورات معرفية لا تكتسب الحياد وتنتهج الاختلاف سبيلاً للائتلاف»<sup>2</sup>، فيجوز للخطاب من وجهة نظر الناقد أن يكون خطاباً معرفياً، يتبنى نهج التجاوز، للخروج من الأطر الضيقة التي تحول دون كشف رؤى العالم، إنه الخطاب الممكن الذي يتطلع على الممكن واللاممكن، ليتوصل لحقيقة المعارف المتسترة.

<sup>1</sup> -كارل ماركس، فريدريك إنجلز: العائلة المقدسة أو نقد النقد النقدي، ترجمة حنا عبود، مراجعة فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 357.

يتحدث الناقد عن أهمية الخطاب من خلاله إدراجه في مسيرة ما بعد البنيوية، على اعتبار أن هذه المرحلة، توافق في طروحاتها ما ذهب إليه في مفهومه للخطاب، فيما يخص الانفتاح ورفض مبدأ الانغلاق والتغلب، «وكذلك في ارتفاع نسبة النصية والخطابية»<sup>1</sup>، فما بعد البنيوية قد أكسبت الخطاب تحولا نقديا، وبعدا معرفيا من خلال دعوته إلى «حوار العقلانية المعاصرة، وإيجاد صيغ نقدية ذات معالجات معرفية، يمكن استثمارها في ميادين التحليل الاجتماعي أو النفسي أو الاقتصادي أو السياسي»<sup>2</sup>، وبهذا التأكيد على تبني مبدأ العقلانية في الخطاب، نقول إن الناقد يدعو من خلال طرحه إلى إمكانية اشتغال العقل، للوصول إلى معرفة، تكون سندا للقارئ في فهمه للنظريات المعاصرة، عن طريق استثمارها، وهذا تأكيد آخر من الناقد على مبدأ الاستثمار.

يتجه الناقد إلى مسار أعلى في هذه الدراسة، وهو مسار الفعل التحولي من منطق (الكان) إلى منطق (الما سيكون)، عبر رؤية نقدية تبشر بولادة مضامين معرفية جديدة، يستهلها بمجموعة تساؤلات، ليضيف عليها ذلك الجانب الحماسي، هو يقترح، ويجيب بأعتقد، تاركا مسافة بحثية للنقاد، في دفع عجلة فكرهم، نحو التطرق لما ذهب إليه، يؤسس لأفكار جديدة انطلاقا من معطيات موجودة، يستثمر. فينتج، فينتظر صدى وردة الفعل.

جاء في طرح الناقد حول تحليل الخطاب، قضايا أخرى جد متشعبة، أدرجها في سياق أسئلة بحثية، يمكن إجمالها في ثلاثة قضايا، وهي: قضية منهجية، قضية نظرية، قضية معرفية، معلقا في الوقت نفسه عن مصير هذه الأسئلة قائلا «أسئلة علمية مطردة ترد في سياق مناقشة دور تحليل الخطاب بكشف وسائل الإبداع، وعلاقته بالمنظومة

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007، سوريا، ص24.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: العائلة المقدسة الخطاب بوصفه مسؤولية مقدسة، مجلة المأمون، ص20.

المعرفية المهيمنة»<sup>1</sup>، لقد أراد محمد سالم، تطبيق مقولة النقد المعرفي على الخطاب القائلة بالجمالي المعرفي، أي الكشف عما هو معرفي، انطلاقاً مما هو جمالي.

يذهب الناقد إلى أن معطيات مصطلح الخطاب كما يتم التعامل معها نقدياً اليوم محدودة بين الناص (المبدع) والنص (الرسالة)، وهذه المحدودية لن تمنح الخطاب ممارسته وامتداداته في المستقبل، إذ يقول: «ستعترى مسيرة الخطاب فجوات معرفية ومنهجية بسبب شموليته أولاً وميوله المتجه نحو طرق كل الأبواب الثقافية والحضارية»<sup>2</sup>، فهو يرى أن التطورات المعرفية لن تتوقف، وبسبب الميزة الشمولية التي يضطلع بها الخطاب، فإنه سيجد نفسه، محاصراً بأبواب المعرفة، التي لا سبيل للوصول إليها. وبالتالي سيبقى أسير القوقعة التي تجمع كلا من الناص والرسالة، لذلك لم يتوان الناقد في إصدار مرحلة ما بعد الخطاب (post-Discours)، كما طرح ما بعد المسرح، وما بعد العولمة، وغيرها، وإن مرحلة ما بعد الخطاب في نظر الناقد «يجب أن تحمل مسؤولية نقدية، تمنح الكلمة توظيفاً، وتقدم النص بوصفه مكنزاً دلالياً، حتى لا نحتاج لمناقشة موت المؤلف، وهيمنة الخطاب»<sup>3</sup>، ومن خلال هذا الطرح نستنتج الآتي:

- أراد الناقد من مرحلة ما بعد الخطاب أن تكون مرحلة نقدية تشتغل على معطيات النقد المعرفي.
- توظيف الكلمة، وتقديم النص بوصفه خزاناً دلالياً، إحالة لاستثمار الخبرة الإنسانية، وتوظيف الكشوفات المنهجية في ميادين علمية متنوعة مثل الكشوفات التقنية والعقلية.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 359.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 359.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 359.

المرحلة الجديدة ستعنى في نظر الناقد بشكل نقدي من الشمولية والتكاملية والحوارية الحضارية بين العلوم والمعارف التي تصب جميعا في مسارات واشتغالات النقد المعرفي الذي يصبو لتحقيقه.

### ثالثا/النقد المعرفي والاشتغال على النصوص الإبداعية من منظور

"محمد سالم سعد الله"

أصبحت قضية الحضور المعرفي في النص الإبداعي من المستلزمات الضرورية في الوقت الحاضر، إذ اتجه النقد المعاصر إلى الإفادة من مرجعيات معرفية وفلسفية متنوعة حوّلت من المنطلق الاستقرائي إلى التحليل المنطقي والفلسفي، فكل نص يكمن في داخله مجموعة من النصوص المتنوعة أو النصوص المهاجرة التي تشكل أنساقا معرفية تحفز على البحث في الجوانب المضمرة، ويمكن أن يعد النسق المعرفي أو التجلي أو المخبر عن المسكوت عنه من المرجعيات الفلسفية المختلفة، فالتنازع على الحدود بين العلوم المختلفة قد تم عقد الصلح وانتهى إلى أن يكون هناك تكامل معرفي بين العلوم المختلفة، فالحاجة المعرفية أو الإدراك المعرفي يمكن أن يكون من ضمن الأدوات الجديدة في مقارنة النص الإبداعي وهو ما يمكن أن نجده في الرؤية الشمولية بين المعارف المختلفة التي يستعين بها "محمد سالم" في مقارنة النصوص الإبداعية والتي تمثلت في:

النص السردي

النص المسرحي

النص الشعري

النص القصصي

وكل هذه المجالات حاول أن يكشف من خلالها صورة المعرفة المضمرة في النص والتي يمكن أن نتعرف عليها في المقاربات التطبيقية للنصوص الإبداعية من منظور النقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله"

### 1- الفاعلية المعرفية في النصوص الشعرية:

اشتغلت أطروحة "محمد سالم" في التركيز على الحمولة المعرفية للغة الشعرية محاولاً أن يركز على العلاقة التي يمكن أن نتلمسها بوصف اللغة قالبا لأنساق فلسفية وفكرية وأيديولوجية وسلطوية غريبة عنه، متسائلاً عن المحرك الرئيسي للنص وهو يمتع النص بالحرية في اختيار بناء المعنى والمعرفة وقد جاء في تساؤلاته «من المحرك لأبنية النص وأنساقه؟ من المسؤول عن انسيابية المعاني أو عدم انسيابيتها؟ هل المسؤولية كامنة في السلطة أم في فعل التسلط؟ أسئلة تدور في فلك استثمار الحقيقة النصية»<sup>1</sup>، فالحقيقة النصية يمكن أن تمثل موضوعاً مهماً في محاولة تفسير الجانب المعرفي، ولكن هذه الحقيقة ليست خاصة بالنص إنما هي منطقة نزاع مستمر بين النص والسلطة البراجماتية التي تحاول أن يتحرك في محيطها هذا الأخير فالفعل المعرفي هو فعل إدراكي يستبطن في داخله مجموعة من الأنساق المضمرة التي تحاول أن توصل رسالة معرفية للمتلقى، فكان النص واللغة بالتحديد هي مجالاً للأيديولوجية والتي اشتغلت على وفق طريق ملتو من حيث البحث عن الكلام أو الحديث عن طريق القناع أو لسان الحيوانات أو اللسان البلاغي<sup>2</sup> فكل تمثيلات النص اشتغلت على مبدأ الانحراف والانزياح عن الوظيفة اللغوية التي يمكن أن نتلمسها في اللغة العادية التي حاولت الدراسات العلمية والموضوعية الحفاظ على حيادية اللغة ولكنها فشلت، لأن اللغة بنت بيتها وهي مجال التقاء مع السلطة والأفكار والتي يمكن أن تكون أفكاراً تأملية عقلية أو منطقية أو

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 71.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، 72.

أيديولوجية، فالفلسفة استعانت برموز وإشارات لغوية حاولت عن طريقها أن تحتوي الواقع الفلسفي وفضاء المجردات ومداراتها الفكرية، فالترويض الذي مارسه السلطة والفلسفة كان بمثابة ترويض للمعنى، لصالح الفعل البراجماتي الذي غيب كل فعل للوضوح<sup>1</sup> أو البيان حسب الجاحظ، "فمحمد سالم" في محاولته البحثية عن اللغة الشعرية الجمالية أظهر بأنها مسيرة وليست مخيرة، وأن الجانب السلطوي والفلسفي هو من المحركات الأساسية في تحريك النص إلى الفعل البراجماتي أو مقصديته الأيديولوجية، التي اختبأت خلف النص، ولا يمكن أن نجدها في المقدمة على وفق رؤية المدرسة الجشطالدية في العلاقة بين (الشكل والأرض) أو (العمق والشكل)، فالمعرفة عند "محمد سالم" في النص تتحول إلى سلطة تعمل على تحريك النص من خارجه وليس من العلاقات بين البناء النصي من حيث المعنى والدلالة، إذ الدلالة كلها عند الناقد ترضخ للسلطة والأيديولوجية. ولعل ما يكشفه "محمد سالم" على الفعل الأيديولوجي والسلطوي في النص ما هو في الأصل الا موضوع يمس في الأساس النقد الثقافي وليس النقد المعرفي، فالمعرفة لا يمكن أن تكون سلطة أيديولوجية أو فلسفية لأن عالم الفلسفة والأيديولوجيا هو عالم ونسق يخالف ما يمكن أن يقدمه النص الجمالي، فنجد اهتمامه ينصب على جانبين؛ اللغة والأيديولوجيا باحثاً من خلالهما عن حقيقة النص المعرفية التي يمكن أن نتلمسها في الفعل التسلطي ومقصدية المؤلف التي تعمل على استغلال النص واستثماره ويظهر هذا في مقارنة الناقد للنصوص الحلاجية شعريا .

#### أ- الحلاج وأعطاب المعنى:

ينطلق "محمد سالم" في تحليله للنصوص الشعرية للحلاج من جوانب لاهوتية أو دينية، إذ إن غياب المتلقي شكل ثيمة أساسية ومهيمنة فيما طرحه، فالحلاج صاحب محنة وهو ما قدمته المدونات التاريخية والدينية، ولكن ما يكشفه الناقد من انغلاق للمعنى

<sup>1</sup> - ينظر: محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص73.

لا يمكن أن يمثل نقدا معرفيا بحد ذاته، لأن مشكلة النصوص الصوفية ومنها نصوص الحلاج هي مشكلة تأويل لا أكثر، فالفلسفة الصوفية اشتغلت على مصطلحات ذات خصوصية ترتبط بخصوصية التجربة والمعجم الخاص لكل متصوف، فهي تجربة فردية وليست جماعية، ولقد عانت النصوص الصوفية من الشطحات والغموض واللبس حتى على الأتباع أو المريدين. وما قدمه "محمد سالم" في تأويله لمعاني النصوص نجدها تركز على تجربة (الفناء والبقاء أو الاتحاد) فالمعنى الديني انصهر بالتجربة، وكلنا يعلم أن التجربة الفردية أو المعجم الكلامي وقاموسه يخالف المعجم اللغوي، فالكلام تابع للسياق وما تحدده المعاني، فمحاولة "محمد سالم" المتمثلة في تأويل "تجربة الحلاج وعدم قدرة المتلقي في الواجهة الاستقبالية" يمكن أن نطلق عليها الجماعة المفسرة على وفق تصور "فيش" التي لم تستطع أن تفهم المعنى وتدركه.

فلو انطلق الناقد من التصور الإدراكي أو من محاولة تأويل الفهم الصوفي على وفق برامجاتية المتلقي لكان أفضل من أن يحيد عن الدور المعرفي الذي يبحث عنه النقد المعرفي، ولكن الاتكاء على المرجعيات المعرفية وأصول التوجه الصوفي عند الحلاج كان موضوع النقد المعرفي عند "محمد سالم" محاولا أن يربط بين المعلومة التاريخية والسيرية وحضور النص في هذا القرن، فانصهار الآفاق بين النص الصوفي الحلاجي والحدث التاريخي من المفروض أن يقدم معنى جديدا يرتبط بهذا العصر، ولكن دراسة الناقد قد خضعت لميزان الحضور المرجعي من حيث تحليل المصطلح الصوفي واللاهوت الصوفي مبتعدا عن مهمة النقد المعرفي الذي يبحث عن الحقيقة المعرفية، ولعل الحقيقة التي يمكن أن نكتشفها معرفيا في النص الصوفي؛ هو الصراع بين التراث والتجديد في ذلك العصر، لأن قضية الصراع بين القديم والجديد، تنطلق من أن التجربة الجديدة تكون فئوية وفردية، أما التجربة القديمة أو سلطة القديم تكون جماعية فهي في الأساس صراع بين الجماعي الثابت والمتكرر، والجديد الفردي الإبداعي والمتجدد،



فالذات في العبادة وبدون الوسائط النصية كانت مرفوضة في ذلك العصر وهو ما حاول أن يتغلب عليها الحلاج، أما التأويل الذي انطلق منه "محمد سالم" في فهم تجربة الحلاج أبعدته عن النقد المعرفي وأدخلته في حدود المنهج التأويلي وهو من المناهج النقدية الأدبية الحديثة. فالتأويل النصي تبلور حول بحثه عن المتلقي الذي يستجيب لمحنة، ويفهم معنى الحلاج والتي ربما أصبحت مشكلة شعرية واجتماعية تبحث عن التطور والتقدم وكل فكر حر بعيدا عن الجانب اللاهوتي والديني.

### ب- القناع دراسة في الشعر الإسلامي المعاصر:

إن الترابط الذي يكشف ما بين (تقنية القناع) و(الشعر الإسلامي المعاصر) يأخذ مسارات كثيرة ومتداخلة، ففضية المصطلح الإسلامي من قضايا النقد الأدبي الحديث التي تأرجحت بين الرفض والقبول لهذا المصطلح المتحيز عقائديا في كونه يُخضع النص الإبداعي لاشتغالات العقل الديني، فضلا على أن الالتزام في الشعر والذي يمكن أن يُضعفه مارس هو الآخر دوره، ولا نريد أن نكرر مقولة الأصمعي وإشارته إلى ضعف شعر "حسان بن ثابت" في الإسلام، ولكن هذا الطرح كان بمثابة الأصل الذي انطلق منه معظم النقاد الذي تساجله الأدب الإسلامي، وبعيدا عن إخفاقات أو نجاحات الأدب أو الشعر الإسلامي، فإن إدخال "تقنية القناع" وهي من التقنيات الشعرية الحديثة التي ارتبطت بالشعر العربي الحديث، حاول من خلالها "محمد سالم" أن يعود إلى أصولها الغربية وكذلك إلى قدرتها في تفعيل الجانب الدرامي في العمل الإبداعي الشعري من خلال العودة لقصيدة "انطباع في مخيلة صقر قريش" للشاعر الإسلامي "حمكت صالح"، لقد حدد معايير اشتغالات هذه التقنية التي تعد بمثابة قناع ترتديه الأنا وتتجاوز مع الواقع من خلاله، فتتبع مسارات الأنا في كل المراحل، وفي كل مرة يكشف عن وظيفتها. في القصيدة يقول: «بروز ضمير الأنا في القصيدة كلها من بدايتها وحتى نهايتها،

وهذا الضمير هو أنا القناع، المقابل ل أنا الشاعر/الراوي»<sup>1</sup>، ويقول أيضا: «أوحت القصيدة بترميز الأنا من الواقع، إلا أنها توحى بأن الوقت قد حان لتجاوزه»<sup>2</sup> وإن حضور الأنوية للأقنعة التاريخية ولاسيما الإسلامية بكل رموزها، قد أعطى أبعادا ومعاني ثورية ومتطورة في النص، والتي يمكن أن تقدم إشارات رمزية يمكن أن تعد معرفية تنتقد الواقع، فحضور رموز دينية وتاريخية محددة بمثابة انتقاء لرموز إسلامية وإن كانت هذه الأقنعة في الأصل أقنعة متداولة في كل النصوص الشعرية الحديثة، فالتبلور حول القدرة الرمزية وحضورها المرجعي وسياقها الجديد عدّه "محمد سالم" من اشتغالات النقد المعرفي والتي في الأصل لا يمكن أن تمثل اشتغالات معرفية، بقدر ما يمكن أن تمثل اشتغالات للنقد الأسطوري أو النقد الأدبي، فقد كان من الأخرى أن يبحث مثلا في تقنية القناع وحضورها في النص الحديث ولا سيما الإسلامي وعن الجانب الاستعاري ويربطه بالاستعارة الإدراكية أو الاستعارة المفهومية التي ذكرناها سابقا، فتقنية القناع هي استعارة عن سياق معرفي وثقافي وفكري كبير، ونافذة يطل عن طريقها المتلقي إلى الحقيقة الغائبة عنه، فالقناع يكشف ويظهر الحقيقة عن طريق المرجعية التاريخية ورمزية الاسم الديني أو التاريخي وحمولته الفكرية والمعرفية، وهو ما نجده أقرب الى النقد الأدبي، فتنوع الأقنعة هي تنوع المعارف.

### ت - صناعة الذات الشعرية:

تفتن صناعة الذات الشعرية في لحظة الاختيار الزماني والمكاني لتجربة شعراء شباب ارتبطت تجربتهم الشعرية ببيئة مدينة الموصل في العراق، فالزمان كان حاضرا وله تأثير مهيم على تجارب هؤلاء الشعراء، فاختزال تجربتهم كما وصفها محمد سالم بتجربة صناعة الذات الشعرية ما هي إلا بحث عن خصوصية التجربة الفردية أو

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص130.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص130.

الإبداعية لكل شاعر، والتي استجابت لمرجعيات أو ظروف خارجية كانت بمثابة الموجّهات التي أثرت على شعر التسعينيات في العراق ولا سيما في مدينة الموصل، فالكل يعلم أن العراق تعرض لحصار اقتصادي ظالم كان له تأثير على معظم الدلالات والمعاني الشعرية، فالتجريب الذي خضع له الشعر، انطلق من فلك ومعانٍ أخلاقية وإنسانية تحاول أن تتجاوز الواقع المرير، فالبور التي كشفها "محمد سالم" لم تبتعد عن بؤرة المفارقة، والحلم والتأمل والتطلع والأمل وكلها تشير إلى مستقبل زاهٍ بحث عنه كل تجارب هؤلاء الشعراء، يقول في ذلك: «نسجت الأعمال السابقة هموماً إنسانية عدة، وقدمت نماذج صناعة الذات انطلاقاً من البحث عن إشكالية الحقيقة ومحنة المعنى، ويمكن تحديد البؤر الرئيسية لأعمال السابقة من تصوراتها لمكابدات عدة بدءاً من معاناة الكلمة، وجراح الحروف، مروراً بأزمة الإنسان»<sup>1</sup> فبؤرة المفارقة التي اشتغلت عليها نصوص "أحمد جار الله" كانت قريبة إلى المفارقة الهزلية أو السخرية من الواقع الذي فرض وجوده، فالانعكاس صورة للواقع أو تشويه له، فكان بمثابة إنذار حقيقي لخيبة الأمل الذي عانى منها الإنسان العراقي ولاسيما الموصلية، فالتجربة الشعرية عندما اختزلت كل معاني الأمل والتطلع والحلم ما هي إلا هروب من الواقع ومحاولة لفتح فجوة في بوابة الزمان وتحديد المستقبل الذي أصبح يلفه شيء من الغموض وعدم تحديد الرؤية، فالتحليل النقدي الذي قدمه "محمد سالم" لهذه النصوص التي كانت بنت بينتها الموصلية، بحثت عن القيم الإنسانية ولاسيما عن الجانب التراجيدي الذي كان مصحوباً بالحزن والألم والضياع، فاقتران معاني الشعر بالدلالات المفتوحة التي بحثت عن الشمولية في الطرح الإنساني في الحقيقة لا يمكن أن يلامس الجانب المعرفي في النص، وهذا ما جعلنا نتساءل: لماذا عدت هذه التجارب الشعرية ومعانيها المتعلقة بالإنسان تنطوي على معاني معرفية حتى أن الجانب التحليلي لم يخضع لا للشمولية الفلسفية

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 371.

ولا للشمولية المنطقية وكانت هذه التجارب الشعرية ونقدها من قبل محمد سالم أقرب الى النقد الأدبي منها إلى النقد المعرفي .

### ث - أطياف النص وجماليات التأويل:

تكمن الأهمية الكبيرة للقراءة النقدية في قصيدة (بلال) "حكمت صالح" الشاعر الإسلامي في كونها كما ذهب "محمد سالم" تتقمص شخصية الرجل الأسود الزنجي وتجمع ما بين البعد المكاني إفريقيا والبعد الجنوسي اللون الأسود للزنجي.

تمثلت القضية الرئيسية في تسليط الضوء على حالة التهميش التي تعاني منها فئة مسحوقة ومقصية تجسدت في الجنس أو اللون الأسود والتي حاول الشاعر "حكمت صالح" أن يعالجها من منظور إسلامي كبير في اختياره لشخصية "بلال" وكيفية تعامل المسلمين مع هذه الفئة، وقد دلل "محمد سالم" على اختيار "حكمت صالح" لبلال، بالآية القرآنية من سورة المؤمنين، قائلاً: «هو يدافع عن كتلة من البشر تتلاشى عندها كل الحواجز لبنة وبين أبنائها، يشده إليهم الانتماء الإيماني: وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون»<sup>1</sup>، فالعودة للقرآن وربطه بالمعطى الشعري، يعتبر أكبر دليل على منطق الاستثمار الذي وظفه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت الطريقة التحليلية للناقد (محمد سالم) تتكئ على مستويات عدة منها: المستوى البلاغي والمستوى الوزني والمستوى التركيبي والتجمعات الصوتية، فكل هذه المستويات في الحقيقة لا يمكن أن تمثل آليات لاشتغالات النقد المعرفي، إنما هي أقرب إلى المنهج البنيوي، ونجده في نهاية تحليله يقول: «نخلص إلى أن الشاعر كان صادقاً في معاشة آمال وآلام الإنسان الأسود في إفريقيا وفي المهاجر الأوروبية والأمريكية، وتفاعل مع معضلاته ومآسيه

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 114.

إلى الحد الذي أفرز ديوانه على عتبات الجنة السمراء»<sup>1</sup>، وكأنها نهاية مماثلة لكل النتائج التي مورست بالنقد الأدبي.

إن عملية المعنى العام في الحفاظ على حقوق الزنج هي أقرب إلى نقد الأنساق الثقافية والنقد الثقافي من النقد المعرفي، ولكن ما نحاول أن نكشفه يرتقي مع معاني كثيرة حاول النقد البنيوي لهذا النص أن يغيبها، "فمحمد سالم" لم يوفق في ممارسته التطبيقية على النصوص، ولم نجد حضوراً للنقد المعرفي الذي مثل موجهاً رئيسياً في هذا الكتاب.

ولو أردنا افتراض أن النقد المعرفي في هذه القصيدة يكشف عن قضية إنسانية سامية ترتبط بالمطالبة بحقوق هذه الأقلية أو الفئة التي عانت من التهميش هو في الحقيقة أقرب إلى النقد الثقافي منه النقد المعرفي.

## 2- الفاعلية المعرفية على النصوص السردية

### أ- اقنعة النص السردية:

إن المتأمل في المقدمة البحثية لأقنعة النص السردية، يجدها توأم المقدمة البحثية للمعرفة الزمنية عند "يمنى العيد، والذي من شأنه أن يحدّ من الإمكانيات القرائية لنا، خاصة ونحن نبحث عن منهجية اشتغال النقد المعرفي عند "محمد سالم"، والتي تجتمع فيها، الأدوات والآليات والإجراءات، والرؤية النقدية للناقد التي ستفتح مسارات عدّة أمامنا، إلا أن ما وجدناه، يكاد يكون سطوراً مكررة تنتهج نفس النهج في التقديم، وتعيد الأفكار، بطريقة توحي بأن أقنعة النص السردية هي نفسها المعرفة الزمنية.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 114.

وفي حدود قراءتنا للمقال "أقنعة النص السردي" وقد جاء الجديد منه في حدود صفحة واحدة، نشير إلى أن الهدف واحد، وهو البحث عن تشكل الزمن، مع اختلاف في المدونة التطبيقية، إذ إن هذه الدراسة اتجهت صوب "ناديا خوست" في مجموعتها (لا مكان للغريب)، يقول محمد سالم: «إن في مجموعة لا مكان للغريب تشكلات للزمن توحى بمستويات عدة للتلقي، على صعيد السلب والايجاب، فعند إجراء مدخل نقدي لصياغة العنوان، يمكن الوصول إلى نوعين من الزمن: زمن متوقف زمن حركي»<sup>1</sup>، فقد عمد إلى قراءته التأويلية لقراءة إحياءات الزمن من عناوين الأعمال لا من الأعمال البحثية، وقد تمثلت هذه العناوين في: «لا مكان للغريب، الحب القديم، موجة الشمال، لو تكلم الموتى، الوحيدة، العجوزان، متر في مترين.. توحى بالزمن السردي السلبي»<sup>2</sup>، فهذا الاستنتاج لم يأتي من قراءة الأعمال بل أوحى إليه دلالة الألفاظ وكذا الأدوات النحوية، فما بين "لا" للنفي، إلى "لو" التي تدل على امتناع الجواب والمقترنة بالموت، إلى مفردات الوحدة والقديم وغيرها، تم بلورة هذا الاستنتاج المتعلق بالزمن السلبي.

إن الاقتراب من موضوع النص في السرد اختزله "محمد سالم" في مسارات محددة تمثل الأول في "كون انفتاح النص يدعو إلى التأويلية. أما الثاني؛ هو معالجة تشكل الزمن، وإن الجانب المهم عند الناقد من النص السردي هو موضوع الزمان والذي عده الفجوة أو الفراغ التي يمكن أن تُملأ بحضور معرفي، فالزمان حسب التوجه النقدي الحديث يشكل أحد العناصر المهمة في النص الروائي من حيث حضوره المتنوع ما بين الزمن الخارجي والزمن الداخلي، إذ الزمن الخارجي يرتبط بزمن الراوي والسارد. والزمن الداخلي وهو الذي يمثل مجموعة من الثيمات في النص السردي الإبداعي التي ترتبط

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 380.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 380.

بالاختصار والفلاش بك... الخ، وهو من العناصر المهمة، فضلا عن علاقة الزمن مع العناصر الأخرى كالشخصية والمكان وغيرها.

ولعل ما يمكن التركيز عليه فيما طرحه "محمد سالم" هو البحث عن علاقة الزمان مع العناصر الأخرى، فالطرح الذي قدمه في الحقيقة لا يخدم طرح النقد المعرفي فهو يركز على جوانب نقدية أدبية لم تغادر معايير السردية التي شرعها النقاد والباحثون، ولا يمكن أن نتصور أن هناك علاقة بين الزمان والمعرفة فيما طرحه "محمد سالم" فكل ما يمكن أن نجده هو عملية تبسيط لحضور الزمان في السرد.

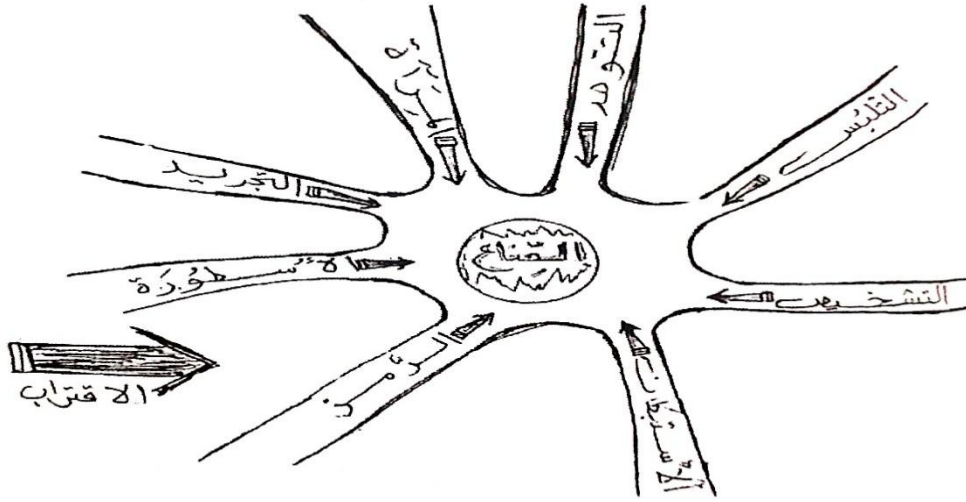
### ب- سردية القناع:

ينتقل "محمد سالم" بالقناع من النص الشعري إلى النص السردى، مبرزاً ملامح تشكل القناع، عبر مساراته التاريخية محدداً تقنيته عبر الحدود والمرجعيات التي عملت على تدشين لحظته والتي عمل عن طريقها الشعراء في تفعيل الجانب الدرامي في القصيدة العربية، متناولاً أيضاً شروطه وأسبابه وأنواعه وأنماطه، لنتساءل نحن عن الشروط المعرفية التي اشتغل بها الناقد في الانتقال بتقنية القناع من الشعر إلى السرد.

يقف الناقد عند إشكالية المصطلح، ونحن ندرك تماماً أن المصطلح ذو حمولة معرفية وأيديولوجية وثقافية، مبرزاً تداخلات القناع مع مصطلحات أخرى، ليبحت في خلفياته المعرفية، يقول في ذلك إن «المصطلح عموماً يحمل في انتمائه هوية حقله المعرفي الذي ينمو في محيطه، ويكتسب خصوصيته في الاستعمال الذي يشكل أهمية بالغة في النتائج والممارسات التأويلية، غير أن المحيط المعرفي يتلاقى أحياناً بمفردات تحمل في مدلولها معنى يقترب أو يبتعد عن المصطلح المشتغل عليه، لذلك نحاول أن نجد الإشارات الخفية التي تكشف عن حدود الانفصال الكلي أو الجزئي»<sup>1</sup>، وما

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 152.

الإشارات الخفية، إلا تعامل مع ظاهرة القناع، من حيث وعيها، وهو ما يبرر به تلك اللمسة التي توحى باشتغالٍ بالنقد المعرفي، وكما أشرنا سابقاً فإن هذا الأخير، يبحث دائماً فيما وراء الظاهرة. ويمكن بيان المصطلحات التي تداخلت مع القناع على النحو الآتي:



الشكل 24 علاقة القناع بالمصطلحات القريبة منه

المخطط: <sup>1</sup>

لقد أدى القناع مهمة جعلت الشعراء تعود بهم إلى الاستعارة من التاريخ لشخصيات تاريخية يتخذها الشاعر بوصفها قناعاً في التأثير على الوقت الحاضر، ومع الانتقال نحو السرد، يعود "محمد سالم" لشخصية الأرقش التي تناولها "ميخائيل نعيمة" في عمله الإبداعي، ليسقط تحليله على أهمية القناع في فكر نعيمة، ويبرز دور هذا الأخير في تحقيق البعد الفكري لمنقصه، يقول «لقد أرتكز القناع في هذه المذكرات على تلك السمات الأربع (الراوي، تعدد الأصوات، المونولوج، الحوار)، إذ قام بتوظيف هذه التقنية

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 157.



عن طريقها، وقد جاء بناؤه بناء دائريا لا يقدم أحداثه بشكل متسلسل فضلا عن زمنه الذي لم يحظ بقيمة في العمل الحكائي»<sup>1</sup>، ومن هذا النقد يعرفنا "محمد سالم" باشتغال البنية الذهنية عند "ميخائيل نعيمة" في اشتغاله بتقنية القناع، التي لم تنل ذلك التوظيف المنهجي ولا حتى المعرفي، فالمنهجي يتمثل في عدم التسلسل المترابط، أما المعرفي، فيعود لغياب الزمن وما يمكن أن يحمله هذا الأخير من معطيات معرفية، وقد تم ذكرها من حيث وجهة الناقد عندما بحث فيها، مع التأكيد أيضا على أن الناقد لم يترك للقارئ فجوة معرفية ليجت في سبب غياب الزمن عند توظيف القناع، بل أسهم في إعطاء مبرراته العلمية المتمثلة بأن قضايا الموت والتوجه الصوفي والسعي لمرضاة الله، قضايا ناظرت قيمة الزمن قد تم تفضيلها على هذا الأخير.

وفي جانب آخر قمين بالاهتمام، نجد نقد "محمد سالم" لمذكرات الأرقش، وما نقد الأرقش إلا نقد لميخائيل نعيمة، فليس كل عمل فني بريئا أو صاف، هو نشاط بشري تتماهى فيه المعرفة والأيدولوجيا والنسق الحضاري، ليبين نمط البنية المشتغل عليها، وللوقوف فيما ما طرحه الناقد في هذا العنوان: **نقد مذكرات الأرقش**، نشير في البداية إلى أن النقد ما هو إلا قراءة للنصوص كما تقول "يمنى العيد"، **«والقراءة نشاط ذهني يمارسه القارئ يحتاج لأدوات كي تصبح نشاطا ومنتجا»**<sup>2</sup>، وكل نقد هو إنتاج للمعرفة، تلك المعرفة تنتظر أيضا من يطورها ويسمو بها، لقد وظف الناقد قراءته الذهنية في هذا النقد، محولا بذلك نصوص نعيمة لفعل للمعرفة، كاشفا من خلال نقده عن القيم التي نهض عليها ذلك النص أثناء توظيف القناع، مشيرا أيضا إلى مبدأ جوهرى، والذي يجسد به عمق بحثه، وهو البحث في سرديّة القناع من خلال عقليتي نعيمة والأرقش، حيث

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 166.

<sup>2</sup> - يمى العيد: الراوي: الموقع والشكل، دراسات في السرد الروائي، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1986، بيروت-لبنان، ص 14.

يقول «اختار المؤلف عنوان مذكرات الأرقش لأن المؤلف أرادها بهذه الصيغة، وهذه المذكرات ليست إلا وقائع سردها المؤلف وليست قناعا تاما، فكل ملمح من القناع لابد من مطابقته للمؤلف وقد جاءت الملامح كلها لتقول أن المؤلف افتعل تلك الشخصية لتعبر عن آرائه وفلسفته ورؤيته للكون»<sup>1</sup>، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد تم البحث عن القناع من خلال منهجية الضمائر، مستثمرا نصا نقديا ليبرز هو تحليله المعرفي، المتضمن نتيجة توظيف القناع بين الأرقش ونعيمة يقول: «يسقط أحد الشروط الأساس في تقنية القناع وهو التوحد ما بين المؤلف وقناعه فالتطابق يجب أن يكون تاما بينهما بحيث يصبح من الصعب الفصل بينهما لن أكون حتى تكون أنت»<sup>2</sup>، ومن خلال هذا الطرح، نستنتج المعطيات الآتية:

- يمثل القناع سمة فنية، تخدم غرض النص الدرامي، يفعلها الباحث بطريقة خاصة ليعبر بها عن توجهاته.
- في القناع شرط أساسي، يتمثل في ضرورة تماهي شخصية المؤلف، مع شخصية القناع، ليحدث البعد الفني.
- غلبت الأيديولوجيا في الممارسة المنهجية عند ميخائل نعيمة، فقيمه العقائدية، أخذت حيزا كبيرا من دراسته، فكان غرضه إيصال رسالة. تخدم غرض توجهاته، مما خلف ضعفا على المستوى الإجرائي في توظيف القناع، وهو بعد التماهي، بينه وبين الأرقش.
- أضاف لنا الناقد "محمد سالم"، مقولة معرفية، يكمن استثمارها في البحث عن سرديّة القناع، وهي؛ (لن أكون حتى تكون أنت)، والتي عكست عمق تفكيره.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص178.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص175.

### 3- الفاعلية المعرفية في النص المسرحي:

أ- تراجيديا الصمت:

"تراجيديا الصمت؛ فاعلية النص السردي المسرحي": عنوان يثير في القارئ حب الاكتشاف والبحث والممارسة، عنوان يدعو لشوق القراءة، وشوق المعرفة، ينقلنا الناقد إلى العمل المسرحي بمقدمة ثرية يكشف فيها عن حقيقة الثراء المعرفي الذي يقدمه المسرح، بدءا بالواقع، ثم الزمن، ثم الذات، وأخيرا الصيغ الإنسانية، هي تمثلات، يجسدها المسرح في صيغ تعبيرية، تحمل معرفة، يقول: «يتسم العمل المسرحي بتقديم العالم بصيغ عقلانية من خلال تظافر تقنياته التي تستند على ثنائية تشكيل اللحظة الغائبة في الواقع المعيش، وعلى صياغة اللحظة المتخيلة في الزمن المقبل، وتعمل هذه الثنائية على تمثل أزمة الحدث، ومحنة المعنى، لتتجه إلى صياغة المعنى التراجيدي للوجود»<sup>1</sup>، فالعمل المسرحي من وجهة نظر الناقد، له منهجية تخضع للعقلنة، من خلال الربط بين اللغوي والعقلي في تجسيد ما هو غائب، ومن خلال تجسيد المظهر الإبداعي المتجسد في المتخيل، بين التحام الاثنين، يرسم المعنى الذي يمثل الواقع.

يركز "محمد سالم" في المسرح على المؤثرات الخارجية والتي أصبحت لها سيادة في النص المسرحي تختلف عن سيادة النص ذاته، فالإضاءة والديكور والحركات كلها أصبحت نصا موازيا يوجه المعنى داخل النص المسرحي، ففاعلية الجانب الحركي والذي قد «أدخل كعلم جديد يعرف ب البروكسيما علم الحركة في المسرح»<sup>2</sup> إضافة إلى لغة الجسد التي لها تأثير وتأويل يساعد على فهم المسرح، وإسقاط التحليل على العمل المسرحي "زوار الليل للكاتب علي عقلة عرسان" فيه إشارة إلى الفاعلية التي سوف يمنحها هذا النص من معرفة تكتنز كنظم من العلامات، ولكن الجانب التطبيقي من قبل

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص213.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص213.

"محمد سالم" كان يفتقر إلى التحليل المعرفي في المسرح مع العلم أن المسرح مجال، يمكن أن يساعد في اشتغالات المعرفة، أي كيف تجسدت المعرفة ضمن منطق الإدراك؟ ولكن التركيز على التحليل والغوص في أعماق النقد الأدبي أبعد تحليل "محمد سالم" عن معطيات النقد المعرفي.

#### ب- موت المسرح:

شهدت الساحة النقدية في العقود الأخيرة فوضى في المفاهيم في ظل التداخل المعرفي، ما جعل المعرفة النقدية تُبنى على فكرة الموتية التي تخضع لمبدأ إعدام السابق، وتمجيد التبعية للاحق الجديد؛ فمن موت البلاغة أو دمجها في الأسلوبية كما أراد البعض لها، إلى موت المؤلف، إلى موت الناقد، إلى موت النقد الأدبي، لنجد أنفسنا أمام عبثية معرفية تريد أن تسجننا في دوامة تؤمن بأن المعارف الجديدة تكون لها القدرة والأحقية على معالجة ما تم العجز عنه من قبل السابق، فتكون لها شرعية البقاء على الأخرى، ومع موت المسرح، نجد انتقالاً نحو الأجناس الأدبية، فالناقد أراد تلمس هذا الموضوع تحديداً، وحسب اطلاعنا، فإنه محاولة البحث فيه من جانب الموتية يعتبر أول خطوة معرفية تعالج هذا الموضوع من منظور النقد المعرفي الذي يسعى للتكاملية والشمولية، ورفض فكرة الموتية

بداية، ينطلق الناقد من فكرة مفادها «أن المسرح يحمل بطاقات معرفية لها جوانب إنسانية منفتحة على اللغة ومكملة للنقص الثقافي لدى الآخر»<sup>1</sup>، وعلى الرغم من هذا فإنه يشير إلى موطن الضعف المتمثل في الأزمة الثقافية والتي جعلت النقاد يسارعون لإعلان موته ليشكل الإطار العام في السؤال المعرفي الذي يحاول أن يجيب عنه والمتمثل في: «هل مات المسرح، ومن أعلن موته، وما أسباب ذلك، ومن سيقوم بتشجيعه وإن لم يكن ميتاً هل هو في حالة احتضار، وما هي العوامل الضرورية في انتشال المسرح من غيبوبته، وإعادته إلى مكانته في تمثيل مفردات الإنسان وتقديم همومه والتطلع

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 381.

إلى مستقبله»<sup>1</sup> يمكن أن تشكل هذه الأسئلة المعرفية مشروعاً يتماهى مع النقد المعرفي في كون المسرح الذي كان مركز التقاء كل الاشكاليات التي نجدتها في الواقع قد تم تجاوزها الآن عن طريق التمحور حول عدم قدرة المسرح في الإجابة عن أكثر الاسئلة المشروعة التي يمكن أن تشكل مجالاً لاشتغالات المعرفة .

يجيب "محمد سالم" عن هذه الأسئلة من خلال بحثه المتمثل حول طبيعة المسرح الوظيفية، أنسنة المسرح، أنشودة التواصل المسرحي، مرحلة ما بعد المسرح، جاعلاً من هذه المحاور آفاقاً معرفية وجمالية، «فالمعرفية تحدد مواطن ثقافة الظل وتسعى لتعريفها، وجمالية لرسمها صيغ التعامل الفني القادم مع المسرح»<sup>2</sup>، وهي إحالة لمقولة النقد المعرفي؛ مقولة الجمالي المعرفي، التي سوف يستنتجها الناقد في المسرح.

تحدد طبيعة المسرح الوظيفية حسب الرؤية الاستشراافية التي طرحها الناقد، والتي قدمها من خلال تساؤله هل «للمسرح المعاصر دور في جوانب الحياة المختلفة»<sup>3</sup>، ليجعل من تساؤله، نمطاً معرفياً يعالج قضايا الذات الإنسانية، مجيباً ومقدماً فاعلية المسرح التي يجب أن تكون في القول الآتي: «الدور التواصلي الذي من المفترض أن يقوم به المسرح، يتزامن مع طرح المشكلات الفكرية والفلسفية والعقائدية للإنسان، ثم البحث من خلال ذلك عن أنفسنا وعن مجمل الحقائق التي نتعايش معها، ثم تقديم الكلمة الموظفة المرفقة بالأداء والمحملة بالصدق الانساني»<sup>4</sup>، فنستنتج نحن من طرحه ما يأتي:

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 381.

2 - المصدر نفسه، ص 381.

3 - المصدر نفسه، ص 381.

4 - المصدر نفسه، ص 382.

\* يجب أن يضطلع المسرح بتحقيق العملية التواصلية. فهذا المبدأ يخلق تلك القيمة المعرفية التي تعطي مكانته.

\* ضرورة مواكبة المسرح للتطلعات وللمشاكل التي يعاني منها الإنسان، من حيث الاقتراب من اللحظات الفكرية والفلسفية والعقائدية، فهذه اللحظات الثلاث قد تم بيانها بشكل موسع في مسارات المنظومة المعرفية للفراهيدي، وبيننا أثرها في توجيه الدلالة.

\* مثل الناقد وظيفة أسمى، يأمل أن يحققها المسرح، وهي الوصول إلى الحقيقة وما الوصول إليها إلا غوص في منطلق الإدراك والفهم، وتشغيل للبنية العقلية. لتمثل الانعكاس الخاص، بين التجربة وبين الحقيقة.

أما فيما يتعلق بأنسنة النص، فإن الدور العملي للمسرح، يتوازى مع الطبيعة الوظيفية الاستشراافية التي تجسدت، فقد أراد الناقد أن يجعل من هذا الأخير بوابة معرفية تستوعب مشكلات الإنسان المعاصر بما يتناسب مع التحول المعرفي والثقافي.

ومرورا بأنشودة التواصل المسرحي، يوسع الناقد من دائرة التواصل، ويمثل له أطرافاً، تندرج ضمن معطيين، فالأول ما لامس أطراف الحدث الكلامي، والثاني «تواصل بين الناقد بوصفه الرقيب والنتاج المسرحي بوصفه الممارس»<sup>1</sup>، وفي نفس الوقت فإنه يشير إلى إمكانية عدم تحقيق التواصل الثاني، على اعتبار أن المسرح لا يقبل النقد، «وتقصير النقد لمراقبة المسرح»<sup>2</sup>، إنها محاولة جادة من طرف الناقد، أراد أن يصنع هوية معرفية تحمي المسرح من مقولة الموت، وتجعل منه جنساً أدبياً قادراً على تمثّل المعطيات المنهجية وفقاً لمقولة الجمالي المعرفي.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 384.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 384.

والحديث عن مرحلة ما بعد المسرح، هو عود لفكرة الكاتب الأوروبي "غروتوفسكي"، الذي أشار إلى هذه الفكرة، وقام بطرحها "محمد سالم"، مفسرا وموضحا، سبب إطلاق هذه المرحلة، مبينا في الوقت ذاته واقع التعامل النقدي للمسرح الذي أصبح محدودا، ومهمشا في بعض الأحيان، ذاكرا الأسباب المعرفية التي آلت لتدهوره، فمن بين الأسباب التي طرحها: «غياب الهم الفكري أو المشكلة النفسية من تكوين النص المسرحي مما أدى إلى تسطيحه، وهيمنة التقنية الحديثة وتأثيراتها العصرية في الجنس الإبداعي التقليدي وتجاوزه في مرحل مقبلة»<sup>1</sup>، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى قد تم ذكرها من لدن الناقد، فهذه المحدودية لن تمنح المسرح امتدادا منهجيا في المستقبل، لذلك تحدث عن مرحلة ما بعد المسرح، كرؤية استشرافية، توضح ما سيؤول إليه المسرح مستقبلا، مقدا الناقد حلولا لعل أنجحها، هو أن «حيوية النتاج الأدبي بأشكاله المختلفة، تتوقف على المجتمع المستنير الساعي بشكل دائم لاكتساب العلم والمعرفة»<sup>2</sup>، أي أنه أراد القول بأن ثقافة التطوير، مرهونة بالذات الإنسانية، ومدى تطلعها للعلم والمعرفة.

#### 4- الفاعلية المعرفية على الخطاب الروائي

##### أ- البناء السردى في الرواية العربية الحديثة:

يقدم "محمد سالم" في اختبار النقد المعرفي على روايات نجيب محفوظ ولأسيما ما يمكن أن نطلق عليه الرؤية الشاملة لقضية فلسفية متطعمة بجانب ديني، "فنجيب محفوظ" كان صاحب تجربة إبداعية ارتبطت بعصره وواقعه، فقد صور الواقع الاجتماعي وعكس كل ما يمكن أن نطلق عليه أيديولوجيا العصر، مركزا الناقد على رواية (الطريق) وهي رواية وجدها معظم النقاد بأنها تدمج ما بين الطرح الفلسفي والطرح الديني، وهو ما تبلور

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 385.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 386.

في نقد "محمد سالم" لها، يقول: «نخص حديثنا حول رواية الطريق، فقد تعددت الآراء، وتشعبت حول الطريق الذي أراده نجيب محفوظ، أهو البحث عن الحقيقة، أم البحث عن الله، أم البحث عن شيء آخر، أم لا يوجد بحث أصلاً؟»<sup>1</sup> فقد اتخذت هذه الرواية من غياب الأب الثيمة الأساسية للبحث عنه، ونجد تركيز محمد سالم يندرج في البحث عن الحقيقة وعن الله والخروج من عبثية الحياة، فالشخصية الرئيسة كانت متمردة وكان عنصر الغواية الأنتوي موجودا في شخصية "كريمة" التي غيرت مجال بحث صابر من الأب إلى المال وعملت على أن يدخل في متاهة القتل، فالرواية هي اختبار للاوعي العنف الذي يختزله الإنسان.

يهتم "محمد سالم" بالجانب البنائي في هذه الرواية من حيث الحدث والزمان والمكان والشخصية، مهتما أكثر بالبناء الذي أولاه عناية كبيرة من الدراسة وهو الإطار الذي يساعد على التماسك بين العناصر الروائية.

فالجانب الجمالي ربما غاب عن هذه الرواية لصالح الجانب الفلسفي من حيث ما يمكن أن نجده من قدرة في تشكيل رؤية دينية عن طريق البحث الدائم، فالأب هو الرقيب الذي يعمل على تشكيل سلطة رمزية توجه وتضبط عمل الإنسان، "محمد سالم" حاول أن يحافظ على معايير البناء السردية التي وجدها في رواية الطريق والتي اشتغلت على سبب ونتيجة واضحة، ولكن ما يمكن أن نكشفه في هذا التحليل لرواية الطريق وفي الممارسة النقدية التي قدمها الناقد؛ أنها انكأت على المعطيات المنهجية والتحليلية بالنقد الأدبي أكثر مما يمكن أن تصف بأنها نقد معرفي .

ومما تقدم في هذا البحث التطبيقي أو الاختباري لآليات اشتغال النقد المعرفي في النصوص الإبداعية، نجد أن "محمد سالم" لم يضبط أدواته النقدية المتعلقة باشتغال النقد

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 180.



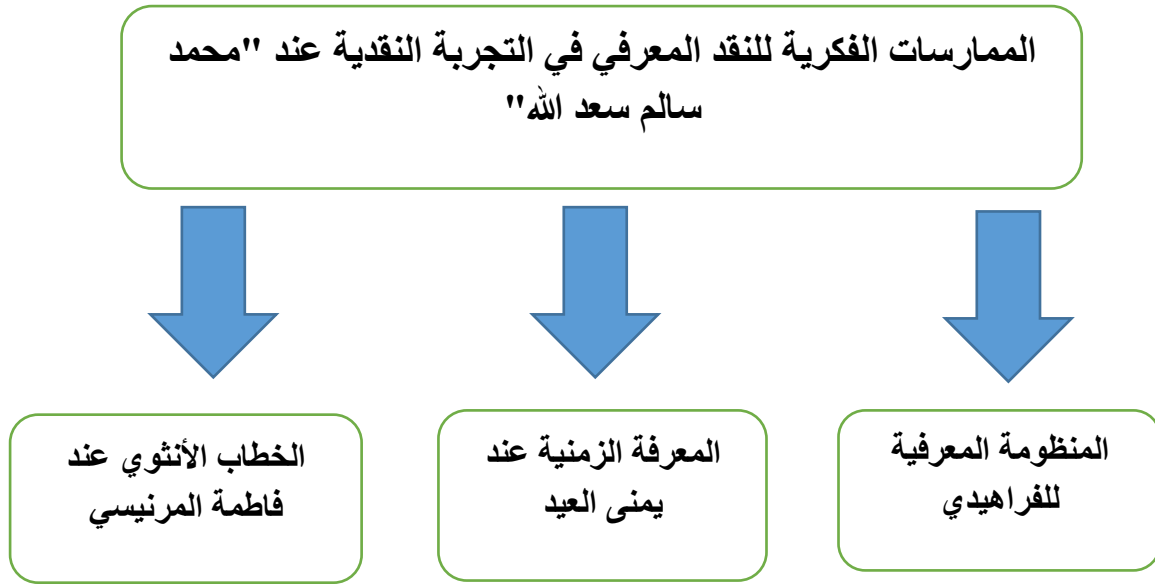
المعرفي، وربما يرجع هذا؛ إلى أن هذا النقد مازالت معالمه الإجرائية لم تتضح بعد، فهذه أول مقارنة عربية، وثاني مقارنة بعد مقارنة "بيترستوكويل"، فمعظم ما يمكن أن نجده في هذا النقد هو حضور متفاوت للبعد الإدراكي، لاستنطاق المعرفة، من ثنايا النصوص، مع طرح أسئلة جوهرية، تثير في القارئ حب الممارسة والاكتشاف، إضافة إلى وجود مقولة الجمالي المعرفي التي حاول أن يطبقها.

يمكن الإشارة أيضا إلى أن المرجعيات الفلسفية والأيدولوجية التي وجدها محمد سالم في الخطاب النقدي عند بعض التجارب النقدية أو الفكرية هي أقرب إلى نقد الخطاب.

#### **رابعا/الممارسات الفكرية في التجربة النقدية عند محمد سالم سعد الله:**

يتأسس وعي الناقد على تلك الممارسات الفكرية، التي تقدم معارف النقاد أرضية اشتغالية، يكشف من خلالها عن تكون البنيات العقلية، ليطور من خلالها منطق الفكر، ويوسع من حدود ممارسته. فالأمر لا يتعلق بممارسة نقدية فعالة تنتج رؤية، بقدر ما يحتاج لدعائم تأسيسية تسهم في تخصيب الفكر، لذلك وسمتُ هذا المبحث بالممارسات الفكرية، حتى نقف عند أهم المحطات التي اشتغل عليها الناقد وهو يمارس تنقيبه في القضايا النقدية ليبيلورها في شكل منظومات معرفية.

ويمكن أن نحصل بداية تلك الرؤية الممارسة في المخطط الآتي:



الشكل 25 مجالات الممارسة الفكرية للنقاد محمد سالم سعد الله

## 1- المنظومة المعرفية للفراهيدي:

إن المتأمل للدراسات السابقة بخصوص الفراهيدي، يجد أن ما تم البحث فيه يكاد يكون متقاربا خاصة فيما تعلق بالجانب النحوي، كالمنظومة النحوية المنسوبة للفراهيدي "لأحمد العيفي"، ثم دراسة وسمت (بالأبستمولوجيا اللسانية عند الخليل من البنية العقلية التكوينية إلى البنية الحضارية)، والتي تحسب على أنها الأقرب لما طرحه "محمد سالم" على الرغم من أنها جاءت موجزة جدا، وترجع ندرة هذه الدراسات في اقتصارها على الجانب النحوي فقط إلى أن نتائج الخليل وطروحاته كما صرح "محمد سالم" لم «تصل إلينا كاملة، ولذلك تبقى الآراء النقدية أو المناقشة أو المحاوراة لمنظومة الخليل نسبية غير مطلقة»<sup>1</sup>.

إن العودة للتراث العربي الإسلامي، واختيار عينة منه، أو نموذج للفحص والتقيب، وعنوانه بالمنظومة المعرفية يشكل تصريحا واضحا بأن التراث العربي

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 306.

الإسلامي في كليته يشكل منظومة معرفية، نظرا بما يزخر به من نتائج أسهمت في بلورة مشروع معرفي إنساني.

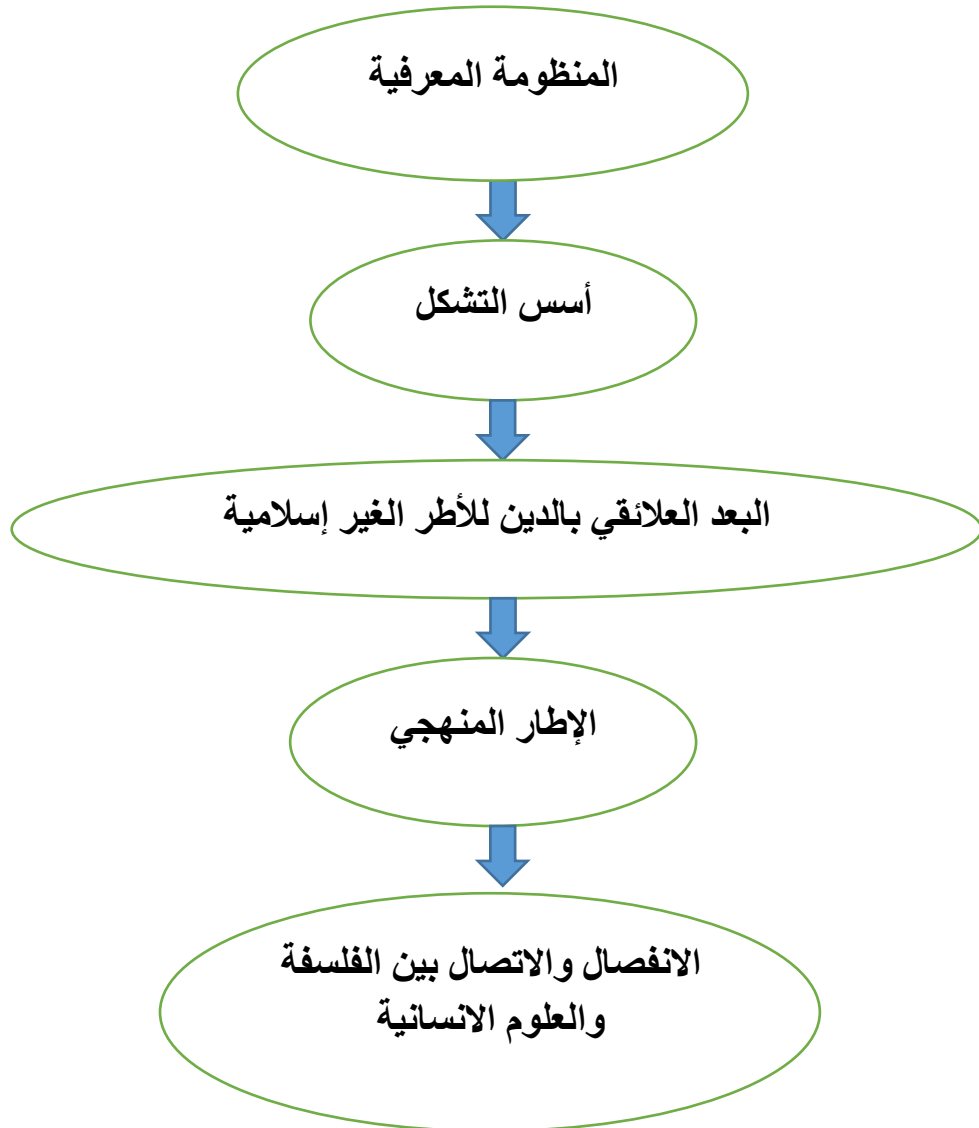
وكما أشرنا سابقا إلى أن النقد المعرفي نقد ميزته العودة للمعارف السابقة، لاستثمارها من جديد، وإعادتها في ثوب يتماشى مع طرح النقد المعرفي، وهو ثوب العقلنة، كذلك فإن العودة للفرايدي، أكبر دليل على أن مبدأ الإدراك عند الناقد، يتأسس على الانطلاق من المفاهيم السابقة، "فمحمد سالم" يمارس نقده متعاملا في ذلك مع وعي الظاهرة النقدية وليس مع الظاهرة نفسها، وما يدل صحة هذا الحكم، عنونته التي أصبحت تمجد دور العقل أثناء الاشتغال النقدي، إنها المنظومة المعرفية التي أصبحت «تمتد إلى فواعل عقلية أسهمت في تركيبها مسارات عدة منها: المسار العقدي، المسار الثقافي، المسار العقلاني، المسار التأثري»<sup>1</sup>، على أن تكون متعددة المسارات المنهجية والمعرفية، وبهذا يكسب الناقد هذا المصطلح مميزات تمثل في نظره أبعادا تكوينية أسهمت في بلورة المنظومة المعرفية التي يريد البحث فيها، إذ المسار العقدي، يحدد توجه الناقد «للأصول الكلية للمنهج الصحيح، جاريا على وفق قوانين الاستدلال الصحيحة المعتمدة»<sup>2</sup>، أما المسار الثقافي وهو الذي يركز على البنيات الثقافية داخل الخطابات، لاكتشاف نسقها، وهذا النسق يمكن أن يشمل وجوها عديدة من القضايا المعرفية، لذلك فأحقيقته في تكوين هذه المنظومة التي اصطلح عليها الناقد أمر لا بد منه، أما بخصوص المسار العقلاني، وهو الجوهر، فالاستنباط والاستدلال، والبرهان، والاستنتاج والتقويم، مراحل يخضع لها العقل أثناء الممارسة النقدية، وهذا المسار يبين وعي الناقد. في كيفية تعامله مع الظواهر.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 305.

<sup>2</sup> - سعود بن عبد العزيز العريفي: صناعة التفكير العقدي، تحرير سلطان بن عبد الرحمان العميري، تكوين للدراسات والبحوث للنشر، 2014، لندن، ص 19.

نحن أمام ناقد، يعيد تأصيل المعارف من جديد، ناقد يريد الانتقال بالنقد المعرفي، من "المعرفي" إلى "البيمعرفي"، عبر تداخلاته العدة في الخطابات، وفي زوايا الاشتغال، فمن الثقافة الغربية، نحو العربية المعاصرة، ثم التراث الاسلامي، والتراث القبلاي وغيره، فهذا الانفتاح هو من سيحقق الغاية المرجوة من هذا النقد وهو الوصول للحقيقة الكامنة والخفية والمتسترة من وراء هذه الخطابات.

يذهب الناقد إلى بيان المسارات التي ذكرها والمتمثلة في مسارات تشكل المنظومة المعرفية، ضمن وحدة اشتغاله النقدي، فيحدد من خلالها جميع المراحل التي سيمر بها والتي ستعكس على تلك المسارات، باعتبارها معطى يوجز ما يبحث فيه وهو مصطلح المنظومة المعرفية، وبهذا أمكن استنتاجها في المخطط الآتي:



الشكل 26 أسس تشكل المنظومة المعرفية

تعكس أسس تشكل؛ المسار العقلاني، فيما يجسد البعد العلائقي للدين والفلسفة؛ المسار العقدي، أما الإطار المنهجي والذي يشتغل فيه المصطلح فهو إحالة للمسار الثقافي على اعتبار أن هذا المصطلح له نسقه الذي يحدد إطاره، أما الانفصال والاتصال فنعود به مباشرة للمسار التأثري، أي مدى تأثر النظام العقدي الإسلامي بغيره من الأنظمة.

ينطلق "محمد سالم" من بيان أسس التشكل، تشكل المنظومة المعرفية للفرايدي، التي يرى أنها اشتغلت في «إطار واحد متماسك ولم ينظر إليها على أنها وحدات منفصلة»<sup>1</sup>، وهو ما يؤكد به على أن نظرة الفرايدي، شمولية تؤسس للمعرفة وفقا للمعطى الجشطالتي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد تحديد الناقد لمحاور ثلاثة اعتبرها البانية لأسس التشكل، والتي سيمارس من خلالها حفره المعرفي؛ تمثلت في «البنية العقلية/مرحلة التكوين المعرفي، بنية الاشتغال/مرحلة التأسيس العلمي، البنية الحضارية/مرحلة النتائج والفاعلية»<sup>2</sup>، فهذه المراحل أو الحقول ليس الغرض منها ربط صلاتها وتبادل نتائجها ضمن حقل واحد وإنما الغرض منها حسب رأينا ومع تعاملنا مع النقد المعرفي، وخاصة أمام تقريرنا بالبيمعرفي، أن الناقد وظف هذه المراحل لغرض ما يدعوه "بيرموديث BERMUDEZ" "الرهان بالدمج" الذي يطلب بناء نظرية موحدة للمعرفة، «فرهان الدمج يقوم على افتراض أساس وهو أن علم المعرفة ليس مجرد الجمع بين أجزائه، إن غايته باعتباره مشروعاً فكرياً أن يضع إطار عمل يحدد الأساس المشترك لكل الحقول التي تدرس العقل وأن يبين كيف تتعالق فيما بينها»<sup>3</sup>. فالنظرية عند "محمد سالم" هي النقد المعرفي، وضع لها إطار عمل من خلال العودة إلى المعارف السابقة، وهاته المعارف كالمنظومة المعرفية للفرايدي اعتبرها نموذجاً جديداً بنى له مراحل، ليبين كيفية الاشتغال والجمع التي تحقق مشروعاً فكرياً تمثل في المنظومة

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 305.

2 - المصدر نفسه، ص 306.

3 - محمد الوحيدي: اللغة والمعرفة، قضايا البحث البيمعرفي، مجلة فصول في الإدراكيات، ص 327.

المعرفية الفراهيدية، مؤكداً على هذا القول من خلال تعريفه برؤيته النقدية، قائلاً «تثير رؤيتنا النقدية إشكاليات عدة انطلاقاً من طبيعة موضوعه الشائك والمتسع والمتداخل مع ميادين معرفية وثقافية»<sup>1</sup> وهي ميادين متنوعة وذلك ما يجعله في علاقة وطيدة بالنقد المعرفي الذي يتداخل هو الآخر مع الحقول المعرفية الأخرى.

#### أ- مرحلة التكوين المعرفي للخليل الفراهيدي:

إن البحث في مرحلة التكوين المعرفي سوف يجسد أمرين؛ الأول يتعلق بعبقورية الناقد وشدة إدراكه المتيقن، أما الثاني فيعكس حكماً نقدياً يتماشى مع لفظتي التكوين المعرفي وهو أن «الخليل مؤسسة متكاملة من المعارف أحكم أمرها من خلال اكتمال نظريته المعرفية فرضاً واستعمالاً»<sup>2</sup>، وفي ظل هذا الظهور المتمسك بالمنظومة المعرفية الفراهيدية يثبت الناقد للبحث النقدي أن هناك مواطن خفية ومتسترة في أعمال الخليل بحاجة إلى بعث وإظهار عن طريق الكشف العقلاني الذي سوف يوثق هذه المنظومة.

وفي هذه المرحلة أيضاً "مرحلة التكوين المعرفي"، ندرك أن الناقد باحث ذكي يعرف كيفية الاستنباط والاستكناه والاستقراء والحكم لإضاءة كثير من القضايا التي تطرحها بنية الذهن، والتي ستسهم في تطوير التفكير والبناء المنسجم، فأول استنتاج له، كان يتعلق بالبعد التداولي للمنظومة المعرفية للخليل، وهذا البعد من شأنه أن يثبت للقارئ مسار تشكل معرفته، هل هي نابعة من بيئته أم هي ذات مؤثرات خارجية، فخلص إلى أن «السماع والقياس والاستقراء والمشاهدة معطيات تنظيم منهجي إسلامي، وبالتالي فانطلاقته تجسدت من داخل المعطى الثقافي الإسلامي العربي بعيداً عن إسقاطات قد

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 305.

<sup>2</sup> - أحمد عفيفي: المنظومة النحوية المنسوبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الكتب المصرية للطباعة والنشر، 1995، القاهرة، ص 5.

تكون متوارثة أو متعارف عليها»<sup>1</sup>، وبالتالي أمكن القول إن الناقد قوم رأيا وأضاف دليلا على صحة منبع معرفة الخليل، بغية منه في الوصول لليقين.

يقر الناقد بحقيقة تتعلق بإسهامات الخليل ودورها في تغيير أفق ومسار المبحث اللغوي مفادها: «أنه من حوّل ممكنات الدرس العربي اللغوي من مفاهيم متعارف عليها بالحس اللغوي إلى إمكانيات توليد مفاهيم وتهيئة مصطلحات، ثم حول ميدان العمل اللغوي من دراسة في تحديد المسار اللغوي الى إدراكات تقدم العلة وتمنح أفقا معرفية لمسيرة الظاهرة اللغوية»<sup>2</sup>، وهنا إشارة إلى دور المنظومة المصطلحية في تأسيس ما هو معرفي انطلاقا مما هو لغوي، وإشارة أيضا إلى أن مراحل التكوين عند الخليل بدأت معطياتها تتجلى من المصطلحات، التي أكسبها بعدا معرفيا انطلاقا من حيوية وأساليب اللغة.

ينتقل الناقد إلى الاستنتاج، فيتمسك بمقولة "شوقي ضيف"<sup>3</sup> ويبنى من خلالها تصوره المعرفي وحكمه النقدي حول طبيعة البحث الخليلي، فنجده يربط العلاقات الرياضية التي أسندها "شوقي ضيف" بالعلامة السيميائية، فنقول أيضا إنه مثلما تجلت السيمياء كبعد معرفي عند الجرجاني، تجسدت أيضا عند "الخليل ابن أحمد" في البحث عن «جذر الظاهرة وبيان أسس تشكلها، وإظهار طبيعة علامية اللغة باعتبارها نظاما من الممكنات العلائقية التي تنظم مسيرة النص»<sup>4</sup>، فكما أن السيمياء شكلت الأداة في

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 305.

2 - المصدر نفسه، ص 307.

3 - إن مقاربات التكوين المعرفي للخليل في نتاجاته التي وصلت إلينا ورأى بعضها النور هي مقاربات ذات طبيعة رياضية بشكل دقيق، وذلك من خلال تحليله الذي أسند لنفسه مهمة كشف سر الطبيعة الرياضية التي تربط الظواهر اللغوية، محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 307.

4 - المصدر نفسه، ص 307.

تفسير وبيان العلامات من حيث وظائفها وعلاقتها، كذلك الظاهرة اللغوية عند الخليل بنيت على هذا المنطق "منطق السيمياء".

إن الناقد يشتغل وفق معطيات حدائية، عقلية، يحكمها منطق الربط الذهني، فنراه يستخرج أبعاد التشكل المعرفي، تدريجياً، بدءاً بالآليات المنهجية ذات الطبيعة العربية الإسلامية، مروراً ببيان دور المنظومة المصطلحية في التأسيس المعرفي، ثم المنطق الرياضي الذي يفسره المنطق السيميائي في إدراك سيرورة الظاهرة اللغوية واشتغالها، وهذه القضايا تعكس طبيعة النقلة التي أحدثها منظور النقد المعرفي الذي اشتغل به الناقد، فتعامله مع وعي الظاهرة، يشكل قالبية الذهن عنده، في إعادة إنتاج معرفة، انطلاقاً من إعادة تشكيل شاملة، «تحقق سيرورة الانتقال من نمط الإنتاج التقليدي القائم على المعارف المعزولة، إلى نمط متعدد تجسد فيه المعارف وتتعاون وتندمج في أفق ببناء نظرية موحدة»<sup>1</sup> وهي نظرية النقد المعرفي.

يواصل "محمد سالم سعد الله" تحليله، ويكشف عن ظاهرة معرفية أخرى، كانت السبيل وراء تشكل المنظومة الخليلية، تمثلت في ظاهرة "الحدث الكلامي" وعلاقتها بتحليل الظاهرة، فهو يرى أن «الخليل اعتنى بالجانب النفسي لدى المتلقي وأعطاه دوراً فاعلاً في كشف علاقات النص»<sup>2</sup>، والذي من شأنه أن يمنح جانبا وظائفياً يسهم في بلورة المعطيات اللغوية، كما يسهم أيضاً في تقبل المتلقي للظواهر المعرفية المطروحة، وللتدليل أكثر نستحضر أبيات الخليل، وهو يختار عباراته المنمقة التي من خلالها يمهّد لنفسية المتلقي حيث يقول:

إني نظمت قصيدة حبرتها فيها كلام موقن وتأدب  
لذوي المروعة والعقول ولم أكن إلا إلى أمثالهم أتقرب

<sup>1</sup> - محمد الوحيدي: اللغة والمعرفة، قضايا البحث البيمعرفي، مجلة فصول في الإدراكيات، ص 232.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 307.



عربية لا عيب في أبياتها مثل القناة أقيم فيها الأكعب<sup>1</sup>

فمن خلال اهتمام الخليل بالمتلقي، استنتج محمد سالم، فكرة الدور الفاعل لهذا الأخير في النهوض بحيوية النص عن طريق إعادة الإنتاج انطلاقاً من كشف العلاقات.

### ب - مرحلة التأسيس العلمي:

إن مرحلة الاشتغال ضمن مرحلة التأسيس العلمي تختلف من باحث لآخر، لاختلاف منطوق الوعي الذي يحكم منطق الاشتغال، وإن كل ممارسة تنعكس بطبيعتها على شكل الحضارة المنتمي إليها، وكما أسلفنا الذكر فإن مرحلة التشكل المعرفي تعتبر المرحلة التمهيديّة التي أمّدت الخليل بالخطوط العريضة لبنية تأسيسه العلمي، الذي يتأسس على البعد الشمولي في العملية التحليلية، فالخليل لم «يحدد نفسه بجزئية معرفية على حساب أخرى، بل تناول عناصر التأسيس جميعاً لكن بنسب متفاوتة، لتقف العناصر على أساس التكامل والتوافق والانسجام بين الوحدات الجزئية لتشكيل الوحدات الكلية»<sup>2</sup>، هكذا كانت إسقاطات النقد المعرفي على فكر الخليل، فكرة التكاملية و الشمولية، لتحقيق البعد المعرفي، فكما أن النقد المعرفي يعمل على استثمار الظواهر المعرفية وجمعها في بوتقة واحدة للوصول إلى الحقيقة، كذلك الخليل يتجه لتبني الفكر الشمولي لتأسيس الظاهرة عنده.

يبين محمد سالم بؤرة الاشتغال عند الخليل وهي اللغة، مؤسساً في الوقت ذاته فكرة مفادها أن اللغة هي بنية معرفية، وهو ما تم تأكيده في دراسته بصناعة الذات الشعرية، فقد أثبت طبيعة الاشتغال التي حوّلت مسار اللغة من اللغة في حد ذاتها، إلى

1 - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: المنظومة النحوية، تحقيق الدكتور أحمد عفيفي، ص10.

2 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص310.

اللغة في تعالقاتها مع ميادين الموسيقى والرياضيات والفلسفة، لتكسب بذلك هذه الأخيرة إطاراً يمنحها أحقية طرح التساؤل الآتي: كيف تم اكتساب هذه المعرفة عن طريق اللغة؟ يسقط أيضاً الناقد المنطق الحواري الذي يشتغل به النقد المعرفي على الدوائر العلمية المبتكرة للخليل، فيقول: «ينهض المختلف والمؤتلف والمجتلب والمشتبه والمتفق بوصفها ثمرة من ثمار التأسيس العلمي في الاشتغال القائمة على أساس فكرة التحوار بين العلوم وتحديدًا بين الموسيقى والرياضيات واللغة»<sup>1</sup>، فالحوار بين المعارف والعلوم في النقد المعرفي قد يمنح مشروعية التكامل التي تسير البحث العلمي العالمي المعاصر، وتنهض بالممارسة نحو منهجية محكمة قائمة على اعتبارات معرفية، كذلك الحوار بين هذه الدوائر، سوف يحقق تلك المنهجية العلمية في السمو بالظاهرة اللغوية، والذهاب بها إلى أفق معرفية.

### ت - مرحلة النتاج والفاعلية:

إن الحديث عن مسار النتاج والفاعلية، هو حديث عن تلك العملية الإحصائية التي يشتغل فيها العقل في المرحلة النتاجية، لتمنح بعدها إمكانية للتفكير في المرحلة الفاعلية.

يتحرك وعي الناقد بصورة ملحوظة داخل المناخ الفكري للخليل، لتقييم منظومته المعرفية بعدما استقرت على مرحلتها التشكل والتأسيس العلمي، إذ أن وقوفه عند هذه المرحلة هو دعوة لإعطاء المعرفة الخليلية قيمتها في المناظرات الفكرية المستقبلية، انطلاقاً من طرح تساؤله المتعلق بالرصيد الفكري للخليل، على الرغم من إجابته السابقة عنه ضمن مرحلة التشكل، إلا أنه يعيد صياغته من جديد ليوسع ويؤكد من إجابته، على أنها نابعة من تصور عقلي، لا يمكن نفيه، أو مجادلته، وقد تمثل تساؤله على النحو الآتي: «هل يمكننا الآن الحديث عن إحصاء دقيق لنتائج الخليل ومؤلفاته؟ لتتبعها

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 311.

نفس الإجابة المتمثلة بأنها لم تصل إلينا كاملة وأن الآراء نسبية غير مطلقة»<sup>1</sup>، مع أنه قد أحصى مجموعة من المؤلفات ليحقق غايته من مرحلة النتائج.

ينتقل الناقد من الحديث عن المؤلفات نحو الحديث عن الابتكارات، ولن نلجأ لتكرار ما قاله الناقد، لأن هذه الابتكارات قد نوقشت في الكثير من الأبحاث، غير أن ما سأطرحه، يتعلق ببيان قوة تفكير الناقد، التي جعلته يربط ابتكارات لعالم مضت عليه قرون، بمعطيات درس علمي معاصر، "فمحمد سالم" يستنتج أن عقلية الخليل لم «تكتف بتحليل الوقائع وبيان إمكانات تشكلها، بل عمدت إلى واقع افتراضي ناقشت فيه المسائل العلمية كما لو أنها واقعة فعلا، فالواقع الافتراضي هو ما اعتمد عليه الدرس المعاصر خاصة في ميدان المعلوماتية والحاسوب»<sup>2</sup>، فيتضح جليا من هذا القول أن الناقد لم يصرح بالمسار التأثري، بل أشار إليه في هذا الاستنتاج الذي يبين تأثير البحث العلمي المعاصر بالنظام الإسلامي العقدي.

## 2- المعرفة الزمنية عند يمني العيد:

يتناول "محمد سالم سعد الله" موضوعات وقضايا مرتبطة بالاهتمامات المركزية التي تشغل مشروعه النقد المعرفي، ففي كل مرة تجده يتطلع لبناء ذلك الكيان المعرفي من خلال نمطه التحليلي المرتكز على الإدراك، وإطارة المرجعي المتمثل في الاستثمار، ونظامه الفكري المبني على إعادة الإنتاج، وهذا ما يظهر بقوة في المعرفة الزمنية عند يمني العيد.

ما يثير الانتباه أيضا، هو الإلحاح الجوهري على استخدام لفظة المعرفي في عناوين قضاياه، كالمنظومة المعرفية للفراهيدي، والمعرفة الزمنية، وغيرها. إنه يدعو من

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص312.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص314.

خلالها إلى جعل مبدأ المعرفي مبدأ حتميا، يضطلع به الناقد كمهمة أولية، لتمنحه أحقية الوصول إلى الحقيقة.

عندما أصبحت المعرفة هي الموضوع الأساس عند محمد سالم، أصبحت الأفكار تتجه مباشرة نحو الجانب الذهني، وبفضلها كان الحديث عن كيفية الوصول إلى مناطق وعي النص، لقد ابتدأ التوليد من الذهن البشري، وما يمكن أن يختزنه من أفكار وتطلعات، نحو الواقع الذي يمتلك إمكانية تحقيق تلك التطلعات، فالبحت عن «العالم المفقود الذي يشكل رقعة حلمنا، لا بد لنا من الوصول إلى مناطق الوعي التي نسجت دهاليزها، وتلك المناطق يمكن الوصول إليها عن طريق تكوين المعرفة، وإذا كان هذا حال البحث عن العالم وهو كلي يضم أجزاء، فكيف الحال عن معرفة النص؟ كيف يمكن الوصول إلى مناطق وعيه؟ كيف يتزامن النصي مع المعرفي للوصول إلى النشاط الموضوعي في إجراءات التحليل؟»<sup>1</sup>، هكذا كان تقديم الناقد الذي بني أولا على الاستعمال المتجدد للصيغ اللغوية، والتفكير الواعي الذي يصاحبه العقل، وقوة ربطه بين الحلم والواقع والإبداع والمعرفة، ليجمعها في قضيته المركزية المتمثلة في كيفية تزامن النصي مع المعرفي.

إن الملاحظة والسؤال دفعا "محمد سالم" إلى التوجه نحو الزمن بمعناه المعاصر، أي محاولة إعطائه مضامين جديدة، ونسقا معرفيا، يتم من خلاله الانتقال به من وجوده كعنصر لأدوات البناء السردي، إلى الحديث عن كيفية تشكله وسد الفجوات المعرفية الموجودة في ثنايا النص، فمن المقولة الكانطية أنا أفكر إذن أنا موجود، يحيك الناقد مقولة الزمن في سياق معرفي يخدم توجهه، وهو «أنا موجود إذن أنا زمني»<sup>2</sup>، فهاته المقولة تعكس وجود الزمن كعنصر أساس في وجود الإنسان، كما تعكس فترتين، الأولى

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، اريد-الأردن، ص111.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص327.

الزمن الماضي، والثاني، الحاضر، وهذا الحاضر، يتشكل بتلك التطلعات التي يتأهب صوبها الإنسان، من خلال تحصيل المعرفة.

#### أ- الزمن علامة من التخيل إلى المرجع:

ينطلق "محمد سالم" في محاولة منه لتأصيل مفهوم الزمن وفقا للمبدأ المعرفي إلى تفسير هذا الأخير كبنية علامية استنتجها من مقولة "يمنى العيد"، إذ إن هذه البنية هي المعرفة الزمنية التي تتأسس من خلال عنصرين، الأول وهو الروائي، والثاني هو النص، فمن التسجيل نحو التشكيل، الذي يتأرجح بين ثنائيتي الحضور والغياب، يتجسد الزمن المعرفي، يقول "محمد سالم"، يمكن القول إن «سردية الزمن الروائي تتطلب الحديث عن زمنين: زمن للكتابة، وزمن للتشكل»<sup>1</sup>، وتتصف كلتا المرحلتين بالإبداع المتناهي الذي يجمع الاثنين في بوتقة واحدة، وهي بوتقة المعرفة، فالأول زمن الكتابة، أطلق عليه "تودوروف" زمن التلفظ، في مقابل زمن التلفيظ عند "عبد الملك مرتاض"، ثم زمن الحكى، وأخيرا زمن الكتابة عند "يمنى العيد"، ليحوره "محمد سالم"، ويجعل منه زمنا كتابيا يضم لحظة معرفية، تتضمن بلورة الجهد الموجود في الذهن، عن طريق اللغة التي تفرض نسجا معيناً يوائم خطابه الروائي، فتكون هناك معرفة خاصة بالروائي تتمثلها أساليب عيشه الكامنة في الوعي، فعندما تسرد، وتخضع لعملية التجسيد النصي، يتعامل معها القارئ وفق لحظتين، لحظة التخيل بحكم أن الناص له أفق تطلعي، أو مستقبلي، يمثل على أنه تخيلي مادام لم يحقق، ولحظة الحقيقة التي تنعكس بدورها على حياته، والتي من خلالها يتم التعرف على مناطق وعيه في مسار تفكيره، ليأتي بعد ذلك زمن النص الذي يقوم «بتقييم المعطيات الزمنية التي تنسج العمل الروائي قد تتضمن إشارات زمنية صريحة تحيل إلى الزمن الفيزيائي المتداول، وقد تحيل إلى إشارات زمنية كثيفة تدعو إلى تحليلها واستنباط مدلولاتها»<sup>2</sup>، فنكون بذلك أمام تزامن النصي مع المعرفي،

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، ص 112.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 328.

وهو مبتغى الناقد أثناء كشفه في خطاب يمى العيد، المعرفي الذي لا يتم إدراكه إلا من خلال التحليل والاستنباط الذي يكون على منحنى سيميائي يجمع مستويين، الأول «تتبع البنية السطحية للوصول إلى البنية العميقة. أما الثاني فيتطلب تحليل القول أو الخطاب»<sup>1</sup>. فهذا الطرح المستنتج هو إعادة صياغة نموذج الإنتاج والذي يحيلنا بطرح أدرجه "لوفيلت LEVELT" في توضيح نظام فهم الخطاب، وقد استعان هو الآخر بالبنية السطحية للوصول إلى اللغة الداخلية لتشكيل تصور يتم من خلاله فهم الخطاب، فكلا الطرحين متشابهين على مستوى الإجراء، الذي يتم من خلال التأويل وفقاً لتشغيل العمليات الذهنية، فاحصة المبنى اللغوي الذي يقودها للمبنى المعرفي، وبالتحتم الأول مع الثاني وهو تحليل الخطاب الذي يلخص المراحل التي تسلكها المعلومة أثناء لحظة تشكلها، يتبلور الوصف المعرفي الزمني ضمن العملية الإبداعية، لتتحول مفردات الزمن إلى علامات تشير إلى دلالات عدة، تأخذ معنى السمطقة كما ذكرها الناقد، وبهذا نقول: إن السيميائية كفعل إجرائي حاضرة بقوة في تحليل الناقد، إذ وظفت، كمركز في الدراسة وكربط معرفي وظيفي.

يكشف الناقد عن مرجعية يمى العيد، ليبرر بذلك وجه التناقض بين اهتمامها بالبنى النصية وثبات نسقها، وهو ما يعادل مفهوم البنيوية، وبين رؤيتها نحو معرفة العالم، ليثبت أن البنيوية التكوينية شكلت نموذجاً عند الناقدة أرادت به الوصول إلى المعرفة النصية، فربطت النص بالواقع الخارجي أي «بالنظر إلى النص الثقافي بين البنية التحتية والبنية الفوقية في المجتمع»<sup>2</sup>، وقد تعمد "محمد سالم" بيان منهج دراسة "يمى العيد" حتى يثير تساؤله من جديد، وهذا التساؤل هو الذي سيثبت به رؤيته في اتجاه تزامن النصي بالمعرفي، يقول في ذلك: «كيف يمكن جعل الزمن الروائي زمناً ديناميكياً على الرغم من ربطه بخارجه»<sup>3</sup>، ليجيب عليه بمنطق السمطقة، من خلال ما

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 328.

2 - المصدر نفسه، ص 329.

3 - المصدر نفسه، ص 329.

جاء ضمنا في نص يبنى العيد، واعتبارا لكلمة ضمنا، نستنتج نحن أن المعاني الضمنية، والمتسترة يحتاج دوما لعقل واع، يخلخل به المفاهيم، ليعمل على تنظيم مسار الإنتاج والتأويل، البارز في إجابته: «عملية سمطقة الزمن ستتصف بفعالها الحركي، إذ يتحد النصي مع الزمني، والزمني مع العلامي، والعلامي مع المعرفي، والمعرفي مع واقعه، وهذا الوجود النظامي سيرفض فكرة عزل النص عن متناصه وضرورة ربط ذاتية الدلالة بموضوعية الواقع»<sup>1</sup>، ومن خلال هذا القول نستنتج ما يلي:

حتى يتم تزامن النصي بالمعرفي يجب عليه أن يتأسس على مفهوم السمطقة السيميائي، الذي يتعلق بتحويل مفردات الزمن السردي إلى منظومة علامات، فتتحول مفردات الزمن إلى علامات تشير لدلالات.

- تأخذ العلامة بعدا معرفيا. يحيل إلى الواقع، باعتبار وظيفتها التواصلية بين مختلف الموجودات.

- بما أن تشكل الزمن، يتم عن طريق لحظتين؛ لحظة زمن الكتابة التي تعود للناص، وزمن التشكل، فإن وجود الناص ومرجعياته الفكرية أمر ضروري، في البحث عن كنه الدلالة، وربطها بالواقع.

إن هذا الطرح في حقيقته يثبت جدية النمط التحليلي للناقد. الذي لا يجعلك تشعر بوجود خلل أو بياضات في نصه، تراه دائما يحلل ويستنبط ويبرهن، وهي ميزة عمل اشتغال العقل، ليربط كل نص باستنتاجه المعرفي، «فكيف نحتج نحن على نص كلما بدا مهادنا، انتفض بشكل ينزع منك مبررات احتجاجك؟»<sup>2</sup> نعم إنه النقد المعرفي الذي لا يفقد النص روحه، ولا يترك فجوة إلا أدرج ضمنها مبدأ معرفيا، للنظرة الشمولية التي يتبناها، وللتأويل العقلاني الذي يشتغل به.

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، ص330.

<sup>2</sup> - نور الدين أفاية: في النقد الفلسفي، ص188.

ب- الراوي والزمن؛ نحو رؤية معرفية لانفتاح النص:

إن تغطية العناصر السردية بمنظور معرفي، يضيف قيمة على الممارسة الفكرية التي تصنع من الناقد، ذاتا منتجة، وبما أن النقد المعرفي نقد ذو توجه إنساني، تعمل فيه الذات كمحرك «يخضع لمبدأ؛ لن توجد ذات لن يوجد موضوع للمعرفة»<sup>1</sup>، توجه "محمد سالم" نحو الراوي منطلقا من فكرة "ميرهوف" في اعتبار «الزمن في العمل الإبداعي زمنا إنسانيا نفسيا»<sup>2</sup>، فالراوي شخصية مركزية، مزودة بطاقة روحية وذهنية تعي «زمنها ضمن إطار عالم الخبرة الذي تتمتع فيه الأنا المقدمة على الزمن»<sup>3</sup>، فالراوي له معارف سابقة تتدمج ضمن معرفة النص السردية، ليقوم هذا الأخير (الراوي) بدور الهيكل، هيكل الزمن وفق المعرفتين، ليمثل التجربة بكل أبعادها.

ينطلق "محمد سالم" في بيان تمفصلات الراوي، من خلال عنصر جوهرية، وهو الوعي، وما الوعي إلا مصطلح من قاموس النقد المعرفي الذي يشير إلى «عودة العقل إلى ذاته عبر اللغة، فيسمح هذا العود بفكر الفكر القادر على التأثير تراجيعا على الفكر، ويجيز عند الاقتضاء فكرا ذاتيا قادرا على التأثير في الذات تراجيعا»<sup>4</sup>، وبما أن اهتمام الدراسة قد وجه للراوي، الذي يمتلك تلك القدرة على تمثل العلاقة الطولية للزمن لتسطيره للمتلقي، فإن تلك العلاقة النابعة من الوعي، جسدها الناقد في ثلاث تمفصلات، تمثلت في (البنية، الأيديولوجي، الفني) قام باستنتاجها من قول يمني العيد، ليباشر تحليله، وفقا لعنصر الوعي.

ما يلاحظ على هذه التمفصلات، انزياحها على مفهوم الوعي، فالبنية تمثل اللغة، والأيديولوجي، يمثل أبعاد الفكر، أما الفني فهو يعكس الطرفين السابقين في منحى

<sup>1</sup> - إدغار موران: المنهج معرفة المعرفة، ص 212.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 334.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 334.

<sup>4</sup> - إدغار موران: المنهج معرفة المعرفة، ص 198.



الاشتغال، وهو قدرة العقل على العودة إلى ذاته من خلال اللغة، إلا أن ما يضيفه "محمد سالم"، هو أن كل نشاط معرفي غير بريء، لأنه يكون نتيجة «لتمظهرات اتجاه الوعي نحو دلالات قد تكون علمانية-تجوزا-تسعى إلى فصل النص عن خارجه أو دلالات ليبرالية تتجه إلى عدم تفيد الكتابة بدوافع الراوي وتوجهاته ورؤيته»<sup>1</sup>، فالوعي بطبيعته ذاتي، يشكل نسقا فوقيا معرفيا، يتعالى ذلك النسق بانعكاسه الدائم على تلك الذات بوساطة الأسلوب الفني، فيكون ذلك النسق باعتباره ذاتيا محملا بأبعاد وأنشطة وتوجهات تتحيز من وجهة نظر الناقد بين العلمانية والليبرالية، فتتحكم في عمل الراوي أثناء صيرورة سرده.

إن محاولة الإمساك بالخيط التي توحى باشتغال الناقد بالنقد المعرفي، فوجدنا تمثل الراوي للزمن من خلال معرفته، ثم وقفنا عند وعيه الذي يجسد تمفصلاته الثلاث، لنكتشف مرحلتين من مراحل تحيزه وانعكاساتهما أثناء قيام الراوي بدوره، وأخيرا وجدنا سؤالا يمثل بؤرة هذه الدراسة، بل وجوهر النقد المعرفي، تمثل في الآتي: «هل يشكل الراوي منهجية معرفية؟»<sup>2</sup>، ليثير من خلال هذا التساؤل جدلية بين المنهجية والمعرفية، فيتحيز مباشرة للمعرفية على اعتباره ناقدا معرفيا، ومشتغلا بالنقد المعرفي، ليجيب بأن المشكلة في «تحديد الراوي ليست منهجية بقدر ماهي معرفية، لأن المعرفة هي النشاط النقدي الذي يمارس للوصول إلى قيمة الراوي وأهميته»<sup>3</sup>، فالناقد يوجه خطابا مهما للقراء، مفاده، توجيه النظر صوب البنية المعرفية التي يكتنزها عقل الراوي، والتي تبين طبيعة عمل اشتغال عقله، للوصول إلى التمثلات الموجودة في وعيه، وبالتالي أمكن معرفة الراوي، الذي يقود مباشرة لمعرفة تشكل الزمن، فالمعادلة إذن تقوم على معرفة تشكل البنية الذهنية للراوي، يعادل معرفة تشكل الزمن.

1 - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، ص 119.

2 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 338.

3 - المصدر نفسه، ص 338.

### 3- الخطاب الأنثوي عند فاطمة المرنيسي:

يتجه النقد المعرفي صوب الخطاب الأنثوي، ويقع الاختيار على خطاب "فاطمة المرنيسي" تحديداً، باعتبار الوعي المختلف الذي تحمله هذه الأخيرة في كتاباتها. إذ إن الاختلاف ومساءلة الفكر شرط ضروري للخروج من شرنقة العالم الذكوري، إنه اختراق للفكر المختلف الحقيقي، وليست أيديولوجيا مكتنزة باسم الأنوثة، إنه الوعي الذي حقق فرادة الأنثى في خطاب المرنيسي، ودفع "محمد سالم" إلى التوجه نحو الذات الأنثوية لتفجير تلك المكبوتات المعرفية التي تمثلها الخطاب الأنثوي والتي تسعى حسب قوله إلى «تأنيث الفعل المعرفي»<sup>1</sup>، وما الفعل المعرفي بصيغته الأنثوية إلا مستقطبا لذهن "محمد سالم"، والذي جعله يكشف عن «ولوج الذهنيات ونمطي التفكير في المجتمعات العربية، ومقارنتها بما تعيشه المجتمعات الغربية»<sup>2</sup>، فيكون هنا إمام بوعيين، وبمعرفتين يتطلبان الوقوف عندهما.

يحدد محمد سالم القضايا الأساسية في خطاب المرنيسي، من خلال تواصلها مع الخطاب الأنثوي الأوروبي، وقد تجسدت هذه القضايا، في: «خطاب ما وراء الحجاب، تأويل ثيمة الحريم، خطاب الوعي الأنثوي السياسي»<sup>3</sup>، فثيمات الحريم والجنس والسلطة والسياسة والأنثى وغيرها، خطاب يحاور الذات الإنسانية من حيث إدراكها لهذه المفردات وما تحيل إليه من مدلولات، وهو ما يعكس مباشرة توجه الناقد لهذا الخطاب، فمحاورة الذات الإنسانية، يحيل مباشرة، إلى تقييم النقد المعرفي للمنجز الإنساني، في سياق معرفي شمولي.

1 - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، ص 128.

2 - محمد بومدين: النزعة الأنثوية وتفكيك الخطاب النسوي في فلسفة فاطمة المرنيسي، موقع الكتروني <https://diae.net>، تاريخ الدخول، 2021/10/22.

3 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 343.

يذهب محمد سالم إلى تطبيق النقد المعرفي على هذا الخطاب، من خلال تحليل المفاهيم، ونقد المقاصد، والوقوف على كل ما هو معرفي لتأويله، يقول الناقد: ارتكز خطاب "المرنيسي" على «فواعل معرفية في تشكيل لحظته، من خلال الدفاع عن المرأة بوصفها رمزا لثيمات تعارف عليها المجموع، وحملت كتبها ولادات رمزية غرضها إعادة ترتيب أوليات الثقافة العربية المتجهة نحو المرأة، انطلاقا من تحديد الظاهرة، مروراً بمناقشتها وبيات صلاحيتها للواقع المعيشي»<sup>1</sup>، ومن خلال قول الناقد نستنتج مايلي:

\* إن الفواعل المعرفية تمثل لحظة إدراك للمعطيات الثقافية والفكرية وكذا الحضارية، والتي أسهمت في بلورة الوعي الذهني للقضية النسوية عند "المرنيسي" من خلال مفاهيم متعارف عليها، قد ذكرها الناقد، شكلت خطابها الأنثوي.

\* يتشكل التفكير عند فاطمة "المرنيسي" وحسب ما جاء في قول الناقد، بواسطة اللغة، لمعالجة ما يعود للغة ذاته، كالأفكار والمشاكل، المدرجة ضمن القضايا والخطابات المتعلقة بالمرأة وفق مجال وأسلوب جديد في تنظيم المعرفة انطلاقا من إعادة ترتيب الثقافة العربية.

\* تقديم البدائل الناجمة يتشكل من الذاكرة الفردية التي تتعكس على الذاكرة الجماعية، تأسست في قرارة عقلها، لتمنح كل عقل إمكانيات خاصة للتطور، وهذا التطور يتجسد عن طريق مناقشة تلك البدائل التي قدمت باعتبارها انتاجا معرفيا وثقافيا، يقبل المحاكمة إما بالقبول أو الرفض

### - خطاب ما وراء الحجاب:

يتناول محمد سالم فيما وراء الحجاب، قضية مهمة تدعم رؤيته للنقد المعرفي، جسدها من خلال الخطاب الأنثوي، قدّم لها تقديمًا متكيفا مع المنطق، مقولبا في سلوك عالمية الإبداع المعاصر، مرسخا لفكرة تتأسس على إضاءة جوانب الوعي من خلال

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، ص 129، 128.

تلك الممارسة التي لا تقبل الانفلات عن الماضي ولا تتقاطع معه، أي فكرة تهديم مقولة الموت، سواء كان في الأفكار، أم في النظريات، مكرسا لأيدولوجيته الخاصة، المتمثلة في أيدولوجيا التداخل المعرفي.

إن النقد المعرفي وكما جاءت مضامينه في تفكير الناقد، يؤمن بمبدأ معالجة وعي الظاهرة، وليست الظاهرة، وهذا الوعي يتطلب حضور الماضي والحاضر، والفكر المستقبلي، لبناء تصورات جديدة، تسهم في «فهم مجموع الظاهرة»<sup>1</sup>، فالتقديم الذي أشار له "محمد سالم" مبني على القبول الظاهر، والرفض الضمني؛ فما بين التأكيد بأداة إن، نحو حضور علامة التعجب، نستنتج الرؤية الخاصة التي يدعو لها والتي لم تتأسس في خطاب "المرنيسي"، وهذه الرؤية، تمثلت في الانفتاح والتداخل الذي لا يهدم فكرا على حساب تهديم آخر، يقول "محمد سالم": «إن ما يؤسس عالمية الإبداع المعاصر على مساحة الرقعة المعرفية الممتدة هو قبول النتائج بوصفه منتظما ومتماشيا مع سلوكيات التفكير المتمدن الذي يجنح نحو المستقبل محتضنا حاضره، دون الالتفات إلى الماضي الذي يورقه ويدفعه نحو مزلق قد تعيق مسيرته»<sup>2</sup>، وبذلك ينطلق "محمد سالم" لمعالجة القراءة المنهجية "لفاطمة المرنيسي" ليخصها بالتحليل والنقد الذي يؤسس للقراءة المعرفية.

يجعل الناقد من قراءة "المرنيسي" قراءة معرفية، تتبنى منهجية تحليلية تمثلت في عزل الظاهرة من سياقاتها، واعتمدت على مبدأ المكنون الذاتي المعرفي، أي بما يخدم غرض توجيهها، لتسقط تأويلاتها المدرجة ضمن مسلمات، يراها الناقد أنها أستعيرت من «الآخر بشتى صورته، لصيغ الموروث الشعبي، أو المعلوم من الدين بالضرورة، أو المدرك من التراث بالتواتر، هي قراءة تتفق مع الطرح الغربي ورؤيته للإسلام وللمرأة وللواقع العربي المتردي»<sup>3</sup>، فكتابة المرنيسي كتابة تجمع التراث والدين والموروث، وفقا

<sup>1</sup> - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، 131.

<sup>2</sup> - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 345.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 345.

لمنظور ورؤية غربية، لتغيير نظرة المجتمع للمرأة، ولتغيير الواقع العربي المتردي، وإن هذا الاتفاق الذي أورده الناقد في قراءته لخطاب المرنيسي، اتفاق لم يؤسس على نمط محكم، وسيثير تساؤلاً عميقاً من لدن القارئ، إذ كيف يمكن للمرنيسي أن تتفق مع الطرح الغربي، وأغلب الدراسات المتعلقة بالنقد النسوي الغربي تهتم بالدور الفعال الذي ينشده الرجل في إقامة حضارة انطلاقاً من معطيات فكره التي ترسمها اللغة، وللتدليل أكثر، نستحضر "ديل سبندر" في مؤلفه "اللغة صنيعة الرجل"، فالنقاد الغربيون يضعون اللغة في المقام الأول للإدراك، إدراك للواقع، وإدراك للعالم، "فديل سبندر" يرى «أن اللغة تعالج العالم كما يراه الرجل لتصبح خبرة المرأة مهمشة»<sup>1</sup>، ومن منطلق هذا التكوين، ستكون المرأة مخيالاً ذهنيًا<sup>2</sup> كما يقول الغدامي، يمارس فيه الرجل جميع دواعيه، فكيف يكون هذا الاتفاق مع مزاج غربي يقدر سلطة الرجل، وخطاب المرنيسي يعطي من سلطة المرأة.

يعود "محمد سالم" مجدداً للفلسفة، ففكره لا يستطيع التذليل أو الاستغناء من دونها، هي مغذية للفكر في ممارسته الخطابية، لذلك لم يتوان، في استحضارها، ليشكل بعداً ترابطياً، بين قراءته وقراءة المرنيسي، لقد استحضر شخصية السوبرمان التي قد أبان عن ملامح حقيقتها في فعل الهيمنة والتسلط، ليسقطه على مفهوم المرأة عندها، يقول: «لقد تحولت المرأة إلى سوبرمان يبغى احتكار المعرفة بمعزل عن الرجل»<sup>3</sup>، إنه يخلخل مفاهيمها، ليكشف عن وعيها، لينقدها بنقد يخضع للمنطق الأيديولوجي، أكثر منه معرفي، فقد أبان عن تحيزه لجنسه، كيف لا، وهو الرجل المعرفي الذي جعل من قراءة المرأة قراءة هاوية فقد قال إنها «تجنح نحو تحطيم كل الممكنات التي عرفها المجموع وتعايش بظلمها، تريد خرق الطبيعة السلوكية لتبني لنفسها قصراً هشاً في

<sup>1</sup> - جين شيفرد، ليندا: العالم من منظور الفلسفة النسوية، ترجمة يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، 2004، الكويت، ص32.

<sup>2</sup> - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، 1997، الدار البيضاء.

<sup>3</sup> - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، ص 131.

الهواء تأخذه الريح حيث شاعت»<sup>1</sup>، فطرحه هذا يشير إلى أنه: مهما تطور الفكر في خطاب المرنيسي، وتأسس بنيانه المعرفي، فإنه لن يضيف قيمة جديدة، لأن الريح ستأخذه.

يوجه "محمد سالم" قراءته الماورائية للحجاب، جاعلا منه خطابا «معرفيا يتوجه أساسا إلى كسر الأنساق، وصياغة الملمح البنيوي الذي يرسم للمرأة أنوثتها بعيدا عن المعتقد والسلوك المتواتر عبر الزمان»<sup>2</sup>، ثم يشير إلى توجهاته التي دارت بين سلطتين؛ السلطة الدينية التي تحكم المرأة والسلطة الذكورية التي أخذت السلطة الدينية سلاحا ضد المرأة، لن تقبل النقض.

ينتقل الناقد إلى إعادة تقييم خطاب المرنيسي، انطلاقا من قراءته السابقة، وإن إعادة التقييم هذه قد جاءت في صيغة الانتقاد لفكر الكاتبة، يقول: «جنحت المرنيسي إلى إطلاق الأحكام دون فاصل علمي بين ما هو شرعي تنظيمي وبين ما هو شعبي تقليدي، ونتيجة لذلك جاءت الأحكام نسبية تفتقر إلى منهجية علمية للتعامل مع الظاهرة»<sup>3</sup>، وإن هذا النقد يبين حضور البعد التحليلي الإدراكي، الذي يتوازى مع صوت العقل، لقد تعامل مع وعي الظاهر (خطاب الحجاب) عندما أطلق لفظة الماوراء، ليبين للقارئ دور القراءة الواعية التي لا تسلم بقديسية الطرح، وإنما تبني معرفة جادة تتدرج ضمن العقلنة.

ومرورا بقراءة تأويل ثيمة الحريم، إلى خطاب الوعي الأنثوي السياسي، يمارس الناقد دوره في التأويل، والنقد، والاستثمار، ليكشف عن الغاية التي سعت إليها المرنيسي، وإن هذه الغاية، هي المتستر دوما من الظاهرة، والتي استطاع الناقد الكشف عنها، وقد

1 - محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص 345.

2 - المصدر نفسه، ص 346.

3 - محمد سالم سعد الله: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، ص 131.

تمثلت نتيجة بحثه المعرفي في أن غاية "المرنيسي" من هذا الخطاب تحطيم كل الموروثات المعرفية المؤرشفة في الوعي العربي منذ قرون خلت، وأنها سعت إلى مراجعة التجربة الإنسانية المعرفية وبناء تصورات جديدة راديكالية لا تتناسب وعي الذات العربية. إن أهم النتائج التي يمكن التوصل إليها في ظل الكشف عن الرؤية التطبيقية للناقد يمكن بيانها في الآتي:

1. اشتغل "محمد سالم سعد الله" بالنقد المعرفي على اللغة، جاعلا من هذه الأخيرة مدركا معرفيا أو سلطة معرفية، تجمع بين الأيديولوجيا وبين المعطى الفلسفي حينما آخر، موظفا بذلك مفاهيم السلطة في علاقتها باللغة، للاقتراب من الحقيقة النصية.
2. تعددت مجالات الاشتغال بالنقد المعرفي على اللغة، فنجدها تأخذ بمنطق التأويل على نظرتين تنتميان لثقافتين مختلفتين؛ الثقافة العربية، والثقافة الغربية، أي بين إيكو والجرجاني تشكلت اللغة وفق تحول معرفي ومنهجي قائم على الجدل بين هاتين العقليتين الذهنيتين.
3. اللغة نحو هوية أنثوية؛ كشف لنا على أن المحتوى الأنثوي في الخطاب الشعري يعتمد على توظيف اللغة الفنية لتمثل الخبرة الإنسانية المتعلقة بالأنثى والنقد المعرفي يكشف عن الخبرة الإنسانية في النصوص الإبداعية.
4. إن التنوع الذي مارسه "محمد سالم سعد الله" في اشتغاله بالنقد المعرفي على الخطابات المتنوعة قد أبرز فعاليته في انتقال النقد من النظرة التقليدية إلى النظرة المعرفية التي تتولى مهمة الكشف عن الجانب المعرفي الذي سيؤول بالنقد نحو ممارسة فكرية يشتغل فيها العقل بالتوغل في الأنساق الداعية إلى التشكل وفي طبيعة المقاربات المنطقية، إذ نجد أولا: **أنساب النقد**؛ تم البحث في المسيرة المعرفية للمناهج والتي وقف فيها عند أهم مرحلتين؛ الغذاء الفلسفي والاستقرار المنهجي، ثانيا **حدثة التحيز وتحيز الحدثة**؛ كشف الناقد عن الرابط الفني بين

(الحدائثة) و(التحيز)، فالتحيز عنده مفهوم معرفي يرتبط بالتبني الفكري والعقدي، يحاول الناص توظيفه في خدمة أفكاره ورؤاه، وهو مظهر حدائثي، فالحدائثة اتسمت بربط الأفكار مع اللغة، حتى باتت المفردات طاقات دلالية تحوي مشاريع فكرية، والغرض من هذا الربط، هو محاولة اكتشاف المسيرة المعرفية لتلك العلاقات المبنية داخل نسيج النص.

5. تتوعت مقاربات النقد المعرفي على النصوص الإبداعية بين السردى والمسرحى، الشعري والقصى حاول من خلالها الناقد الكشف عن صورة المعرفة المضمره فى النص.

6. اشتغل "محمد سالم سعد الله" على موضوعات وقضايا مرتبطة بالاهتمامات المركزية التي تشغل مشروعه النقد المعرفى، ففي كل مرة تجده يتطلع لبناء ذلك الكيان المعرفى من خلال نمطه التحليلى المرتكز على الإدراك، وإطاره المرجعى المتمثل فى الاستثمار، ونظامه الفكرى المبنى على إعادة الإنتاج، وهذا ما يظهر بقوة فى ممارساته الفكرية ذات المواضيع المهمة والتي تمثلت فى: المنظومة المعرفية للفراهيدى، المعرفة الزمنية عند يمنى العيد، الخطاب الأنثوى عند فاطمة المرنيسى.



خاتمة

يعد البحث في النقد المعرفي مجالاً حيويًا ومتجددًا للدراسة لارتباطه بعدة فروع معرفية متنوعة، ولذلك حاول هذا البحث الموسوم "بالنقد المعرفي بين التنظير والتطبيق، مقارنة من منظور نقد النقد لكتابات محمد سالم سعد الله"، تسليط الضوء على تحول الممارسة النقدية للنقد المعاصر من إشكالية الموت والإلغاء إلى القول بالتداخل والاستثمار والشمولية.

اتخذ البحث من تجربة الناقد "محمد سالم سعد الله" في سلسلته المعرفية المتكاملة ميدانًا لتطبيق هذه الرؤية النقدية، وذلك بالكشف والتعرف على الآليات والأدوات الإجرائية النقدية للنقد المعرفي المسلطة على النصوص الإبداعية.

ظلت الرؤية التنظيرية للنقد المعرفي رؤى مختزلة في عدد محدود من الدراسات، مما جعل مجال هذا البحث مجالاً خصبا تحرك فيه دافع الاكتشاف والمناقشة الفعالة خاصة للآراء التي طُرحت من لدن الناقد "محمد سالم سعد الله"، إذ قام البحث بعملية توسيع لتلك الآراء، لتكون الإضافة المعرفية، ومن ثم التأصيل المنهجي، والذي يتبنى تجسيد أرضية إبستمولوجية للنقد المعرفي، تسائل السائد والممكن، وتفتح آفاق الرؤية مجالات جديدة للاشتغال النقدي.

مثلت الحياة المعاصرة بكل تجلياتها فضاء رحبا للنقد المعرفي، إذ وجد فيه إمكانية بلورة انعكاسات تلك الحياة عن طريق عمل وظائف اشتغال العقل، ومن ثم تجسيدها أو تطبيقها على النصوص الإبداعية، فتولدت على إثر هذا الانعكاس نظريات "كنظرية الجسدنة".

أدى دخول النقد المعرفي إلى ساحة النقد المعاصر خلخلة في المفاهيم والطروحات العالقة في الخطابات المابعدية، إذ التحول والقفزة النقدية التي أحدثها هذا الأخير، جعلت كل خطاب أعلن موته، أُعيد بعث مقولاته من جديد، وجعل كل دمج معرفي، (كأسلوبية والبلاغة) علوماً مستقلة تتميز بهويتها المعرفية لتمنح إمكانات قرائية يتم استثمارها، كما

أن لفظ POST، لن تكون له مساحة مع النقد المعرفي، لأن مكانه سيعوض بلفظ .CONTINUATION.

عند التعرض لمجال النقد المعرفي، اكتشفنا أن هناك علوماً متجددة قوبلت بالعلوم السابقة، إذ وجدنا اللسانيات المعرفية، البلاغة المعرفية، الأسلوبية المعرفية، السرديات المعرفية إلى غيرها، في مقابل اللسانيات والأسلوبية والسرد والبلاغة.

يصل البحث بعد مناقشة العديد من القضايا المتعلقة بالنقد المعرفي، وبعد التعرف عليه في سلسلة الناقد محمد سالم سعد الله إلى جملة من النتائج يمكن رصدها في الآتي:

1. من الأسئلة المؤرقة حالياً هو النقد الموجه للنقد الثقافي الذي كان من ثمراته نشوء ونمو النقد المعرفي، فكما كانت الدراسة مع "عبد الكريم الشندودي" تتعلق بإشكالية النقد الثقافي ونقد النقد في إمكانية جعل الأول موضوعاً للثاني، كانت القفزة المعرفية أو الإضافة الجديدة معنا في التطرق لإشكالية النقد المعرفي موضوعاً لنقد النقد، فوجدنا أن المعرفة النقدية التي يتناولها نقد النقد بالدراسة والتحليل بإمكانها استيعاب النقد المعرفي ليصبح موضوعاً من مواضيعه، وهو الأمر الذي جعل البحث منصباً حول دراسة خطوط الفصل والوصل بين نقد النقد والنقد المعرفي.

2. اتخذ مصطلح المعرفة مساحة واسعة من البحث والمناقشة، فمن إشكالية ترجمة المصطلح والتي تمثلت في (Knowledge، Cognition، Cognitive)، بمقابلاته العديدة والمتنوعة، والتي جعلت النقاد يطلقون صرخة توحيد المصطلحات، نحو التدرج في جيناته سواء في الخطاب العربي أو الغربي، ثم مفهوميته النقدية، ومروراً بجدلية مجاورة لفظ المعرفة بالنقد، كل هذا جعل من المعرفة مصطلحاً فضفاضاً لا يمكن الإمساك بمفهوم مستقر له، إذ نجد حضوره مع كل خطاب وفي أي خطاب، ومع ذلك لم يمنع هذا من الاجتهاد في بلورة مفهوم للنقد المعرفي يتماشى مع ما تم الذي طرحه سابقاً.

3. مثلت الفلسفة جسرا حيويا وأرضية ابستمولوجية، رسمت بها الخطوط العامة والأساسية لملامح النقد المعرفي، فهي من دفعت عجلة الفكر، وحركت مكامن العقل واشتغاله عبر سؤال الذات والوجود والبحث عن الكينونة، فكانت الفلسفة التجريبية والفلسفة العقلية وفلسفة التحليل النفسي والفلسفة الجشطالدية خلفية للنقد المعرفي في ماهيته وتشكله ووظيفته النقدية.

4. تميز النقد المعرفي بمبدأ الشمولية المعرفية، مما أتاح له إمكانية تجسيد البعد العلائقي مع العلوم والخطابات والحقول المعرفية والنقدية، فالمبدأ الحوارية والتمكين الإدراكي جعله في دائرة علائقية أولا مع العلوم كاللسانيات والاستعارة والبلاغة وعلم النفس وعلم الاجتماع ومع النقود كالنقد التكاملي والنقد الثقافي والنقد الأدبي، وأخيرا مع الشعرية والتأويل والسرد.

5. مثلت مقولات النقد المعرفي أول دراسة معرفية تم التطرق لها في هذا البحث، إذ المقولات ستسهم في ضبط الأدوات والآليات الإجرائية، كما أنها أسهمت في توسيع الرؤية النقدية أثناء تعاملنا مع النقد المعرفي، فكانت مقولات التداخل والشمولية، والاستثمار والاستمرار، ومقولة الجسدنة ومقولة الجمالي المعرفي مسارا نقديا معرفيا يمثل أحقية السبق المعرفي في هذا الطرح.

6. تميز النقد المعرفي بأسئلته النقدية والمعرفية عن باقي النقود الأخرى، إذ كان الانتقال من سؤال ماذا إلى سؤال كيف محطة واعم فيها النقد المعرفي بين النص والنظرية الإدراكية، وتأسس على إثره محطات معرفية فتحت المجال لرؤى مستقبلية متنوعة من أبرزها: جدلية اللغة بين الشعرية والمعرفية، الحضور الرباعي للعملية الإبداعية في النقد المعرفي، مدار المعنى من منظور النقد المعرفي، التواصل النقدي في النقد المعرفي.

7. إن استقبال النقد المعرفي في الخطاب العربي أثار جملة من القضايا والمسائل الثقافية الراهنة والمعاصرة، والتي تم طرحها من أجل فتح الجدل حولها مستقبلا

لمناقشتها، نذكر من هذه القضايا: النقد المعرفي واشكاليته المصطلحية، النقد المعرفي والنقد الأدبي في جدلية التجاوز أو اللاتجاوز، النقد المعرفي وجدلية الفكر والواقع، النقد المعرفي والنقد الثقافي؛ مشروع تكاملي أم تجاوري، النقد المعرفي موضة نقدية تثير مسألة اختيار أم منهج نقدي إلى غيرها.

8. من حيث الطابع الإنتاجي فإن هذا النقد مازال في طور البحث والتكون المنهجي، إذ الدراسات التي وجدت بخصوص هذا المجال يمكن حصرها في جانبين؛ الجانب الأول ما تعلق البحث بالدلالة العرفانية والنص الإبداعي، أما الجانب الثاني فتعلق بالبحث عن جينات المصطلح وتداخلاته مع الإدراكات.

9. تعددت الجوانب البحثية للتجربة النقدية عند الناقد "محمد سالم سعد الله" والتي دفعت البحث لتسليط الضوء والكشف عن أهم الأسس التي استند عليها الناقد وهو يؤسس لموضوع النقد المعرفي، فكانت منها الفلسفية والمنهجية والمعرفية، فالفلسفية تجسدت في الفلسفة العربية الإسلامية، والقبلانية اليهودية والتي كانت حاضرة بقوة، أما المعرفية فتجسدت في المنطلقات البلاغية واللسانية، والمنهجية فقد تبنت مبدأ البحث في المناهج النقدية (ما قبل البنيوية وما بعدها، نظريات القراءة والتلقي) وما يمكن أن تمنحه هذه المناهج من إمكانات قرآنية تفتح وعي الرؤية النقدية عند "محمد سالم سعد الله".

10. استند المفهوم النقدي للنقد المعرفي عند الناقد على ثلاثة مجالات فكرية تمثلت في الشمولية، الإدراك، التكاملية، وكل مجال كان له فاعليته الخاصة في استثمار مفاهيم جديدة، كشف عنها هذا البحث.

11. فيما تعلق بالرؤية التطبيقية للناقد "محمد سالم سعد الله" فقد تم اكتشاف العديد من المجالات البحثية التي مارس عليها النقد المعرفي، فكان النقد بمسيرته المعرفية ممارسة فكرية اشتغل فيها العقل أثناء توغله في الأنساق الداعية إلى التشكل مطلقا عن منحاه البحثي "بأنساب النقد"، أما مجال اللغة فوجد النقد المعرفي بعدا اشتغاليا على اللغة الشعرية خاصة في إمكانية تحولها لمدرک معرفي، وفيما تعلق بالنصوص الإبداعية

فلم نجد تطبيقاً إجرائياً بالدراسة والتحليل بأدوات النقد المعرفي على النصوص الشعرية، أما الممارسات الفكرية فقد نالت الحظ الأكبر من البحث، ذلك أن تكون البنيات العقلية واستثمار البنية الذهنية في كيفية تشكل الأفكار وممارستها يُعد من صميم البحث في النقد المعرفي، فكان "الخليل" و"يمنى العيد" و"فاطمة المرنيسي" نماذج بحثية في عقليتهم الذهنية.

12. سيكون على عاتق الناقد المتابع والحدق لحركة تطور الفكر النقدي استشراف ما ستؤول إليه الفعاليات النقدية في المستقبل عبر معرفة المسارات التي مر بها النقد عبر مسيرته التاريخية، لذلك سيكون النقد المعرفي البوابة الصحيحة لغرس قيم النقد الحقيقية، وجعلها قيماً معرفية تثري الحقل الفكري وتُطور من قدرات الإنسان المعرفية والثقافية وفق عمليات ذهنية تروم لاستجلاء الحقيقة في جميع أبعادها، لذلك يتوقع آفاقاً مستقبلية لواقعه التحليلي والفكري والمرجعي.

# قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. سالم سعد الله محمد: أطياف النص دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2007، إربد، الأردن.
2. سالم سعد الله محمد: أنسنة النص مسارات معرفية معاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، إربد، الأردن
3. سالم سعد الله محمد: ما وراء النص، دراسات في النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، إربد، الأردن.
4. سالم سعد الله محمد: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2013، إربد، الأردن.
5. سالم سعد الله محمد: مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني أنموذجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، إربد، الأردن.

المراجع:

الكتب العربية:

6. بن منصور التركي إبراهيم: دراسات في البلاغة الإدراكية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط1، 2019.
7. بن طاهر التميمي البغدادي ابن منصور: أصول الدين، مطبعة الدولة، المجلد الأول، ط1، 1928، إستانبول.
8. العزاوي أبو بكر: اللغة والحجاج، العمدة للطبع، الطبعة 1، 2006، المغرب.
9. الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن: المنظومة النحوية، تحقيق الدكتور أحمد عفيفي، دار الكتب المصرية، ط1، 1665، القاهرة.
10. أمين أحمد: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، ط4، 1967، بيروت.
11. عطية سليمان أحمد: الإبداع الدلالي في المتضايقين، بين البنية التصويرية والبنية العصبية، ثمار القلوب للثعالبي أنموذجا، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجماعي للنشر، ط1، 2017، مصر.
12. عفيفي أحمد: المنظومة النحوية المنسوبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الكتب المصرية للطباعة والنشر، 1995، القاهرة.



13. أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، ط 2، 1978، بيروت، لبنان.
14. حسن أحمد أمل: علم الاجتماع المعرفي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2016.
15. محمد الشرقاوي أنور: علم النفس المعرفي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 2003، القاهرة.
16. شفطر إيهاب سعد: المصطلحات الدلالية بين التراث وعلم اللغة الحديث، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2018، الأردن، ص312
17. عصفور جابر: قراءة في التراث النقدي، مؤسسة عييال، ط1، 1991، قبرص، اليونان.
18. بوبكر جيلالي: البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
19. أوحمنة دواق الحاج: الأبيستمولوجيا الكونية والمنهج المعرفي التوحيدي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2015م، عمان، الأردن.
20. درويش حسن: النقد الأدبي الحديث، مقاييسه واتجاهاته وقضاياها ومذاهبها الفصل الثاني، اتجاهات النقد الأدبي عند المحدثين الاتجاه التكاملي، مكتبة النهضة المصرية ط2، 1991، القاهرة.
21. مسكين حسين: اللغة والفكر، دراسات نقدية، مؤسسة الرحاب للنشر والتوزيع، ط1، 2014، بيروت لبنان.
22. الحمداني حميد: سحر الموضوع (عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر)، مطبعة أنفو برانت، شارع القادسية، ط2، 2014، فاس.
23. الكردي راجح عبد الحميد: نظرية المعرفة بين القران والفلسفة، الكتاب الأول المعرفة بين الشك واليقين، مكتبة المؤيد، ط1، 1992، المملكة العربية السعودية الرياض ص.
24. عباس راوية عبد المنعم: ديكارت أو الفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.

25. سامي سليمان أحمد: حفريات نقدية دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، ط1، 2006، مصر.
26. العريفي سعود بن عبد العزيز: صناعة التفكير العقدي، تحرير سلطان بن عبد الرحمان العميري، تكوين للدراسات والبحوث للنشر، 2014، لندن.
27. بنكراد سعيد: السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، الدار البيضاء، المغرب.
28. البوشيخي الشاهد: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، إريد، الأردن.
29. إسماعيل صلاح: فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل، دار قبار الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، القاهرة، مصر.
30. فضل صلاح: في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، 2007، دمشق.
31. الشندودي عبد الحكيم: نقد النقد حدود المعرفة النقدية، أفريقيا الشرق، د.ط، 2016، المغرب ص26.
32. اليعقوبي عبد الرحمان: الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2014، بيروت، لبنان.
33. المسدي عبد السلام: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1986، تونس.
34. السلطاني عبد العظيم: مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، دار تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2018، دمشق.
35. الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، بتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، 2004، القاهرة.
36. الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، حققه وقدم له، أحمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط2، 1987، دمشق.
37. إبراهيم عبد الله: المركزية الغربية، التكون والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2003، الأردن.

38. إبراهيم عبد الله: المطابقة والاختلاف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2004، بيروت.
39. الغدامي عبد الله: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، 1997، الدار البيضاء.
40. الغدامي عبد الله: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005، بيروت، لبنان.
41. مرتاض عبد المالك: في نظرية النقد، متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة، ط1، 2002، الجزائر.
42. المسيري عبد الوهاب: في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الشروق، ط1، 2003، القاهرة.
43. المسيري عبد الوهاب، سلسلة حوارات المسيري، الثقافة والمنهج، تحرير سوزان حرفي، دار الفكر، 2009، دمشق سوريا.
44. بن جني عثمان: الخصائص، ج1، دار الكتب المصرية، ط2، أوت1955، مصر.
45. يوسف العتوم عدنان: علم النفس المعرفي، النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط 3، 2012، عمان.
46. علي الحجار عدي جواد: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، قسم الشؤون الفكرية والثقافية للعتبة الحسينية المقدسة، ط 1، 2012. العراق.
47. إسماعيل عز الدين: الشعر العربي المعاصر: قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، دت.
48. كوش عمر: الاتجاهات النقدية الحديثة، دار كنعان، ط1، 2003، دمشق.
49. عاقل فاخر: مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، ط5، افريل1981م، بيروت، لبنان.
50. حسن ملكاوي فتحي: منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1437هـ/2016م، عمان، الأردن.

51. مضحي السامرائي فليح: فضاء الرؤية وآليات المنهج "الجمالي والثقافي في خطاب محمد صابر عبيد النقدي"، شاه علم، ط1، 2015، ماليزيا.
52. التابعي كمال، البهنساوي ليلي: مقدمة في علم اجتماع المعرفة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ش.م.م، ط1، 2007، القاهرة.
53. سعد لخذاري: الدرس البلاغي العربي بين السيميائيات وتحليل الخطاب، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2007، بيروت.
54. مجموعة مؤلفين: التأويل والهرمنيوطيقا، دراسات في آليات القراءة والتفسير، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2011، بيروت.
55. الدغمومي محمد: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات، د.ط، د.ت.
56. ابو عمران محمد الصالح: دراسات في اللسانيات العرفانية (الذهن واللغة والواقع)، تحرير صابر الحباشة، ومجموعة من المؤلفين، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، 2019، السعودية.
57. ابو عمران محمد الصالح: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، ط1، 2009، سفاقص.
58. الماكري محمد: الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، كانون الثاني 1991، بيروت، لبنان.
59. داود محمد: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2002، القاهرة.
60. سالم سعد الله محمد وآخرون: فقه التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م.
61. سالم سعد الله محمد: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007، سوريا.
62. سالم سعد الله محمد: التنمية النقدية دراسات نصية في المنهج المعرفي، دار نور للنشر، ط1، 2020، ألمانيا.

63. الجابري محمد عابد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط2، سبتمبر 1990، بيروت.
64. الجابري محمد عابد: العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات للوحدة العربية الطبعة الأولى، 2001، بيروت، لبنان.
65. الجابري محمد عابد: العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، 2000، بيروت.
66. الجابري محمد عابد: المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999، بيروت.
67. الجابري محمد عابد: مدخل الى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، ط5، 2002، بيروت، لبنان.
68. عايدة عطية محمد: القيمة المعرفية في الخطاب النقدي مقارنة إبستمولوجية في نقد النقد الحديث، عالم الكتب الحديث، د.ط، 2011، الأردن.
69. محمد عروس: التجريب في الشعر الجزائري المعاصر، الألفية للنشر والتوزيع، ط1، 2012، قسنطينة الجزائر.
70. عروس محمد: تداخل الأجناس الأدبية، مفاهيم وتصورات، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، ط1، 2019، قسنطينة، الجزائر.
71. المناصرة محمد عز الدين: النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر، ط1، 2005، الأردن.
72. مفتاح محمد: مشكاة المفاهيم، النقد العربي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، الدار البيضاء، المغرب.
73. وقيدي محمد: الأبيستمولوجيا التكوينية للعلوم، أفريقيا الشرق، د ط، 2010، المغرب.
74. الحياتي خليف خضير محمود: النقد الثقافي الجمالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، الأردن.

75. الحيايى محمود خليف خضير: النقد المعرفى للنص الأدبى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2019، الأردن.
76. ناصف مصطفى: النقد العربى نحو نظرية ثانية، عالم المعرفة، 2000، الكويت.
77. عودة خضر ناظم: الأصول المعرفية لنظرية التلقى، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الإصدار الأول 1998، عمان.
78. على نبيل: العقل العربى ومجتمع المعرفة مظاهر الازمة واقتراحات بالحلول، عالم المعرفة، ج1، نوفمبر 2009، الكويت.
79. نصرت عبد الرحمان: فى النقد الحديث، دراسة فى مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، جبهة للنشر والتوزيع، ط1، 2018، الرياض.
80. أفاية نور الدين: فى النقد الفلسفى المعاصر، مصادره' الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة العربية. ط1، 2014، بيروت.
81. العيد يمنى: الراوى: الموقع والشكل، دراسات فى السرد الروائى، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1986، بيروت، لبنان.
- المعاجم والقواميس:**
82. مذكور إبراهيم: المعجم الفلسفى، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.
83. ابن منظور: لسان العرب، (مادة عرف) تحقيق لسان العرب نخبة العاملين بدار المعارف عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة،
84. لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، المجلد الأول، منشورات عويدات، الطبعة 2، 2001، بيروت.
85. صليبي جميل: المعجم الفلسفى بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبنانى، الجزء الثانى، 1982، بيروت، لبنان.
86. علوش سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبنانى، ط1، 1985، بيروت.

87. الحنفي عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة في العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية واللاتينية والعبرية واليونانية، مكتبة مدبولي للنشر، ط3، 2000، القاهرة.
- الكتب المترجمة:
88. موران إدغار: المنهج معرفة المعرفة، ترجمة يوسف تيس، أفريقيا الشرق، دط، 2013، المغرب.
89. سعيد إدوارد: العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دت، دمشق.
90. كانط امانويل: نقد العقل المحض، ترجمة وتقديم موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، دط، دت، بيروت.
91. هيلي باتريك: صور المعرفة، مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، ترجمة نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، 2008، بيروت، لبنان.
92. جيوم بول: علم النفس الجشطالتي، ترجمة صلاح مخيمر وعبد مبخائيل رزق، مؤسسة سجل العرب، 1973، القاهرة.
93. ريكور بول: من النص الى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسن بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2003، الإسكندرية.
94. بيترستوكويل: مقدمة في النقد الشعري المعرفي، ترجمة سلوى سليمان نقلي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 2010/4/25، الرياض.
95. تودوروف تزيفيتان: نقد النقد، ترجمة سامي سويدان، مراجعة ليلان سويدان، منشورات مركز الإنماء القومي، ط1، 1917، بغداد.
96. بياجيه جان: الاستمولوجيا التكوينية، ترجمة السيد نفادي، دار التكوين دمشق، دار العالم الثالث، 2004، القاهرة.
97. لا يكوف جورج وجونسون مارك: الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة وتقديم عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، مارس 2016، ليبيا.

98. لا يكوف جورج، وجونسون مارك: الاستعارة التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1، 1996، الدار البيضاء.
99. كوتنغهام جون: العقلانية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، مركز الانماء الحضاري للنشر، ط1، 1997، حلب.
100. ليندا جين شيفرد: العالم من منظور الفلسفة النسوية، ترجمة يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، 2004، الكويت.
101. دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة (د.أبو ريدة)، لجنة التأليف، القاهرة سنة 1938.
102. بوقريس روني: العقلانية النقدية عند كارل بوبر، ترجمة وتقديم سعيد بوخليط، أفريقيا الشرق، د.ط، 2009، المغرب.
103. ماركس كارل، انجز فريديريك: العائلة المقدسة أو نقد النقد النقدي، ترجمة حنا عبود، مراجعة فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1999.
104. شلنج كرس: الجسد والنظرية الاجتماعية، ترجمة منى البحر نجيب الحصادي، دار العين للنشر، ط1، 2009، الإمارات العربية المتحدة.
105. هيدغر مارتن: التقنية الحقيقة الوجود، ترجمة محمد سيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، د.ط، د.ت.
106. بونجي ماريو: المادة والعقل، ترجمة إسماعيل، الناشر القومي للترجمة، 2019.
107. شريل موريس: التطور المعرفي عند بياجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1402هـ، 1982م، بيروت.
108. يرنس دبليو ديكون: الإنسان اللغة الرمز التطور المشترك للغة والمخ، ترجمة شوقي دلال، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014.
109. ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكرياء، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2004، الإسكندرية.
- الكتب الأجنبية:



110. Marcuse Herbert, Philosophie et revolution, Bibliotheque Mediation (Paris Denoel/Gonthier, 1969.
111. Browse sam: cognitive Rhetoric, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia.
112. THE EXFORD ENGLISH comprehensive Englisharabic, dictionary, academia.

المقالات والمجالات:

113. كروم أحمد: الترجمة والتأويل التداولي، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 41، أبريل، يونيو 2013، الكويت.
114. نتوف أحمد ولعويجي أحمد: في حركة النقد القديم حول بيت بشار بن برد كأن مثار النقع فوق رؤوسنا، التطبيق النقدي والتوظيف في نظرية النظم، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد الرابع، العدد 1، 2020.
115. أنغ، إين: النقد الثقافي وتداخل الحقول المعرفية الآن، ترجمة عطار حيدر، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب للنشر، المجلد 34، العدد 138، 31 مارس/آذار 2009.
116. بينفيست إيميل: سيميولوجيا اللغة، ترجمة سيزا قاسم، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 1، العدد 3، 1981م، مصر، القاهرة.
117. باقر جاسم محمد: الميتانقد جينيا لوجيا المصطلح من الوجود إلى الوعي، مجلة الأديب الثقافية، العدد الأول/ السنة الأولى، صيف 2020، بغداد.
118. باقر جاسم محمد: نقد النقد أم ميتا نقد؟؟ محاولة في تأصيل المفهوم، مجلة عالم الفكر، مجلد 37، ع3، مارس، 2009، الكويت.
119. تايلور جون: اللسانيات العرفنية واللسانيات المستقلة، ترجمة محمد الملاح، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد 3، عدد خاص 2019.
120. الصكر حاتم: نقد النقد من إشكالات المصطلح إلى تداخلات المفهوم، مجلة الأديب الثقافية، عدد خاص، العدد الأول/ السنة الأولى صيف 2020، بغداد.

121. هارون رشيد: الأسس النظرية لنقد النقد، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد 02، عدد 01، حزيران 2012، العراق.
122. حمدي رضا: قراءة نقدية في محاولات تأصيل المشروع العقلاني العربي الجابري وأركون نموذجاً، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 41، أبريل، يونيو 2013، الكويت.
123. رفاص سميرة: التكامل المعرفي بين مواد اللغة العربية، مجلة أبحاث، ع 1 ديسمبر، 2013، جامعة سيدي بلعباس.
124. حينوني رمضان: المنهج التكاملي في النقد الأدبي، هل يصلح بديلاً عن ضيق المنهج الواحد؟ مجلة إشكالات، العدد الرابع، فبراير، 2014، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر.
125. بارت رولان: نظرية النص: ترجمة عبد الرحيم الرحوتي، مجلة الرقيم، العدد 14، خريف 2017.
126. بغورة الزواوي: في النقد الفلسفي محاولة في تحديد المفهوم، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 41، أبريل، يونيو 2013، الكويت.
127. بغورة الزواوي: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 2000، القاهرة
128. سعيد توفيق: القيمة المعرفية للأدب، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 6، العدد 3، 5 أبريل/ مايو/ يونيو، 1987، القاهرة.
129. بلكفيف سمير: ابستمولوجيا الإنسان في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة منيرفا، المجلد 4، العدد 2، جامعة خنشلة، الجزائر.
130. البوشيخي الشاهد: نحو تصور حضاري شامل للمسألة المصطلحية، مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، العدد 2، 2002.
131. عباس عبد جاسم: النظرية النقدية العابرة للتخصصات، مجلة الأديب الثقافية، عدد خاص، العدد الأول/ السنة الأولى صيف 2020، بغداد.
132. بن دحمان عبد الرحمان: بعض من مشاريع البلاغة المعرفية مارك تزنر نموذجاً، مجلة الخطاب، العدد 21، جامعة ابن خلدون تيارت.

133. البار عبد الرحيم: الأسس المعرفية لعلم اللسانيات الحديثة قراءة في المرجع الفكري، مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السادس، ديسمبر 2016.
134. البار عبد الرحيم: مباحث الإسناد في الجملة العربية بين الأصول النحوية والأبعاد البلاغية والآثار الفلسفية، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 23، جوان 2018، جامعة محمد خيضر بسكرة.
135. الزباني عبد العاطي: نقد النقد وأبعاد التنظير النقدي، مجلة علامات، ج56، م14، يونيو، 2005.
136. رهيف السلطاني عبد العظيم: كتاب سحر الموضوع وأسئلة المنهج في نقد النقد الأدبي الآن، مجلة الأديب الثقافية، العدد الأول/السنة الأولى صيف 2020، بغداد.
137. الوراري عبد اللطيف: الرواية العرفانية تأسيس لأدب جديد، مجلة ذوات، تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد 10، 2015.
138. إسماعيل عز الدين: هذا العدد، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 6، العدد 3، 5 أبريل، مايو، يونيه، 1987، القاهرة.
139. إسماعيل عز الدين: أما قبل، مجلة فصول في النقد الأدبي المجلد 6، العدد 3، أبريل، مايو، يونيو 1987، القاهرة.
140. بن دحمان عمر: دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، 10 جانفي.
141. ثامر فاضل: مقالة (ألم يحن الأوان لتوحيد المصطلحات النقدية والفكرية؟ نقد معرفي أم شعرية إدراكية، جريدة الشرق الاوسط، الاثنين 8 ذو القعدة 1441 هـ، 29 يونيو 2020م، رقم العدد [15189].
142. لاثاروكاريتير فرناندو: الوظيفة الأدبية والشعر الحر، ترجمة محمود السيد علي محمود، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 6، العدد 3، 5 أبريل/ مايو/يونيه، 1987، القاهرة.

- 143.** النعيمي فيصل غازي: النظرية النقدية العابرة للتخصصات، مجلة الأديب الثقافية، عدد أول/سنة أولى، صيف 2020، بغداد.
- 144.** إيفانز فيفيان ، جرين ميلاتي: طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العزيمي، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد (4/25)، العدد، 100، صيف 2018.
- 145.** قيرداسدونك: مفاهيم الأدب بوصفها أطرا للإدراك، ترجمة حسم البنا عز الدين، مجلة فصول في النقد الأدبي، الادراكيات، المجلد 25، العدد 100، صيف، 2017، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 146.** بايلز كاترين: اللغة والدماغ، ترجمة عبد الرحمان طعمة، الإدراكيات مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 4/25، العدد 100، صيف 2018.
- 147.** فوكس كاترين: هل توجد لسانيات إدراكية، ترجمة لطفي السيد منصور، مجلة فصول في النقد الأدبي، الادراكيات، المجلد 4/25، العدد 100، صيف، 2017.
- 148.** محمد كعبش: نقد مفهوم السلطة عند ميشال فوكو. مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 33، الجزء الأول/مارس 2019.
- 149.** بيليخوفيا لارزيا: مقالتان في إدراكيات النص الشعري، ترجمة محي الدين محسب، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 6، العدد 3، 5 أبريل/ مايو/يونيه، 1987، القاهرة.
- 150.** فريمان مارجريت: انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، مدخل إلى الشعريات الإدراكية، ترجمة محمد سمير عبد السلام، مجلة فصول في النقد الأدبي، الادراكيات، المجلد 4/25، العدد 100، صيف، 2017
- 151.** تيرنر مارك: الدراسة الإدراكية في اللغة والأدب والفن، ترجمة رانية خلاف، مجلة فصول الإدراكيات، المجلد 4/25، العدد 100، صيف، 2017.
- 152.** لورريان ماري: السرديات والعلوم العرفانية علاقة إشكالية، ترجمة زهير القاسمي، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 4/25، العدد 100، صيف، 2017.
- 153.** المريني محمد: "نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، مجلة البيان الكويتية، العدد 452، 1 مارس 2008.

154. الوحيدي محمد: اللغة والمعرفة، قضايا البحث الليمعرفي، مجلة فصول في الإدراكيات، الإدراكيات، المجلد 4/25، العدد 100، صيف، 2017.
155. أمهاوش محمد: النقد المصطلحي، الرؤية المفهومية والمنهجية، مجلة علامات في النقد، العدد 64، 1 فبراير، 2008.
156. سالم سعد الله محمد: الخطاب بوصفه مسؤولية نقدية، مجلة المأمون، العدد 4، السنة السابعة، 2011، كلية الآداب، جامعة الموصل.
157. سالم سعد الله محمد: العائلة المقدسة الخطاب بوصفه مسؤولية مقدسة، مجلة المأمون، العدد الرابع/ السنة السابعة، 2011، كلية الآداب، جامعة الموصل.
158. سالم سعد الله محمد: الكشوفات الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة التربية والعلم، كلية الآداب، الموصل، المجلد 12، العدد 1، 2005.
159. سالم سعد الله محمد: النص الملزم في الشعر الموصل المعاصر خصوصية الرؤية والتناول، مجلة دراسات موصلية، العدد الخامس عشر، محرم 1428هـ/ شباط، 2007.
160. سالم سعد الله محمد: النقد الإسلامي أصالة الموروث وفاعلية الخطاب، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد 12، العدد 4، 2005.
161. سالم سعد الله محمد: النقد الثقافي أزمة منهج أم محنة عمل، مجلة المأمون، العدد 1، السنة الثامنة 2012.
162. سالم سعد الله محمد: مدرسة النقد الأدبي العراقي. مشروع لم يكتمل، مجلة المأمون، العدد الأول، السنة التاسعة، 2013، بغداد.
163. سالم سعد الله محمد: مناهج ما قبل البنيوية مسيرة معرفية، مجلة المأمون، العدد الثاني/ السنة السابعة، 2011.
164. سالم سعد الله محمد: منعطفات النص "دراسة في معطيات شكري عياد الأسلوبية والنقدية" مجلة الموقف الثقافي، العدد 41، أيلول تشرين الأول، السنة السابعة 2002، كلية الآداب، جامعة الموصل.
165. عروس محمد: النقد المعرفي نحو ابدال منهجي جديد، مجلة الأديب الثقافية، العدد 3، السنة الثانية، صيف، 2021، بغداد.

166. عروس محمد: النقد المعرفي نحو إبدال منهجي، مجلة آداب الرافدين، العدد 86، السنة الواحدة والخمسون، تشرين الأول، 2021/10/14م، كلية الآداب جامعة الموصل.
167. علاقي محمد: النقد الثقافي والنقد المعرفي، الائتلاف والاختلاف، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 9، جويلية، 2016.
168. خليف خضير الحياني محمود: إشكالية النقد المعرفي في الخطاب النقدي العربي الحديث، مجلة بحوث اللغات، كلية التربية للبنات جامعة تكريت، العدد4، المجلد3، صيف 2020.
169. محسب محي الدين: الإدراكيات التأسيس المعاصر لعملية النقد الادبي، مجلة علامات، العدد 76، شوال 1434هـ، 1 أغسطس 2013.
170. ربابعة موسى: موت المؤلف وآفاق التأويل، مجلة علامات في النقد، المجلد 15، ج58، سبتمبر 2005، النادي الأدبي الثقافي، جدة.
171. سطمبول ناصر: تجليات التكامل المعرفي في تلقي النص، مجلة أبحاث، مختبر اللسانيات وتحليل الخطاب، عدد ديسمبر، 2013، جامعة وهران، الجزائر.
172. معارك ناصر: ابستمولوجيا علم الاجتماع المعرفي عند كارل مانهايم، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 13، 2017، جامعة قسنطينة، الجزائر.
173. سليمان نبيل: المتن المثلث، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، مصر.
174. الرياحي القسنطيني نجوى: في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد، 38 يوليو، 2009.
175. الوناس نصيرة: نظرية الانعكاس في الأدب، مجلة معارف، جامعة آكلي محند أو لحاج، البويرة، العدد 13، ديسمبر، 2012.
176. السيد هيثم ومصطفى ياسر: نظرية الكوانتم بين العلم والفلسفة مناظرة أكاديمية، مجلة متون، المجلد 9، العدد2، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مولاي الطاهر-سعيدة.
177. بركات وائل: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، المجلد 18 العدد 2، 2002.

178. صاحب حسن وحيدة: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول، المرجعيات، المفهوم، مقدمة نظرية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج 18، ع3، 2018.

المواقع الإلكترونية:

179. ar.m.wikipedia.org

180. بن منصور التركي إبراهيم: من النقد الثقافي إلى النقد المعرفي، الرياض، جريدة إلكترونية، العدد 1328، سنة 2006م، تاريخ الدخول 2020/4/10، التوقيت، 10:41 www.alriyadh.com

181. العمر رولا: تأملات في علم المنطق موقع الكتروني، MAKALCLOUD.COM، نشر بتاريخ 23 أكتوبر 2018، وعدل بتاريخ 21 يناير 2019، تاريخ الدخول، 2021/11/19

182. محمود إبراهيم سامي: الفلسفة وفقه الواقع، موقع الكتروني، اسلام اون لاين <https://islamonline.net> / تاريخ الدخول 2022/2/17. الساعة 17.11

183. بنكراد سعيد: السيرورة السيميائية والمقولات، قراءة في سيميائية بيرس، موقع الكتروني <http://saidbengrad.free.fr/ar/artper.htm>

184. الداية فايز: في اللغة ونقد الدلالة (نظرية الأدب وصلتها باللغة والدلالة)، موقع الكتروني [almerjacom](http://almerjacom) ، نشر بتاريخ 2017/9/10، بتاريخ الدخول، 2021/10/25، الساعة 20:15

185. المسكيني فتحي: استشارات كانطية التعالي الحر أو في الحرية الموجبة، الحوار المتمدن، 352012، m.ahewar.org بتاريخ 9، 7، 2021، الساعة 17.42

186. حميد ماهر: النظرية النقدية الماركسية، قراءات نقدية، صحيفة المثقف، موقع الكتروني، [almothaqaf.com](http://almothaqaf.com)

187. بومدين محمد: النزعة الأنثوية وتفكيك الخطاب النسوي في فلسفة فاطمة المرنيسي، موقع الكتروني <https://diae.net>، تاريخ الدخول، 2021/10/22

188. مفهوم الشعرية الإدراكية، موقع إلكتروني، تاريخ الدخول، 2020727، [ontology.birzeit.edu](http://ontology.birzeit.edu)

189. راشد هشام: جدل المداخل الفكرية والأدوات المعرفية، مؤسسة دراسات وأبحاث، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، [www.Mominoun.com](http://www.Mominoun.com)

الحوارات:

190. سالم سعد الله محمد: منهجية النقد المعرفي، حوار أجرته الباحثة رانية قدرى، مجلة الأديب الثقافية، العدد الثالث/ السنة الثانية صيف 2021، بغداد.



الفهارس

# فهرس الأشكال

المحتويات:

- الشكل 1 حدود الوصل بين نقد النقد والنقد المعرفي..... 29
- الشكل 2 مجالات اشتغال نقد النقد..... 45
- الشكل 3 حدود التلاقي والاختلاف بين النقد الثقافي والنقد المعرفي ..... 109
- الشكل 4 عناصر العملية الإبداعية في النقد المعرفي ..... 141
- الشكل 5 ملامح التأسيس للفلسفة اليهودية عند "محمد سالم سعد الله" ..... 177
- الشكل 6 الفلسفة القبلانية في تفكيك المعرفة اليهودية..... 184
- الشكل 7 الفلسفة الوجودية بين الظاهرية والنيشوية والاستقبالية ..... 189
- الشكل 8 التصوف الإسلامي منطلق معرفي ..... 194
- الشكل 9 الربط المعرفي بين السيمياء والبلاغة..... 206
- الشكل 10 دور التخيل في عملية التشكيل اللغوي..... 208
- الشكل 11 بين السيمياء والاستعارة بعد معرفي..... 210
- الشكل 12 مقترح التناص الاستعاري..... 214
- الشكل 13 علاقات التناص الاستعاري ..... 214
- الشكل 14 تشكل المعنى في الثالوث المعرفي (المجاز، السيمياء، الوحدة الدلالية)
- ..... 217
- الشكل 15 تحويل كلام الجرجاني في تحليله لببيت بشار بن برد ..... 220
- الشكل 16 الترابط الذهني بين جاكسون والجرجاني ..... 224
- الشكل 17 المناهج النقدية بوابة النقد المعرفي..... 231
- الشكل 18 الحدود المفاهيمية للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله ..... 259
- الشكل 19 النقد المعرفي واللغة الشعرية..... 273
- الشكل 20 بين صناعة النص ومنزلة القراءة؛ توظيف معرفي..... 274
- الشكل 21 اللغة سلطة معرفية ..... 277

- الشكل 22 اشتغال النقد المعرفي على النقد عند "محمد سالم سعد الله"..... 292
- الشكل 23 المسيرة المعرفية للمناهج النقدية..... 294
- الشكل 24 علاقة القناع بالمصطلحات القريبة منه..... 320
- الشكل 25 مجالات الممارسة الفكرية للناقد محمد سالم سعد الله..... 330
- الشكل 26 أسس تشكل المنظومة المعرفية..... 332

# فهرس الموضوعات

المحتويات

5	مقدمة.....
15	الفصل الأول:.....
15	الرؤية الإبستمولوجية.....
15	والمقاربة المنهجية.....
16	أولاً/ نقد النقد الرؤية المنهجية.....
17	(1 مفهوم نقد النقد.....
20	(2 موضوع نقد النقد.....
22	(3 النقد المعرفي موضوع لنقد النقد.....
30	ثانياً/ الآليات الإجرائية لنقد النقد:.....
33	1-النقد المصطلحي:.....
35	2-نقد المرجعيات:.....
36	3-النقد الحواري:.....
39	4-نقد اللغة الواصفة:.....
41	5-النقد الهرمنيوطيقي:.....
45	ثالثاً/ النقد المعرفي حدوده المصطلحية ومفهوميته النقدية.....
48	(1 النقد المعرفي؛ بحث في ذاكرة المصطلح.....
48	أ - مصطلح المعرفة في الثقافة الغربية:.....
52	ب-مصطلح المعرفة في الثقافة العربية:.....

- 61.....النقد المعرفي بحث في حدود المفهوم. (2)
- 67.....المفهومية النقدية للنقد المعرفي. (3)
- 71.....رابعاً/ المرجعيات الفلسفية للنقد المعرفي
- 72.....1- النقد المعرفي؛ بحث في المرجعيات الفلسفية:
- 74.....أ- الفلسفة التجريبية:
- 77.....ب- الفلسفة العقلية:
- 79.....ت- فلسفة الجشطات.
- 83.....الفصل الثاني:
- 83.....النقد المعرفي بين الإنتاج والاستقبال.
- 84.....أولاً/علاقات النقد المعرفي
- 84.....1- التكامل المعرفي تأسيس لمبدأ العلاقات في النقد المعرفي.
- 86.....أ- النقد المعرفي واللسانيات:
- 90.....ب- الاستعارة والنقد المعرفي:
- 92.....ت- البلاغة والنقد المعرفي:
- 95.....ث- النقد المعرفي وعلم النفس:
- 99.....ج- النقد المعرفي وعلم الاجتماع:
- 103.....ح- النقد المعرفي والنقد الثقافي.
- 120.....د- النقد المعرفي والنقد التكاملي:
- 122.....ذ- النقد المعرفي والسرديات:

- 124 .....ثانيا/مقولات النقد المعرفي:.....
- 126 .....أ- مقولة التداخل:.....
- 129 .....ب- مقولة الشمولية:.....
- 130 .....ت- مقولة الجمالي المعرفي.....
- 133 .....ث- مقولة الاستثمار والاستمرار:.....
- 134 .....ج- مقولة الجسدنة:.....
- 135 .....2- هل بمقولات النقد المعرفي يمكن أن يتحول الناقد إلى ناقد معرفي؟....
- 136 .....ثالثا/أسئلة النقد المعرفي:.....
- 138 .....1- جدلية اللغة بين الشعرية والمعرفية.....
- 140 .....2- الحضور الرباعي للعملية الإبداعية من منظور النقد المعرفي.....
- 147 .....3- مدار المعنى من منظور النقد المعرفي.....
- 149 .....4- التواصل النقدي من منظور النقد المعرفي.....
- 151 .....رابعا/استقبال النقد المعرفي في الخطاب العربي.....
- 152 .....1- فضاء الاستقبال.....
- 154 .....أ- النقد المعرفي وتعددية ترجماته:.....
- 154 .....ب- النقد المعرفي بين جدلية الفكر والواقع:.....
- 156 .....ت- النقد المعرفي وشرعية العقل أثناء المقاربة النصية:.....
- .....ث- النقد المعرفي موضة نقدية تثير مسألة اختيار أم منهج علمي يثير
- 157 .....ازدواجية مفروضة:.....



- 2- فضاء الاشتغال: ..... 158
- الفصل الثالث: ..... 175
- أسس التنظير للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله" ..... 175
- أولا/ الأسس الفلسفية للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله" ..... 176
- 1- الفلسفة الغربية: ..... 176
- أ- الفلسفة اليهودية ..... 176
- ب- الفلسفة العدمية: ..... 177
- 2- الفلسفة القبلانية منطلق فلسفي للنقد المعرفي ..... 182
- أ- أسطورة الرجل الخارق (الباتمان) ..... 182
- ب- السبب مسار قبلاني: ..... 186
- 3- الفلسفة الوجودية منطلق فلسفي للنقد المعرفي ..... 188
- 4- الفلسفة العربية الإسلامية: ..... 192
- أ- فلسفة التصوف الإسلامي منطلق معرفي: ..... 193
- ب- التأويل وفق فلسفة التصوف: ..... 194
- ت- الحقيقة المعرفية للتوجه الصوفي: ..... 195
- ث- الرؤية المعرفية لانزياحية المصطلح الصوفي ..... 197
- ج- البعد المعرفي للمتلقى عند الحلاج: ..... 199
- ح- الجمعة مسار عربي إسلامي: ..... 201
- خ- الثقافة الجنسية الجامعية دعوة للتأمل ..... 202

- 205.....ثانيا/ الأسس المعرفية للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله
- 206 ..... 1- المنطلقات البلاغية:
- 206 ..... أ- المجاز معطى معرفي:
- 209 ..... ب- الاستعارة:
- 222 ..... 1- المنطلقات اللسانية:
- 230 ..... ثالثا/ الأسس المنهجية للنقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله:
- 232 ..... 1- النقد السيميائي:
- 234 ..... 2- النقد المهجن:
- 236 ..... 3- النقد التفكيكي:
- 237 ..... 4- النقد الإسلامي وإشكالاته المعرفية:
- 241 ..... 5- النقد الإسلامي وإشكالاته المنهجية:
- 245 ..... 6- النقد الثقافي والنقد الأدبي:
- 249 ..... 7- التأويل:
- 252 ..... رابعا/ الحدود المفهومية للنقد المعرفي من منظور "محمد سالم سعد الله"
- 253 ..... 1- المصطلح:
- 258 ..... 2- مفهوم النقد المعرفي عند محمد سالم سعد الله:
- 271 ..... الفصل الرابع:
- 271 ..... الرؤية التطبيقية للنقد المعرفي عند "محمد سالم سعد الله"
- 272 ..... أولا/النسق اللغوي للنقد المعرفي من منظور محمد سالم سعد الله:

- 1- اللغة بوصفها مدركات معرفية: 273 .....
- أ- اللغة والسلطة الأيديولوجية: 277 .....
- ب- اللغة والسلطة الفلسفية: 278 .....
- 2- اللغة الشعرية بين إيكو والجرجاني: 283 .....
- 3- صناعة الذات الشعرية: 287 .....
- 4- حلم الكلمات؛ نحو هوية أنثوية للغة: 290 .....
- ثانيا/ النقد المعرفي والاشتغال على النصوص النقدية من منظور "محمد سالم سعد الله" 291 .....
- 1- أنساب النقد؛ دراسة في المسيرة المعرفية للمناهج: 291 .....
- أ- مناهج ما قبل البنيوية: 294 .....
- ب- مناهج ما بعد النصية: 298 .....
- ت- حداثة التحيز وتحيز الحداثة: 300 .....
- ث- الخطاب بوصفه مسؤولية نقدية: 303 .....
- ثالثا/ النقد المعرفي والاشتغال على النصوص الإبداعية من منظور "محمد سالم سعد الله" 309 .....
- 1- الفاعلية المعرفية في النصوص الشعرية: 310 .....
- أ- الحلاج وأعطاب المعنى: 311 .....
- ب- القناع دراسة في الشعر الاسلامي المعاصر: 313 .....
- ت- صناعة الذات الشعرية: 314 .....
- ث- أطراف النص وجماليات التأويل: 316 .....

- 317 ..... الفاعلية المعرفية على النصوص السردية ..... 2-
- 317 ..... اقنعة النص السردى: ..... أ-
- 319 ..... سردية القناع: ..... ب-
- 323 ..... الفاعلية المعرفية فى النص المسرحى: ..... 3-
- 323 ..... تراجىديا الصمت: ..... أ-
- 324 ..... موت المسرح: ..... ب-
- 327 ..... الفاعلية المعرفية على الخطاب الروائى ..... 4-
- 327 ..... البناء السردى فى الرواية العربية الحديثة: ..... أ-
- 329 ..... رابعا/الممارسات الفكرية فى التجربة النقدية عند محمد سالم سعد الله: ..... رابعا/
- 330 ..... المنظومة المعرفية للفراهيدى: ..... 1-
- 334 ..... مرحلة التكوين المعرفى للخليل الفراهيدى: ..... أ-
- 337 ..... مرحلة التأسيس العلمى: ..... ب-
- 338 ..... مرحلة النتاج والفاعلية: ..... ت-
- 339 ..... المعرفة الزمنية عند يمنى العيد: ..... 2-
- 341 ..... الزمن علامة من التخيل إلى المرجع: ..... أ-
- 344 ..... الراوى والزمن؛ نحو رؤية معرفية لانفتاح النص: ..... ب-
- 346 ..... الخطاب الأنثوى عند فاطمة المرئيسى: ..... 3-
- 347 ..... خطاب ما وراء الحجاب: ..... ب-
- 353 ..... خاتمة.....

359 ..... قائمة المصادر والمراجع

377 ..... الفهارس

## المخلص:

استهدف هذا البحث والموسوم "بالنقد المعرفي بين التنظير والتطبيق مقارنة من منظور نقد النقد لكتابات "محمد سالم سعد الله" قضية مركزية وجوهرية في النقد المعاصر وهي النقد المعرفي، وحاول تسليط الضوء عليه من زاوية عناصر تبرير ظهوره مع ما ينتج من الخطابات النقدية ذاتها.

سمح البحث في النقد المعرفي للفكر النقدي بإعادة تصوره حول إشكالية الموت في النقد المعاصر التي أصبحت مقترنة بكل خطاب وبكل نقد في سياق صراع البقاء أو الصواب أو الخطأ لدرجة تحول فيها الفكر النقدي إلى محكمة يبغي نمط التبادل البراغماتي في السوق الفكرية والثقافية.

إن البحث في الرؤية الإبستمولوجية والمقاربة المنهجية للنقد المعرفي قد مكن نقد النقد من العبور من النقد الثقافي باعتباره موضوعاً له إلى النقد المعرفي، والذي يعتبر قفزة نقدية جادة في مجال نقد النقد من حيث انتزاعه لفضاءٍ مناسب في الإنتاج الفكري والثقافي ألا وهو النقد المعرفي، كما أن الوقوف عند حدوده المصطلحية والمفهومية أتاح فرصة التعرف على بنية *congition* وما تحمله هذه اللفظة من إمكانيات عبر تداخلاتها العدة مع نظيراتها في اللغات الأخرى ومع اقترانها بكل خطاب يفكر بالفعل.

توصل البحث في الرؤية الإبستمولوجية إلى أن المرجعيات الفلسفية للنقد المعرفي مرجعيات تُنظر إليها من مفهومه باعتباره مشروع حياة جديد يضع الخبرة الإنسانية في قلب انشغالاته ليراعي مبادئ كبرى تمثلت في (التجربة، العقل، الجسد، الشمولية)، ولنستلهم نحن من هذه المبادئ مرجعياته المتمثلة في: الفلسفة التجريبية، الفلسفة العقلية، الفلسفة الجشطالدية.

إن التوظيف النقدي لمبدأ العلاقات في النقد المعرفي يعطي دينامية وحيوية ونمو لحركة هذا النقد عن طريق خلق نافذة الاستثمار والتي تعتبر عنصرا مهما من عناصر مولدات الإبداع، إذ النمط العلائقي سيفتح مداخل كثيرة لعل أبرزها: التكامل المعرفي، أدوات إجرائية جديدة، التداخل وغيرها.

لقد حاول البحث الوقوف عند مقولات النقد المعرفي وأسئلته وهو بحث يمكن جعله في محك التأسيس لهذا النقد، إذ المقولات تمنح أهمية كبرى يُستند إليها أثناء الاحتكام للمقاربة المنهجية التي تقدم عبر النقد المعرفي إمكانات التجاوز من خلال التفكير في العالم والكشف في مفارقاته وتناقضاته؛ فكانت مقولة التداخل، الشمولية، الجمالي المعرفي، الجسدنة، الحوارية مقولات مؤسدة للنقد المعرفي. ثم إن أسئلة النقد المعرفي أسئلة استهدفت ملكات الإدراك عبر ابتداعها لإشكاليات تروم فهم الذات الإنسانية بكل أشكالها ضمن اقترانها بالواقع الذي أصبح يُشهد عليه التراكم اللامحدود للمعارف في خضم (الذكاء الاصطناعي، العولمة، ما بعد العولمة).

في ظل استقبال النقد المعرفي المعاصر، يجد الدارس أن هذا النقد في لحظة استقباله، قد أثار جملة من القضايا المعرفية المعاصرة والتي تم اكتشافها كاجتهاد يسهم في تكوين رؤية معرفية للنقد المعرفي لتضفي عليه سمة الفرادة النقدية وتمنحه شرعية البقاء كفكر نقدي يسائل الواقع ليكشف عن تجلياته عن طريق قدرة العقل كعنصر أولي وفاعل دوما. أما من حيث الطابع الإنتاجي فإن البحث والحس النقدي والسؤال المعرفي هاجس حث النقاد على النظر في زوايا هذا النقد، لكن ما تم الوصول إليه لم يتجاوز أصابع اليد فكانت جل الاجتهادات تركز على الدلالة العرفانية وعلى محاولة تحديد مصطلح المعرفة مع اقترانه بلفظ النقد.

إن مراهنة الناقد "محمد سالم سعد الله" على التنويع في مبدأ الأسس من حيث الفلسفية والمنهجية والمعرفية جعل المفهوم العام للنقد المعرفي يستقر على عنصرين

أساسيين وهما التكامل والشمولية، تكاملية وشمولية المعارف التي استند إليها الناقد وهو يحاور ليسأل ليحلل، فيفكك الخطابات كاشفا عن القيمة الجوهرية التي يسعى إليها هذا النقد وهي القيمة المعرفية في النصوص الإبداعية، عن طريق الفلسفة القبلانية كعنصر رئيسي لم يفارقه أبدا أثناء تأسيسه، إلى المناهج النقدية، إلى محاورة عقول النقاد عبر طريقة بيئية تجمع بين فكرين مختلفين؛ الأول عربي والآخر غربي، باحثا في (الكيف)؛ أي كيف تشكلت خطاباتهم، كل هذا التنوع ولد فضاء فكريا نقل عبره "محمد سالم سعد الله" رؤيته لواقع النقد المعاصر بطريقة يطبعها التداخل بين المعارف في كل شيء، طريقة تفتح عين الناقد إلى أفق قرائي ودلالي متعدّد وفق تشغيل العقل الذي يرفض القولية، إنه العقل الذي يجزم دائما بوجود حقيقة فيبحث عنها وفق آلياته المعرفية والإدراكية.

لقد كانت ممارسة الناقد بالنقد المعرفي ممارسة متنوعة جمعت بين اللغة والنص النقدي والنص الإبداعي، وُحُتْمت بممارسات فكرية، أثرت عمله التحليلي؛ ففكره النقدي كشف على أنه نتاج عمليات ذهنية وتمثلات أسهمت في إنتاج معرفة في سياق تطغى عليه ملكات الإدراك، فجاءت أحكامه ومساءلاته تتميز بالدقة والإحكام. كشف عن محمولات اللغة المعرفية، وسار بقضايا الخطاب النقدي نحو أبعاد رؤيوية تجمع بين الثقافي والاجتماعي والسياسي، ولعب دور المحاكم في الاشتغال الفكري على العقول، مؤكدا على أن المتن العربي يمتلك مؤهلات التفرد والخصوصية في الاشتغال النقدي. فما بين (النقد الشعري المعرفي) "لبيتر ستوكويل" إلى (نظرية النقد المعرفي المعاصر) "محمد سالم سعد الله" هناك هوة فارقة في نمط التفكير والتأسيس والذي يعكس حقيقة كل بيئة.

ما يخلص إليه البحث هو أن النقد المعرفي قد أتاح إمكانيات إبداعية جديدة، تولدت عنها تجديد للرؤية النقدية من القول بالموت والإلغاء، إلى القول بالتداخل



والاستمرار، عن طريق تفعيل ملكات العقل والإدراك في الكشف عن القيم المعرفية التي يخبئها كل خطاب.

### **Abstract**

This thesis tackles the issue of “COGNITIVE CRITICISM BETWEEN THEORIZING AND APPLICATION: AN APPROACH FROM THE PERSPECTIVE OF CRITICISM OF THE WRITINGS OF MUHAMMAD SALEM SAAD ALLAH,” aimed at a central and essential issue in contemporary criticism, which is cognitive criticism, and tried to shed light on it from the angle of the elements of justifying its appearance with the resulting critical discourses themselves.

The study gives the floor to cognitive criticism of critical thinking to be re-imagined through the problem of death in contemporary criticism, which has become associated with every discourse and criticism in the context of the struggle for survival, right or wrong, to the extent that critical thinking has turned into a court that seeks a pragmatic exchange pattern in the intellectual and cultural market.

The study of the epistemological vision and the methodological approach to cognitive criticism has enabled criticism of criticism to cross from cultural criticism as its subject to cognitive criticism, which is a serious critical leap in the field of criticism in terms of extracting an appropriate space in intellectual and cultural production, which is cognitive criticism, and that Standing at its terminological and conceptual limits provided an opportunity to learn about the structure of cognition and the possibilities that this word holds through its numerous overlaps with its counterparts in other languages and with its association with every discourse that actually thinks.

Above all, the study of the epistemological vision concluded that the philosophical references of cognitive criticism are references that were viewed from its concept as a new life project that puts human experience at the center of its preoccupations to take into account major principles represented in (experience, mind, body, inclusiveness), and let us take inspiration from these principles, its references represented in: Empirical Philosophy, Mental Philosophy and Gestalt Philosophy.

The critical employment of the principle of relations in knowledge criticism gives dynamism, vitality and growth to the movement of this criticism by creating an investment window, which is an important element of the generators of creativity, as the relational pattern will open many

entrances, perhaps the most prominent of which are: cognitive integration, new procedural tools, overlap and others.

The study tried to stand at the categories of cognitive criticism and its questions, and it is a research that can be made the test of foundation for this criticism. The statement of overlap, totalitarianism, aesthetic cognitive, somatization, and dialogue were foundational categories for cognitive criticism. Moreover, the questions of cognitive criticism were questions that targeted the faculties of cognition through their creation of problems that aim to understand the human self in all its forms within its association with reality, which has become attested by the unlimited accumulation of knowledge in the midst of (artificial intelligence, globalization and post-globalization).

In light of the reception of contemporary cognitive criticism, the student finds that this criticism, at the moment of its reception, has raised a number of contemporary cognitive issues, which were discovered as diligence that contributes to the formation of a cognitive vision of cognitive criticism in order to give it the characteristic of critical uniqueness and give it the legitimacy to remain as a critical thought that questions reality to reveal its manifestations through the ability of the mind as a primary and always active element. In terms of production, research, critical sense, and cognitive question obsessively urge critics to look at the angles of this criticism, but what was reached did not exceed the fingers of the hand, so most of the jurisprudence focused on the mystical significance and trying to define the term knowledge with its association with the word criticism.

The critic Muhammad Salem Saadallah's bet on diversification in the principle of foundations in terms of philosophical, methodological and epistemological matters made the general concept of cognitive criticism settle on two basic elements, which are integration and comprehensiveness, complementarity and comprehensiveness of the knowledge that the critic relied on as he debates to ask to analyze, then dismantles the discourses revealing the intrinsic value this criticism seeks, which is the cognitive value in creative texts, through the Kabbalistic philosophy as a main element that never departed from it during its establishment, to the critical approaches, to dialogue with the minds of critics through an interface that combines two different ideas; the first is Arabic and the other is Western, researching (the How); that is, how their discourses were formed, all this diversification generated an intellectual space through which "Muhammad Salem

Saadallah" conveyed his vision of the reality of contemporary criticism in a way that is marked by the overlap between knowledge in everything, a way that opens the critic's eye to a multiple reading and semantic horizon according to the operation of the mind that rejects stereotyping, it is the mind who always asserts that there is a truth and searches for it according to his cognitive and perceptual mechanisms.

The critic's practice of cognitive criticism was a diverse exercise that combined language, critical text and creative text, and concluded with intellectual practices that enriched his analytical work. His critical thought was revealed as the product of mental processes and representations that contributed to the production of knowledge in a context dominated by the faculties of perception, so his judgments and questions were characterized by accuracy and precision. He revealed the premises of the cognitive language, and proceeded with the issues of critical discourse towards visionary dimensions that combine cultural, social and political, and played the role of the courts in intellectual work on minds, stressing that the Arabic text possesses the qualifications of uniqueness and privacy in critical work. Between Peter Stockwell's (Cognitive Poetic Criticism) and (Contemporary Cognitive Criticism Theory) by Muhammad Salem Saadallah, there is a distinct gap in the style of thinking and foundation that reflects the reality of each environment.

What the research concludes is that cognitive criticism has provided new creative possibilities, resulting in a renewal of the critical vision from saying death and cancellation, to saying overlap and continuity, by activating the faculties of mind and perception in revealing the cognitive values that each discourse stores.